أمثال وحكم الإمام الرضا ع

أو

كلماته المختارة

محمد الغروي

الجزء الأول

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



أمثال وحكم الإمام الرضا

أو

كلماته المختارة

أمثال وحكم الإمام الرّضا ؏

أو

كلماته المختارة

محمّد الغروي

الجزء الأول

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك يا ثامن الأئمّة الأطهار ، وعاشر مصابيح الأنوار
يا علي بن موسى الرّضا ، عليك وعلى آبائك السّبعة
وأبنائك الأربعة آلاف التحيّة والثّناء .
يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضّرّ وجئنا ببضعةٍ
مزجةٍ فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنّ الله
يجزي المتصدّقين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد رسول الله وخاتم النبيّين ، وعليّ أوّل الوصيّين ، وفاطمة سيّدة نساء العالمين ، والأئمة المعصومين ، شروط لا إلٓه إلاّ اللّه وشجرة التوحيد الّتي نبتت في الحرم ، وبسقت في الكرم ، ولا سيّما ثامنهم الإمام الرضا ، وآخرهم المهدي إمام الهدى .

اللهم عجّل فرجه ، وآهد به عبادك ، وأحي به شرعك وبلادك آمين .

تقديم

هذه مائة وإحدى ثمانون كلمة مختارة من الأمثال والحكم ممّا يؤثر عن الإمام الرّضا عليه السّلام ، وهي من الخير المعجّل والدّراسة العاشرة للأمثال والحكم المختارة من كلمات المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام :

من الأمثال والحكم النّبويّة ، العلويّة ، الفاطميّة ، الحسنيّة ، الحسينيّة ، السّجاديّة ، الباقريّة ، الصّادقيّة ، الكاظميّة ، الرّضويّة ، والمتواصلة إن شاء الله إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه وتلك عشرة كاملة ، صدر منها كتاب « الأمثال النّبويّة »[1] ، و « الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة »[2] وهي قبسة من « الأمثال والحكم العلويّة »[3] ، ورائدة الخير لها ، أو كما قال القائل :

* وأوّل الغيث رشٌّ ثمّ ينسكب *[4]

(١) طبع في مجلّدين ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، عام ١٤٠١ هـ .

(٢) طبع في مجلّد ـ قم المقدّسة ، إيران ـ مطبعة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرّسين ، عام ١٤٠٧ هـ .

(٣) مخطوط .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٣٦ ، وفي هامشه بدل « رشّ » « قطر » .

الهدف المشترك :

وإنّما لم نفرّق بينهم عليهم السلام ؛ لاشتراكهم كلّهم في الدّعوة إلى الله جلّ جلاله ، وهداية النّفوس ، وتهذيبها ، ولا غرو فهم أعدال الكتاب العزيز في حديث الثقلين[1] .

اللهمّ اجعلنا من المتمسّكين بهم ، والآخذين بحجزتهم ، والناجين بشفاعتهم .

الأمثال :

الأمثال : جمع المثل فمنها المثل السائر ، ومنها المثل القياسيّ .

المثل السائر :

هو ما قاله القائل في واقعة اقتضته ، ثمّ سار على الألسن يتمثّل به في الشيء المشابه لتلك الواقعة من غير تبديل . ومنه المثل النّبويّ : « لا ينتطح فيها عنزان » الوارد في قصّة العصماء أمّ المنذر[2] .

قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : جعل كلّ حكمة سائرة مثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثّل به إلاّ انّه لا يتّفق أن يسير فلا يكون مثلاً[3] .

---

(١) أفرد المرحوم العلاّمة السّيّد حامد حسين المتوفىّ ١٣٠٦ هـ له مجلّداً من كتاب « عبقات الأنوار » .

(٢) الأمثال النّبويّة ٢ / ١٢٥ ، رقم المثل ٤٣٩ ، حرف (لا) .

(٣) على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٥ .

قال بعض :

يعني أنّ الشّيوع والانتشار وكثرة الدّوران على الألسن هو ما يفرق بين الحكمة والمثل . فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى (حكمة) إذا لم يتداول ، ويسمّى (مثلاً) إذا كثر استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة . ويعرّف حينئذٍ بأنّه القول السّائر يشبّه به حال الثّاني بالأوّل ، أو الّذي يشبه مضربه بمورده ، والمراد بالمورد : الحالة المشبّهة التي أريدت بالكلام (١) .

والمثل القياسي :

الكلام المتشكّل من أيّ وصف أو قصّة ، أو تصوير من أمر معقول ، أو محسوس يجمع بين جمال التّصوير وحسن الأداء ، والذي يسمّيه علماء البيان «التمثيل المركّب»(٢) ، المنتزع وجهه من متعدّد وإن لم يسبق له ذكر ، وهو صالح للتطبيق على ما يريده المتكلّم ويمثّل أهدافه . كالمثل العلويّ الذي رواه الشّيخ الطّوسي طاب ثراه بإسناده عن الأصبغ قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرّجل يقول : والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة . . . »(٣)

وهو مثل قياسي ارتجله عليه السلام لما رامه من توبيخ الرّجل ، ولئن سار بعد ذلك على الألسن صار مثلاً سائراً وليس السّير شرطاً في المثل القياسي في مقام التّمثيل بأن يسبق له ذكر كيف وهو

(١) أمثال الحديث ٨٣ ، لعبد المجيد مطبعة السّنّة المحمديّة ، مصر ، ١٩٧٥ م .

(٢) والتّشبيه المركّب ، والمجاز المركّب .

(٣) الوسائل ٢ / ٩٤٧ ، باب ٧ من أبواب الأغسال المندوبة ، الحديث ٢ ، او علل الشرائع للشيخ الصّدوق طاب ثراه ١ / ٢٨٥ .

كـالطّبيعـة من كلّ إنسـان لا يكاد ينفـكّ عنـه ، من أيّ اللُّغـات كـانت لُغتـه ، وفي أي مكان كـان فله الارتجال بكـلّ ما يتـوخّاه من تشبيـهٌ أو غيـره في كلامـه لتفهيم هـدفـه المنشـود . ونحن كمـا يـأتي بيـانـه في المنهج اعتمدنا على التفسير الشامل لهما ولغيرهما .

الحكم :

الحكم : واحـدها الحكمـة : وهي العلم الّذي يـرفـع الإنسـان عن فعل القبيح مستعار من حَكَمة اللِّجـام : وهي ما أحـاط بحَنَك الدّابة يمنعها عن الخروج[١] .

قـال ابن الأثيـر : وفي الحـديث : « مـا من آدمي إلّا وفي رأسـه حَكَمة» ، وفي رواية : « في رأس كـلّ عبـد حَكَمة ، إذا همّ بسيّئـة فـإن شـاء الله أن يقدعـه بها قَـدَعَه » **الحَكَمـة** : حديـدة في اللِّجام تكـون على أنف الفـرس وحنكـه تمنعـه عن مخـالفــة راكبـه . ولمــا كـانت الحكمة تأخذ بفم الدابة وكان الحنك متصلاً بـالرأس جعلهـا تمنع مَنْ هي في رأسه ، كما تمنـع الحكمةُ الـدابة[٢] . « **قَـدَعَه** » من القـدع : الكفّ والمنع .

وقال ابن فارس : يقال : حكمتَ السّفيه وأحكمتَـه : إذا أخذت على يديه قال جرير :

أَبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إنّي أخاف عليكُمُ أن أغضبا[٣]

فـالحكمة في اللّغـة : هي المنع ، وفي كـلّ فنّ يراد منهـا ما لا يراد في فنّ آخر ولكن لا يفقد الكلّ تفسيرها اللّغـوي المنع المتنـاسب

---

(١) مجمع البحرين، في (حكم) .
(٢) النّهاية ١ / ٤٢٠ .
(٣) معجم مقائيس اللّغة ٢ / ٩١ ، في (حكم) .

معه كما يجمع الجميع النّفع العائد إلى دين الإنسان ودنياه على ما اشتهر تعريفها بذلك وفي الشّرع قد فسّرت بطاعة الله عزّ وجلّ ، ومعرفة الإمام عليه السلام كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام[١] في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً** ﴾[٢] .

وبالمعرفة والتّفقّه في الدّين على ما في قول الإمام الصّادق عليه السّلام[٣] .

وفي العلويّ : « الحكمة روضة العقلاء ، ونزهة النُّبلاء »[٤] . والأخر : « خذ الحكمة أنّى كانت »[٥] والكلّ يرمي مرمىً واحداً ، وقد أوضحنا ذلك عند البحث عن المثل النّبويّ : « الحكمة ضالّة المؤمن »[٦] . ولا يوجد سبب أقرب لحصولها من إخلاص العمل لله جلّ جلاله فقد روى الإمام الرّضا عليه السلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « ما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »[٧] .

أمّا في فنّ الفلسفة فكما قال السّبزواري في منظومته :

نظمتْها في الحكمة الّتي سمَتْ   في الذِّكر بالخَيْر الكثير سُمِّيَتْ

أي القرآن المجيد بالخير الكثير سُمِيَّتْ قال تعالى وتبارك :

(١) البحار ١ / ٢١٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٦٩ .
(٣) البحار ١ / ٢١٥ .
(٤) غرر الحكم ٤٠ ، حرف الألف .
(٥) الأمثال والحِكم المستخرجة من نهج البلاغة : ١٣٨ .
(٦) الأمثال النبويّة ١ / ٣٧٦ ، رقم المثل ٢٣٩ ، حرف الحاء مع الكاف .
(٧) عيون الأخبار ٢ / ٦٨ ، باب ٣١ .

﴿ ومَنْ يُؤْتَ الحكمــة فَقَــد أُوتى خَيْــراً كَثيــراً ﴾ لأنّ الحكمــة هي الإيمان المشار إليْه بقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون كلّ آمَنَ باللهِ وملائكَتِه وكُتُبِهِ ورُسُـلِهِ ﴾ الآية[1] : وهي المعـرفة بقـول الحكماء : الحكمـة صيـرورة الإنسان عـالَماً عقليّـاً مضاهيـاً للعالَم العيني ، ولأنّ الحكمـة كما قالوا : أفضل علم بأفضل معلوم ، أمّا أنّها أفضـل علم فلأنّهـاعلم يقينيّ لا تقليد فيه أصـلاً بخلاف سـائر العلوم ، ولأنّ فضيلة العلم إمّـا بفضيلة موضوعه ، أو بوثاقة دلائله ، أو بشـرافة غـايته والكـلّ حقّ هذا العلم بلا حاجة إلى البيان . . .[2] .

والسـائـر على الألسن من تعـريف الحكمـة عنــد أهلهـا : هي العلم بحقائق الأشياء بقدر الطّاقة البشريّة .

الحكمة في فنّ الأدب :

أمّـا الحكمـة في علم الأدب فيــراد منهـا مــا يجلب المصلحة لصـاحبها ، والنّفـع العـامّ فكـلّ كلمـة دالّـة على ذلـك حكمـة ، فـإن سـارت على الألسن فهي مثـل سـائـر أيضـاً على مـا قــال أبـو هــلال العسكري : (جعل كـل حكمة سـائـرة مثـلاً)[3] ، فإن لم تسـر فحكمـة فقط ، وعليـه فـإنّ الأمثـال كلّهـا حكم ، وإذا جمـع بينهمـا فقيـل : الأمثـال والحكم ، فإنّـه من بـاب ذكـر العـامّ بعـد الخـاصّ ، ومن ثمّ اكتفينا عن ذكر فوائد الحكم بذكر فـوائد التّمثيـل المصرّحـة المتضمّنة لها .

وهنا سؤال :

وهو أنّكم ذكرتم أنّ الحكمـة ما يجلب النّفـع ، وأيّ نفع في مـا

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٨٥

(٢) المنظومة في الحكمة ٧ .

(٣) الجمهرة على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٥ .

يتمثّل من الأشياء التّافهة ، وما يستقبح ذكره ؟

والجواب :

إنّـه لمّا كـان المراد بـالنّفع النّفـع العامّ كمـا سبق بيانـه ، وكان مورد التّمثيل له ما يقتضيه فلا إشكال فيه ومنـه المثل السـائر[1] وغيـره من الأمثال .

وقـد روى الكليني في مـرفـوع أبي مـريـم الأنصـاري « أنّ الحسن بن علي عليهما السلام خرج من الحمام فلقيـه إنسان فقـال : طـاب استحمامـك فقال : يـا لكـع ومـا تصنـع بـالإست هـا هنـا[2] ؟ فقـال : طاب حميمـك ، فقال : أمـا تعلم أنّ الحميم : العَرَق ؟ قـال : فطاب حمّامـك قال : وإذا طـاب حّمامي فـأيّ شيءٍ لي ؟ ولكن قل : طهر ما طاب منك ، وطاب ما طهر منك »[3] .

فوائد التّمثيل :

وهي كثيـرة والمناسب ذكـر اليسير منهـا ونكتفي هنا بنقـل كـلام لأبي السّعود العمادي والجـرجاني ؛ لأنّـه اشتمل على نبـذة من فوائـد التّمثيل جديرة بالنقل .

قال أبو السّعود :

إنّ التّمثيـل ليس إلاّ إبـراز المعنى المقصـود في معـرض الأمـر

---

(١) مجمـع الأمثـال ١ / ٢٤٥ ، حرف الخـاء ، والمستقصى ١ / ١٠٢ ، رقم المثل ٣٩٤ .

(٢) أي لا مناسبة لحروف الطلب ها هنا بعد الخروج من الحمـام مع استهجـان لفظ الإست بمعناه الآخر كما في هامش المصدر الآتي .

(٣) فـروع الكـافي ٦ / ٥٠٠ ، والبحـار ٤٤ / ١١١ ، قـال فيـه : لا يقـال : « طاب حمّامك » وإنما يقال طابت حِمّتك . . .

المشهود ، وتحلية المعقول بحلية المحسوس ، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس ، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل ، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفيّة ، وفهم الدّقائق الأبيّة كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما لا يرتضيه ؛ ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهيّة ، والكلمات النّبويّة ، وذاعت في عبارات البلغاء ، وإشارات الحكماء .

إنّ التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي ، وقمع سورة الجامح الأبيّ ، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفيّة ، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجليّة ، وإبداء للمنكر في صورة المعروف ، وإظهار الوحشي في هيئة المألوف[1] .

قال الجرجاني

اعلم أنّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أن التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي بإختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته كساها أبّهة و [أ]كسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطّباع على أن تعطيها محبّة وشغفاً .

فإن كان ذمّاً : كان مسّه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشدّ ، وحدّه أحدّ .

وإن كان حجاجاً : كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر .

---

(١) هامش تفسير الفخر الرازي ١/١٠٧و١٥٣، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٠٧ ، في ثمانية مجلدات .

وإن كان افتخاراً : كان شأوه أبعد ، وشرفه أجدّ[1] ، ولسانه ألدّ .

وإن كان اعتذاراً :كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسّخائم أسلّ ، ولغرب الغضب أفلّ ، وفي عقد العقود أنفث ، وحسن الرّجوع أبعث .

وان كان وعظاً : كان أشفى للصّدر ، وأدعى للفكر ، وأبلغ في التّنبيه والزّجر ، وأجدر أن يُجلي الغياية[2] ، ويبصر الغاية ، ويبرىء العلل ، ويشفى الغليل[3] . . .

هذا قليل من كثير ، ولا يسع المقام ذكر أكثر منه .

نهج الكتاب :

قد أشرنا عند تعريف المثل بقسميه السائر ، والقياسي إلى أنّ المعتمد في هذا الكتاب هو التّفسير غير المقتصر على القسمين ، بل الشّامل لكلّ ما فيه نوع من التمثيل كقول الإمام الرّضا عليه السّلام لزكريّا بن آدم الموصوف بالمأمون على الدّين والدنيا[4] حيث أراد الخروج من بلدة ـ قم ـ : « لا تفعل ؛ فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن ـ عليه السلام ـ »[5] .

فإنّ فيه نوعاً من التّمثيل اللّغوي ، ويمكن إدراج مثله في

---

(١) من الجدّ :الحظّ، يقال هو أجدّ منك أي أحظّ ،أو الجدّ : العظمة أي شرفه أعظم . اللسان ٣ / ١٠٧ ـ ١٠٨ .
(٢) بيائين مثناتين : كلّ ما أظلّك من فوق رأسك . هامش أسرار البلاغة ٩٥ .
(٣) أسرار البلاغة ٩٢ ـ ٩٦ .
(٤) معجم رجال الحديث ٧ / ٢٧٢
(٥) الاختصاص ٨٧ ، وحرف الهمزة مع النّون المشدّدة .

المثـل القياسي فـلا ثالث للقسمين يسمّى بـالمثل اللّغـوي والمقصـود من هذا البيان إخراج مثل قـولنا : ـ زيـد كعمرو ـ من مـوضوع البحث الجاري الّذي هو من اللّغوي المطلق .

ورتّبنـا الكتـاب على حسب الحـروف الأوّل فـالأوّل ، ولا يعتـدّ بـلام التّعـريف إلّا إذا صـار كـالجـزء من الكلمـة مثـل « الآن جئت بالنّصفة »[1] . والله عزّ وجلّ هو الموفّق المستعان .

---

(1) عيـون الأخبار ١ / ١٢٨ ، وحـرف الهمزة مـع الـلّام من الكتـاب الـذي بين يديك .

حرف الهمزة

١ ـ أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك ؟

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه مناظرة عمران الصّابي في التّوحيد مع الإمام الرّضا عليه السلام نقتصر منها على ما يرتبط بالمثل . قال عمران :

« يا سيّدي أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : جلّ هو عن ذلك ليس هو في الخلق ، ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك ، وساء علمك ما تعرفه به ، ولا قوة إلا بالله . أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك يا عمران ؟ قال : بضوء بيني وبينها ، قال الرضا ـ عليه السلام ـ : هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك ؟ قال : نعم ، قال الرضا ـ عليه السلام ـ : فأرناه ، فلم يحر جواباً ، قال ـ عليه السلام ـ : فلا أرى النّور إلاّ وقد دلّك ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد

الجاهل فيها مقالاً ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾[١] ، ثم التفت إلى المأمون فقال : قد حضرت الصلاة .... »[٢] .

في كلام الرضا عليه السلام الجواب عن نفس السؤال ، والتمثيل بالرؤية في المرآة فها هنا أمران :

الأمر الأوّل :

الجواب عن نفس السؤال ، وأصله كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « لم يحلل في الأشياء ، فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن »[٣] . وفي أخرى : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، ولم يبعد عنها بافتراق »[٤] . وفي أخرى : « مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة »[٥] . وفي أخرى : « ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج »[٦] .

وحاصل الكلّ أنّ كل ما يلزم منه التحيّز سواء أكان بحلول الباري جلّ جلاله في الشيء أو بالالتصاق به أو بالمقارنة أو بالولوج وهو الدّخول أو كان على الضد من ذلك من البينونة والافتراق والمزايلة والخروج، هو محال للزوم التحديد المنفيّ عنه تعالى ؛ لأنه الغنى كلّه والقدرة كلها، والتحيّز عارض للجسم لا ينفكّ عنه ولا عن

---

(١) سورة النحل : الآية / ٦٠ .
(٢) عيون الأخبار ١ / ١٣٩ ، التوحيد ٤٣٤ .
(٣) النهج ٥ / ١٥٣ ، الخطبة ٦٤ .
(٤) النهج ٩ / ٢٥٢ ، الخطبة ١٦٤ .
(٥) النهج ١ / ٧٨ ، الخطبة ١ .
(٦) النهج ١٣ / ٨٢ ، الخطبة ٢٣٢ .

لازمه وهو الافتقار ، والكلام مصوغ لبيان القيّوميّة والإحاطة المطلقة فإنّ اسمي عن هذه الجهات المتضادة نفي لها بجهاتها المحدودة ومعانيها المسلزمة للتحيّز والتحديد، ولازم هذا النفي الإثبات المطلق غير المحدود .

ولابن أبي الحديد كلام يشرح به ما سبق قال :

وأمّا قوله : « مع كلّ شيء لا بمقارنة » فمراده بذلك أنّه يعلم الجزئيّات والكليّات كما قال سبحانه : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم** ﴾[1] . وأما قوله : « وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة » فحقّ ، لأنّ الغيرين في الشاهد هما ما زايل أحدهما الآخر وباينه بمكان أو زمان ، والباري سبحانه يباين الموجودات مباينة منزّهة عن المكان والزّمان[2] . وقوله : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق » ؛ لأنّ هذه الأمور كلّها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها[3] .

وأمّا قوله : « لم يحلل في الأشياء فيقال : « لا هو فيها كائن ولا منها بائن » ، فينبغي أن يحمل على أنّه أراد أنّه لم ينأ عن الأشياء نائياً مكانيّاً فيقال : هو بائن بالمكان ، هكذا ينبغي أن يكون مراده ؛ لأنّه لا يجوز إطلاق القول بأنّه ليس يباين عن الأشياء ؛ وكيف والمجرّد بالضرورة بائن عن ذي الوضع ؛ ولكنّها بينونة بالذات لا بالجهة ، والمسلمون كلّهم متفقون على أنّه تعالى يستحيل أن يحلّ في شيء إلّا من اعتزى إلى الإسلام من الحلوليّة كالذّين قالوا بحلوله في أشخاص يعتقدون فيها إظهاره كالحلّاجية وغيرهم والدّليل على

---

(١) سورة المجادلة : الآية / ٧ .

(٢) شرح النهج ١ / ٧٩ .

(٣) شرح النهج ٩ / ٢٥٤

استحالة حلوله سبحانه في الأجسام ؛ أنّه لو صح أن يحل فيها لم يعقل منفرداً بنفسه أبداً ، كما أن السواد لا يعقل كونه غير حالّ في الجسم ؛ لأنه لو يعقل غير حالٍ في الجسم لم يكن سواداً ولا يجوز أن يكون الله تعالى حالّاً أبداً ؛ ولا أن يلاقي الجسم ، إذ ذلك يستلزم قدم الأجسام وقد ثبت أنها حادثة(١) .

وقد عرفت دليل النّفي عنه تعالى من تلك الأوصاف لزوم التحييز والتحديد المنفيين عن الباري عزّ وجلّ وقال أيضاً عند شرح قوله عليه السلام : « ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج » :

هذا مذهب الموحدّين ، والخلاف فيه مع الكراميّة والمجسّمة ، وينبغي أن يفهم قوله عليه السلام : « ولا عنها بخارج » أنه لا يريد سلب الولوج ، فيكون قد خلا من النقيضين ؛ لأن ذلك محال ، بل المراد بكونه ليس خارجاً عنها أنه ليس كما يعتقده كثير من الناس ؛ أنّ الفلك الأعلى المحيط لا يحتوي عليه ؛ ولكنّه ذات موجودة متميّزة بنفسها قائمة بذاتها خارجة عن الفلك في الجهة العليا بينها وبين الفلك بعدٌ إما غير متناهٍ ـ على ما يحكى عن ابن الهيضم ـ أو متناهٍ على ما يذهب إليه أصحابه ؛ وذلك أن هذه القضية وهي قولنا : الباري خارج عن الموجودات كلها على هذا التفسير ليست مناقضة للقضية الأولى وهي قولنا : الباري داخل العالم ، ليكون القول بخلوه عنهما قولاً بخلوه عن النقيضين ألا ترى أنه يجوز أن تكون القضيتان كاذبتين معاً بألا يكون الفلك المحيط محتوياً عليه ، ولا يكون حاصلاً في جهة خارج الفلك ، ولو كانت

---

(١) شرح النهج ٥ / ١٦٤ .

أقول : التصحيح وأما قوله : « لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن » والنسخة مغلوطة فراجع المصدر .

القضيتان متناقضتين لما استقام ذلك ، وهذا كما تقول : [ليس] زيد في الدار و [ليس] زيد في المسجد ، فإن هاتين القضيتين ، ليستا متناقضتين لجواز أن لا يكون زيد في الدار ، ولا في المسجد فإنّ هاتين لو تناقضتا لاستحال الخروج عن النقيضين لكن المتناقض : « زيد في الدار ، زيد ليس في الدار » ، والذي يستشنعه العوامّ من قولنا : « الباري لا داخل العالم ولا خارج العالم » غلط مبنيّ على اعتقادهم وتصوّرهم أنّ القضيتين تتناقضان.

وإذا فهم ما ذكرناه ، بان أنّه ليس هذا القول بشنيع ، بل هو سهل وحقٌّ أيضاً ، فإنه تعالى لا متحيّز ولا حالّ في المتحيز ، وما كان كذلك استحال أن يحصل في جهة ، لا داخل العالم ولا خارج العالم وقد ثبت كونه غير متحيّز ولا حالّ في المتحيّز ، من حيث كان واجب الوجود ، فإذن القول بأنه« ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج » صواب وحقّ[1] . .

سبق القول بأن الكلام العلويّ وهكذا الرّضوي مصوغ لبيان الإحاطة المطلقة التي لا يمكن أن يكون تعالى متجهاً بجهة من داخل الأشياء أو خارجها وليس نفي الجهتين يلزمه التناقض؛ إذ هو سبحانه لم يحدد بحدّ من الحدود حتى إذا نفي حدّ منها لزمه الحدّ الآخر ومن ثم قلنا إن تقسيم الوجود إلى واجب الوجود وممكن الوجود ومستحيل الوجود غير مستقيم ؛لأنه سبحانه خارج عن أي تقسيم كما هو خارج عن العدد بماله من معنى ، وقلنا إنّ الله واحدٌ أحدٌ،لا على وجه مذكور في تقسيم الوجود والتوجيه من حيث المفهوم لا المصداق ، مردود أيضاً، تعرّضنا إلى السؤال والجواب في كتابنا « الأمثال النبوية » عند المثل : « لأن أدخل يدي في فم التنّين

---

(١) شرح النهج ١٣ / ٨٣ ـ ٨٤ .

أحبّ إليّ من أن أسأل مـنْ لم يكن ثم كـان »[١] . هـذا أي : « من لم يكن ثم كان » تمام الحديث النبوي [٢].

الأمر الثاني :

التمثيـل بالـرؤية في المـرآة هو المقصـود في المقام وأمّـا الأمـر الأول المتقدم الذكر فإنما ذكرناه لكونـه الأهم ولأنه الممثـل المضروب من أجله المثـل بالمـرآة فكلاهمـا حريّ بـالبحث لشـدّة الـربط بينهمـا فافهم إن شاء الله تعالى .

فنقول تمهيداً لفهم المثل العجيب :

اختلفت الأنـظار في حقيقـة الإبصار إلى سبعـة أقـوال ذكـرهـا السبزواري في حكمته قال :

قـد قيل الإبصـار بـالانـطبـاع ... وقـيـل بـالخـارج مـن شعـاع
مضـطرب الآخـر أو مخـروطي ... مـصـمـتٍ أو ألّـف مـن خـطوط
لـدى الـجليـديـة رأسـه ثبـت ... قـاعـدة منـه على المرئي حـوت
تـكـيّـف المـشفّ بـاسـتـحـالـة ... بكيف ضـوء العين بعض قـالـه
وبـانـتسـاب الـنفس والإشـراق ... منهـا لخـارج لـدى الإشـراقي
وصـدر الآرا هو رأي الـصـدر ... فهـو يجعـل النّفس رأيـاً يـدري
للعضـو إعـداد افـاضـة الصـور ... قـامت قيامـاً عنـه كـالـذي استقر[٣]

هذه الأبيات مع شرح قائلها تُقرّر الأقوال السبعـة ، ولسنا بصـدد سردها وتقريرها سوى الإشارة إليها .

---

(١) ج ٢ / ٨٣ ، رقم المثـل ٤٠٣ ، حـرف الـلام مـع الهمـزة ، والحـديث في الوسائل ٦ / ٣٠٨ .
(٢) المصدر .
(٣) المنظومة ٢٨٨ ـ ٢٩٠ .

قالوا : العين مركبة من عشرة أجزاء وهي سبع طبقات وثلاث رطوبات :

١ ـ الطبقة الصلبية ، ٢ ـ المشيمية ، ٣ ـ المشكيّة ، ٤ ـ الرطوبة الزجاجية ، ٥ ـ الرطوبة الجليدية ، ٦ ـ الطبقة العنكبوتية ، ٧ ـ الرطوبة البيضية ، ٨ ـ الطبقة العنبيّة ، ٩ ـ القرضية ، ١٠ ـ الملتحمة[١] .

وإنما ذكرت الأجزاء ليعلم تفسير « الجليدية » التي هي كالبرد والمرآة القابلة لانعكاس الصور فيها .

وهل الإبصار انطباع صورة المرئي في البصر أو بشعاع خارج من البصر إلى المبصر أو بالحادث من الشعاع ؟ وهل الشّعاع خيط واحد أو متعدد ، مستقيم أو مخروط أو أن الإبصار بالهواء المشف وتكيفه بين الرائي والمرئي يصير آلة للإبصار ؟

والعمدة قولان آخران :

الأول : أن الإبصار إنما هو نور النَّفس وإشراقها .

---

(١) هكذا في درر الفوائد ٢ / ٣١١ ـ ٣١٢ . في الأصل القرضية والصحيح القرنية قال فيه مؤلفه الشيخ الآملي قد جمعها للشاعر الفارسي :

كرد آفريد كار تعالى بفضل خويش
حشمت بهفت برده وسه آب منقسم
صلب ومشيمه وشبكه زجاج آنكهي جليد
يسِ عنكبوت وبيض وعنب قرن ملتحم

وحاصله: أنّ المرئيّ يُبصر بنور النّفس الواقع منها عليه من غير انطباع ولا شعاع بل بمقابلة المستنير مع العضو الباصر الّذي فيه رطوبة مرآتيّة وبتحقّق سائر الشّرائط المعتبرة في الإبصار وفقد الموانع يقع للنّفس علم حضوريّ على المُبصر فتدركه بالمشاهدة[1] .

والقول الآخر : هو مختار السّبزواري أشار إليه بقوله :

وصدر الآرا هو رأي الصّدر فهو بجعل النّفس رأياً يدري
للعضو إعداد إفاضة الصّور قامت قياماً عنه كالّذي استقرّ[2]

وحاصله أنّ الإبصار عند تحقّق الشّرائط هو إنشاء النّفس صورة مماثلة للمرئيّ تكون مجردة عن المادة الخارجيّة[3] المعبّر عنه في الشّعر بجعل النّفس ويريد من قوله :

* وصدر الآرا هو رأي الصدر *

أي: أنّ أحسن الأقوال قول الملاّ صدر الدين الشّيرازي الذي يرى هذا الرأي .

والذي نراه أنّ الإبصار كالنّطق والسّمع وسائر القوى والحواس كلّها من شؤون النّفس ما دامت في الجسد من الإنسان الحيّ وإذا فارقت روحه الجسد بطل مفعولها فيه في هذه الحياة وما ذهب إليه التّابع والمتبوع وكذا باقي الأقوال لا يساعدها العيان فالآراء إلاّ قول السهروردي مع إيضاح ممنوعة .

---

(١) درر الفوائد ٢ / ٣١٢ .
(٢) القيام عن النّفس الصّدري كالمعلول عن العلّة لا الحلولي المعبّر عنه بالقيام فيها درر الفوائد ٢ / ٣١٣ .
(٣) المصدر .

إذا تمهد ذلك فنقول :

لماذا اختار الرّضا عليه السلام هذا المثل العجيب ؟

الجواب لكونه مرئيّاً للجميع إذا امتنع السّؤال فيه امتنع في غيره والمثل بالرّؤ ية بين في المرآة ردّ على كلّ من قال بالحلول أو الكثرة في الوحدة ، والوحدة في الكثرة وغيرها من الأقوال الفاسدة .

ثمّ هل النّور الّدالّ على صورة النّاظر في المرآة وعلى وجود المرآة كما قال عليه السلام :« فلا أرى النّور إلاّ وقد دلّك ،ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما » نور النّفس الّذي هو الإبصار على المسلك المختار أو شيء آخر من الضّوء المتموّج في الهواء الشفّاف المعبّر عنه بالمشفّ في الشّعر .

والحقّ أن نور الإله في العالم ومنه هذا النّور ، يزيد قول الإشراق ثبوتاً وإذا كانت النّفس مؤمنة بالله عزّ وجلّ فإنّ نورها الإبصاري يكون أقوى من الأنفس غير المؤمنة لأنّ الإيمان يسلك بصاحبه سبيل الحقيقة فتنجلي عنه غياهب الأوهام حتّى أنّ تفرّس المؤمن مصحوب بنور الله كما في الحديث النبوي [١] والمؤمن يتقلب في أنوار خمسة على ما في العلويّ :

« والمؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله نور ، ومخرجه نوره وعلمه نور وكلامه نور ومنظره يوم القيامة إلى النور » [٢] .

وهل الأمثال الكثيرة المذكورة في الرّضوي هي الأشياء الشّفّافة أو الأعم منها ؟ الظاهر هو الثاني .

---

(١) الوسائل ٨ / ٤٢٤ ، والأمثال النبويّة ١ / ٤٩ ، رقم المثل ٢٥ .
(٢) الخصال ١ / ٢٧٧ .

٢ ـ اخسأ عنّا وعنهم الشّيطان

روى الصّدوق نسخة وصيّة موسى بن جعفر عليهما السلام المطوّلة التي نصّ فيها على إمامة الإمام الرّضا عليه السلام وخلافته من بعده وقد عارضه العبّاس بن موسى عليه السلام الّذي هو أحد الشهود المذكورين في الوصيّة قال[1] : قال عبد الله بن محمد الجعفري ـ بعد الوصيّة الّتي لم نذكرها هنا ـ :

« قال العبّاس بن موسى عليه السلام لابن عمران القاضي الّطلحي : إنّ أسفل هذا الكتاب كنزاً لنا وجوهراً يريد أن يحتجزه دوننا ولم يدع أبونا شيئاً إلاّ جعله له[2] وتركنا عالةً ، فوثب إليه إبراهيم بن محمد الجعفري فأسمعه ووثب عليه إسحاق بن جعفر عمّه ففعل به مثل ذلك .

فقال العباس للقاضي : أصلحك الله فضّ الخاتم واقرأ ما تحته ، فقال لا أفضّه لأن يلعنني أبوك ، فقال العبّاس : أنا أفضّه ، قال : ذلك إليك ، ففضّ العباس الخاتم فإذا فيه إخراجهم من الوصيّة وإقرار عليّ ـ عليه السلام ـ فيها وحده ، وإدخاله إيّاهم في ولاية عليّ إن

(١) الشيخ الصدّوق .

(٢) أي الإمام الرّضا عليه السّلام .

أحبّوا أو كرهوا وصاروا كالأيتام في حجره ، وأخرجهم من حدّ الصدقة وذكرها .

ثم التفت علي بن موسى ـ عليهما السلام ـ إلى العباس فقال . يا أخي إنّي لأعلم أنّه إنّما حملكم على هذه ، الغُرم والدّيون الّتي عليكم فانطلق يا سعد فعيّن لي ما عليهم واقض عنهم واقبض ذكر حقوقهم ، وخذلهم البراءة فلا والله لا أدع مواساتكم وبرّكم ما أصبحت وأمشي على وجه الأرض فقولوا ما شئتم .

فقال العبّاس : ما تعطينا إلاّ من فضول أموالنا ، وما لنا عندك أكثر ، فقال ـ عليه السلام ـ : قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم ، اللّهمّ أصلحهم وأصلح بهم ، وأخسأ عنّا وعنهم الشّيطان وأعنهم على طاعتك والله على ما أقول وكيل

قال العبّاس : ما أعرفني الله بلسانك ، وليس لمسحاتك عندي طين . ثمّ إنّ القوم افترقوا »[1] .

إن صحّ خبر الصّدوق فالعبّاس بن موسى عليه السلام منصرف لمعارضته لإمامه الرّضا عليه السلام .

قال الأستاذ الخوئي :

عارض أخاه علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام في وصيّة أبيه ، وشكا إلى القاضي أبي عمران الطّلحي[2] وخالف أباه في وصيّته وفضّ الخاتم مع أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام لعن من

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٣٩ ـ ٣٠ .

(٢) وهو قاضي المدينة كما في نسخة الكليني . الكافي ١ / ٣١٧ .
وقد ذكرنا المعارضة عند المثل : « إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كان خيراً فخيراً » حرف الهمزة مع النّون وللرضا عليه السلام نظير المثل أيضاً : « إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرّ » . حرف الهمزة مع النّون .

فضّـه ، الكافي : الجـزء ١ ، بـاب الإشـارة والنّصّ على أبي الحسن الـرّضا عليـه السلام ٧٢ ، الحـديث ١٥ والعيون البـاب ٥ ، الحديث ١[1]
وهـو دام ظلّه تـوقّف في انحــراف الـرّجــل لضعف الـروايتين عنده .

أقول ضعفهما ممنـوع وبيانـه موكـول إلى موضعـه ، وموجـزه أنّ طريق الصّدوق لهـذه الرّوايـة معتبرة عنـدنا وإن كـان الدوران في الأخذ بإحدى النّسختين عنـد اختلافهمـا كما في المقـام الترجيـح مع نسخـة الكافي إلاّ أنّ ذلك بعد اعتبار الـطريقين فتدبّـر جيّداً ، مـع أنّهما بنـاءً على اعتبـار وثاقـة الرّوايـة لا وثاقـة الّراوي فحسب كلتـاهما معتبـرتان عندنا .

ثمّ الكـلام على تقديـر اعتبار الـرّواية حـول كلمة : « اخسـأ عنّا وعنهم الشّيـطان » وإن لم تكن مثلاً أو لم يـرسلها الإمـام الّرضـا عليـه السلام كذلك ولكنّها من التّمثيل والتّشبيه بالكلب لأنّها تقـال عليه عنـد إبعاده وطرده وقد جـاءت الكلمة في دعـاء عرفـة للإمـام الحسين عليه السـلام نقله ابن طاووس : « واخسـأ شيطاني »[2] وفي القـرآن الكريم في زجر أهل النّار : ﴿ **قال اخسؤوا فيها ولا تكلّمون** ﴾[3] .

قال الفيض ، اسكتوا سكـوت هوان فـإنّها ليست مقـام سؤال من خسأت الكلب . إذا زجرته فانزجر[4] .

قال ابن منظور :

الخاسىء من الكلاب والخنازير والشّياطين : البعيد الّـذي لا يترك

(١) معجم رجال الحديث ٩ / ٢٤٦ .
(٢) الإقبال ٣٤٢ ، في هامشه خسأت الكلب خسأ : طردته .
(٣) سورة المؤمنون : الآية / ١٠٨ .
(٤) تفسير الصّافي ٢ / ١٥٠ .

أن يـدنو من الإنسـان . والخاسيءُ : المـطرود . وخسأ الكلب يخسؤه خسأً وخسوءً فخسأ وانخسأ : طرده قال :

* كالكلب إن قيل له اخسأ انخسأ *

وفي الحـديث : فخسـأت الكـلب أي طـردتـه أبعـدتـه . . ويكـون الخاسيء بمعنى الصاغر القميء ويقال واخسأ عني .

وقـال الـزجّـاج في قـولـه عـزّ وجـل : ﴿ **قـال اخسؤا فيهـا ولا تكلّمـون** ﴾[1]: معناه تبـاعد سخط . وقـال الله تعالى لليهـود ﴿ **كونـوا قـردة خاسئين** ﴾[2] . أي مـدحـورين . وقـال الـزجـاج : مبعـدين . . وخسأ بصره . . إذا سدرو كلّ وأعيا .

وفي التنزيل : « ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير »[3][4] .

إذا بـان معنى الكلمة تجلّى المـراد من الدّعـاء أي يا رب ادحـر الشّيـطان عنّي وعن العبّاس المـدّعي ما لا حقّ لـه فإن ذلـك من عمـل الشّيطان أن يجعل الإنسـان يدّعي ما ليس له ، وأمّـا عنه عليـه السلام فهـو مجرّد دعـاء أو دعـاء لـلاستمـرار لأنّـه معصـوم حتى عن وسـوسـة الشيطان على مذهب الشيعة والبحث مشبع في موضعه المتاح .

وأما قول العبـاس : و (ليس لمسحـاتـك عنـدي طين) فهـو من الأمثال السائرة جمعها الماحي أي المجرفة من الحديد[5] .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية / ١٠٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٦٥ .

(٣) سورة الملك : الآية / ٤ .

(٤) اللّسان ١ / ٦٥ في (خسأ)

(٥) النهـاية ٤ / ٣٢٨ ، في (مسـح) . وفيـه الميم زائـدة ، لأنـه من السّحـو الكشف والإزالة . والمثل مشهور على الألسن .

٣ ـ أدنى ما يخرج به الرّجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة

روى الصّدوق حديثاً مطوّلاً بسنده إلى إبراهيم بن أبي محمود عن الرّضا عليه السلام إلى أن قال فيه :

«يا بن أبي محمود إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام : أحدها الغلو[١] ، وثانيها التّقصير في أمرنا ، وثالثها التّصريح بمثالب أعدائنا . فإذا سمع النّاس الغلو فينا كفرّوا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا ، وإذا سمعوا التّقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسماءنا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولا تسبّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم** ﴾[٢] .

يا بن أبي محمود إذا أخذ النّاس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنّه من لَزَمَنَا لَزمناه ومن فارقَنا فارَقْناه ؛ إنّ أدنى ما يخرج به الرّجل من الإيمان أن يقول للحصاة : هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرء ممّن خالفه يا بن أبي محمود احفظ ما حدّثتك به فقد جمعت لك خير الدّنيا والآخرة »[٣] .

---

(١) ما يشمّ منه الرّبوبيّة .

(٢) سورة الأنعام : الاية / ١٠٨ .

(٣) عيه ، أخبار الرّضا ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

اشتمل صدر الحديث على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لم نذكرها للاختصار فعليك بها ثمّ استرسل فيه لجواب ما أراده ابن أبي محمود من طوائف الأخبار الثلاث المتداولة بين النّاس بما نقلناه عنه عليه السلام آنفاً ثم أمره بلزوم طريقة أهل البيت عليهم السلام إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً لأنّ اليمين والشّمال مضلّة كما في المثل العلوي[1] .

ثمّ تعرّض عليه السلام لأسباب خروج الرّجل من الإيمان بمثل ضَرَبَه لتوضيح ذلك من الإعتقاد بالحصاة أنّها نواة كذباً أو تضليلاً ويريد عليه السلام به المهرجين المغوين الذين يغوون الناس بإشاعة الباطل وما لا واقع له بين التسذج منهم الفاقدين المقاييس العقلية ولا يملكونها بل هم إمّعة يقولون نحن مع الناس يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فعاضدت الإمعة مع أولئك المغوين حتى شاع الباطل لولا هؤلاء لما ضلّ أولئك ولكنّهم قالوا قولا وقبلوه من غير برهان من الله ورسوله وكتاب وسنّة ولئن جاءوا بهما أو أحدهما اتّبعوا ما تشابه منهما ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلهما لأن في قلوبهم الزّيغ ويدعون التّمسّك بسادة الأنام الذين لو ثنّيت لهم الوسادة لعمّت السعادة وازدهرت الأيام وهل الأمة قد أخذت بحجزة الأئمة فذادتها الذادة كما تذاد الإبل الصادية عن الماء أم ضربت بجرانها فقادتها القادة كما تقود الوليدة البعير المخطوم أم استيقنت أنّها الحق فطفقت تنشده عن نظائر وأمثال ؟! أزمةٌ معقّدة لا يحلها لسّؤال حتى يقوم المهدي هادياً فينصر الحق وأهله ، ويظهر دين الله الخالص إن شاء الله تعالى .

---

(١) حرف الياء مع الميم من الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، وحرف الياء مع الميم أيضاً من الأمثال والحكم العلويّة مخطوط .

٤ ـ إذا أحسن استبشر ، وإذا أساء استغفر

روى الصّدوق بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : « المؤمن إذا أحسن استبشر ، وإذا أساء استغفر ، والمسلم : الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ، وليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه »[١] .

« المؤمن » من أسماء الله عزّ وجلّ قال تعالى اسمه : **﴿هو الله الّذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر . . . ﴾**[٢] . سمّاه بإسمه تعالى تشريفاً له ، وأنّ المؤمن له تفسيران : التصديق القلبي والاعتقاد المعقود عليه ، وهذا لا يجوز عليه عزّ وجلّ نعم من أسمائه المباركة « المصدّق » أي يعلم صدق المعصوم أو القرآن أو أي شيء كان موضع تصديقه جل جلاله .

والتفسير الآخر إعطاء الأمن والأمان ومنه المؤمن في الآية لاشتقاقه من الأمن كما عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره قال : يؤمن أولياءه من العذاب[٣] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٣

(٢) سورة الحشر : الآية / ٢٣ .

(٣) تفسير القمي ٢ ٣٦٠ .

وقال الفيض الكاشاني « المؤمن » : واهب الأمن[1] . وقد جاء اسم الله المؤمن في دعاء الجوشن الكبير : « اللهم انّي اسألك باسمك يا مؤمن يا مهيمن . . . »[2] والمراد به أمّا التّصديق ، أو واهب الأمن وكلاهما جائز .

ولا مانع في انطباق التفسيرين على المخلوق لجواز الاعتقاد القلبي وإعطاء الأمان منه لمثله بمعناه الممكن وقد ندب إلى التّخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ الّتي منها إعطاء الأمن لمن يجدر بذلك .

وإذا دريت ما ذكر فلنعد الى الحديث الرّضوي : وقد اشتمل على وصف المؤمن والمسلم وهل هما من الخاصّ والعام ؟ .

روى الكليني بإسناده المعتبر إلى الصادق عليه السلام قال : « الإيمان يشارك الإسلام ، والإسلام له يشارك الإيمان »[3] .

وفي الصّادقي الآخر : « . . . الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتّصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة النّاس ، والإيمان : الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به ، والأرفع من الإسلام بدرجة ، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر ، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصّفة »[4] .

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٦٨٧ .
(٢) البحار ٩٤ / ٣٨٦ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ٢٥ .
(٤) المصدر .

وقد جاء في أحاديثهم حدّ الايمان منها النّبويّ رواه الصدوق عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : =

دلّ الحديثان على أنّ الإيمان أخصّ من الإسلام وأرفع منه درجة وحديث الباقر عليه السلام صريح في ذلك قال : « . . وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الإسلام ، أرأيت لو أبصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنّك رأيته في الكعبة ؟ قلت : لا يجوز لي ذلك ، قال : فلو بصرت رجلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام ؟ قلت : نعم ، قال كيف ذلك ؟ قلت : إنّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتّى يدخل المسجد ، فقال : قد أصبت وأحسنت ، ثمّ قال : كذلك الإيمان والإسلام »[1] .

ذكرنا الأحاديث الثلاثة وقس عليها ما سواها ممّا تنصّ على الفرق بينهما ولسنا بصدد بيان ذلك كلّه .

قوله عليه السلام : « إذا أحسن استبشر . . . » الاستبشار عند الإحسان والاستغفار عند الإساءة من كرائم الخصال ومعنى استبشار المؤمن عند الإحسان شكره على أداء الحقّ وانّه وفّق لذلك وليس فعناه العجب والفرح والطّيش الممقوت بل انشراحه بقيامة وجريان ذلك على يده ، وأمّا الاستغفار عند الإساءة فدليل على رقة قلبه وله نفس لوّامة تلومه على إساءته فيندم وعلامة النّدامة جبر ما فات منه ؛ إذ الاستغفار وحده لا يجدي ما لم تبرز ظاهرة صدقه وهي تدارك ما فات منه .

قوله عليه السلام : « والمسلم : الذي يسلم المسلمون من لسانه

= « الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان » عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٧ ، باب ٣١ . (فيما جاء عن الرّضا عليه السّلام من الأخبار المجموعة) . وبه وبما ذكر في المتن الكفاية .

(١) اصول الكافي ٢ / ٢٧ وهو حديث مطوّل .

ويده » .

لا بدّ إن صدق إسلامه من ظاهرة تدلّ على صحّته وتلك الظّاهرة تبرز في منطقه وسائر أعضائه وجوارحه وأن يأمن النّاس من آفات لسانه وشروره الّتي هي اكثر من سائر الأعضاء ومن هنا جاء في العلويّ : « ما من شيء أحقّ بطول السجن من اللسان »[1] . وهو من الأمثال السائرة ذكره الزّمخشري[2] والميداني بلفظ « ما على الأرض شيء أحقّ بطول سجن من لسان »[3] .

قال ابن السّكّيت يعقوب بن إسحاق الشّيعيّ :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه　　وليس يصاب المرء من عثرة الرِّجل
وعثرته في القول تذهب رأسه　　وعثرته في الرِّجل تبرء عن مهل

قيل : ومن الغريب أنه وقع فيما حذّره من عثرات اللّسان بقوله المتقدّم أنّ المتوكّل قال له يوماً أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أي المعتزّ والمؤيّد أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكّيت والله إنّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك ، فقال للأتراك ، سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات في خامس شهر رجب سنة ٢٤٤[4] . ولكن جاء « لا خير في الصمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل »[5] .

---

(١) الخصال ١ /١٥، باب الواحد ، الوسائل ٨ / ٥٣ .
(٢) المستقصى ٢ / ٣٢٤ . وفيه (من لسان) .
(٣) مجمع الأمثال ٢ / ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، حرف الميم .
(٤) السّفينة ١ / ٦٣٦ في (سكت) .
(٥) الوسائل ٨ / ٥٣١ .
ولا يخفى أنّ في آخر جديث الرّضا عليه السّلام : « وليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه » قد تكلّمنا عنه عند « الجار ثمّ الدّار » المثل السائر، والمثل النّبويّ ذكرناه في الأمثال النّبويّة ١ / ٣٣٦ ، رقم المثل ٢١٧ ، حرف الجيم مع الألف ، و « الأمثال والحكم العلويّة » مخطوط .

٥ ـ إذا كان النّاس كلّهم عبيدنا على ما حكوه عنّا فممّن نبيعهم ؟

روى الصدوق بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي ـ في حديث :

« قال أبو الصّلت فقلت له : يا ابن رسول الله ما شيءٌ يحكيه عنكم النّاس ؟ قال : وما هو ؟ قلت يقولون : إنّكم تدّعون أنّ النّاس لكم عبيد ، فقال : اللّهمّ فاطر السّماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قطّ ولا سمعت أحداً من آبائي ـ عليهم السلام ـ قاله قطّ وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمّة وإن هذه منها .

ثم أقبل عليّ فقال : بلى يا عبد السلام إذا كان النّاس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنّا فممن نبيعهم ؟ قلت : يا ابن رسول الله صدقت ، ثم قال : يا عبد السّلام أمنكر أنت لما أوجب الله تعالى لنا من الولاية كما ينكره غيرك ؟ قلت : معاذ الله بل أنا مقرّ بولايتكم »[١]

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٨٢ ، البحار ٤٩ / ١٧٠ ـ ١٧١

لـو عقلوا ولايـة أهــل البيت عليهم السـلام ومـدى أثـرهـا في الأكـوان التي تعمّ النـاس الأوّلين والآخـرين إلى آخـر الـدّنيـا لمـا تحاسروا عليهم ، ولمـا شكا الإمام إلى الله عزّ وجـلّ ممّا نسبـوه إليـه بـأنّ الناس عبيـد آل محمد عليهم السـلام أي مخلوق لهم وهـذا كفـر ظـاهر إذ لا خـالق إلا الله عزّ وجـل أو عبيـد لهم بسلب الحـريّـة منهم فإذا كانـوا كذلـك فلم يبق إنسانٌ حـرٌّ يصحّ بيعهم منـه إذ الفرض كـلّ النّـاس عبيـد لا أحـرار ومن شـروط صحّـة البيـع الحـريّـة والملك المفقـودتان من العبيـد وليس كـلام الـرّضـا عليـه السـلام هـذا ابـطالاً لكلام جدّه أمير المؤمنين عليه السـلام : « فإنّـا صنائـع ربّنا ، والنّـاس بعدُ صنائع لنا »(١) . ولا الصّادر عن النّاحية المقدّسة : « نحن صنائـع ربّنـا ، والخلق بعد صنائعنا»(٢) . لعـدم المنافـاة بين الأمـرين قـال ابن أبي الحديد :

هــذا كـلام عـظيم عــالٍ على الكــلام ، ومعنــاه عــالٍ على المعاني ، وصنيعة الملك من يصـطنعه الملك ويـرفع قـدره . يقول : ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بـل الله تعالى هـوالّذي أنعم علينـا ، فليس بيننا وبينه واسطة والنّاس بأسرهم صنـائعنا فنحن الـواسطة بينهم وبين الله تعـالى ، وهذا مقـام جليل ظـاهره مـا سمعت ، وباطنـه أنّهم عبيد الله ، وأنّ الناس عبيدهم(٣) .

وإنّما أراد الحديث العلويّ والمهـدويّ بيان بعض مـا للولاية من

---

(١) النّهج ١٥ / ١٨٢ ، كتاب ٢٨

(٢) البحار ٥٣ / ١٧٨ .

(٣) شرح النّهج ١٥ / ١٩٤ .

شؤون وليس معناه أن النّاس مسخّرون كتسخير السموات والأرض لنا كما قال تعالى : ﴿ **وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض** ﴾[1] . و ﴿ **وسخّر لكم الفلك تجرى في البحر بأمره** ﴾[2] ، بل المراد بيان أنهم عليهم السلام هم الغاية من خلق الخلق، وببركتهم وبيمينهم رزق الورى وثبتت الأرض والسماء .

---

(١) سورة الجاثية : الآية / ١٣ .

(٢) سورة ابراهيم : الآية / ٣٢ .

وإنّ لأهل البيت عليهم السلام الولاية التكوينيّة والتشريعية التي خصهم الله بها ولكنّهم كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ سورة الأنبياء : الآية / ٢٦ ـ ٢٧ .

٦ ـ إذا كنت في خير فلا تغترر به

قال الشّيخ الصّدوق طيّب الله رمسه : حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي ، قال حدّثني محمد بن يحيى الصّولي قال : حدّثنا أبو ذكوان قال : حدّثنا إبراهيم بن عباس قال :

كان الرّضا عليه السلام ينشد كثيراً

إذا كنت في خير فلا تغترر به   ولكن قل اللهمّ سلّم وتممّ[1]

الأغترار بالخير سببه الغفلة عن الله جلّ جلاله والذّهول عمّا يراد به ، وقد بيّن ذلك أولاً بالنهي عنه في صدر البيت ، وطريق إزالة الغفلة في آخره بأن يتجه إلى الله تعالى ويناجيه بقلبه ولسانه أن يسلّمه عمّا يوقعه في الغرور الذي لا يعقبه إلا الويل والثبور ، ويتمّم له الخير بأن يوفّقه لأمثاله ويظفر بالهدف الأسنى من ورائه إذ الخير ما كان به الوصول إلى الكمال ولحصول عليه ويكثر علمه وحلمه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وسئل عن الخير ما

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٦ فيه فلا تغرّبه ، البحار ٧١ / ٤٦ .

هو ؟ فقال : ليس الخير أن يكثر مالك وَوَلَدُكَ ولكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك . . . »[1] .

الاستباق إلى الخيرات

قد أمر الله عزّ وجل به في آي منها : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات . . . »[2]. ففي باقريّ : « الخيرات الولاية »[3] ، لأن أهل البيت عليهم السلام أصل الخير ومعدنه وقد جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة : « إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه »[4] . وكلّ خير في العالم بأسره إنّما هو لله عزّ وجلّ وبيده كما قال تعالى : ﴿ **قل اللهم مالك الملك ـ إلى ـ بيدك الخير أنك على كل شيء قدير** ﴾[5] . وأهل البيت عليهم السلام هم الخير الموهوب للعباد والقدوة لمن اقتدى بهم منهم وأنهم السّبّاقون إلى الخير وكذا الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبيّ الرّحمة ولا ينافي كلّ ذلك إطلاق الخير على كلّ ما سبّب السّعادة ففي باقريّ : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم إنّي أجمع لك الخير كلّه في أربع كلمات : واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدةً فيما بينك وبين الناس . فأمّا التي لي : فتعبدني لا تشرك بي شيئاً ، وأما التي لك : فأجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه ، وأمّا التي بيني وبينك : فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة وأمّا التي فيما بينك وبين النّاس : فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك »[6] .

---

(١) النّهج ١٨ / ٢٥٠ . الحكمة ٩١ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ١٤٨ .
(٣) تفسير الصّافي ١ / ١٥٠ .
(٤) روضة المتقين في شرح الفقيه ٥ / ٤٩٤ .
(٥) سورة آل عمران : الآية / ٢٦ .
(٦) معاني الأخبار ١٣٧ .

٧ - أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا يخلف مكانه ؟!

من مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة رواها الصّدوق طاب ثراه ولربط الكلمة نذكر شيئاً منها :

« ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان هل يعلم الله عزّ وجل جميع ما في الجنّة والنّار ؟! قال سليمان : نعم ، قال : أفيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك ؟! قال نعم قال : فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلاّ كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟! قال سليمان : بل يزيدهم ، قال : فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنّه يكون، قال : جعلت فداك والمزيد لا غاية له ، قال عليه السلام : فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، قال سليمان : إنما قلت لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا لأن الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً ، قال الرضا عليه السلام : ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّه قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ثمّ لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عز وجلّ في كتابه :

﴿ **كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾[1] .
وقال عزّ وجلّ لأهل الجنّة : ﴿ **عطاءً غير مجذوذ** ﴾[2] . وقال عزّ وجلّ : ﴿ **وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾[3] . فهو جلّ وعزّ يعلم ذلك ولا يقع عنهم الزّيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه ؟! قال : بلى ، قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟! قال سليمان : لا ، قال : فكذلك كلّ ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم . . . . »[4] .

أهمّ ما جاء في مناظرة المروزي هومسألة البداء ، والإرادة والثّانية أوسع بحثاً من الأولى لأنّها اشتملت على أزيد من خمسين سؤالاً وجواباً حولها بينما البداء قد حوى أقلّ من عشرين وبالأخير اعترف سليمان المروزي بالبداء بعد إنكاره له وقد تعرّضنا لذلك فراجع[5] .

وأمّا الإرادة فكان يعتقد هو وأصحابه بقدمها وأنها كالسّمع والبصر والقدرة من صفات الذات وعند أهل البيت عليهم السلام فعلٌ من أفعاله تعالى كما قال : الرضا عليه السلام : « المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد »[6] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٦ .
(٢) سورة هود : الآية / ١٠٨ .
(٣) سورة الواقعة : الآية / ٣٢ ـ ٣٣ .
(٤) التّوحيد : ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨
(٥) حرف الضاد مع الألف
(٦) التوحيد : ٣٣٨ .

والفعـل محدث فـالإرادة محدثـة ذكرنـاه عند كلمـة « الفعل كلّه محـدث »[1] . وهي مخلوقة كالمشيئة[2] بنـاءً على أنّ الإرادة : المشيّة وهي كما في الصّادقي : « المشيّة محدثـة »[3]. وإرادته إحداثه لا غيـر كما في الكاظمي [4] .

---

(١) حرف الفاء مع العين ، التوحيد ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ .

(٢) التوحيد : ٢٣٤ : « وبمشيئتـه كانت الإرادة » ، و ١٤٨ في الصـادقي : « خلق الله المشية بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشية » .

(٣) التوحيد : ١٤٧ .

(٤) المصـدر . وفي الآخر : « فـإرادة الله هي الفعل لا غيـر ذلـك » . التـوحيـد ١٤٧ .

٨ ـ الإرادة محدثة وإلاّ فمعه غيره

كلمة منتزعة من كلمات الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة من المناظرة المطوّلة التي رواها الصّدوق منها :

« تكلّم يا سليمان ، قال : قد أخبرتك أنّها ـ أي الإرادة ـ كالسّمع والبصر والعلم ، قال الرّضا عليه السلام : لا بأس أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحد أم معانٍ مختلفة ؟! قال سليمان : بل معنى واحد ، قال الرّضا عليه السلام : فمعنى الإرادات كلّها معنى واحد؟قال سليمان: نعم،قال الرضا ـ عليه السلام ـ : فإن كان معناها معنى واحداً كانت إرادة القيام وإرادة القعود وإرادة الحياة وإرادة الموت إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدّم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً وكان شيئاً واحداً ، قال سليمان : إنّ معناها مختلف ، قال عليه السلام : فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها ؟! قال سليمان : بل هو الإرادة ، قال الرضا عليه السلام : فالمريد عندكم يختلف إن كان هو الإرادة ؟ قال : يا سيدي ليس الإرادة المريد ، قال عليه السلام : فالإرادة محدثة وإلاّ فمعنى غيره افهم وزد في مسألتك »[١] .

(١) التوحيد ٤٥١ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥٠ .

ـعوى المروزي في الإرادة متناقضة مـرّة قال إنّهـا أزليّة كـالسّمع والبصر والعلم وقد تكـرّر منه القـول بها كـذلك صـرّح به قـوله هنـا : « قد أخبرتك أنّها كالسّمع والبصر والعلم » ومرّة أخـرى قال بـالحدوث من طـريق كـونهـا فعـلاً والفعـل حـادث لا محـالـة وقـد بيّنـا مـواضـع تناقضاته عند كلمة « يا خراساني مـا أكثر غلطك »[١] . و « هـذه صفة من لا يدري ما فعل »[٢] . و « إنّ الفعل كلّه محدث »[٣] .

وتجـده في جميع كلمـاتـه لا يقف على حقّ مثـلاً يقـول عنـدمـا سأله عليه السلام : « أمعنى واحـد أم معان مختلفـة ؟ » : « معنى واحد » وبعـد أسطر في جـواب نفس السؤال قال : « إن معنـاهـا مختلف » وقـد اختلفت أجوبته بالنفي والإثبات في سؤال موضـوع واحد ولا عجب منـه إن تنـاقضت أقوالـه مع انقـطاعه عن أهـل البيت عليهم السلام كمـا نبّهنا عليه غير مرّة .

وحـاصـل الكـلام الـرّضـوي أن لا واسـطة بين أزليّـة الشّيء أو حـدوثه فـإذا انتفى أحدهمـا ثبت الآخـر فـإذا لم تكن الإرادة المـريـد الأزلي كانت محدثـة لأنّها فعله كمـا سبق بيان ذلـك فإن لم يكن هـذا ولا ذاك فـلا بدّ من القـول بالـواسطة وأنّهـا غيره الّـذي معه تعـالى عن ذلك أن يكون معه شيء يعـادله ويصاحبه، ثم أمره عليـه السلام بـالفهم وزيادة المسألـة لئلا يتـوهّم المنع عن الاستضـاءة بنوره والاعتـراف من فيض علمه عليه السلام .

---

(١) حرف الياء مع الألف .
(٢) حرف الهاء مع الذّال .
( ) حرف الهمزة مع النّون .

٩ ـ ارتقوا مرتقىً صعباً دحظاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم

في رواية الكليني والصّدوق المطوّلة في وصف الإمامة والإمام عن الرّضا عليه السلام :

« . . . أتظنّون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد كذبتهم والله أنفسهم ، ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعباً دحظاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بُعداً . . . . »[1] .

لم نكمل الرواية لطولها ، ولأنّنا بصدد اقتطاف التمثيلات الكائنة فيها ومنها التمثيل المبحوث عنه ولكن بعد التّكلّم عنه نسردها بالأسر ليكون النّاظر على علم من وصف الإمام والإمامة ، وقد اشتملت على ما يقرب من مائة خصلة بفقدها غير المعصوم عليه السلام . فانتظر . .

---

(١) أصول الكافي ١ /٢٠١ ، عيون الأخبار ١ / ١٧٣ .

والارتقاء من الرُّقي أي : الصّعود ومنه قوله تعالى : « فليرتقوا في الأسباب » أي : معارج السماء وطرقها . والمرتقى موضع الرّقي كالمرآة والمرتقى (بالفتح) : الدرجة فمن كسرها شبهها بالآلة التي يعمل بها[1] .

والدحض : الزلق قال ابن الأثير في حديث مواقيت الصلاة : « حين تدحض الشمس » أي : تزول عن وسط السّماء إلى جهة المغرب كأنها دحضت أي : زلقت[2] . يريد عليه السّلام : أنّ ما نصبوه للنّاس إماماً بعقولهم وآرائهم مَثَلُه كالّذي يرتقي مكاناً عالياً زلقاً لا يأمن من السّقوط والهلاك ؛ فإنّ من نصب إماماً باطلاً وأمر الناس باقتدائه ودعاهم إلى من لم ينصبه الله عزّ وجلّ فقد هلك وأهلك إذ نصب غير المنصوب الشرعي يدفع المنصوب الشرعي ، وفتح باب الباطل سدّ لباب الحقّ لا محالة وهو إحياء الباطل ومآثره وإماتة للحق ومآثره ومن ثم يتقدّم المتأخر ويتأخّر المتقدّم ولنعم ما قال السّيّد جعفر الحلّي :

ما خلتُ أنّ الدّهر من عاداته   تروى الكلاب به ويظمى الضّيغم
ويقدّم الأموي وهو مؤخّر   ويؤخر العلوي وهو مقدّم[3]

الأبيات .

وفي علويّ : « لو كنتم قدّمتم من قدّم الله وأخّرتم من أخّر الله وجعلتم الولاية والوراثة لمن جعلها الله ما عال وليّ الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الأمّة

---

(١) مجمع البحرين في (رقي) سورة صّ الآية / ١٠ .
(٢) النهاية ٢ / ١٠٤ في (دحض) .
(٣) الدرّ النّضيد ٣٠٨ .

في شيء من أمر الله »[1] .

إنجاز الوعد لذكر حديث الرّضا عليه السّلام المشتمل على خصائص الإمامة والإمام عليه السلام :

قال الشّيخ الكليني رحمه الله تعالى : (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته »[2] .

١ ـ أبو محمّد القاسم بن العلاء رحمه الله رفعه عن عبد العزيز بن مسلم .

قال :

« كنّا مع الرّضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع[3] يوم الجمعة في بدأ مقدمنا فأداروا[4] أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض النّاس

---

(١) الوسائل ١٧ / ٤٢٦ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٤٢ ، رقم المثل ١٩ ، حرف الهمزة مع الباء .

(٢) أقول وأما الشيخ الصّدوق طاب ثراه فقد قال :
(باب ما جاء عن الرّضا ـ عليه السلام ـ في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته) .
١ ـ حدّثنا ابوالعباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني رضي الله عنه قال : حدثنا أبو أحمد القاسم بن علي الهاروني قال : حدّثني أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم عن الحسن بن القاسم الرّقام قال : حدّثني القاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز بن مسلم قال : كنّا في أيّام علي بن موسى الرّضا ـ عليه السلام ـ » . ثم سرد الرّواية عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٧١ ـ ١٧٥ .

(٣) في مسجد جامعها نسخة العيون .

(٤) فأدار النّاس .

فيه فتبسّم عليه السلام ثم قال :

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، إن الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيءٍ ، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه النّاس كملاً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[1]. وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[2] وأمر الإمامة من تمام الدّين ، ولم يمض صلى الله عليه واله حتى بيّن لأمّته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام عَلَماً وإماماً وما ترك [لهم] شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أن الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به[3] .

هل يعرفون قدر الإمامة من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ؛ إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النّبوّة والخلّة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره[4] ، فقال : ﴿ **إنّي جاعلك للنّاس إماماً** ﴾[5] . فقال الخليل عليه السلام : سروراً بها : ﴿ **ومن ذرّيتي** ﴾ قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية / ٣ .

(٣) نسخة العيون « كافر » .

(٤) الإشادة رفع الصوت بالشيء . هامش الكافي ١/١٩٩ .

(٥) سورة البقرة : الآية / ١٢٤ .

﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾(١) فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصّفوة ، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطهارة فقال : **﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلة وكلاًّ جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين﴾**(٢) .
فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّى ورّثها الله تعالى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال جلّ وتعالى : **﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾**(٣) . فكانت له خاصة فقلّدها صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى : **﴿وقال الّذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾**(٤) ، فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة ؛ إذ لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار لهؤلاء الجهّال ، إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام ، إنّ الإمامة زمام الدّين ، ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين ، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي وفرعه السّامي ، بالإمام تمام الصلاة والزّكاة والصيام والحجّ والجهاد ، وتوفير الفيء والصّدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٢٤ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٧٢ ـ ٧٣ .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ٦٨ .
(٤) سورة الرّوم : الآية / ٥٦ .

الإمـام يحـلّ حـلال الله ويحـرّم حـرام الله ، ويقيم حـدود الله ، ويـذبّ عن دين الله ، ويـدعـو إلى سبيـل ربّـه بـالحكمـة والمـوعــظة الحسنة ، والحجّة البـالغة . الإمـام كالشمس الـطالعة المجللة بنـورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالهـا الأيدي والأبصـار . الإمام البـدر المنيـر ، والسّـراج الـزّاهـر ، والنّـور السّـاطـع ، والنّجم الهـادي في غيـاهب الـدجى ، وأجـواز البلدان والقفـار ، ولجـج البحـار . الإمـام المــاء العـذب على الـظمـاء ، والــدالّ على الهـدى ، والمُنجي من الرّدى . الإمام النّار على اليفاع ، الحـارّ لمن اصطلى بـه والدّليـل في المهـالك ، من فـارقه فهـالـك . الإمـام السّحـاب المـاطـر ، والغيث الهـاطل ، والشمس المضيئـة ، والسّمـاء الـظليلة ، والأرض البسيـطة والعين الغـريـزة[1] ، والغـديـر والـرّوضـة . الإمــام الأنيس الـرّفيق ، والـوالد الشّفيق ، والأخ الشّفيق ، والأم البـرّة بالـولـد الصّغيـر ومفـزع العبـاد في الداهيـة النّآد[2]. الإمام أمين الله في خلقـه ، وحجّتـه على عبـاده وخليفتـه في بــلاده والّـداعي إلى الله والّــذابّ عن حـرم الله . الإمام المطهـر من الذّنـوب والمبرّأ عن العيـوب ، المخصوص بـالعلم المـوسوم بـالحلم نظام الّـدين وعز المسلمين وغيظ المنـافقين ، وبوار الكـافرين . الإمـام واحد دهـره لا يدانيـه أحد ولا يعـادله عـالم ، ولا يـوجد منـه بدلٌ ولا لـه مثلٌ ولا نـظيرٌ مخصـوص بالفضـل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب .

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختباره هيهات هيهات ضلّت العقـول ، وتاهت الحلوم ، وصـارت الألباب ، وخسئت العيـون وتصـاغرت العـظمـاء ، وتحيـرت الحكمـاء ، وتقـاصـرت الحلمـاء ، وحصرت الخطبـاء وجهلت الألبّاء ، وكلّت الشعـراء وعجزت الأدبـاء ،

---

(١) نسخة العيون « الغزيرة » .

(٢) والنآد كسحاب بمعناها (في) هامش الكافي ١ / ٢٠٠ .

وعييت البلغاء عن وصف شأن من بشأنه [شؤونه] ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف بكلّه أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه .

لا ، كيف وأنّى ؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين ، ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟!

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقىً صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بعداً ﴿ [قاتلهم الله أنّى يؤفكون] ﴾[1] ، ولقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ؛ إذ تركوا الإمام عن بصيرة ﴿ وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين ﴾[2].

رغبوا عن اختيار الله ، واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون ﴾[3].

وقال عزّ وجلّ : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[4] الآية وقال : ﴿ ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إنّ لكم فيه لما تخيّرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما

---

(١) سورة التّوبة : الآية / ٣٠ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية / ٣٨ .
(٣) سورة القصص : الآية / ٦٨ .
(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٣٦ .

تحكمون * سلهم أيّهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾[١] وقال عزّ وجلّ : **﴿ أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾**[٢] أم **﴿ طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾**[٣] أم **﴿ قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إن شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ﴾**[٤] أم **﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾**[٥] ، بل هو **﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾**[٦] .

فكيف لهم باختيار الإمام ؟ والإمام عالم لا يجهل ، وراع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة والنّسك والزّهادة ، والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرّسول صلى الله عليه وآله ، ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش ، والذّروة من هاشم ، والعترة من الرّسول صلى الله عليه وآله ، والرّضا من الله عزّ وجلّ شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم كامل الحلم مضطلعٌ بالإمامة عالم بالسّياسة مفروض الطّاعة قائم بأمر الله عزّ وجلّ ناصح لعباد الله حافظ لدين الله .

إنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من

---

(١) سورة القلم : الآية / ٣٦ ـ ٤١
(٢) سورة محمد : الآية / ٢٤ .
(٣) سورةالتوبة : الآية / ٨٧ ، هكذا في الأصل ، وفي القرآن : ﴿وطبع على قلوبهم﴾ بدون كلمة « الله » .
(٤) سورة الأنفال : الاية / ٢١ ـ ٢٣
(٥) سورة البقرة : الآية / ٩٣ .
(٦) سورة الحديد : الآية / ٢١ .

مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل الزّمان في قوله تعالى : ﴿ **أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدى إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون** ﴾[1] . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾[2] وقوله في طالوت : ﴿ **إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم** ﴾ [3]. وقال لنبيّه صلى الله عليه واله : ﴿ **أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾[4]

وقال في الأئمة من أهل بيت نبيّه وعترته وذرّيّته صلوات الله عليهم : ﴿ **أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من أمن به ومنهم مَنْ صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً** ﴾[5] . وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمور عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب ، ولا يحير[6] فيه عن الصّوات ، فهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد ، قد أمن من الخطايا الزّلل والعثار ، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، و ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[7] .

---

(١) سورة يونس : الآية / ٣٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٦٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٤٧ .
(٤) سورة النساء : الآية / ١١٣ .
(٥) سورة النّساء : الآية / ٥٤ ـ ٥٥ .
(٦) نسخة العيون « يحيد » .
(٧) سورة الحديد : الآية / ٢١ .

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه ؟ تعدّوا ـ وبيت الله ـ الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله الهدى والشّفاء فنبذوه واتّبعوا أهواءهم ، فذمّهم الله ومقتهم ، وأتعسهم فقال جلّ وتعالى : ﴿ ومن أضلّ ممّن أتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾[(1)]، وقال : ﴿ فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ﴾[(2)] . وقال : ﴿ كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار ﴾[(3)] ، وصلى الله على النّبيّ محمّد وآله وسلم تسليماً كثيراً »[(4)] .

وقد جمع فيها أفضل الصفات التي لا تجتمع إلّا في الإمام المعصوم عليه السلام ولا بدّ من إفراد كتاب لشرح هذه الرّواية المباركة ولا تسعها هذه الوريقات وقد أخذنا منها بقدر ما يرتبط الموضوع المبحوث كما أخذنا من سائر روايات أهل البيت عليهم السلام والله عزّ وجلّ هو الموفّق .

---

(1) سورة القصص : الآية / ٥٠ .
(2) سورة محمد : الآية / ٨ والتّعس : الهلاك .
(3) سورة غافر : الاية / ٣٥ .
(4) أصول الكافي : ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٣

١٠ ـ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاّ بما ها هنا

هـذه من الحكم المستخرجـة من المناظـرة الـطويلة بين الـرّضـا عليه السلام وعمران الصابي الـتي رواها الصّدوق قال عليه السّلام :

«إيّاك وقول الجهّال من أهل العمى والضّلال الذين يزعمون أنّ الله جلّ وتقدّس مـوجود في الآخـرة للحساب في الثـواب والعقاب وليس بمـوجود في الـدّنيا للطاعـة والرّجاء، ولو كـان في الوجـود لله عزّ وجـلّ نقص واهتضام لم يـوجد في الآخـرة أبـداً ، ولكن القوم تـاهوا وعملوا وصمّوا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلـك قولـه عزّ وجـلّ : ﴿ ومن كـان في هذه أعمى فهـو في الآخـرة أعمى وأضـلّ سبيـلاً ﴾[1] يعني أعمى عن الحقـائـق المـوجـودة وقـد عـلم ذووا الألبـاب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاّ بمـا ههنا ، ومن أخـذ ذلك بـرأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسـه دون غيرهـا لم يزدد من علم ذلـك إلاّ بعـداً لأنّ الله عـزّ وجـل جعـل علم ذلـك خـاصّـاً عنـد قـوم يعقلون ويعملون ويفهمون »[2] .

---

(١) سورة الاسراء : الآية / ٧٢ .

(٢) التّوحيد ٤٣٨ ، عيون إخبار الرّضا ١ / ١٤١ .

إنما ذكرنا ما قبل كلمة : « الاستدلال على ما هناك لا يكون إلّا بما ههنا » وبعدها لبيان ربطها .

من القياس المقبول أن يستدل بوجود الشيء السائغ في حالة على وجوده في حالة أخرى ، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز سواء وهذه قاعدة عقلية مطّردة فلو كانت الرّؤية سائغة لله عزّ وجلّ في الآخرة كانت سائغة في الدنيا أيضاً وكذا وجوده تعالى عند الحساب في الآخرة كان موجوداً في الدّنيا عند الطاعة إذ لو فرض النقص هنا جاء النقص هناك أيضاً ؛ لأن الحالتين متماثلتان لا يمكن التفكيك بينهما فالزاعمون للتفكيك خاطئون لا محالة .

ثم إن الآخرة بمنزلة باطن الدنيا وهي ظاهرها ولعلّ في قوله تعالى : ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[1] إشارة إلى ذلك بأن يراد من الآخرة باطنها ، وعليه تدل الكلمة العلوية ، « واعلم أنّ لكل ظاهر باطناً على مثاله »[2] . و « اعقل ذلك ، فإنّ المِثْل دليل على شبهه »[3] ، ومن الكلمتين العلويتين يتجلّى مقصود الكلام الرّضوي من الاستدلال بما ههنا على ما هناك إبطالاً لدعوى الزاعمين وجود الله عز وجل عند الحساب في الثواب والعقاب يوم القيامة وعدم وجوده تعالى في الدنيا للطاعة والرّجاء .

ووجه البطلان أنّ الله تعالى إذا لم يكن بموجود في الدنيا عند الطلعة لم يكن في الآخرة عند الحساب أيضاً ؛ لأن النقص الموجب لعدمه هناك موجب للعدم هنا أيضاً وحيث أن لا نقص في الوجود

---

(١) سورة الرّوم : الآية / ٧ .
(٢) النهج ٩ / ١٧٨ ، الخطبة ١٥٤ .
(٣) النهج ٩ / ١٦٠ .

هنـا لا نقص فيـه أيضـاً هنـاك وهـو معنى تسـويــة الأمثـال في الحكم واشتراك الباطن مع الظاهر ودلالة المثـل على شبهه وهـذا أمر عقليّ أو قـل عقلائيّ ومنـه العلويّ : « استـدل على مـا لـم يكن بمـا كـان فـإنّ الأمور أشباه »[1]

(١) النهج ١٦ / ١١٣ ، الوصيّة ٣١ .
ارشاد الى ما يدركه العقل والعقلاء من إسراء حكم ثابت لموضوع الى موضوع آخر يشاركه فيه . ونظير الكلمة كلمته عليه السلام الاخرى : « ما أنشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأحوال » مصادر النهج ٣ / ٤٨ الخطبة ١٩٠ . وقد ذكرنا الأولى في : « الأمثال والحكم العلويّة » حرف الهمزة مع السّين مخطوط .

١١ ـ الاسترسال بالأنس يذهب بالمهابة

روى الشّيخ المجلسي طاب ثراه من كتاب النزهة من كلمات الرضا عليه السلام الحكمية : « الاسترسال بالأنس يذهب المهابة »[١] .

هذا في الاسترسال بالأنس في غير الله عزّ وجلّ ، وأمّا معه تعالى فيمنح المسترسل المهابة والعز والجلال وهو الأنس الحقيقي غير المتحقّق إلاّ في الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الذين امتحنهم الله تعالى وهم العارفون الذين قد أوحشتهم العوالم كما قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة في عرفات عند جبل الرحمة :

« أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الّذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ، ماذا وَجَدَ من فَقَدَكَ ، وما الّذي فَقَدَ من وَجَدَكَ ، لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر من بعي عنك متحوّلاً كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان . . . »[٢] .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ .

(٢) الإقبال ٣٤٩ .

الاسترسال بالأنس :

لا بدّ في الاسترسـال أن لا يخرج صـاحبه عن الحقّ ولا يـدخله في البـاطل مهمـا كان نـوعه وقـد جاء في العلوي :« عشـرة الاسـترسـال لا تستقال»[1] .والأنس ضد الوحشة ، والاستئناس خلاف الاستيحـاش قـال الطريحي رحمـه الله في قولـه تعـالى : ﴿ **لا تـدخلوا بيـوت غيـر بيـوتكم حتى تستـأنسـوا** ﴾[2] . فيـه وجهـان : أحـدهمـا أنّـه من الاستئناس خلاف الاستيحاش ؛ لأن الّذي يـطرق باب غيـره لا يدري يؤذن لـه أم لا فهـو كـالمستـوحش لخفـاء الحـال عليـه فـإذا أذن لـه استـأنس[3] . . . والثاني : مجـرّد الأذن لـه وإن لـم يحصـل استئنـاس بعـده والأنس السّكـون إلى من يـألفـه ففي صـادقي في جـواب كتـاب بعض ولاته : « فأمّـا من تأنس بـه وتستريـح إليه وتلجيء أمـورك إليـه فـذلـك الـرّجـل الممتحن المستبصـر الأمين المـوافق لـك على دينك . . »[4] . وهو المؤمن يـأنس بمثله ويسكن إليه في تبـادل الحبّ في الله عزّ وجلّ قال ابن الفارض :

أدر ذكر من أهوى ولو بمنام   فإنّ أحاديث الحبيب مُدامي[5]

وفي نبـويّ : « المتحـابّـون في الله يـوم القيـامـة على ارض زبـرجدة خضـراء في ظلّ عـرشه عن يمينـه وكلتا يـديه يمين وجـوههم أشـد بيـاضـا ، وأضـوء من الشمس الـطالعـة . . . يقـول النـاس سن

---

(١) غرر الحكم ٢٢١ .

(٢) سورة النّور : الآية / ٢٧

(٣) مجمع البحرين في « أنس »

(٤) الوسائل ١٢ / ١٥٣ .

(٥) ديوانه : ٨٥ .

هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله »[1] .

وصادقي : « إن المتحـابّين في الله يـوم القيـامـة على منـابــر من نور . . . »[2] .

وآخر : « من حبّ الرّجل دينه حبّه لإخوانه »[3] .

(١) الوسائل ١١ / ٤٣٢ .
(٢) المصدر .
(٣) الوسائل ١١ / ٤٤١ .

١٢ ـ استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النّعمة

قال الصّدوق حدّثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطّار رضي الله عنه قال : حدّثنا عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول :

« استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النّعمة ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله »[١] .

قد أمر الله جل جلاله بهما قال تعالى : ﴿ **إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلّكم تذكّرون** ﴾[٢] . وظاهر الأمر الوجوب وفي العدل والإحسان تفصيل مذكور في علم الفقه الإسلامي بين الزّوجات والنّفقات وقد جاء الأمر بالعدل في قوله تعالى : ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾[٣]. ولا ينفكّ العدل عن التّقوى ، إذ هو وضع الشيء

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣ ، والبحار ٧٥ / ٢٦ .

(٢) سورة النحل : الآية / ٩٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٨ .

مواضعه اللازم، للوقاية عن الوقوع في المحظور بترك ما ينبغي فعله وفعل ما ينبغي تركه ولا يتأتّى التجنّب عن ذلك إلاّ بأن يترك ما ينبغي تركه ويفعل ما ينبغي فعله وهو معنى العدل .

وأمّا الإحسان فهو مطلق ما فيه الحسن من عمل أو قول حسن لنفس المحسن أو غيره ، عاد نفعه إليه أو إلى الناس، والعدل أيضاً لا يخصّ بمعاملات غيره بأن لا يظلمه أو ينال منه أو يتعدّى في حقوقه، بل كذلك نفس العادل بأن لا يظلمها أو يسلك بها إلى نار جهنم بركوب المعاصي وترك الواجبات واتباع الهوى ، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام قوماً قال :

« عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه ، وأعدّ القرى ليومه النّازل به فقرّب على نفسه البعيد ، وهوّن الشّديد - إلى قوله عليه السلام - قد ألزم نفسه العدل ، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه ، يصف الحقّ ويعمل به ، لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها ولا مظنّةً إلا قصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه ، فهو فائدة وإمامه ، يحلّ حيث حلّ ثقله ، وينزل حيث كان منزله »[١] .

بهذا العبد يدفع البلاء والعذاب عن النّاس وإلاّ لساخت الأرض بهم وخاصّة المعصوم عليه السلام وهذه أوصاف أولياء أهل البيت عليهم السلام فما ظنّك بهم منهم زكريّا بن آدم قال : إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فقال له الرضا عليه السلام : « لا تفعل ؛ فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام »[٢] .

---

(١) النهج ٦ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، الخطبة ٨٦ .
(٢) الاختصاص ٨٧ .

وكيف كـان إن الآية والـرّواية مطلقتان من نـاحيـة متعلّق العـدل والإحسان بمقاييسهما الشّرعيّـة والعقلية، لاكيف مـا اتّفقا وهمـا كلمتان معروفتان عند أهل الشّرع والعقل ، ومن ذاق حـلاوة العدل والإحسـان لا يعدل عنها طوال الحياة إلاّ فاقد العقل .

= ثم لا يخفى ان الحوقلة في آخر حديث الإمام الـرّضا عليـه السّلام إنّمـا جاء بها لعلها للإشارة إلى أنّ العدل والإحسان لا بـد أن يكونـا مقرونين بـذكر الله جـل جلالـه ، وأن لا يغترّ العـادل إذا عـدل ، والمحسن إذا أحسن أنّ ذلـك بكـدّ يمينه وعـرق جبينه بـل بتوفيق منـه تعـالى أن قـوّاه على أن يعـدل أو أن يحسن ولولا حوله جل جلاله وقوته لما وفّق لأدنى شيء منهما وغيرهما .

١٣ ـ اصحب السلطان بالحذر

روى المجلسي قول الرّضا عليه السلام :

« اصحب السلطان بالحذر ، والصّديق بالتواضع ، والعدوّ بالتحرّز ، والعامة بالبُشر »[١] .

أربع كلمات تكتب بالذّهب : الأولى يجب على مصاحب السلطان الحذر منه ؛ لأنّه لا يأمن من بطشه وفتكه لفقد الإيمان من الممتلكين السلطة على الرّعايا بالقهر والغلبة ، أو الانتخابات التي لا يرتضيها الله عز وجل ولا رسوله ولا الأئمة المعصومون عليهم السلام ولم ينزل بها كتاب من السماء ، والحذر عامّ لكلّ داخل في دواوين هؤلاء ولزوم المجانبة عنهم وإن كان ولا بد من صحبة السلطان فالواجب الحذر لئلا يفتك به للاقتدار على خصومه وعلى كلّ من لا يخضع لأوامره .

وقد جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام الإذن في الدّخول في دواوينهم لأشخاص كعلي بن يقطين لـمّا قدم موسى بن جعفر عليهما السلام العراق . قال له علي بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟ فقال :

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥ ، والدّرة الباهر ٣٨ ، وإحقاق الحق ١٩ / ٥٨٣ .

« يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه ، وأنت منهم يا علي »[1] .

ومنه يعلم أن في كلّ دور رجالاً مع أولياء الظلمة يدافعون عن الحقّ لتتم الحجة البالغة وعن المؤمنين ولا نعلمهم من هم هؤلاء ، ولولا أنّ السلطة الجائرة من أقوى العصاة لله عزّ وجلّ وغصب الحقوق وقتل النّفوس التي حرمها الله وأكل أموال النّاس بالباطل والفجائع وكلّ أمرٍ منهيّ في شريعة السّماء، لساغ الدّخول لكلّ أحد وفي مقدّمتهم المعصومون .

وأَمّا دخول الرّضا عليه السلام في ولاية العهد من قبل المأمون الطّاغية وقبولها فلم يكن ذلك باختيار ورغبة منه عليه السلام ولقد امتنع منها مراراً فهُدّد بالقتل فمن باب وجوب حفظ النّفس والنّهي عن الإلقاء في التهلكة قبل ولاية العهد بشروط اشترطها بأن لا ينصب أحداً ولا يعزل أحداً ولا ينفّذ شيئاً من شؤون الملك مع إخباره عليه السلام أنّ ذلك لا يتمّ وأنّه يموت قبل المأمون .

ولم يكن الإباء من التّدخّل في الملك العبّاسي إلاّ لعلمه بما ذكر من المحاذير وإذلال النّاس وإفساد القرى إذا دخلوها كما حكى الله عن ملكة سبأ : ﴿ **إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون** ﴾[2] .

ثمّ الكلمات الثلاثة « الصّديق بالتّواضع ، والعدوّ بالتّحرّر والعامّة بالبشر » لبيانها موضع آخر .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٢ / ٢٣٠ .
(٢) سورة النمل : الآية / ٣٤ .

١٤ ـ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون

روى الصّدوق بإسناده إلى أبي الصّلت قال : حضر الرّضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان :

« فقال المأمون : من العترة الطّاهرة ؟ فقال الرّضا عليه السلام : الّذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[1] . وهم الّذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّي مخلّف فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما ، أيّها النّاس لا تعلّموهم ، فإنّهم أعلم منكم . قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل ، أم غير الآل ؟ فقال الرّضا عليه السلام : هم الآل ، فقالت العلماء : فهذا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤثر عنه أنّه قال : أمّتي آلي ، ولهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الّذي لا يمكن دفعه : آل محمّد أمّته .

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني فهل تحرم الصّدقة

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٣٣ .

على الآل ؟ فقالوا : نعم ، قال : فتحرم على الأمّة ، قالوا ، لا قال : هذا فرق بين الآل والأمّة ويحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطّهارة على المصطَفين المهتدين دون سائرهم ؟ قالوا : ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال: من قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النّبوّة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾[1] .

فصارت وراثة النّبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم أن نوحاً حين سأل ربّه عزّ وجلّ : ﴿ فقال رب إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين ﴾[2] ، وذلك إنّ الله عزّ وجلّ وعده أن ينجيه وأهله فقال ربّه عزّ وجلّ : ﴿يا نوح إنّه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلنّ ما ليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجٰهلين ﴾[3] . . . »[4]

إنّ الحديث اشتمل على مسائل وأجوبتها ولطوله لم نذكره عن آخره سوى ما يربط الكلمة المستخرجة منه .

قوله عليه السلام : « أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون » اقتباس من قوله تعالى : ﴿ أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾[5] . ولكنّ المراد بالكلمة شيءُ وبالآية شيءُ

---

(١) سورة الحديد : الآية / ٣٦ .
(٢) سورة هود : الآية / ٤٥ .
(٣) سورة هود : الآية / ٤٦ .
(٤) عيون أخبار الرضا : ١ / ١٨٠ ـ ١٨١ .
(٥) سورة الزخرف : الآية / ٥

آخر؛لأنه عليه السلام يريد توبيخهم في ترك تدبّرهم القرآن الكريم، وعلى إفراطهم وإسرافهم عمّا يحكم به العقل، حيث لم يأخذوا لا بالنّقل ولا بالعقل ولا بمقاييسهما الصحيحة حائدين عن البرهان وما يقصده القرآن، وأمّا الآية فمعناها أندعكم مهملين لا نحتجّ عليكم بالرّسول أو بالإمام والحجج(١) ؟

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٥٢٣ .

والغرض أنّ الأمة مسؤولة برسولها وإمامها وحججها يوم القيامة .

ثم إن الحديث المشتمل على السؤال عن العترة الطاهرة وعلى الجواب بأنهم هم الأئمة المعصومون عليهم السلام بنص القرآن كما بيّنه الرضا عليه السلام ، هو من الأحاديث المرويّة بهذا الصّدد التي لا مجال لذكرها ومن لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وإنما المأمون يرمي من وراء المناظرة مع الرّضا عليه السّلام السوء به وكسره حرصاً على الملك ولا يريد التفقه بذلك كما ذكرناه مراراً .

١٥ ـ اضطررتُ كما اضطرّ يوسف ودانيال

للصّدوق كلام يتضمّن تاريخ حياة الإمام الرّضا عليه السلام وأيّام إمامته مع طواغيت زمانه ، قال طاب ثراه :

وقام عليه السلام بالأمر وله تسع وعشرون سنة وشهران ، وكان في أيّام إمامته عليه السلام بقيّة ملك الرّشيد ، ثمّ ملك بعد الرّشيد محمّد المعروف بالأمين وهو ابن زبيدة ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً ، ثمّ خلع الأمين وأجلس عمّه إبراهيم بن شكلة أربعة عشر يوماً ، ثم أخرج محمّد بن زبيدة من الحبس ، وبويع له ثانيةً ، وجلس في الملك سنة وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، ثمّ ملك عبد الله المأمون عشرين سنة وثلاثة وعشرين يوماً فأخذ البيعة في ملكه لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام بعهد المسلمين من غير رضاه وذلك بعد أن هدّده بالقتل وألحّ عليه مرة بعد أخرى في كلّها يأبى عليه حتى أشرف من تأبّيه على الهلاك فقال عليه السّلام :

« اللّهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التّهلكة ، وقد أُكرِهْتُ واضطرِرْتُ كما أُشرِفتُ من قبل عبد الله المأمون على القتل منّي إن لم أقبل ولاية عهده وقد أُكرِهْتُ واضطرِرْتُ كما اضطَرَ يوسف ودانيال عليهما السلام إذ قبل كلّ واحدٍ منهما الولاية من طاغية زمانه ، اللّهمّ لا عهد إلاّ عهدك ولا ولاية لي إلاّ من قبلك

فوفّقني لإقامة دينك وإحياء سنّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله فإنّك أنت المولى وأنت النّصير ونعم المولى أنت ونعم النّصير » .

ثمّ قبل عليه السلام ولاية العهد من المأمون وهو باكٍ حزين على أن لا يولّي أحداً ، ولا يعزل أحداً ولا يغيّر رسماً ولا سنّةً وأن يكون في الأمر مسيراً من بعيد . فأخذ المأمون له البيعة على النّاس الخاصّ منهم والعامّ ، فكان متى ما ظهر للمأمون من الرّضا عليه السلام فضلٌ وعلمٌ وحسن تدبيرٍ ، حسده على ذلك وحقد عليه حتى ضاق صدره منه ، فغدر به ، وقتله بالسُّمّ ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته[1] .

المماثلة في الاضطرار بينه عليه السلام وبين يوسف ودانبال عليهما السلام في قبول الولاية من الحاكم الجائر كالمأمون للرّضا عليه السلام وعزيز مصر الكافر ليوسف النّبيّ عليه السلام قال تعالى حكاية عن المَلِك : ﴿ وقال المَلِك ائتونى به أستخلصه لنفسى ﴾[2] وإنّما اختار يوسف عليه السلام الولاية على الخزائن لأنّها أقل محذوراً من بقيّة المناصب الحكوميّة سدّاً لأبواب الخيانة في بيت المال الّذي به قوام المُلك وقيام الملّة. وأما قبول الولاية من قبل عزيز مصر الكافر فكان عليه السلام مضطرّاً كما نصّ الرّضا عليه السلام عليها لم يستطع دفعها كما كان كذلك من قبل المأمون الطّاغية وللكلام صلة .

وأمّا دانيال فهو كما فال المسعودي :

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٦

(٢) سورة يوسف : الآية / ٥٤ .

ابن نوفين أحد ملوك بني إسرائيل، وفي عصره سار البخت نصّر وهو مرزبان العراق والعرب من قبل ملك فارس[١] ومن أولاد يهوذا بن يعقوب وقد أسره البخت نصر وهو طفل وألقاه في الجبّ؛ على ما قال علي بن إبراهيم القمّي في ترجمة البخت نصّر بعد قتله الرّجال والنّساء وغيرهم ليسكن دم يحيى عليه السلام وكان بين خروج البخت نصّر ويحيى مائة سنة، قال: ثم أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً[٢] فألقى فيها دانيال وألقى معه اللّبوة فجعلت اللّبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها فلبث بذلك زماناً فأوحى الله الى النّبيّ الذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطّعام والشّراب إلى دانيال واقرأه منّي السّلام قال : وأين دانيال يا ربّ فقال في بئر بابل في موضع كذا وكذا قال : فأتاه فأطلع في البئر فقال : يا دانيال قال : لبيّك صوت غريب قال : إنّ ربّك يقرؤك السّلام وقد بعث إليك بالطعام والشّراب فدلّاه إليه قال :

فقال دانيال : الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الّذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الّذي من توكّل عليه كفاه الحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره الحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً الحمد لله الّذي يجزي بالصّبر نجاة الحمد لله يكشف ضرّنا عند كربتنا والحمد لله الّذي هو ثقتنا حين ينقطع الحيل منّا والحمد لله الّذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا[٣] .

وروى الصدوق حديثاً عن الصادق عليه السلام قال فيه : « واشتد البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر

---

(١) مروج الذّهب ١ / ٧٣ .
(٢) لعلّ كلمة « ولإسحاق صفيّك في بئر سبع » بالسّين المهملة لا المعجمة الّتي في دعاء السمات الوارد في جمال الأسبوع ٥٣١ . وغيره يراد بها هذه البئر لأن دانيال من أولاد إسحاق .
(٣) تفسير القمّي ١ / ٨٨ ـ ٨٩ . البحار ١٤ / ٣٥٨ .

فجعل يقتل من يظفر به منهم ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم فاصطفى من السّبي من أهل بيت يهوذا أربعة نفر فيهم دانيال . . . والحجّة دانيال أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة فلّما عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره على يده ، أمر أن يجعل في جبّ عظيم واسع ويجعل معه الأسد ليأكله فلم يقربه وأمر أن لا يطعم فكان الله تعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبيّ من أنبياء بني إسرائيل. : . فلّما تناهى البلاء بدانيال وقومه رأى بخت نصّر في المنام كأنّ ملائكة من السّماء قد هبطت إلى الأرض أفواجاً الى الجُب الّذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج فلّما أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال ، فأمر أن يخرج من الجبّ فلّما أخرج اعتذر إليه ممّا أرتكب منه من التعذيب ، ثم فوّض إليه النّظر في أمور ممالكه والقضاء بين النّاس فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل ورفعوا رؤوسهم واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج فلم يلبث إلاّ القليل عن تلك الحال حتى مضى لسبيله وأفضى الأمر بعده إلى عزير . . . . »[1] .

أقول وفي رؤية البخت نصّر، الرؤيا ونجاة دانيال عليه السلام من الجبّ روايات مطوّلة أعرضنا عنها فراجع[2] .

وقد ترجمه بعض بما يلي :

وأمّا دانيال فكان من ذرّية داود عليه السلام وأسر في سنة ٦٠٦ قبل ميلاد المسيح وجيء به إلى بابل على ما في قاموس الإنجيل وكان بخت نصّر رأى رؤيا هائلة فقصّها على دانيال فعبّرها فصار بذلك معزّزاً مكرّماً عند بخت نصّر،وكان مقيما عنده إلى أن فتح

---

(١) البحار ١٤ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .
(٢) البحار ١٤ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، و ٣٦٧ ـ ٣٧٠ .

الفرس بابل فصار عند كورش ملك الفرس فولّاه القضاء وجعل إليه جميع أمره . ومات بالسوس(١) من أعمال خوزستان . ذكر البغدادي في كتابه (المحبر) نسب دانيال فقال : هو دانيال بن يخننا بن حزقيا ، وهو يوناخين بن صدقيا الملك ابن اهياقيم بن أوشيا بن أمين بن حزقيا بن أحاذين بن يائم بن عزريا بن أمصيا بن مهياس بن أخزيا بن ربهيا بن رام بن ياهوشا بن أسا بن راحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام وذكرهم الطّبري واليعقوبي مع اختلاقات(٢) انتهى لفظ البعض .

هذا موجز ترجمة دانيال النّبيّ عليه السّلام وقد جاء في صادقيّ : « من اهتم لرزقه كتب عليه خطيئة ؛ إنّ دانيال كان في زمن ملكٍ جبّارٍ عاتٍ أخذه فطرحه في جبّ ، وطرح معه السّباع فلم تدن منه ولم يخرجه(٣) فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه أن أئت دانيال بطعام قال : يا ربّ وأين دانيال ؟ قال : تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتّبعه فإنّه يدلّك إليه ؛ فأتت به الضّبع إلى ذلك الجبّ فإذا فيه دانيال فأدلى إليه الطّعام فقال دانيال : الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره . . . »(٤) إلى آخر التحميد الآنف الذكر(٥) .

والباقري : « سألته عن تعبير الرّؤيا عن دانيال عليه السلام أهو صحيح ؟ قال : نعم كان يُوحى إليه وكان نبيّاً وكان ممّن علّمه الله تأويل الأحاديث وكان صدّيقاً حكيماً وكان والله يدين بمحبّتنا أهل

---

(١) الآن يعرف بالشوش الواقع خارج بلدة الدّزفول وقد زرناه مع الحاجّ الشّيخ السّبط الأنصاري عام ١٤٠٦ هـ .

(٢) البحار ١٤ / ٣٥١ في هامشه .

(٣) كما في المصدر والصّواب فلم تدن ولم تخرجه .

(٤) البحار ١٤ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

(٥) بتفسير القمي المتقدم ١ / ٨٨ ـ ٨٩

البيت قـال جابـر : بمحبّتكم أهل البيت ؟ قـال : إي والله وما من نبيّ ولا ملك إلاّ وكان يدين بمحبّتنا »[1] .

أقول :

حصيلة الأحاديث المذكورة أنّ دانيال كيـوسف في أنّهما صـدّيق معبّر للرؤيا وقد حبسا في الجبّ وابتليا بملكٍ كافـر عاتٍ أشـركهما في ملكه وقبول الولاية فيه لو تخلّفا عن القبول لعوقـبا كمـا عوقب الإمـام الرضا وقتـل لو تخلّف عن قبـول ولاية العهـد من المأمـون بتهديـده به بل بالأخيـر قتله بالسُّمّ في زمن قبـوله على مـا صرّح الصـدوق والمفيد خلافاً للإربليّ وغيره فراجع[2] .

---

(١) البحـار ١٤ / ٣٧١ .

(٢) كشف الغمّة وقد رده المجلسي طاب ثراه وأنّ القاتل كان هو المامون لا غير . انظر البحار ٤٩ /٣١١ ـ ٣١٣ . والحق ما قاله المجلسي طاب ثراه .

١٦ ـ أطفأ اللّه نُورَكَ

دخـل ابن أبي سعيد المكاري على الرضا عليه السلام فقال له: أَبَلَغَ الله من قدرك أن تدّعي مـا ادّعى أبوك ؟ فقـال له : « مـا لك أطفـأ الله نـورك ، وأدخل الفقـر بيتك ، أمـا علمت أنّ الله تبـارك وتعـالى أوحى إلى عمـران إنّي واهب لك ذكـراً فوهب لـه مريم ووهب لمـريم عيسى فعيسى من مــريم ومـريم وعيسى شيءٌ واحــدٌ وأنـا من أبي وأبي منّي وأنا وأبي شيءٌ واحد . . . »[١] .

قـال ابن منظور : طفئت النّـار تطفـأ طفأ ، وطفوءاً : ذهب لهبهـا وأطفأها هو وأطفأ الحـرب ، منه على المثـل . وفي التنزيـل العزيـز : ﴿ **كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفـأها الله** ﴾[٢] . أي أهمـدها حتّى تبـرد وقال :

وكـانت بين آل بني عـديّ   ربـاذيـةٌ ، فـأطفـأهـا زيـاد

والنّـار إذا سكن لهبها وجَمْـرهـا بعـدُ فهي خـامـدة ، فـإذا سكن

---

(١) عيون الأخبار للصّدوق ١ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) سورة المائده : الآية / ٦٤ .

لهبها وبرد جمرها فهي هامدة وطافئة[1] . وجاء القرآن الكريم بالكلمة في مواضع منها: قوله تعالى : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره** ﴾[2] مَثَّلَتْ حالهم بحال من ينفخ في نور الشّمس بفيه ليطفئه [3] .

والحديث الرّضويّ خرج دعاءً على ابن المكاري اللّعين المعترض على الإمام الرّضا عليه السلام أن يكون إماماً للناس كما كان أبوه الكاظم عليه السلام . فمثّل له مريم وابنها عيسى عليهما السلام وأنهما شيءٌ واحدٌ وكذا الرّضا وأبوه شيءٌ واحدٌ وهذه الوحدة قد أشار إليها أمير المؤمنين حين الوصيّة لابنه الحسن عليهما السلام بقوله : « وجدتُك بعضي بل وجدتُك كلّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني »[4] .

قال ابن أبي الحديد : أخبر عن شدّة اتّحاد ولده به ، فقال « وجدتُك بعضي » ، قال الشّاعر :

وإنّما أولادنا بيننا . أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبّت الرّيح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض[5]

ويمكن أن تكون الوحدة إشارة إلى الاتحاد الرّوحيّ المعنويّ أيضاً ويدلّ عليه حديث « أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد ، وآخرنا

---

(1) اللسان ١ / ١١٤ - ١١٥ في (طفأ) بينهم ربـاذية أي شر . اللسان ٣ / ٤٩١ ، في (ربذ) .
(2) سورة الصفّ : الآية / ٨
(3) تفسير الكشّاف ٤ / ٥٢٥ .
(4) النّهج ١٦ / ٥٧ ، الوصيّة ٣١ .
(5) شرح النّهج ١٦ / ٦١ .

محمّد »(١) . إذ الاتحاد المحمّدي اتّحادهم عليهم السلام في الولاية المطلقة الكبرى الّتي يشترك فيها الرّسول صلى الله عليه وآله معهم ويمتاز عنهم بالرّسالة وقد ذكر السّيّد شبّر ذلك وعده من وجوه الحديث(٢) .

---

(١) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .

(٢) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

والمكاري هو الحسين بن أبي سعيد من رؤساء الواقفة ومن أعداء الله عزّ وجلّ قد ترجمه الكّشي في كتاب معرفة الرّجال ٤٠٥ تحت رقم ٧٦٠ ، ومعجم رجال الحديث ٥ / ١٧٩ ـ ١٨٠ .

١٧ ـ اعذر أخاك على ذنوبه

من أبيات رواها الشيخ الصّدوق طاب ثراه قال : حدّثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ قال : أخبرني أبو بكر أحمد بن محمّد بن الفضل المعروف بابن الخبّاز سنة أربع عشرة وثلاثمائة قال : حدثنا ابراهيم بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن الحسين كاتب أبي الفيّاض عن أبيه قال : حضرنا مجلس علي بن موسى ـ عليهما السلام ـ فشكى رجلٌ أخاه فأنشأ يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه   واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بَهْت السّفيه   وللزّمان على خطوبه
ودع الجواب تفضّلاً   وكِلِ الظّلوم إلى حسيبه[١]

والتّصديق لذلك ما أنشده عليه السلام في الحلم كما في رواية الصّدوق أيضاً نذكرها مع حذف السند :

« إنّ المأمون قال له : هل رويت من الشّعر شيئاً فقال : قد رويت منه الكثير ، فقال : أنشدني أحسن ما رويته في الحلم فقال :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ .

إذا كـان دونـي مـن بُـليـت بـجـهـله
أبـيـت لـنـفـسـي أن تـقـابـل بـالـجـهـل
وإن كـان مـثـلي فـي محـلّي من الـنّـهـي
أخـذتُ بـحـلمـي كي أجـلّ عـن الـمِـثـل
وان كـنتُ أدنـىٰ منـه في الـفـضـل والـحـجىٰ
عـرفـت لـه حـقّ الـتّـقـدّم والـفـضـل[1]

من الخُلق الرّفيع أن يحلم عن جهل الجهّال إذا أرادوا النّيل منه وقد جاء في حديث عنوان البصريّ المطوّل نذكر منه ما يمسّ المقام أوصاه الصّادق عليه السلام بتسعة أشياء ثلاثة في الرّياضة، وثلاثة في العلم وثلاثة في الحلم قال عليه السلام :

« وأمّا اللواتي في الحلم : فمن قال لك : إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : إن كنتَ صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء »[2] .

أمّا قبول العذر ففي علويّ : « اقبل عذر أخيك وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً »[3] . وسجاديّ : « ولا يعتذر إليك أحد إلّا قبلت عذره ، وإن علمت أنّه كاذبٌ ، وليقلّ عيب النّاس على لسانك »[4] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٢ .
(٢) البحار ١ / ٢٢٦ .
(٣) البحار ٧٤ / ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٤) البحار ٧٨ / ١٤٢ .
والرّوايات في المقام بكثرة لا يسع ذكرها وإنّه من كرم النّفس العفو عمّن ظلم والحلم عمّن جهل .

١٨ ـ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى

من رواية الصّدوق المطوّلة في مناظرة الرّضا عليه السلام بسنده الى الحسن بن محمد النّوفلي ثم الهاشمي مع جاثليق رئيس النّصارى ورأس الجالوت اليهودي ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر وما كلّم به عمران الصّابي في التّوحيد عند المأمون :

« فقال عمران الصّابي : أخبرني عن الكائن الأوّل ، وعما خلق ، قال عليه السلام : سألت فافهم ، أمّا الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك ، ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيءٍ أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شي حذاه ولا مثّله له(١) فجعل من بعد ذلك الخلق صفوةً وغير صفوةً واختلافاً وائتلافاً وألواناً وذوقاً وطعماً لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به ، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران ؟ قال : نعم والله يا سيدي ، قال عليه السلام : واعلم يا عمران إنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلاّ من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ؛ لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى ، والحاجة يا عمران لا يسعها لأنه [كان] لم يحدث

(١) في نسخة « ولامثله » هامش التوحيد : ٤٣١ .

من الخلق شيئاًإلّا حدثت فيه حاجة أخرى ، ولذلك أقول : لم يخلق الخلق لحاجة ، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضّل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضّل ولا نقمة منه على من أذلّ فلهذا خلق . . . »[١] .

وإنّما نقلنا ما قبل الكلمة المنشودة وكذا بعدها لربط الكلام .

وحاصل سؤال عمران أمران . الأول : عن التوحيد للكائن الأول . الثاني عن خلقه الخلق ، فأجاب عليه السلام عن السؤال الأول بقوله أما الواحد فلم يزل واحدا الى كلمة « ولا يزال كذلك » . وعن السؤال الثاني من قوله عليه السلام : « ثم خلق خلقاً » إلى آخره فتدبر .

والغرض من تفصيل الجواب عن الثاني نفي الحاجة عن الباري تعالى وأنّه غنيّ دائماً قبل خلق الخلق وبعده وإلّا لكان الواجب أن يزيد في الخلق بأضعاف ذلك لأمور

منها : أنّ الأعوان كلّما ازدادوا كان صاحبهم أقوى إذ بازديادهم تقل الحاجة إلى أن ترتفع من البين .

ومنها : أنّ كلّما أحدث شيئاً من الخلق لرفع حاجته حدثت فيه تعالى حاجة اخرى فلا بدّ أن يستمرّ في الزيادة لرفعها والكلّ باطل لغناه الذّاتي نعم نقل الحاجة فيما بين الخلق بعضهم إلى بعض بلا نقمة من هذا أو تفضيل لذاك بل طبع الممكن يتطلّب ذلك وتعالى الله عن كلّ ذلك .

واستخرجنا الكلمة الجارية[٢] لأنها من الحِكم فتدبرها .

---

(١) التّوحيد : ٤١٧ و ٤٣٠ ـ ٤٣١ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٣٧ .
(٢) اي: « الاعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى » .

١٩ ـ أغد على بركة الله عزّ وجلّ

قال الصّدوق حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدّثني محمد بن الحسن الصّفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي نصر البزنطي قال بعث الرضا عليه السلام إليّ بحمار فركبته وأتيته فأقمت عنده بالليل إلى أن مضى منه ما شاء الله ، فلمّا أراد أن ينهض قال لي : لا أراك تقدرعلى الرّجوع إلى المدينة قلت : أجل جعلت فداك ، قال : فبت عندنا اللّيلة واغد على بركة الله عزّ وجلّ ، قلت : أفعل جعلت فداك قال : يا جارية افرشي له فراشي واطرحي عليه ملحفتي الّتي أنام فيها وضعي تحت رأسه مخدّتي ، قال : فقلت في نفسي من أصاب ما أصبت في ليلتي هذه لقد جعل الله لي من المنزلة عنده وأعطاني من الفخر ما لم يعطه أحداً من أصحابنا بعث إليّ بحماره فركبته وفرش لي فراشه وبتُ في ملحفته ووُضعَتْ لي مخدته ما أصاب مثل هذا أحدٌ من أصحابنا ، قال وهو قاعد معي وأنا أحدّث نفسي فقال عليه السلام لي يا أحمد إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى زيد بن صوحان في مرضه يعود[ه] فافتخر على الناس بذلك قال فلا تذهبن نفسك إلى الفخر وتذلّل لله عزّ

وجلّ ، واعتمد على يده فقام عليه السلام »[1] .

هذه الكلمة المباركة قد تكرّرت في أحاديثهم عليهم السلام منها حديثه الأخر وفيه عن ابن بزيع قال « كان عندي جاريتان حاملتان فكتبت إلى الرّضا عليه السلام أُعلمه ذلك وأسأله أن يدعو الله تعالى أن يجعل ما في بطونهما ذكرين وأن يهب لي ذلك قال : فوقع عليه السلام أفعل إن شاء الله تعالى ثم ابتدأني عليه السلام بكتاب مفرد نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإيّاك بأحسن عافية في الدّنيا والآخرة برحمته الأمور بيد الله عزّ وجلّ يمضي فيها مقاديره على ما يحبّ يولد لك غلام وجارية إن شاء الله تعالى فسمّ الغلام محمّداً والجارية فاطمة على بركة الله تعالى فولد لي غلام وجارية على ما قاله عليه السلام »[2] .

وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام : « فسر على بركة الله . . . »[3] وبصيغة الجمع : « سيروا على بركة الله » له عليه السلام[4] وفي حديث عنوان البصري « إذ خرج خادم فقال : ادخل على بركة الله »[5] . ويماثلها من جهة « سر على اسم الله يا حصين »[6] . و « تقدم باسم الله والبركة »[7] من الكلمات السائرة

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٤ ، البحار ٤٩ / ٣٦ ـ ٣٧ ، ٤٩ .
(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٠ في دلالات الرّضا عليه السّلام باب ٤٧ .
(٣) النّهج ١٥ / ٩٢ ، الوصيّة ١٢ وصى بها معقل بن قيس الرياحي .
(٤) وقعة صفّين ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٥) البحار ١ / ٢٢٥ .
(٦) وقعة صفّين ٢٣٠ .
(٧) المصدر ص ٤٤٢ .

المقولة تيمناً وتفائلاً عند الشخوص والحركة .

قال ابن الأثير : من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه . وتطلق البركة على الزيادة[1] . والمبارك من أسماء الله تعالى[2] .

(١) النّهاية ١ / ١٢٠ ، في « برك » .
(٢) أي المقدّس الطّاهر الممدوح ومنه ﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾[٦/٩٢] وإنّما سماه مباركاً لأنه ممدوح ، كلّ من تمسك به نال الفوز ، ولأنّ قرائته خير ، والعمل به خير . . . مجمع البحرين في « برك » .

٢٠ ـ أفضل المال ما وُقي به العرض

روى المجلسي رحمه الله تعالى من قصار كلمات الرّضا عليه السلام :

« أفضل المال ما وُقي به العرض »[١] :

الكلمة الرّضوية من الأمثال السائرة أو ما يقرب منها : ومن المثل السائر : « خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك »[٢] . و « خير مالك ما نفعك »[٣] وتضاهي لبعض الكلمات المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام : « خير أموالك ما وقي عرضك »[٤] . بل هي هي مع تغيير ما . لأن « خير أموالك ما وقى عرضك » و « أفضل المال ما وقي به العرض » المعنى واحد نعم « خير مالك ما نفعك » المثل السائر المتقدم الذكر عام يشمل وقاية العرض وغيرها ، والمال النّافع منه أن يصون به النّفس والعرض .

والمراد بالعرض الأهل من زوجته وولده ، وماء وجهه أيضاً من العرض بأن يصونه من أن يقطره بالمسألة .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٥ .

(٢) أمثال وحكم ٢ / ٧٦٧ .

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٢٤١ ، حرف الخاء .

(٤) غرر الحكم ١٧١ ، بلفظ الخير .

وقد يطلق على غير ذلك كما جاء في النّبويّ : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ قالوا : يا رسول الله وما أبو ضمضم ؟ قال : رجل كان ممّن قبلكم كان إذا أصبح يقول : اللّهمّ إنّي أتصدّق بعرضي على النّاس عامّة » .

وقال المحدّث القمي بعد نقل الحديث : اعلم أنّه قد صرّح الفقهاء بأنّ من أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من حدّه ، وما روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله : « أيعجز أحدكم ان يكون كأبي ضَمضَم » الخ ، معناه أنّي لا أطلب مظلمة في يوم القيامة ولا أخاصم عليها ، لا أنّ غيبته صارت بذلك حلالاً انتهى[1] .

وقد ذكرناه في الأمثال النّبويّة[2] ولعلّ كلمة « العرض » في النّبويّ تؤول إلى المعنى السّابق لا أنّه معنى يضادّه .

والشّيخ الحرّ قد عقد بابا من كتابه سمّاه « باب وجوب بذل المال دون النّفس والعرض ، وبذل النّفس دون الدّين » وروى خمس روايات فيه منها العلويّ : « إنّ أفضل الفعال صيانة العرض بالمال »[3] والنّبويّ : « يا عليّ أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها اللّهمّ أعنه [إلى أن قال :] والخامسة : بَذْلُك مالك ودمك دون دينك »[4].

أقول :

حديث : « أفضل الفعال صيانة العِرْض بالمال » موافق له الرّضويّ المبحوث عنه كلّ ذلك عند عدم المزاحمة للدين وإلاّ فالدين مقدّم

---

(١) الكنى والألقاب ١ / ١٠٧ في أبي ضمضم ، السّفينة ٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ في (عفا) ، وفي (ضمضم) .

(٢) ج ١ / ٢٨١ ، رقم المثل ١٨٨ ، حرف الهمزة مع الياء .

(٣) الوسائل ١١ / ٤٥١ .

(٤) المصدر ص ٤٥٢ .

٢١ ـ الافول من صفات المحدث

في حديث مطول وفيه مسائل المأمون العباسي وأجوبة الرّضا عليه السّلام عنها رواه الشّيخ الصّدوق طاب ثراه منها :

«وقال المأمون: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً[1] فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في حقّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ **فلما جنّ عليه اللّيل رأى كوكباً قال هذا ربى** ﴾[2] ، فقال الرّضا عليه السّلام : إنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقع إلى ثلاثة أصناف : صنف يعبد الزّهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشّمس وذلك حين خرج من السرب[3] الّذي أخفى فيه ﴿ **فلما جنّ عليه اللّيل** ﴾ فرأى الزّهرة ، قال : ﴿ **هذا ربّى** ﴾ على وجه الإنكار والاستخبار ﴿ **فلّما أفل** ﴾ الكوكب : ﴿ **قال لا أحبّ الآفلين** ﴾ ؛ لأنّ الأفول من صفات المُحدَث لا من صفات القدم ﴿ **فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربّى** ﴾ على الإنكار والإستخبار : ﴿ **فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضّالين** ﴾ يقول : لو لم يهدني ربّي لكنت من

---

(١) لو كانت شهادته حقّاً لما غصب حقّ الرّضا عليه السّلام .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٧٦ .

(٣) هو النَّفَق في الأرض .

القوم الضالين فلما أصبح ﴿ ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر ﴾ من الزّهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار ، ﴿ فلما أفلت ﴾ قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشمس : ﴿ يا قوم إنّي بريء مما تُشركون * إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[1] . وإنّما أراد إبراهيم بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحقّ لما كان بصفة الزّهرة والقمر والشّمس ، وإنّما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض ، وكان ما احتج به على قومه ممّا ألهمه الله عزّ وجلّ وآتاه كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾[2] . فقال المأمون : لله درك يا بن رسول الله . . . »[3] .

إنّما أوردنا السؤال وجوابه كملاً لإكمال الفائدة ، وأمّا باقي الأسئلة وأجوبتها المذكورة في هذا الحديث فله مقام آخر .

ثم الأفول : الغروب والغيبوبة قال القائل :

فدع عنك سُعدى إنّما تُسعف النّوى   قِران الثّريا مرّةً ثمّ تأفلُ[4]

وهو آية حدوث الآفل وصفته كما قال عليه السلام لا يصاحب القدم ولا يعرضه عقلاً بل يمتنع وبه الدّلالة على أزليّته تعالى وقدمه . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه ،

---

(١) انظر سورة الأنعام : الآية / ٧٨ ـ ٧٩ .
(٢) سورة الأنعام : الآية / ٨٣ .
(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٥٦ ـ ١٥٧ ، التوحيد ٧٤ ـ ٧٥ .
(٤) معجم مقاييس اللّغة ١ / ١١٩ ، في (أفل) .

وبحـدوث خلقـه على وجـوده . . . مستشهـد بحــدوث الأشيـاء على أزليّتـه ، وبما وسمهـا به من العجـز على قدرتـه ، وبما اضـطرّها إليـه على دوامه »[1] .

وللمعتزلي سؤال وجواب حوله فراجع[2] .

---

(١) النَهج ١٣ / ٤٤ ، الخطبـة ٢٣١ ، أولها « الحمــد لله الـذي لا تـدركـه الشواهد . . . » .
(٢) شرح النَهج ١٣ / ٤٥ .

٢٢ ـ أفيعد ما لا يفي به ؟

روى الصّدوق حديث مناظرة الإمام الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في إرادة الله جلّ جلاله هل هي فعل أم صفة ؟ منها ما يلي :

« وما الدليل على أنّ إرادته علمه ؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك** ﴾[١] . فهو يعلم كيف يذهب به ولا يذهب به أبداً ، قال سليمان : لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً ، قال الرضا : هذا قول اليهود ، فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿ **ادعونى استجب لكم** ﴾[٢] . قال سليمان : إنّما عنى بذلك أنّه قادرٌ عليه ، قال عليه السلام : أفيعد ما لا يفي به ؟! فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿ **يزيد فى الخلق ما يشاء** ﴾[٣] . وقال عزّ وجلّ : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أُمُّ الكتاب** ﴾[٤] . وقد فرغ من الأمر . فلم يحر جواباً »[٥] .

---

(١) سورة الاسراء : الآية / ٨٦ .
(٢) سورة المؤمن : الآية / ٦٠ .
(٣) سورة فاطر : الآية / ١ .
(٤) سورة الرّعد : الآية / ٣٩ .
(٥) عيون الأخبار ١ / ١٥١ ، التوحيد : ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

خلف الوعد في العقول قبيح ولا سيّما من القادر الغنيّ بالذّات بناء على مذهب العدل الّذي يقوله أهله وهم الإماميّة والمعتزلة القائلون بعدم الجبر في أعمال العباد، ولكنّ فرقة المعتزلة اليوم تجدهم في مناظراتهم يذهبون مذهب الأشاعرة الذّاهبين إلى الجبر. وأمّا اليهود فيقولون بأنّ الله عزّ وجلّ قد فرغ من الأمر وفوّض كلّ شيءٍ إلى العباد وسليمان المروزي في مناظرته الآنفة الذّكر يذهب مذهب اليهود الزّاعمين بأنّه جلّ جلاله قد فرغ من الأمر فردّه الرّضا عليه السلام بما لم يحر جواباً بآي من القرآن الكريم النّاطقة على ضدّ قوله وسليمان قد استاد بالتمسّك بقول اليهود الباطل ولا يؤمن بالحقّ شأن الجاهل المكابر حتّى بعد سطوع البرهان وحكم العقل السّليم بأن القول بالفراغ من الأمر إنكار للقدرة المطلقة الذّاتية قال تعالى فيما اقتصّ عن اليهود : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** . . . ﴾[1] .

ومن هنا يتجه السّؤال :

لماذا يُطريه المأمون وأنّه متكلم خراسان ؟ والجواب أنّ الغاية من الإطراء لأمثال سليمان الخداع وإرادة الفتك به عليه السلام إن قيل إنّه عدليّ[2]، لا يهوديّ المسلك الأعمى ؛ وحبّ الرّئاسة هو الّذي يُعمي ويصمّ كائناً من كان .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٦٤ .

(٢) نسبة إلى العدل أي قائل به وبأصل الحسن والقبح العقليين .

٢٣ ـ الآن جئت بالنّصفة

روى الصّدوق مجلس الرّضا عليه السّلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر . . .

بإسناده عن الحسن بن محمد النّوفلي قال : « ثم التفت ـ أي المأمون ـ إلى جاثليق فقال : يا جاثليق هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبيّنا وابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فأحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه، فقال الجاثليق : يا أمير المؤمنين كيف أحاجّ رجلا يحتجّ عليّ بكتابٍ أنا منكره ونبيّ لا أؤمن ؟ فقال له الرّضا عليه السّلام : يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به ؟ قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ؟ نعم والله أقرّ به على رغم أنفي ، فقال له الرّضا عليه السلام : سل عمّا بدا لك ، وافهم الجواب ، قال الجاثليق : ما تقول في نبوّة عيسى عليه السلام وكتابه هل تنكر منهما شيئاً ؟ قال الرّضا عليه السّلام : أنا مقرٌّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشّر به أمّته وأقرّ به الحواريّون ، وكافرٌ بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشّر به أمّته قال الجاثليق : أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل ؟ قال : بلى ، قال : فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على

نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا ، قال الرضا عليه السّلام : الآن جئت بالنصفة يا نصراني . . . . »[1] .

كلمة : « الآن جئت بالنصفة » نظير آية : ﴿ **آلْئٰن جِئت بالحق** ﴾[2] . وفي القرآن الكريم ثماني آيات ومنها الآية المذكورة جاءت فيها كلمة « الآن » : ﴿ **فـآلْئٰن باشروهن** ﴾[3] . و﴿ **قال إني تبتُ الْئٰن** ﴾[4] . و ﴿ آلْئٰن خفّف الله عنكم ﴾[5] . و ﴿ **آلْئٰن حصحص الحقّ** ﴾[6] . و ﴿ **فمن يستمع الْئٰن يجد له شهاباً رصداً** ﴾[7] . و ﴿ **آلْئٰن وقد عصيت قبل** ﴾[8] . و ﴿ **آلْئٰن وقد كنتم به تستعجلون** ﴾[9] .

وفي الأحاديث منها قول أمير المؤمنين عليه السلام : « الآن إذ رجع الحق إلى أهله »[10] .

ومن الأمثال : « الآن حميَ الوطيس » وهو مثل نبويّ كما قاله

---

(١) التّوحيد ٤١٧ و ٤٢٠ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٦ و ١٢٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٧١ .
(٣) سورة البقرة : الآية / ١٨٧ .
(٤) سورة النّساء : الآية / ١٨ .
(٥) سورة الانفال : الآية / ٦٦ .
(٦) سورة يوسف : الآية / ٥١ .
(٧) سورة الجنّ : الآية / ٩ .
(٨) سورة يونس : الآية / ٩١ .
(٩) سورة يونس : الآية / ٥١ .
(١٠) النهج ١ / ١٣٩ ، الخطبة ٢ .

الميداني[1] . أي حلّ وقته ،ومعنى الكلمة الرضويّة : أنّك أنصفت في هذا الوقت ؛ لأنّ الآن : اسم للوقت الذي أنت فيه وهو ظرف وقع معرفة ولم تدخل عليه لام التعريف لأنّه ليس له ما يشركه كما عن بعض[2] . وقال الخليل : الآن مبنيّ على الفتح[3] وظاهره الدخول ثم الأستعمال علىٰ البناء ، وجمعه الآنات والآناء . ومنه آية : ﴿ **أمّن هو قانت ءاناء الليل ساجداً وقائماً** ﴾[4] . جمع « آن » : وهو اسم لشيءٍ من الوقت وبعد دخول الألف واللام خصّ بالحاضر . قال ابن منظور : وقالوا : الآن فجعلوه اسماً لزمان الحال ثم وصفوا للتّوسّع فقالوا : أنا الآن أفعل كذا[5] . وفي صادقيّ : « فأنا الآن أصليّها إذا سقط القرص »[6] .

وكيف كان إنّ كلمة « الآن جئت بالنّصفة » تطابق قوله تعالى : ﴿ **آلئن جئت بالحق** ﴾[7] .

والنّصفة والنّصف : العدل وهو من الحق وإن كان الحق أشمل ، قال الطريحي : ومنه الحديث : « خافوا الله حتّىٰ تعطوا من أنفسكم النّصف » أي : الإنصاف . ومثله حديث علي عليه السلام : « ولا جعَلوا بيني وبينهم نَصَفاً »[8] . والنَّصف : الذي يَنْصفُ[9] .

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ١٠٥ حرف القاف ، الأمثال النّبويّة ١ / ٣٦ ، رقم ١٥ ، حرف الهمزة .
(٢) اللّسان ١٣ / ٤٢ في « أين » نقلاً عن الجوهري .
(٣) اللّسان ١ / ٤٣ ، في « أين » .
(٤) سورة الزّمر : الآية / ٩ .
(٥) اللّسان ١٣ / ٤١ ، في « أين » .
(٦) الوسائل ٣ / ١٢٩ .
(٧) سورة البقرة : الآية / ٧١ .
(٨) مجمع البحرين في (نصف) ، والعلويّ في النّهج ١ / ٣٠٣ ، الخطبة ٢٢ .
(٩) شرح النّهج للمعتزلي ١ / ٣٠٤ .

وجاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام الاهتمام بالإنصاف منها العلويّ في قول الله تعالى : ﴿ **إنّ الله يأمر بالعدل والإحسن** ﴾[1] . « العدل : الإنصاف ، والإحسان : **التّفضّل** »[2] . والصّادقيّ : « ألا أخبرك بأشدّ ما افترض الله على خلقه ؟ إنصاف النّاس من أنفسهم ، ومواساة الإخوان في الله عزّ وجلّ ، وذكر الله على كلّ حال فإن عرضت له طاعة الله عمل بها، وإن عرضت معصيته تركها »[3] . والعلويّ : « ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له »[4] ، والآخر : ألا من ينصف النّاس من نفسه لم يزدده الله إلا عزّاً »[5] .

والخوف في السّرّ يسبّب حصول النصف كما في كاظمي : « وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف »[6] .

إنّ العزّة مشهودة لمن أنصف الناس من نفسه حتى الكافر فتجد المعصوم عليه السلام يشهد للنصراني بأنّه جاء بالنّصفة حين طلب منه أقامة شاهدين من غير أهل ملّته على نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وكذا النّصراني على نبوّة عيسى عليه السلام فالمنصف وإن لم يكن له دين مبّجلٌ .

ويقابل النّصفة المباهتة والتّسرّع إلى النّيل من صاحبه إبقاء لماء وجهه ولم يدر المباهت المتعنّت أن ترك الإنصاف ذاهب به

---

(١) سورة النحل : الآية / ٩٠ .
(٢) البحار ٧٥ / ٢٩ .
(٣) البحار ٧٥ / ٢٦ .
(٤) البحار ٧٨ / ٨٠ .
(٥) البحار ٧٥ / ٣٣ .
(٦) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

وسبب لسقوطه عن الأنظار، ولعمر الحق أنّ الآية الآمرة بالعدل والإحسان ـ والعدل هو الإنصاف كما نصّ عليه في الحديث المتقدّم ـ ، كافية لمن أنصف وإلاّ فلم تُغنه كتب السّماء وإنذار المنذرين ، ولا شيء من الأشياء ؛ لأنّ المباهت المتعنّت يمنعه تعنّته من قبول الحقّ ولازمه الجحود المفضي به إلى الكفر .

٢٤ - إلى حيث وجّهتني

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده عن أبي الصّلت الهروي في حديث عن الرّضا عليه السلام قال فيه :

« يا أبا الصّلت غداً أَدْخلُ على هذا الفاجر ، فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرّأس فتكلّم أكلّمكَ ، وإن أنا خرجت وأنا مغطى الرّأس فلا تكلّمني . قال أبو الصّلت :

فلّما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس فجعل في محرابه ينتظر فبينا هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون ، فقال له : أجب أمير المؤمنين فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعه حتى دخل [على] المأمون : وبين يديه طبقٌ عليه عنبٌ وأطباق فاكهة وبيده عنقود قد أكل بعضه وبقي بعضه ، فلّما أبصر بالرّضا ـ عليه السّلام ـ وثب إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه معه ثمّ ناوله العنقود ، وقال : يا ابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا ، فقال له الرّضا ـ عليه السلام ـ ربّما كان عنباً حَسناً يكون من الجنّة، فقال له: كل منه ، فقال له الرّضا ـ عليه السّلام ـ :تعفيني منه فقال : لا بد من

ذلك وما يمنعك منه لعلّك تتّهمنا بشيء فتناول العنقود فأكل منه ثمّ ناوله فأكل منه الرّضا ـ عليه السلام ـ ثلاث حبّات، ثمّ رمى به، وقام، فقال المأمون : إلى أين ؟ فقال : إلى حيث وجّهتني ، فخرج عليه السلام مغطّى الرّأس فلم أكلّمه حتّى دخل الدّار ، فأمر أن يغلق الباب ، ثم نام على فراشه . . . »[1] .

قوله عليه السلام : « إلى حيث وجهتني » كناية عن قتله إيّاه والظّفر بما أراد من مجيىء الإمام عليه السلام .

والكلمة بعده سارت مثلاً تقال فيمن نوى السّوء بآخر من طريق الخداع يعلم به المخدوع ، وكذلك المأمون رأس الخادعين وعفريت هذه الأمّة[2] لم ينو بالإمام عليه السلام منذ رآه إلى يوم قتله إلاّ السّوء والخداع .

ومن الغريب توقّف بعض أصحابنا في أنّه قاتله وقد ذهب الصّدوق والمفيد رحمهما الله تعالى وغيرهما إلى أن قاتل الرّضا عليه السّلام هو المأمون العبّاسي[3] وما قدّمه من تبجيل ظاهر وولاية العهد المفروض قبولها على الإمام عليه السلام كان خداعاً محضاً أراد بذلك كلّه السّوء به حتّى جميع المناظرات ومجموعها تسعة مع أرباب المذاهب وعلماء الكلام الذين جمعهم المأمون وأمرهم بها رجاء الغلبة عليه عليه السلام وكسره ، ولم يعلم أو علم ولكنّه تجاهل أنّه حجّة الله البالغة ونوره الّذي أراد إتمامه ولو كره الكافرون

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، باب ٦٣ .

(٢) كما في خبر اللّوح : « يقتله عفريت مستكبر . . . » عيون الأخبار ١ / ٣٥ ، باب ٦ .

(٣) البحار ٤٩/٣٣١ ـ ٣١٣ .

وكما قال عليه السلام لأصحابه الّـذين يثق بهم : « ولا تغتروا بقـوله ، فمـا يقتلنيِ والله غيره ، ولكنـه لا بدّ لي من الصّبـر حتى يبلغ الكتـاب أجله »[1].

وأكثر من مرّة قد أخبر بـأنّ المأمـون قاتله ، فلم يبق شـوب شكّ أنّه هو .

(١) عيـون الأخبـار ٢ / ١٨٣ ، وحـرف الحـاء مـع التّـاء نـفس « حتـى يبلغ . . . » .

٢٥ ـ الإمام البدر المُنير

في الرِّوايةالمطوّلة في فضل الإمام وصفاته عن الرِّضا عليه السّلام :

« الإمام كالشمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار ، الإمام البدر المُنير ، والسّراج الزّاهر ، والنّور السّاطع . . . »[١]

وزّعنا هذه الرّواية على عدد من الأمثال المذكورة فيها منها : « الإمام كالشّمس الطّالعة »[٢] قال الشيخ الطّريحي : سمّي البدر أعني القمر ؛ لأنّه يبدر الشّمس : أي يسبقها بطلوعه . وقيل : سمّي بدراً لتمامه وامتلائه ، وكلّ شيءٍ تمّ فهو بدر . وليلة البدر ليلة أربعة عشر[٣] .

البدر أحد تشكّلات القمر الحاصلة من قربه من الشّمس أو بُعده وقد نقل الشّيخ المجلسي في كتاب السّماء والعالم علل ذلك

(١) حرف الهمزة مع الرّاء : وأصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .
(٣) مجمع البحرين في (بدر) .

عن بعضهم قال :

ذهبوا إلى أنّ جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشّمس الضّوء لكثافته، وينعكس عنه لصقالته، فيكون أبداً المضيء من جرمه الكرويّ أكثر من النّصف بقليل، لكون جرمه أصغر من جرم الشّمس، وقد ثبت في الأصول أنّه إذا قبل الضّوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصّغرى أعظم من نصفها، وتفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تُسمّى دائرةً النور: وتفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تُسمى دائرة الرؤية، وهي أيضاً قريبة من العظيمة؛ لما ثبت في«٢٤»من مناظر اقليدس أنّ ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها ، وهاتان الدّائرتان يمكن أن تتطابقا ، وقد تتفارقان إمّا متوازيتين ، أو متقاطعتين ، أو لاذا ولا ذاك ، وقد تُؤخذان عظيمتين ؛ إذ لا تفاوت في الحسّ بين كلّ منهما وبين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً ، فإذا اجتمعت الشّمس والقمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا وتطابق الدائرتان وهو المحاق فإذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدّائرتان على حوادّ ومنفرجات ، فإذا بعد منها قريباً من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدّائرتين في جهة الحادّتين اللّتين إلى صوب الشّمس وهو الهلال ، ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشّمس والحوادّ تتعاظم والمنفرجات تتصاغر حتّى يصير التّقاطع بين الدّائرتين على قوائم ، ويحصل التّربيع فيرى من الوجه المضيء نصفه ، ولا يزال يتزايد المرئيّ من المضيء ، ويتعاظم انفراج الزاويتين إلى وقت الإستقبال ، فتطابق الدائرتان مرّة ثانيةً ويصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معاً وهو البدر .

ثم يقع التّقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أولاً ثم على قوائم ثانياً وحصل التّربيع الثاني . ثم يؤول الحال إلى التطابق

فيعود المحاق ، وهكذا إلى ما شاء الله[١] .

من ذلك كلّه جاء التّشكّل إلى الهلال ، والبدر ، والتّربيع ، والمحاق والكلّ قمر باسمه الشّامل وإنّما نقلنا الكلام لبيان موقع البدر وقد علم أنّ القمر بماله من أشكال ، مستنيرٌ بنور الشمس فهي الأصل لها .

وكذلك بدر الإمامة وقمرها مستنيرٌ من نور شمس النبوة كما جاء تمثّلها بالشّمس وتمثّل الإمامة بالقمر في الحديث النّبويّ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

« صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الفجْر ثم انفتل وأقبل علينا يحدّثنا فقال : أيها النّاس من فقد الشّمس فليتمسك بالقمر ، ومن فقد القمر فليتمسّك بالفرقدين قال فقمت أنا وأبو أيّوب الأنصاري ومعنا أنس بن مالك فقلنا يا رسول الله من الشّمس ؟ فقال : أنا فإذا هو صلى الله عليه وآله ضَرَبَ لنا مَثَلاً فقال : إنّ الله خلقنا بمنزلة نجوم السّماء كلّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ فأنا الشّمس فإذا ذهب بي فتمسّكوا بالقمر ، قلنا فمن القمر ؟ قال : وصيّي ووزيري وقاضي ديني وأبو ولدي وخليفتي في أهلي عليّ بن أبي طالب ، قلنا فمن الفرقدان ؟ قال : الحسن والحسين ثم مكث مليّاً وقال : فاطمة هي الزّهرة وأهل بيتي هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفترقان حتّى يراد عليّ الحوض »[٢] .

ومنه يتجلّى التمثيل بالبدر ويزيدك وضوحاً الصّادقيّ في تفسير ﴿ **والشّمس وضحٰها * والقمر إذا تلٰها** ﴾[٣] . قال : « الشّمس

(١) البحار ٥٨ / ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) امالي ابن الشيخ الطوسي ٢ / ١٣٠ ـ ١٣١ الأمثال النبوية ٢ / ٢٨١ ، رقم المثل : ٥٧٦ ، حرف الميم مع النون .

(٣) سورة الشمس الآية / ١ ـ ٢ .

رسول الله ، والقمر أمير المؤمنين »[1] وقد ذكرنا عند المثل : « الإمـام كـالشّمس الطالعـة » ما لـه علقة بـالبحث الجاري فـراجع[2] والـوجـوه الّتي يمكن أن تكون سبب التّمثيل بذلك .

---

(١) تفسير البرهان ٤ / ٤٦٧ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .

٢٦ ـ الإمام السّحاب الماطر

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بإسناده عن الرّضا عليه السّلام كلامه المشتمل على خصائص الإمام والإمامة ، ومنه قوله عليه السلام .

« الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة . . . »[1] .

« الشّمس المضيئة » تفسيرها مذكور في تمثيل : « الإمام كالشّمس الطّالعة » . فراجع[2] و « السّحاب الماطر » ، فيه جهات ثلاث من البحث : شرح المفردات . ذكر الأمثال المتناسبة من كلمات الأدباء . والثالثة بيان الغرض من التمثيل .

الجهة الأولى :

السّحاب واحده السّحابة : التي يكون عنها المطر سميّت بذلك لانسحابها في الهواء قال ابن منظور : وخليق أن يكون سحب

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

جمع سحاب الّذي هو جمع سحابة فيكون جمع جمع وفي الحديث[1] : كان اسم عمامته السّحاب. وسحبان : اسم رجل من وائل كان لسناً بليغاً يضرب به المثل في البيان والفصاحة. وسحابة : اسم امرأة قال :

* أيا سحابُ بشّري بخير *[2]

والماطر من المطر قال ابن منظور : المطر : الماء المنسكب من السّحاب ، والمطر ماء السّحاب والجمع أمطار ومطر اسم سمي به من حيث سمّي غيثا[3] .

قال الطّريحي : وكان عليّ عليه السلام يقول في المطر : « إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله أن ينبت ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى سماء الدّنيا فيلقيه إلى السّحاب والسّحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي إلى الرّيح أن أطجنيه وأذيبيه[4] ذوبان الماء ثم انطلقي إلى موضع كذا وكذا وما من قطرةٍ تقطر إلاّ ومعها ملك حتّى يضعها موضعها ولن ينزل من السماء قطرة إلاّ بعدد معدود معلوم »[5] . والغيث قسم من المطر والهاطل من الهطل : نتابع المطر المتفرق العظيم القطر وهو مطر دائم مع سكون وضعف

---

(١) ومنه النّبويّ : « أتاكم عليّ تحت السّحاب » . مكارم الأخلاق ٣٧ ، وفيه أيضاً بلفظ : « أتاكم عليّ في السّحاب » .

(٢) اللّسان ١ / ٤٦٠ في (سحب) .

(٣) اللّسان ٥ / ١٧٨ ، في (مطر) .

(٤) «أطجنيه» من الإطجان والطّجن : القلى . و « أذيبيه » من الإذابة .

(٥) مجمع البحرين في (مطر) وللحديث شرح ليس هنا محلّ ذكره .

وقيل : تتابع القطر المتفرّق العظام [1]

الجهة الثانية :

« السحاب الماطر » يقال لمن يرجى إفضاله ، وإذا احتجبت السماء بالسحاب جاء الرجاء قال أبو تمام :

* أنّ السماء ترجى حين تحتجب *

وقد شبّه المطر ببكاء السماء :

إنّ السّماء إذا لم تبك مقلتها
لم تضحك الأرض عن شيءٍ من الزّهر

وإذا أريد المثل بالأخذ من القلة إلى الكثرة قيل :

* وأوّل الغيث رش ثمّ ينسكب *[2]

وللقوم كلمات حول السّحاب والرّعد والبرق والمطر لا يناسب المقام إلّا ما كان فيه نوع من الرّبط ، من ذلك قول ابن عبّاس ، « المطر بعل الأرض » أي يلقحها . وفرّ فلان من القطر ، وقعد في الميزاب .

* ومن يسدّ طريق العارض الهطل *

وسبق سيله مطره .

(١) اللسان ١١ / ٦٩٨ ، في (هطل) .
(٢) التّمثيل والمحاضرة ٢٣٦ .

* قبل السحاب أصابني الوكفُ *

* سحاب عدا في فيضه وهو صيّبُ *

والصّيّب : السّحاب ذو المطر .

ابن الروميّ :

لكم علينا امتنان لا امتنان به   وهل تمنّ سماواتٌ بـأمطار

وقال غيره :

والله ينشي سحـاباً تـطمئن بـه النّـ   ـفوس من قبل بلّ الأرض بالمطر

منصور الفقيه :

فـامنن بما شئت من نـوال   إن لم يكن وابل ، فطلّ [1]

وقال أبو عيينة :

أبــوك لـنــا غيـث نـعـيش بــظله   وأنت جـراد لست تبقى ولا تــذر

وكنت فـيهـم كـمـمــطور ببـلدتــه   يسـر أن جمـع الأوطــان والمـطرا

وآخر :

ورب جــوادٍ يـمســك الله جــوده   كما يمسك الله السحاب عن المطر

وآخر :

وإني أرى التـأديب عنـد وجــوبـه   بمنـزلة الغيث الـذي قبله الجدب

وآخر :

(١) إشارة إلى آية : ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ سورة البقرة : الآية ٢٦٥ .

أنـا في ذمّـة السحـاب وأظمـى إن هـذا لوصمـة في السحـاب[1]

الجهة الثّالثة :

الغرض من تمثيل الرّضا عليه السلام الإمام بالسّحاب الماطر بيان النّفع والحياة الطّيّبة فكما أنّ الأرض الميتة يحييها الله عزّ وجلّ بالمطر فتصبح مخضرّة ذات نبات بهيج فتكون بالزّروع والمواشي والأناسي معمورة ومزدهرة كذلك بالإمام وعلومه وفضائله القلوب مبتهجة معمورة قال تعالى : ﴿ **ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضّرةإنّ الله لطيف خبير**﴾[2]. من عظيم الأثر الذى يعقب المطر تعرف عظمة نفعه ولا حياة لذوي الحياة إلاّ بالماء كما قال عزّ من قائل : ﴿ **وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ** ﴾[3] .

والإمام ماء الحياة الأبديّة المباركة جعل الله جلّ جلاله به حياة العباد والبلاد وقال تعالى في آي أخرى منها : ﴿ **وأنزلنا من السّماء ماء فأنبتنا فيها من كلّ زوج كريم** ﴾[4] . قال الفيض :من كلّ صنف كثير المنفعة[5] .

كذلك الإمام هو الماء الّذي ينبت به كلّ زوج كريم بعلومه الحقيقية العين الصّافية وما جاء في الأثر أنّ الحكم إذا صدر تقيّة قيل (أعطاك من جراب النورة لا من العين الصافية)[6] ، وإذا كان حكماً واقعياً

---

(1) التّمثيل والمحاضرة ٢٣٦ ـ ٢٤٠
(2) سورة الحجّ : الآية / ٦٣ .
(3) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠ .
(4) سورة لقمان : الآية / ١٠ .
(5) تفسير الصّافي : ١ / ٣٠٧ .
(6) مجمع البحرين في (نور) .

قيل : (لقد أخذته من عين صافية)[1] . فهو اصطلاح بين الأصحاب وإلاّ فالكلّ هو من عين صافية لأنّ علوم أهل البيت عليهم السلام مستقاة من الرّحمن كما قال السيّد محسن الأمين :

هم أبحر العلم الّتي ما شانها كدر ومجراها من الرّحمن[2].

إنّ الأئمة عليهم السلام يضمنون الحياة الطّيّبة الظّاهرية والباطنيّة للعباد والبشر كلّه إن هم أخذوا بحجرتهم وساروا على ضوءهم، لأنهم الهداة الى الطرق التي تسلك سالكها إلى الجنّة، فمن اتّبع هداهم نجا، ومن تخلّف هوى وقد جاء في دعاء شعبان: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لهم مارق والمتأخّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق »[3] .

ولا يكون المتخلّف إنساناً بل بصورة إنسان يأكل كما تأكل الأنعام . كما قال تعالى : ﴿ **والّذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثوى لهم** ﴾[4] . و ﴿ **إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً** ﴾[5]

---

(١) الوسائل ١٧ / ٥٤٢ ، باب ١ من أبواب ميراث ولاء العتق الحديث ١٦ ، ما معناه .

(٢) المجالس السّنيّة ٥ / ٣٦٨ .

(٣) الإقبال ٦٨٧ .

(٤) سورة محمد : الآية / ١٢ .

(٥) سورة الفرقان : الآية / ٤٤ .

٢٧ ـ الإمام كالشّمس الطّالعة

في رواية الكليني والصّدوق عن الرّضا عليه السلام المشتملة على أوصاف الإمام وفيها عدّة تمثيلات منها قوله عليه السلام :

« الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار »[١] .

هو من أرفع تمثيل ضربه عليه السلام لبيان رتبة الإمام في العالم كله لا ينتظم إلّا به كما أنّ الشمس من مظاهر انتظام العالم لولاها لأختلّ نظم المعاش في النّهار ؛ قال تعالى : ﴿ **وجعلنا النّهار معاشاً** ﴾[٢] . ولانهار إلّا بالشّمس ، كذلك الإمام لولاه لاختلّ نظام القلوب والأرواح ولفقدت أقواتها من العلوم والمعارف وبفقدها الهلاك والإهلاك . هذا أحد وجوه الشّبه بين الإمام والشّمس .

ومنها: الجمال والبهاء لعالم الدّنيا بالشّمس وسائر الأنظمة

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ ، وعيون الأخبار ١ / ١٧٢ ، وحرف الهمزة مع الرّاء .

(٢) سورة عمّ : الآية / ١١ .

الجويّة المنيرة أصلها الشمس وقيل إنّ نورها من ضياء الشّمس قال تعالى : ﴿ **هو الّذي جعل الشّمس ضياءً والقمر نوراً** ﴾[1] وكذلك الإمام هو شمس شموس الآفاق والأنفس وجمالها وبهاؤها إذ جماله من جمال الله وبهاؤه من بهاء الله؛ لأنه المتخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ .

ومنها: أن الغاية من خلق الشّمس وصول العالم إلى كماله الظاهري الممكن من جماد ونبات وإنسان وغيرها بشروقها وغروبها وفصولها الأربعة الّتي تترك لها الأثر المرغوب من ذلك . وكذلك الإمام الغاية من خلقه إكمال الآخرين وإيصالهم إلى كمالهم المنشود أو قل إنّ الغاية من الإضائة ، وتربية العناصر والحيوانات والنباتات والجمادات وكلّ شيءٍ بشروق الشمس وغروبها أن تصل إلى كمالها المرتقب والإمام هو المربّي وهادي النّفوس نصبه الله عزّ وجلّ علماً لذلك ونقصد من هذا ما هو شأن الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام الّذين هم هداة البشر منهم الأئمة الطاهرون الأثنا عشر المعصومون المقصودون بكلمة الإمام في كلام الرّضا عليهم السلام وغاية الغايات هي معرفة الباري جلّ جلاله والعلم بالقدرة والإحاطة المطلقة كما قال تعالى : ﴿ **الله الّذى خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً** ﴾[2] . والإمام هو العالم بذلك ويعلّم الآخرين .

ومنها: الجلال والعظمة والرفعة المتجلّية في كمال الصّنع وإتقانه في الشّمس وغيرها من الأنظمة السّماوية وكذلك الإمام في

---

(١) سورة يونس : الآية / ٥ .

(٢) سورة الطلاق : الآية / ١٢ .

صنعه العظمة والجلال ففي رضويّ يصف المهدي : « عليه جيوب النّور تتوقّد بشعاع ضياء القدس »[1] . وعلويّ يصف النبي « كأنّ ماء الذهب يجري في صفحة خده ورونق الجلال يطرد في أسرّة جبينه »[2] . وإذا ثبت لواحد منهم ثبت لجميعهم عليهم السلام ، فيمكن أن يكون وجه التّمثيل بالشّمس أحد هذه الوجوه أو كلّها ولعلّ أوجهها هواستنارة الخلق بنور الإمام ؛لأنّه نور الله المشرق في الأرض كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة : « وأشرقت الأرض بنوركم »[3] فكما أن القمر والكواكب كلّها تستنير بنور الشمس كذلك الكون كلّه مستنير بنور الإمام فيكون تمثيله بها من هذا الوجه . فهنا أمران : نوريّة الإمام واستنارة غيره به . ونوريّة الشمس واستنارة المنظومة السّماوية : القمر والكواكب بها وهذا الوجه النّوريّ أوجب تمثيل الإمام بالشّمس وهو من أرفع الوجوه وأنورها .

ولإثبات الأمر الأوّل يقال :

لعلّ قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية : « فإنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائعُ لنا »[4] . ناظر إلى الوجه المذكور بالنّظر الدّقيق وقد أشار إليه ابن أبي الحديد في شرحه له بما يلي :

قال عليه السلام : « فإنّا صنائع ربّنا ، والنّاس بعدُ صنائع لنا » : هذا كلام عظيم عالٍ على الكلام ، ومعناه عالٍ على المعاني وصنيعة المَلِك من يصطنعه المَلِك ويرفع قدره . يقول :

---

(١) إكمال الدين ٢/ ٣٧١ ، واثبات الهداة ٣ / ٤٥٦ .

(٢) النهاية ٢ / ٣٥٩ ، في (سرر) . ومن العظمة والرّفعة في البحار ٥٨ / ٢١٢ .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٨١ ، والمفاتيح ٥٤٩ .

(٤) النّهج ١٥ / ١٨٢ ، كتاب ٢٨ .

ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والنّاس بأسرهم صنائعنا ، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى ، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد الله ، وأنّ النّاس عبيدهم[1] .

واللفظ المرويّ عن النّاحية المقدّسة : « ونحن صنائع ربّنا والخلق بعدُ صنائعنا »[2] ، وهو أشمل من اللّفظ العلويّ إلاّ أن يقال إنّه الأصل والمهدويّ الفرع فيحمل الفرع على الأصل في اللّفظ والمعنى ، وأنّهم عليهم السلام وسائط خلق الخلائق خصّهم الله عزّ وجل بذلك دون غيرهم وقد جاء في القدسيّ : « لولاك لما خلقت الأفلاك »[3] . واختصاص الأفلاك لعظمتها فيثبت غيرها بالطّريق الأولى ، وما رواه الشّيخ الصّدوق عن الصّادق عليه السلام مخاطبة الله آدم وحواء : فقال الله تعالى : « لولاهم ما خلقتكما »[4] ، والدعاء الرّجبيّ : « ... فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إلّه إلا الله »[5] . والمراد من كلّ ذلك نور الوجود في العالم بالموجود النّوريّ والمعصوم علّة غاية الإيجاد للكون كلّه .

أمّا الأمر الثاني أي استنارة القمر والكواكب فقد ذكره المجلسي في كتاب السماء والعالم بتفصيل فراجع[6]

ثم هنا وجه آخر لتمثيل الإمام بالشّمس بأن يراد من الشمس

---

(١) شرح النّهج ١٥ / ١٩٤ .

(٢) الاحتجاج ٢ / ٢٧٨ والبحار ٥٣ / ١٧٨ .

(٣) مجمع النورين وملتقى البحرين ص ١٤ .

(٤) الجواهر السّنيّة ٢٥٥ من كتاب معاني الأخبار .

(٥) الإقبال ٦٤٦ والمفاتيح ١٣٤ .

(٦) البحار ٥٨ / ١٥١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام القائم مقامه فلذا قال كـالشّمس والصّادقي دالّ عليه (١) .

(١) تفسير البرهان ٤ / ٤٦٧ لقوله تعالى : ﴿ **والشّمس وضحـاها ، والقمـر إذا تـلاهـا** ﴾ وانـظر المثـل « الإمـام البـدر المنيـر » حـرف الهمـزة مـع الميم .
والأمثال النبويّة ٢ / ٢٨١ ، رقم المثل ٥٧٦ ، حرف الميم مع النون .

٢٨ ـ الإمام الماء العذب على الظماء

في رواية عبد العزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السلام في صفات الإمام وخصائص الإمامة وفضائلها قوله عليه السلام :

« الإمام الماء العذب على الظّماء ، الدالّ على الهدى ، والمنجي من الرّدىٰ . . . »[1] .

قد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾[2] . الحديث النّبويّ : « يا عمّار إنّ الله تبارك عهد إليّ أنّه يخرج من صلب الحسين أئمّة تسعة والتّاسع من ولده يغيب عنهم وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ . . . »[3]، والكاظميّ : « إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون »[4] . والرّضويّ : « . . . ﴿فمن

---

(١) اصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) سورة الملك : الآية / ٣٠ .

(٣) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .

(٤) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .

يأتيكم بماءٍ معين ﴾ يعني بعلم الإمام »[1] والكاظميّ : « إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد »[2] . ومثله الصّادقي[3] .

ومن كلّ ذلك يعلم أنّ الإمام هو الماء العذب : أي المعين وكذلك علمه وذلك تصديق المثل الرّضويّ ، وقد تكلّمنا عند المثل العلويّ المستخرج من نهج البلاغة : « من وثق بماءٍ لم يظمأ » ماله علقة بالمقام فراجع[4] ، والمثل الباقريّ : « يمصون **الثماد** ويدعون النّهر العظيم »[5] . قال الفيض :

الثّمد : الماء القليل كأنّه عليه السلام أراد أن يبيّن أنّ العلم الّذي أعطاه الله نبيّه صلى الله عليه وآله ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام هو اليوم عنده وهو نهر عظيم يجري اليوم من بين أيديهم ، فيدعونه ويمصّون الثّماد كناية عن الاجتهادات والأهواء وتقليد الأبالسة في الآراء[6] .

والماء هو الحياة لولاه لما وجد شيءٌ حيٌّ قال تعالى . **﴿ وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴾**[7] ، وهو أوّل ما خلقه الله عزّ وجلّ كما في الباقريّ : « فأوّل شيءٍ خلقه من خلقه الشّيء الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء . . . »[8] فحياة الأشياء كلّها من الماء

---

(1) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .
(2) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٧ .
(3) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٧ .
(4) الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ٥٠٥ ، رقم المثل ١٧٥ .
(5) حرف الياء مع الميم مخطوط . وهو المروي في أصول الكافي ١ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .
(6) هامش أصول الكافي ١ / ٢٢٢ .
(7) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠ .
(8) التّوحيد : ٦٦ ـ ٦٧ .

ومن ثمّ سُئل الصّادق عليه السلام عن طعم الماء فقال : « سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً طعم الماء طعم الحياة »[1] .

فلئن كان الماء : الجسم السّيّال البارد بالطّبع حياةً الأشياء الظّاهريّة فالإمام حياتها الباطنية الأشرف . ثم الظّمأ : شدّة العطش[2] ، ولا يعرف أنّ الإمام الماء العذب من لم يظمأ ولم يضطرّ إليه عليه السلام فلا بدَّ أولاً الظمأ ثم اللقاء .

---

(١) الوسائل ١٧ / ١٨٧ باب ١ من أبواب الأشربة المحللة الحديث ٦ .
(٢) مجمع البحرين في (ظمأ) .

٢٩ ـ الإمام النّار على اليفاع

في رواية الشيخ الكليني المطوّلة عن عبدالعزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السلام قال فيها :

« الإمام الماء العذب على الظّمأ ، والدّالّ على الهدى ، والمنجي من الرّدى ، الإمام النّار على اليفاع . . . »[١] .

« الإمام الماء العذب على الظمّأ » تحدثنا عنه[٢] . «والدّال على الهدى » بالدّلالة القوليّة وهي جميع كلماتهم الصّادرة عنهم عليهم السّلام ، فإنّها دالّة على الهدى وكلّ خير ، والدّلالة العمليّة وقد جاء عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : « كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً »[٣] . والدّلالة الذّاتية وهي نفوسهم الّتي صاغها الله تعالى من معدن اللّطف ، وجوهر القدس ومن نور جماله الّذاتي جلّ جلاله قال الأزري :

لك نفسٌ من معدن اللّطف صيغت   جعل الله كلّ نفسٍ فداها

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) الوسائل ١ / ٥٦ .

الأبيات (١) .

وإذا ثبتت فضيلة لأحدهم عليهم السلام ثبتت لسائر المعصومين إلّا الخصائص فيشترك كلّهم عليهم السلام في الفضائل المحمديّة كما في الحديث: « أولنا محمّد وأوسطنا محمّد وأخرنا محمّد »(٢) .

« والمنجي من الرّدى » إذا أخذ العباد بحجزتهم وساروا على نهجهم نجوا من المهالك كلّها ، فإنّهم الثقل الأصغر والقرآن الكريم هو الثقل الأكبر لن يفترقا حتى يردا على النبيّ الحوض كما في حديث الثقلين المتفق على نقله الفريقان (٣) .

قوله عليه السلام : « الإمام النّار على اليفاع » من التّمثيلات الرّفيعة ومنها المثل السّائر : (كالنار على المنار)(٤) . قال الطّريحي : المنار بفتح الميم : عَلَم الطريق ، والموضع المرتفع الّذي يوقد في أعلاه النّار . وفي حديث وصف الأئمة : « جعلتهم أعلاماً لعبادك ، ومناراً في بلادك » : أي هداة يهتدى بهم . ومثله في وصف الإمام « يُرفع له في كلّ بلدة منارٌ ينظر منه إلى أعمال العباد »(٥) . وذو المنار ملك من ملوك اليمن واسمه أبرهة بن الحرث الرّائش ؛ وإنّما قيل له ذو المنار ؛ لأنه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع (٦) . وفي شرح « والمنار

---

(١) الكشكول للبحراني ٣ / ٤٢١ .
(٢) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .
(٣) حديث الثقلين ، أحد مجلدات العبقات ، وجامع أحاديث الشّيعة ١ / ٢٠ المقدمة .
(٤) مشهور .
(٥) البحار ٢٦ / ١٣٣ .
(٦) مجمع البحرين في (نور) .

منصوبة »[1] . لأبن أبي الحديد : المنارة تنصب في الفلاة ليهتدى بها[2] .

نعود إلى ما كنّا فيه :

قال الطّريحي : في الحديث : « الإمام النّار على اليفاع » أي يضيء للقريب والبعيد . واليفاع : ما ارتفع من الأرض ، واليفاع : ما ارتفع من كلّ شيءٍ[3] . ومن الأمثال : « أوقد ناره على اليفاع »[4] .

يريد بالحديث حديثنا الجاري . والنّار : هي اللّهيب الّذي يبدو للحاسّة وقد بينا أنواعها نقلاً عن الزبيدي عند التّكلّم عن المثل : « الحارّ لمن اصطلى به » . ولا تجعل النّار على المكان المرتفع إلّا ليراها التّائه في اللّيل حتى يجد الطّريق فلا يضلّ ولا بدّ أن تكون النّار ممّا يدوم من سراج أو قنديل أو أيّ شيءٍ يبقى ولا تطفأ وقد جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : « وأشهد أنك نور الله الذي لم يُطْفأ ولا يطفأ أبداً ، وأنّك وجه الله الّذي لم يهلك ولا يهلك أبداً »[5] .

وهذه خصيصة المعصوم عليه السلام فلئن كانت المعالم المنصوبة والنّار الموضوعة على الأماكن العالية ليهتدي بها التّائهون في اللّيل فإنّ الأئمة الهداة هم الأعلام التي نصبهم الله في الليل والنّهار ليهتدي بهم العباد في كلّ البلاد وكلّ مكان وزمان رحمة

---

(١) النّهج ٦ / ٣٧٣ من الخطبة ٨٦ .
(٢) شرح النّهج ٦ / ٣٧٥ .
(٣) مجمع البحرين في (يفع) .
(٤) تاج العروس ٥ / ٥٦٦ .
(٥) البلد الأمين ٢٨٤ ، ومفاتيح الجنان ٤٤٣ زيارته (ع) ليلة النّصف من شعبان .

منه تعالى عليهم ، لا تمحى معالمهم ولا تطفأ أنوارهم ، والقدوة لمن أراد الانتهاج في سُبُل السّلام المفضية به إلى الجنّة والنّجاة من عذاب جهنّم والسّعادة الأبديّة ولا يظنّ الظّانّ أنّ النجاة تحصل من غيرهم ذلك ظنّه الّذي اراده ونبذه إلى الوراء .

وهم الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدّم لهم مارق ، والمتأخّر عنهم زاهق واللّازم لهم لاحق وهم الكهف الحصين وغياث المضطرّ المستكين وملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين وهم غوث العباد ونور البلاد وهم أهل بيت الرّحمة والعفو والإحسان عيبة علم الله وأبواب معرفته وحلاله وحرامه وجميع أحكامه خصّهم الله بذلك من بين الناس فعصمهم من الذّنوب وطهّرهم من العيوب ، ﴿ **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[1] . المعنيّون بقوله تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين** ﴾[2] .

ولا ينافي نزوله في الأنبياء ففي الباقري : « يعني الأئمة من ولد فاطمة . . . »[3] .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٢٧ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٧٣ .

(٣) تفسير البرهان ٣ / ٦٦ .

وفيه روايات أخر منها رواية جابر الأنصاري فانظرها ولا تغفل .

٣٠ ـ الإمام واحد دهره

في رواية الكليني المطوّلة عن الرّضا عليه السلام :

« الإمــام أمين الله في خلقـه وحجّتّــه على عبـاده وخليفتــه في بلاده ، والدّاعي إلى الله ، والذّاب عن حرم الله ، الإمـام المطهـر من الذنوب والمبرّأعن العيوب المخصوص بالعلم الموسـوم بالحلم ، نـظام الدين ، وعزّ المسلمين ، وغيظ المنـافقين ، وبوار الكـافرين . الإمـام واحد دهره لا يدانيه أحدٌ ولا يعادله عالم . . . »[1] .

في هـذه الروايـة الرّضـوية مـا يقـرب من مـائـة فضيلة مـذكـورة للإمام المفتـرض الطّاعـة ، عدد منهـا أمثال قـد ذكرنـا كل واحـدٍ منها على حـدة أكثـرهـا مصـدّرة بكلمـة (الإمام)، ومن ذلــك قـولــه عليه السلام : « الإمام واحد دهره » .

وهو من الأمثال السائرة يقال : « فلان واحـد دهره ، أو لا واحـد له » .

قـال ابن منـظور : (فـلان واحـد دهـره) : أي لا نـظيــر لـه .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

وأوحده الله . جعله واحد زمانه ؛ وفلان أوحد أهل زمانه وفي حديث عائشة تصف عمرَ . . . : لله أمٌّ حفلت عليه ودرّت ! لقد أوحدت به . أي ولدته وحيداً فريداً لا نظير له[1] .

ونظيره المثل السائر الآخر قال الميداني : (إنّه نسيج وحده) . وذلك أنّ الثّوب النّفيس لا ينسج على منواله عدّة أثواب ، قال ابن الأعرابي : معنى (نسيج وحده) انه واحد في معناه ليس له فيه ثانٍ ، كأنّه ثوب نُسج على حدته لم ينسج معه غيره ، وكما يقال : نسيجِ وحده يقال ، رَجُلُ وَحْدِهِ . ويروى عن عائشة أنها ذكرت عمر . . . فقالت : كان والله أحوذياً ـ ويروى بالزاي ـ ، نسيج وحده ، أعدّ للأمور أقرانها قال الرّاجز :

جاءت به معتجراً ببرده سفراء تردي بنسيج وحده[2]

وقد ذكر جمع من الجمهور المثل وما روي في عمر[3] والأوحديّة متنوعة الأهداف فيما ينشدها القائلون .

ثم الإمام لو لم يكن واحد دهره في خصائص الإمامة وهناك من يدانيه فيها لما كان إماماً للكل نعم الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا كما في الحديث في زمان واحد قد استثنيا من القاعدة على أنّ الحسن هو الأكبر وكان الحسين يقتدي به عليهما السلام مع أنّ لأهل البيت شأناً غير الشؤون لا يقاسون بأحد من النّاس والكلام في الإمامة المطلقة على النّاس لا بدّ أن تكون لخصائص يتفرد بها الإمام لا يشاركه فيها غيره وإلاّ للزم التّرجيح بلا مرّجح وهو قبيح .

(١) لسان العرب ٣ / ٤٥٢ ، في (وحد) .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ٤٠ ، حرف الهمزة .
(٣) النّهاية ٥ / ١٦٠ في (وحد) . لسان العرب ٣ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠ في (وحد) .

٣١ ـ الإمامة أُسّ الإسلام النّامي وفرعه السّامي

روى الشيخ الكليني بسنده عن عبد العزيز بن مسلم قال : كنّا مع الرّضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها ، فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض النّاس فيه ، فتبسّم عليه السلام ثم قال :

« يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ؛ إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه (ص) حتّى أكمل له الدّين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيءٍ بيّن فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه النّاس كملاً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ **ما فرّطنا فى الكتاب من شيءٍ** ﴾[1] . وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] .

وأمر الإمامة من تمام الدّين ولم يمض (ص) حتى بيّن لأمّته

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .
(٢) سورة المائدة : الآية / ٣ .

معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم عليّاً (ع) عَلَماً وإماماً وما ترك (لهم) شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه ، فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به .

- إلى قوله عليه السلام : - إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء ، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (ص) ومقام أمير المؤمنين (ع) وميراث الحسن والحسين (ع) إنّ الإمامة زمام الدّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدّنيا وعزّ المؤمنين ، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النّامي ، وقرعه السّامي . . . »[١] .

الحدّيث مطوّل قد اشتمل على خصائص الإمامة وفضائلها الّتي لم توجد إلّا في المعصوم عليه السلام وموزّع على نبذة تمثيلات مذكورة فيه منها : « الإمام كالشّمس الطالعة »[٢] . و « الإمام البدر المنير »[٣] و « الإمام الماء العذب على الظماء »[٤]، و « الإمام الأنيس الرّفيق والوالد الشفق »[٥] ، و « الإمام النّار على اليفاع »[٦] و « الحار لمن اصطلى به »[٧]، و « الإمام السّحاب الماطر »[٨] .

(١) أصول الكافي ١ / ١٩٨ - ٢٠٠
(٢) حرف الهمزة مع الميم .
(٣) حرف الهمزة مع الميم .
(٤) حرف الهمزة مع الميم .
(٥) حرف الهمزة مع الميم
(٦) حرف الهمزة مع الميم .
(٧) حرف الحاء مع الألف .
(٨) حرف الهمزة مع الميم .

أسّ الشّيء وفرعه :

قال الشّيخ الطّريحي : وفي الحديث : « إذا قام القائم عليه السلام ردّ البيت إلى إساسه ، وردّ مسجد الرّسول إلى إساسه ،وردّ مسجد الكوفة إلى إساسه » الإساس علي (فعال) بكسر الفاء : جمع أُسّ بالضّم كخِفاف جمع خُفّ ، والأسّ أصل البناء ، ومنه : « الإمامة أُسّ الإسلام النّامي » . أصله[1] . . .

يريد بقوله ومنه : « الإمامة أسّ الإسلام النامي » الكلمة المبحوثة عنها .

ومنه يرد :

أَسِّسْ على العلم ما ترجو بنابته فالجهل ينقض ما يبنى على جرفه[2]

والغرض من قوله عليه السلام « الإمامة أسّ الإسلام . . . » : أي أصله بقرينة « وفرعه » أمّا كون الإمامة أصل الإسلام فمعلوم، إذ لولاها لما كان له قيّم يُقيم أركانه ويمنع من الإطاحة به .

وقد جرت سنّة الله عزّ وجلّ في تبليغ أحكامه وأوامره ونواهيه بإرسال الرّسل للنّاس وإنزال الكتب ومن المعلوم أنّ الإمامة وهي الخلافة ، استمرار للرّسالة والحفاظ على معطياتها إلى آخر الدّنيا .

ومن ثمّ وجب أن لا تخلو الأرض من حجة وإلاّ لساخت بأهلها لو خلت ساعة منه كما نصّت بها نصوص أهل البيت عليهم السلام فقد روى الشيخ الكليني طاب ثراه الحديث العلوي :

---

(١) مجمع البحرين في (أسس) .

(٢) أمثال وحكم ١ / ١٧٣ في الأصل « بنيته » صحّحناه بما في المتن ويمكن تصحيح البنية أيضاً بمعنى وسطه ومعظمه ومنه المثل : دع عنك بنيّات الطّريق أي عليك بمعظم الأمر .مجمع الأمثال ١ / ٢٦٩ . حرف الذال .

« اللّهمّ إنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك[1] » .
والباقري : « . . . ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة الله على عباده »[2] . والصّادقي : « لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت »[3] ، والكاظميّ : « إنّ الأرض لا تخلو من حجّة ، وأنا والله ذلك الحجّة »[4] ، والصّادقي : « لو لم يبق في الأرض إلّا إثنان لكان أحدهما الحجّة »[5] .

قوله عليه السلام : « الإسلام النّامي » من النموّ : الزّيادة أي زيادة المعتنقين بالإسلام وأهله أذا علموا أنّه هو الذي يضمن سعادة الدّارين والحياة الطّيّبة إذا طبّق وعمل بتعاليمه القيّمة كما أنّ الناس لو علموا محاسن كلام أهل البيت لاتّبعوهم الحاكي عن محض الإسلام على ما نطق به الحديث[6] . ولا يراد من النموّ زيادة أحكام الإسلام إذ حلاله حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة كما في النّبويّ[7] . قوله عليه السلام : « وفرعه السّامي » أمّا كون الإمامة أصل الإسلام فقد سبق بيانه .

وكيف يكون ما هو الأصل له فرعاً منه ؟ وهل تكون الإمامة أصل الإسلام وفرعه معاً ؟

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٧٨ .
(٢) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٣) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٤) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٥) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٦) الوسائل ١٨ / ٦٥ ـ ٦٦ باب ٧ من أبواب صفات القاضي الحديث ٥٢ .
(٧) الوسائل ١٨ / ١٢٤ باب ١٢ من أبواب صفات القاضي الحديث ٤٧ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٣٧٨ ، رقم المثل ٢٤٠ ، حرف الحاء مع اللّام .

الجواب نعم تكون الإمامة كذلك أمّا أصلاً لـه فلكونهـا الحفاظ والحـوط لولاهـا لاضمحل وانـدرست معالمه، وأمّا أنّهـا فـرع الإسـلام فلأن الله عزّ وجلّ هو المقصد الأعلى وإنّما شـرعت الشّرائـع والرّسـل لطاعته تعالى .

٣٢ ـ الأمّ البرّة بالولد الصّغير

في رواية الشّيخ الكليني المرفوعة عن الرّضا عليه السلام المشتملة على خصائص الإمامة والإمام فيها :

« الإمام الأنيس الرّفيق ، والوالد الشّفيق ، والأخ الشّقيق ، والأمّ البّرة بالولد الصّغير . . . »[1] .

تكلمنا عن « الإمام الأنيس الرّفيق . . . »[2] .

قوله عليه السلام : و « الأمّ البّرة بالولد الصّغير » يضرب المثل بالأمّ في بلوغ المحبّة إلى غايتها ، فإنها تلك من أعلى مراتبها وأشدّها ، فإذا أريد بيان أقصى مراتب العلقة ضرب بالأمّ المثل وعلقتها بولدها الصّغير ولولا هذه العلقة القلبيّة منها لما كبر ولا ترعرع فتجهرها تسهر ليلها وتصرف عمرها في مدّة رضاعه إلى أن يكبر بعد تحمّلها أيّام حمله للمصاعب والمتاعب مسرورة بالحمل له مستبشرة به في أشهرها التّسعة ويوم وضعه ورضعه وفطامه ، فلو أنّ الولد بعد أن كبر

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .

قـام بجميع مـا يهمّها إلى آخـر أيّام حيـاتها لمـا أدّى من أقلّ الـواجب عليه .

وإنّ حقّ الأمّ أعـظم من الأب ففي صـادقيّ : « جـاء رجـل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسـول الله مَنْ أبرّ ؟ قـال : أمّك قـال ثُمّ مَنْ ؟ قـال : أمّـك ، قال: ثمّ مَنْ ؟ قـال : أمّـك ، قـال : ثمّ مَنْ ؟ قال : أباك »[١] .

وعن إبـراهيم بن مهـزم قـال : « خـرجت من عنـد أبي عبـد الله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منـزلي بالمـدينة وكـانت أمّي معي فوقـع بيني وبينهـا كلام فـأغلظت لها ، فلمّـا أن كان من الغـد صلّيتُ الغداة وأتيت أبـا عبد الله عليـه السلام فلمّـا دخلت عليـه فقـال مبتـدئـاً : يـا أبا مهزم مـالك ولخـالدة[٢] أغلظت في كـلامها البـارحة ؟ أمـا علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته ، وأنّ حجرها مهد قد غمزتـه ، وثديهـا وعاء قـد شربته ؟ قال قلت : بلى قال فلا تغلظ لها »[٣] .

وفي حديث سجّاديّ : « فحقّ أمّـك أن تعلم أنّها حملتـك حيث لا يحمـل أحـدٌ أحـداً ، وأطعمتـك من ثمـرة قلبهـا مـا لا يـطعم أحـدٌ أحداً ، وأنّها وَقَتْكَ بسمعها وبصـرها ويـدها ورجْلهـا وشعرهـا وبشرهـا وجميـع جوارحهـا مستبشـرة بـذلـك فـرحـة مـوبلة[٤] محتملة لمـا فيـه مكروهها وألمه وثقله وغمّه[٥] حتّى دفعتهـا عنك يـد القدرة وأخـرجتك

---

(١) البحار ٧٤ / ٨٣ .

(٢) اسم أمّ أبي مهزم .

(٣) البحار ٧٤ / ٧٦ .

(٤) من الوبيل ضدّ الطّري مجمع البحرين في (وبل) .

(٥) لعلّ الصّحيح ، وألمهـا وثقلها وغمّهـا ، ليعود الضمير الى الأم ، ويحتمل عود الضّمير إلى (لمـا فيه) ليكـون عطف هـذه الأمور على « مكـروهها » . أي دفعت أمّك عنك الشيء المؤلم والثّقل والغمّ .

إلى الأرض فرضيت أن تشبع وتجوع هي ، وتكسوك وتعرى ، وترويك وتظمأ وتظلّلك وتضحى وتنعّمك ببؤسها وتلذّذك بالنّوم بأرقها وكان بطنها لك وعاءً ، وحجرها لك حواءً ، وثديها لك سقاءً ، ونفسها لك وقاءً ، تباشر حرّ الدّنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك ، ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه »[1] .

تمثيل الإمام بالأمّ وأنّه الوالدة البرّة بولدها ناظر إلى الجهة المشتركة بينه وبينها وهي العلقة الشّديدة الكائنة بينهما الّتي أوجبت البرّ بالولد وأنّ الأمّة المرحومة بأجمعها بل النّاس بأسرهم هم أولاد الإمام المعصوم في كلّ زمان وهم عيال عليه مأمور من قبل الله جلّ جلاله أن يرعاهم ويأخذ بأيديهم إلى الجنّة وهذا شأن كلّ نبيّ ووصيّ نبيّ عليهما السّلام بقاعدة اللّطف الإلّهيّ من دلالة الخلق إلى التّوحيد والّدين الخالص ؛ إنّ الله خلق الخلق للعبادة كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **وما خلقت الجنّ والأنس إلاّ ليعبدون** ﴾[2] . وللعلم بأنه تعالى قدير محيط لقوله جلّ جلاله : ﴿ **خلق سبع سمٰوٰات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً** ﴾[3] . أي إنّما خلق الله تعالى العالم وبني آدم ليعلموا قدرته المطلقة وإحاطته تعالى بكلّ شيء ويعبدوه .

ومن الواضح أنّ الله عزّ وجلّ يريد أن يعبد كما يريد وبما يريد لا كما يريد العبد وبما يريده، وأن يعلم كما يشاؤه وبما يشاؤه لا كما

---

(١) البحار ٧٤ / ١٥ . أمالي الصدوق ٣٣٢ ، والوسائل ١١ / ١٣٥ مع اختلاف يسير في الأخيرين .
(٢) سورة الذاريات : الآية / ٥٦ .
(٣) سورة الطّلاق : الآية / ١٢ .

نشاء وبما نشاء وعليه فلا بدّ من رسول مبلغ عنه تعالى في جميع ذلك ووصيّ يقوم مقامه كذلك وهو الإمام المعصوم ومن أهمّ أسباب التّبليغ الرّفق فإنّ العُنف عائق عن الوصول مفرّق بين الرّسول والمرسل إليه .

ومن هنا وجب أن يكون في الرّحمة والعلقة كالأم الحنونة البرّة بولدها حتّى يكبر ، ولئلا يلزم من ترك ذلك نقض الغرض الأعلى وقد جاء التّمثيل في نفس الرّضويّ أنّه « الأنيس الرّفيق ، والوالد الشّفيق ، والأخ الشّقيق »(١) كلّ ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع على ما قلناه في كيفيّة التّبليغ النّافع صوناً لنقض الغرض الأمثل كما ورد أنّ النّبيّ وعليّا صلى الله عليهما وآلهما وسلم أبوا هذه الأمة للسّرّ نفسه ؛ ففي حديث نبويّ : « . . . يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة »(٢) . وهي الأبوة الرّوحيّة الّتي هي أعلى درجة من الأبوّة الجسميّة وأشرف منها بل ولولاها لما كانت الثّانية في عالم الوجود ذات أثر مطلوب .

---

(١) حرف الهمزة مع الميم .

(٢) أمالي الصّدوق ٥٨٧ .

٣٣ ـ الأمور بيد الله عزّ وجلّ

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده إلى ابن بزيع قال :

« كان عندي جاريتان حاملتان فكتبتُ إلى الرّضا عليه السلام أعلمه ذلك ، وأسأله أن يدعو الله تعالى أن يجعل ما في بطونهما ذكرين ، وأن يهب لي ذلك . قال : فوقّع عليه السلام أفعلُ إن شاء الله تعالى » .

ثم ابتدأني عليه السلام بكتاب مفرد نسخته : « بسم الله الرّحمن الرّحيم عافانا الله وإيّاك بأحسن عافية في الدّنيا والآخرة برحمته ؛ الأمور بيد الله عزّ وجلّ يمضي فيها مقاديره على ما يحبّ ، يُولدُ لك غلامٌ وجاريةٌ إن شاء الله تعالى فسمّ الغلام محمّداً ، والجارية فاطمة على بركة الله تعالى . قال : فولد لي غلام وجارية على ما قاله عليه السلام »[1] .

قوله عليه السلام : « الأمور بيد الله عزّ وجلّ » كلمة سائرة على الألسن ومن ثمّ حسُن عدّها في الأمثال ، ومنها البيت لقائله الملاّ السّبزواري :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٠

أزمّة الأمور طرّاً بيده والكلّ مستمدّة من مدده

قال في شرحه : المصراع الأوّل إشارة إلى التّوحيد الذّاتي ، والثّاني إلى الأفعال[1] والكلمة الرّضويّة تعليم النّاس التّوحيد في الأفعال من الرّزق وغيره وفي موردها طلب الولد الذّكر اثنين من الجاريتين ولكنّ إرادة الله جلّ جلاله كانت في واحد منهما ذكراً والآخر أنثى ، وليس كلّ ما يريده العبد كائناً ؛ لأنّه لو استجيب كلّ دعاء لبطلت حكمة الرّبّ تعالى .

ثم إنّ العبد إذا علم أنّ الأمور كلّها بيد الله عزّ وجلّ لم يحبّ تعجيل ما أخّره الله ولا تأخير ما عجّله الله بل يرضى بما قدّر له من تعجيل أو تأخير ، ولا ينافي ذلك الطّلب؛لأنّه من الرّضا ، والسّعي في الرّزق وغيره كيف لا وقد قال تعالى : **﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأنّ سعيه سوف يُرى ﴾**[2] . نعم الواجب على السّاعي المعرفة بأنّ كلّ شيء تحت طوع إرادة الله جلّ جلاله وليس معنى ذلك الجبر الباطل ولا التّفويض الّذي تقوله اليهود بل أمرٌ بين أمرين كما في الحديث[3] . وفي قوله تعالى : **﴿ إن هو إلاّ ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين ﴾**[4] . إشارة إلى الوسط إذ أسند الله المشيئة إلى الشائي أوّلاً ثمّ نفاها وأثبتها لنفسه تعالى والجمع بينهما هو الوسط .

---

(١) المنظومة في الحكمة المتعاطية من ٨ للملا هادي، السّبزواري المتوفّي ١٢٨٩ هـ .

(٢) سورة النّجم : الآية / ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) البحار ٥ / ١٢ .

(٤) سورة التكوير : الآية / ٢٧ ـ ٢٩ .

ولا يخفى أنّ نظيرة الكلمة الرّضويّة قد جاءت في كلام السّجّاد عند وقوفه على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله : « . . . وأصبحت الأمور بيدك فلا فقير أفقر منّي » . الوسائل ١٠ / ٢٦٩ .

٣٤ ـ أنا تمريّ وشيعتنا يحبّون التّمر

روى الكليني بإسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري قال :

« دخلت على أبي الحسن الرّضا عليه السلام وبين يديه تمرٌ برني وهو مجدّ في أكله يأكله بشهوة فقال لي : يا سليمان ادن فكل ، فدنوت منه فأكلتها معه وأنا أقول جُعلتُ فداك إنّي أراك تأكل هذا التّمر بشهوة فقال : نعم إنّي أحبّه فقلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان تمراً ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام تمريّاً ، وكان الحسن عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام تمريّاً ، وكان سيّد العابدين عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو جعفر عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو عبد الله عليه السلام تمريّاً ، وكان أبي تمريّاً ، وأنا تمريٌّ ، وشيعتنا يحبّون التّمر ؛ لأنّهم خلقوا من طينتنا ، وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المسكر ؛ لأنّهم خلقوا من مارجٍ من نارٍ »[1] .

---

(١) فروع الكافي ٦ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، قوله عليه السلام : « مارجٌ من نارٍ » إشارة الى آية : ﴿ وخلق الجانّ من مارجٍ من نار﴾ ،الرحمن :١٥ والمارج : اللّهب الصّافي الّذي لا دخان فيه . تفسير الكشاف ٤ / ٤٤٥ .

ولعلّ المثل السائر : « شيعتنا التّمريّون وأعداؤنا الخمريّـون »[1] مصدره الحديث المـذكور حيث قال عليه السلام فيه : « وشيعتنا يحبّـون التّمر . . . وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المسكر » وهو الخمر .

وقـد جاء في أحـاديثهم عليه السـلام حـول التّمـر الشّيء الكثيـر منهـا ما تقـدّم ومنها البـاقريّ أو الصّـادقيّ : « في قول الله عـزّ وجلّ : ﴿ فلينـظر أيّها أزكى طعـامـاً فليـأتكم بـرزق منـه ﴾[2] . قـال : أزكى طعاماً التّمر »[3] .

ويشهـد لـه القـرآن الكـريم على أنـه من الـرّزق قـال تعـالى : ﴿ والنّخل بسـقت لها طلع نضيد * رزقاً للعباد ﴾[4] .

ومنهـا الصّـادقيّ : « استـوصـوا بعمتّكم النّخلة خيـراً ؛ فـإنّهـا خُلقت من طينـة آدم ألا تـرون أنّـه ليس شيء من الشجـرة يـلقـح غيرها »[5] . والمثل النّبويّ : « أكرموا عمّتكم النّخلة »[6] .

وأمّـا الأنواع فكلّهـا خيـر ولكن في الصّـادقيّ : « خيـر تمـوركم البـرنيّ يذهب بـالداء ولا داء فيـه ، ويذهب بـالأعيـاء ولا ضـرر لـه ، ويـذهب بالبلغم ومـع كـلّ تمـرة حسنـة . . . »[7] . وفي العجـوة جـاء الصّـادقيّ : « العجـوة من الجنّـة وفيهـا شفـاء من السُّمّ »[8] . ولسنـا

---

(١) مشهور على الألسن .
(٢) سورة الكهف : الآية / ١٩ .
(٣) فروع الكافي ٦ / ٣٤٥ ، الوسائل ١٧ / ١٠٣ .
(٤) سورة قٓ : الآية / ١٠ ـ ١١ .
(٥) الوسائل ١٧ / ١١٣ .
(٦) الأمثـال النّبويّـة ١ / ١٥٦ ، رقم المثـل ٩٧ ، حـرف الهمـزة مـع الكـاف ، نهاية ابن الأثير « عمم » .
(٧) الوسائل ١٧ / ١٠٧ .
(٨) الوسائل ١٧ / ١٠٧ .

بصدد ذلك سوى التّرغيب ، ويستحب أكل سبع تمرات عجوة على الرّيق من تمر العالية فلم يضرّه سُمٌّ ولا سحرٌ ولا شيطانٌ كما صرّح به في الصّحيح الصّادقيّ (١) .

ولا يخفى أنّ من الأمثال السائرة : « تمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ » (٢) وهو مثلٌ صادقيٌّ (٣) وتكلمّنا عنه في الأمثال الصادقية .

ثمّ لعلّ الوجه في حبّه التّمر وكذا سائر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم هو حلاوته المتناسبة مع حلاوة إيمانهم ، والمؤمن كلّه حلو : حلو الكلام ، حلو الطّعام ، حلو المنام ، وحلو المعاملة والمكافحة وكل شيءٍ منه حلوٌ .

---

(١) الوسائل ١٧ / ١١٢ ، والعوالي والعالية : أماكن بأعلى أراضي المدينة . هامش المصدر .

(٢) الوسائل ٩ / ٢٣٢ .

(٣) الأمثال والحكم الصّادقيّة مخطوط .

٣٥ ـ أنا من آله ولستم من آله

روى الشّيخ الصّدوق حديث استدلال الرّضا عليه السلام باثني عشر آية على فضل الآل العترة الطّاهرة على سائر النّاس تكلمّنا عن تسع آيات منها[(١)] قال عليه السلام جواباً لعلماء العراق وخراسان :

« وأمّا العاشرة فقول الله عزّ وجلّ في آية التّحريم : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيكُم أمُّهاتُكُم وبَناتكُمُ وأَخَواتكُمُ** ﴾[(٢)] الآية ، فأخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة ابني وما تناسل من صلبي لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يتزوّجها لو كان حيّاً ؟ قالوا : لا ، قال : فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوّجها لو كان حيّاً ؟ قالوا : نعم ، قال : ففي هذا بيان ؛ لأنّي أنا من آله ولستم من آله ، ولو كنتم من آله لَحُرمَ عليه بناتُكُم كما حُرمَ عليه بناتي ؛ لأنّي من آله وأنتم من أمّته فهذا فرقٌ بين الآل والأمّة ؛ لأنّ الآل منه والأمّة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة »[(٣)] .

(١) حرف الهمزة مع النون ، والهمزة مع الواو ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والخاء مع الصّاد ، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللاّم ، والفاء مع الضّاد ، والكاف مع اللاّم .

(٢) سورة النّساء : الآية / ٢٣ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٧ .

روى الصّدوق حديثاً : « قال فيه : نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلةٍ له فدنا منه أبو نؤاس فسلّم عليه وقال : يا ابن رسول الله قد قلت فيك أبياتاً فأحبّ أن تسمعها منّي قال ـ عليه السلام ـ : هات فأنشأ يقول :

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهُمُ ... تجري الصّلاةُ عليهم أينما ذُكِرُوا
من لم يكن علويّاً حين تَنْسبُهُ ... فماله من قديم الدّهر مفتخرُ
فالله لمّا برى خلقاً فأتقنه ... صفّاكم واصطفاكم أيّها البَشرُ
فأنتم الملأ الأعلى وعندكُمُ ... علم الكتاب وما جاءَتْ به السُّورُ

فقال الرّضا ـ عليه السلام ـ قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدُ ، ثمّ قال يا غلام هل معك من نفَقَتنا شيءٌ ؟ فقال : ثلاثمائة دينار فقال : أعطها إيّاه ثم قال ـ عليه السلام ـ لعلّه استقلّها يا غلام سُقْ إليه البغلة ، ولمّا كانت سنة إحدى ومائتين حَجَّ بالنّاس . . . »[١] .

سجيّتكم الكرم وعادتكم الإحسان يا أهل بيت النّبوّة وقد روى ابن حجر عن الإمام الشّافعيّ قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبّكُمُ ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلَهُ
كفاكم من عظيم القدر أنّكُمُ ... من لم يصلّ عليكُمْ لا صلاة لَهُ[٢]

---

(١) عيون أخبار الرّضا ٢ / ١٤٢ .

(٢) إحقاق الحقّ ٣ / ٢٧٣ . لو سمح المجال : لنقلنا شيئاً كثيراً من مدائحهم عليهم السلام ، ولكن .

٣٦ ـ أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ

روى الشّيخ الصّدوق بإسناد له إلى ياسر قال :

« إنّه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمّى زيد النّار ، فبعث المأمون فأسر وحمل إلى المأمون فقال المأمون : اذهبوا به إلى أبي الحسن ، قال : فلما أدخل إليه قال له أبو الحسن عليه السلام : يا زيد أغرّك قول سفلة أهل الكوفة ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ إن كنت ترى أنّك تعصي الله عزّ وجلّ وتدخل الجنّة وموسى بن جعفر عليه السلام أطاع الله ودخل الجنّة ، فأنت إذا أكرم على الله عزّ وجلّ من موسى بن جعفر ، والله ما ينال أحدٌ ما عند الله عزّ وجلّ إلاّ بطاعته ، وزعمتَ أنّك تناله بمعصيته فبئس ما زعمتَ ، فقال له زيدٌ : أنا أخوك وأبن أبيك ، فقال له أبو الحسن عليه السلام ، أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ ؛ إنّ نوحاً عليه السلام قال : ﴿رب إن ابنى من أهلى وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين﴾ فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ ينوحُ إنّه ليس من أهلك إنّه عملٌ غير صالح ﴾[١] . فأخرجه الله عزّ وجلّ من أن يكون من أهله بمعصيته »[٢] .

(١) سورة هود : الآية / ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ . وفي البحار ٤٩ / ٣١٨ و ٢٢١ : « فإذا عصيت فلا إخاء بيني وبينك » .

ليس بين الله وبين عباده قرابة ، وإنّما القريب المقرّب مَنْ قَرَّبَتْهُ طاعة الله عزّ وجلّ ، فقد روى الصّدوق بإسناده عن الرّضا عليه السلام : ومَنْ أحبّ عاصياً فهو عاص[1] ومَنْ أحبّ مطيعاً فهو مطيعٌ[2] ومَنْ أطاع ظالماً فهو ظالمٌ[3] ومَنْ خَذَلَ عادلاً فهو ظالمٌ ، إنّه ليس بين الله وبين أحد قاربة[4] ولا ينال أحد ولاية الله إلّا بالطّاعة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب أئتوني بأعمالكم لا بأحسابكم قال الله تعالى : ﴿ **فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فَمَنْ ثقلت موازينه فأولئك هم المُفلحون * ومَنْ خَفَّتْ موازينه فأولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون** ﴾[5]

سبق الدين القرابة ، حتّى قرابة الأخ التي هي أقرب من كلّ قريب وإنّما الأخ الحقيقي الّدين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أخوك دينك فاحتط لُدينك بما شئت »[6] والخطاب لكميل بن زياد النّخعي ولكنّه يعمّ غيره وإن كان مورده ذلك قال الشّيخ الأنصاري : « في قبال الأخ الظّاهري وقد يفسّر الحديث العلويّ بأنّ الدين يجب أن يراعى كما يراعى الأخ وليس هو كالأباعد »[7] الأخ

---

(١) حرف الميم مع النّون .
(٢) حرف الميم مع النّون .
(٣) حرف الميم مع النون .
(٤) حرف اللّام مع الياء .
(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ ـ ١٠٣ ، وعيون الأخبار ٢ / ٢٣٧ .
(٦) أمالي ابن الشيخ الطوسي ١ / ١٠٩ والوسائل ١٨ / ١٢٣ ، وحرف الهمزة مع الخلء من الأمثال والحكم العلويّة مخطوط .
(٧) الرسائل ١٩٧ ، مبحث البراءة ، في ردّ دليل الأخباريّ ، طبع القطع الوزيري .

للأخ كالعضد من العضد ، فلو لم يكن له أخ لم يكن له عضد ومع هذا لو دار الأمر بين الأخ والدّين فالدّين هو المقدّم عليه، والحديث الرّضويّ النافي لأخوّة زيد العاصي غير المطيع لله عزّ وجلّ ينطبق عليه العلويّ الآمر بالاحتياط في الدّين ؛ لأنّ مقتضى الأحتياط [وهو من اتّخاذ الحائطة للشيء] التّحرز من الأخ العاصي واختيار المطيع لله عزّ وجلّ وإن لم يكن بأخٍ له فالحديث العلويّ والرّضويّ يرميان مرمى واحداً وهو تقديم الّدين وما يقتضيه على كلّ شيءٍ وعلى كلّ أحدٍ ، فالقرابة والرّحم عند الدوران بينها وبين الّدين يجب التحرّز عنها نعم لا بدّ من المصاحبة المعروفة مع الوالدين الآمرين للولد بالشّرك كما قال تعالى : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾[1] ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدّنيا معروفاً** ﴾[2] .

والشرك الذي هو أعظم المعاصي إذا أمر الوالدان أو أحدهما الولد به يجب على الولد ترك طاعتهما فيه مع وجوب المصاحبة المعروفة إيّاهما في الدّنيا ومن ثَم نهى النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يقتل ابن عبد الله بن أبيّ المنافق أباه لقوله الّذي حكاه الله في القرآن الكريم : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَيَخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأذلّ** ﴾[3] عند رجوعه من غزوة المريسع : وهي غزوة بني المصطلق سنة خمس من الهجرة يريد ابن أُبيّ بالأعزّ نفسه وأصحابه وبالأذلّ رسول الله وأصحابه ففي رواية « إنّ ولد عبد الله بن أُبيّ أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن كنت عزمت على

---

(١) سورة العنكبوت : الآية / ٨ .
(٢) سورة لقمان : الآية / ١٥ .
(٣) سورة المنافقون : الآية / ٨ .

قتله فمرني أن أكون أنا الّذي أحمل إليك رأسه . . . »[1] فمنعه الرّسول صلى الله عليه وآله أن يقتل أباه لا لكونه غير جائز بل أنّ قتل الولد الوالد موجب لقصر العمر .

وكيف كان إن الإيمان لا يجتمع مع الكفر ولا يجوز المُوادّة مع المحادّين وإن كانوا من أمسّ أقرباء الإنسان قال تعالى : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾**[2] .

والرّضا عليه السلام حجّة الله على خلقه كيف يوادّ زيداً المحادد وإن كان أخاه والمودّة مع الكافر منهيّة من المؤمنين فكيف بأئمة المؤمنين عليهم السلام .

ثم الطّاعة لله عزّ وجلّ تجب عقلاً ونقلاً ، أمّا العقل فلوجوب شكر المنعم ، وما بنا من نعمة فمنَ الله تعالى وللزوم دفع الضّرر المحتمل بترك الطّاعة فضلاً عن مظنونة أو مقطوعه فالبرهان العقليّ قائم على وجوب الطّاعة وأمّا النّقل فقد روى طاووس الفقيه حالات السّجاد وكلماته ومن مناجاته :

أتحرقني بالنّار يا غاية المُنى فأين رجائي ثمّ أين محبتي
أتيتُ بأعمال قباح رديّةٍ وما في الورى خلق جنى كجنايتي

قال عليه السلام : « خلق الله الجنّة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشيّاً ، وخلق النّار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً »[3] .

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٧٠٥ ، وتفسير البرهان ٤ / ٣٣٨ ، وتفسير نور الثّقلين ٥ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٢) سورة المجادلة : الآية / ٢٢ .

(٣) تفسير نور الثّقلين ٣ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ، نقلاً من كتاب المناقب لابن شهرآشوب .

٣٧ ـ إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشر

روى الكليني بسنده إلى محمد بن عرفة قال : قال لي الرّضا عليه السلام :

« ويحك يا ابن عرفة : اعملوا لغير رياء ولا سمعة ؛ فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمل ، ويحك ما عمل أحدٌ عملاً إلاّ ردّاه الله إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌّ »(١) .

قوله عليه السلام : « ردّاه الله » أي جعل عمله كالرّداء إمّا رداء خير جميل إن كان عمله كذلك أو رداء شرّ إن لم يكن إلاّ شراً وهو المثل المعروف : « كما تدين تدان »(٢) والمثل الرّضويّ قد ذكره

(١) اصول الكافي ٣ / ٢٩٤ . ورواه الشيخ الحرّ بلفظ « إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً » في الوسائل١/ ٤٨ ، باب ١١ من أبواب مقدمة العبادات رقم الحديث ٨ ، وكلا اللّفظين صحيح .

(٢) المستقصى ٢ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٥ ، الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ، رقم المثل ١١٦ .

الميداني قال : (النّاس مجزيّون بأعمالهم : إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌّ) . أي : إن عملوا خيراً يجزون خيراً ، وإن عملوا شرّاً يجزون شرّاً[1] .

وكلام الله جلّ جلاله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾[2] . أجمع للمقصود ، وأدلّ وأشمل ؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يسمّيها الجامعة[3]،وهي أحكم آية في القرآن وفيها بيان مقدار العمل أقلّ ما يأتيه العامل يرى جزاءه من خير أو شرّ . والذّرّة وهي الهباء الّذي يظهر في الكوّة من أثر الشّمس وقيل : النّملة الصّغيرة التي لا تكاد ترى لا ثقل لها ، ويقال إنّ المائة منها زنة حبّة شعير أو جزء من أجزاء الهباء كما تقدّم[4] .

أمّا إخلاص العمل فهو مقام المخلصين (بالفتح) وهم المعصومون (وكسر اللام) من سائر المؤمنين قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الدّنيا كلّها جهل إلاّ مواضع العلم ، والعلم كلّه حجّة إلاّ ما عمل به ، والعمل كلّه رياء إلاّ ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له »[5] . وفي صادقيّ : « إنّه قال لعبّاد من كثير البصريّ في المسجد ، ويلك يا عبّاد إيّاك والرّياء ؛

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٣٤١ ، حرف النون .
(٢) سورة الزّلزلة : الآية / ٧ ـ ٨
(٣) تفسير الصّافي ٢ / ٨٤١ .
(٤) مجمع البحرين في (ذرر) .
(٥) التّوحيد : ٣٧١ .

فإنّه مَنْ عمل لغير الله وكله الله إلى مَنْ عمل له »[1] .

لو لم يمتلك القلب حبّ الله عزّ وجلّ لما أمكن الإخلاص الحقيقي ومن هنا تجد المعصوم عليه السلام لا يتأتّى منه إلاّ العمل الخالص وكيف لا ولسان حاله وقاله يقول : إلهي من ذا الّذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً ، ومن ذا الّذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً فلا تقطعني عنك ولا تبعدني منك يا نعيمي وجنّتي ، ويا دنياي وآخرتي .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٩٣ .

٣٨ ـ انظروا كم فرق بين المنزلتين ؟

روى الفيض عن الشّهيد الثّاني حديث الرّضا عليه السلام :

« يقال للعابد يوم القيامة : نعم الرّجل كنت ، همّتك ذات نفسك وكفيت النّاس مؤونتك فادخل الجنة ، ألا إنّ الفقيه من أفاض على النّاس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصّل لهم رضوان الله تعالى ، ويقال للفقيه ، يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم قف حتى تشفع لك من أخذ عنك أو تعلّم منك ، فيقف فيدخل الجنّة معه فئاماً فئاماً فئاماً ـ حتى قال عشراً ـ وهم الّذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمّن أخذ عنه وعمّن أخذ عمّن أخذ عنه إلى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق بين المنزلتين ؟ »[١] .

أي : بين منزلة العابد المنجي نفسه وبين الفقيه العالم المُنجي نفسه ونفوس الآخرين ؛ لأنّ العلم نور والنّور هو الظّاهر في

---

(١) المحجّة البيضاء ١ / ٣٢ .

قوله عليه السلام : « فئاماً . . » قال ابن الأثير : الفئام مهموز : الجماعة الكثيرة . النهاية ٣ / ٤٠٦ ، (فأم) ، وقال الطريحي : وفي الحديث « قلت : وما الفئام ؟ قال : مائة ألف » مجمع البحرين (فأم) .

نفسه المظهر لغيره ولعلّ في حديث « إنّما هو نور »[1] إشارة إلى ذلك ففي صادقي صحيح رواه الكليني : « رجل راوية لحديثكم يبثّه ذلك في النّاس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرّواية أيهما أفضل ؟ قال : الرّاوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد »[2] . واخر : « النّاس ثلاثة : عالم ومتعلّم وغُثاء »[3] . وآخر : «يغدو النّاس على ثلاثة أصناف : عالم ومتعلّم وغُثاء ، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر النّاس غثاء »[4] . وآخر : « أُغدُ عالماً أو متعلماً أو أحبّ أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم »[5] . ونبوىّ : « أغدُ عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً ولا تكن الخامس فتهلك »[6] .

العلم جوهرة لا تعطى الجاهل الّذي لا يعرف ثمنها أو يضلّ بها فيهلك . وعن زيد العابدين في أبيات منسوبة إليه :

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصي قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا[7]

وفي صادقيّ : « خالطوا النّاس بما يعرفون ودعوهم مما

---

(١) البحار ١ / ٢٢٥ ، الضمير عائد إلى العلم المذكور فيه .
(٢) أصول الكافي ١ / ٣٣ ، كتاب فضل العلم .
(٣) المصدر ص ٣٤ ، وغثاء : ما يحمله السّيل من الزّبد والوسخ . هامش المصدر .
(٤) أصول الكافي ١ / ٣٤ .
(٥) المصدر .
(٦) البحار ١ / ١٩٥ ، الجامع الصّغير ٤٨ .
(٧) المحجّة البيضاء ١ / ٦٥ .

ينكرون ولا تحمّلوا على أنفسكم وعلينا ؛ إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان »[1] .

---

(١) المصدر ص ٦٦ . بصائر الدرجات ٤٦ ، وفيه عدة أخرى . في هذا الصدد انظر من ص ٤٦ ـ ٤٩ من المصدر .

٣٩ ـ أنفق ولا تخشى من ذي العرش اقتاراً

روى الكليني بإسناده إلى ابن أبي نصر قال :

« قرأت في كتاب أبي الحسن الرّضا إلى أبي جعفر عليهما السلام يا أبا جعفر بلغني أنّ الموالي إذا ركبتَ أخرجوك من الباب الصغير فإنّما ذلك من بخلٍ منهم لئلا ينال منك أحد خيراً ، وأسألك بحقّي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب الكبير ، فإذا ركبت فليكن معك ذهبٌ وفضة ، ثم لا يسألك أحدٌ شيئاً إلّا أعطيته ، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تُعطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك ، ومَنْ سألك من عمّاتك فلا تُعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً . والكثير إليك ، إنّي إنّما أريد بذلك أن يرفعك الله فأنفق ولا تخشى من ذي العرش إقتاراً »[1] .

نظيره المثل السائر النّبويّ قال الميداني في مجمع الأمثال :
« أنفق بلال ولا تخشى وذي العرش إقلالاً » قاله النّبيّ صلى الله

(١) الكافي ٤ / ٤٣

عليه وآله لبلال . يضرب في التّوسّع وترك البخل[1] .

وقد ذكرناه وعددناه في الأمثال النّبويّة ، وقلنا سواء أمر صلى الله عليه وآله بلالاً بالإنفاق أم لا إنّ القرآن الكريم والسّنّة القطعيّة ندبا إليه ما لو رام الكاتب ذلك لأفرد له باباً يستوعب فيه أحكام النّفقات الواجبة والمندوبة[2] .

في ثلاثة وسبعين موضعاً تناول القرآن الكريم الإنفاق منها قوله تعالى : ﴿ **وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . .** ﴾[3] وفيها : الدّلالة على الهلاك من ترك الإنفاق وإشارات ليس هنا موضع ذكرها وكفى ذلك اهتماماً بشأن الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ ، ومن السّنّة :النّبويّ الّذي رواه الميداني والرّضوي المبحوث ، والعلويّ : « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من كلامه »[4] . والنّبويّ : « الأيدي ثلاثة : فيد الله عزّ وجلّ العليا ويد المعطي الّتي تليها ، ويد السّائل السُّفلى فأعط الفضل ولا تعجز نفسك »[5] والعلويّ : « أنفقوا ممّا رزقكم الله عزّ وجلّ ؛ فإنّ المُنفق بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، فمن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنّفقة »[6] .

---

(١) المجمع ٢ / ٣٤١ ، رقم ٤٢٤٩ ، حرف النون .
(٢) الأمثال النّبويّة ١ / ١٩٩ ، رقم المثل ١٢٦ ، حرف الهمزة مع النّون .
(٣) سورة البقرة : الآية / ١٩٥ . ومن تلك الاشارات عدم ذكر نفس الهلاك ليعمّ غيره أيضاً : أي لا تلقوا بأيديكم أنفسكم ولا نفوس الآخرين فيها .
(٤) البحار ٩٦ / ١١٧ .
(٥) البحار ٩٦ / ١١٩ .
(٦) البحار ٩٦ / ١٢٠ وفي المقام روايات أخرى لا يسع ذكرها .

٤٠ ـ إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كان خيراً فخيراً

روى الشّيخ الكليني نسخة وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الّتي فيها التّنصيص على خلافة الإمام الرّضا عليه السلام وإمامته وإخراج بقيّة إخوته منهم العبّاس بن موسى عليه السلام المعارض لأخيه الرّضا وقد ذكرنا المعارضة بتمامها عند الكلمة الرّضويّة : « اخسأ عنّا وعنهم الشيطان »[1] . ولم يكن المثل السّائر : « إن كان شرّاً فشراً ،وإن كان خيراً فخيراً » ، مذكوراً في المعارضة على رواية الصدوق وإنّما هو مذكورٌ في رواية الكليني طاب ثراهما مع ألفاظ أخرى وإليك نصّ المعارضة بنسخة الكافي :

قال أبو الحكم ـ بعد ذكر الوصيّة التي لم نذكرها ـ : فحدّثني عبد الله بن آدم الجعفري عن يزيد بن سليط قال :

كان أبو عمران الطّلحي قاضي المدينة فلمّا مضى موسى قدّمه[2] إخوته إلى الطّلحي القاضي فقال العبّاس بْن موسى : أصلحك الله وأمتع بك إنّ في أسفل هذا الكتاب كنزاً وجوهراً ويريد أن يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع أبونا رحمه الله شيئاً إلاّ ألجأه إليه

---

(١) الهمزة مع الخاء .

(٢) الرّضا عليه السلام المُقدَّم .

وتركنا عالةً ولولا أنّي أكفّ نفسي لأخبرتك بشيء على رؤوس الملأ ، فوثب إليه إبراهيم بن محمّد فقال : إذا والله تخبر بما لا نقبله منك ولا نصدّقك عليه ثمّ تكون عندنا ملوماً مدحوراً ، نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً وكان أبوك أعرف بك لو كان فيك خيراً [خيرٌ] وإن كان أبوك لعارفاً بك في الظّاهر والباطن وما كان ليأمنك على تمرتين ، ثم وثب إليه إسحاق بن جعفر عمّه[1] فأخذ بتلبيبه فقال له : إنّك لسفيه ضعيف أحمق أجمع هذا مع ما كان بالأمس منك ، وأعانه القوم أجمعون . فقال أبو عمران القاضي لعليّ ـ عليه السلام ـ : قم يا ابا الحسن حسبي ما لعنني أبوك اليوم وقد وسّع لك أبوك ولا والله ما أحدٌ أعرف بالولد من والده ، ولا والله ما كان أبوك عندنا بمستخفٍّ في عقله ولا ضعيف في رأيه .

فقال العبّاس للقاضي : أصلحك الله فضّ الخاتم واقرأ ما تحته ، فقال أبو عمران : لا أفضّه حسبي ما لعنني أبوك اليوم[2] ، فقال العبّاس : فأنا أفضّه ، فقال ذاك إليك ، ففضّ العبّاس فإذا فيه إخراجهم وإقرار عليّ لها وحده وإدخاله[3] إيّاهم في ولاية عليّ إن أحبّوا أو كرهوا وإخراجهم من حدّ الصّدقة وغيرها وكان فتحه[4] عليهم بلاء وفضيحة وذلّة ، ولعليّ عليه السلام خيرةً ، وكان في الوصيّة الّتي فضّ العبّاس تحت الخاتم هؤلاء الشّهود :

إبراهيم بن محمّد ، وإسحاق بن جعفر ، وجعفر بن صالح ،

---

(١) في معجم رجال الحديث ٣ / ٤٢ ـ ٤٣ التّوثيق العالي له .

(٢) لأنّ الكاظم عليه السلام قال في الوصيّة : « ليس لاحدٍ أن يكشف وصيّتي . . . فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه . . . » الكافي ١ ٣١٧ .

(٣) العباس .

(٤) كتاب الوصيّة .

وسعيد بن عمران ، وابرزوا وجه أمّ أحمد في مجلس القاضي وادّعوا أنها ليست إياها حتّى كشفوا عنها وعرفوها ، فقالت عند ذلك : قد والله قال سيّدي هذا : إنك ستؤخذين جبراً وتخرجين إلى المجالس[1] فزجرها إسحاق بن جعفر وقال : اسكتي ؛ فإنّ [عقول] النّساء إلى الضّعف ما أظنّه قال من هذا شيئاً . ثم إنّ عليّاً عليه السلام التفت إلى العبّاس فقال :

يا أخي إنّي أعلم أنّه إنّما حملكم على هذه ، الغرائم والدّيون الّتي عليكم ، فانطلق يا سعيد[2] فتعين لي ما عليهم ، ثمّ اقض عنهم ، ولا والله لا ادع مواساتكم وبرّكم ما مشيت على الأرض فقولوا ما شئتم فقال العبّاس : ما تعطينا إلّا من فضول أموالنا ومالنا عندك أكثر ، فقال : قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم[3] فإن تُحسنوا فذاك لكم عند الله ، وإن تسيؤوا فإنّ الله غفور رحيم والله إنّكم لتعرفون أنّه مالي يومي هذا ولد، ولا وارث غيركم ولئن حبست شيئاً فما تظنّون أو ادّخرته فإنّه هو لكم ومرجعه إليكم والله ما ملكت منذ مضى أبوكم رضي الله عنه شيئاً إلّا وقد سيّبته[4] حيث رأيتم .

فوثب العبّاس فقال : والله ما هو كذلك ، وما جعل الله لك من رأي علينا ولكن حسد أبينا لنا وإرادته ما أراد ممّا لا يسوّغه الله إيّاه ولا إيّاك وإنّك لتعرف أنّي أعرف صفوان بن يحيى بيّاع السّابري بالكوفة ولئن سلمتُ لأغصّصنّه بريقه[5] وأنت معه ، فقال عليّ عليه

---

(١) انظر معجم رجال الحديث ٢٣ / ١٧٢ - ١٧٣ ترجمة أمّ أحمد .
(٢) لعلّه الخادم .
(٣) بالكسر - للعين - فيهما ، وفي بعض النّسخ [فالغرض غرضكم] على ما في هامش الكافي ١ / ٤١٦ .
(٤) من التّسبيب : الجري والتّرك ومنه السّائبة .
(٥) مثل سائر يقال في الخنق .

السلام :

لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم ، أمّا أنّي يا إخوتي فحريصٌ على مسرّتكم الله يعلم ، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي أحبّ صلاحهم وأنّي بارٌّ بهم واصل لهم رفيق عليهم أعني بأمُورهم ليلاً ونهاراً فأجزني به خيراً وإن كنتُ على غير ذلك فأنت علّام الغيوب فأجزني به ما أنا أهله إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كان خيراً فخيراً ، اللّهمّ أصلحهم وأصلح لهم واخسأ عنّا وعنهم الشّيطان وأعنهم على طاعتك ووفقهم لرشدك ، أمّا أنا يا أخي فحريصٌ على مسرّتكم جاهدٌ على صلاحكم ، والله على ما نقول وكيلٌ ، قال العبّاس : ما أعرفني بلسانك وليس لمسحاتك عندي طين[١]. فافترق القوم على هذا وصلى الله عليه محمد وآله[٢] .

ثمّ إنّ كلّ ما ذكرناه خارج عن موضوع البحث وقوله عليه السلام : « إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كانِ خيراً فخيراً » هو المقصود ؛ وذلك من الأمثال السّائرة وقد ذكره الميداني بلفظ : « النّاس مجزيّون بأعمالهم : إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌ »[٣] .

---

(١) مثل سائر يضرب لعدم التأثير وللخيبة .

(٢) الكافي ١ / ٣١٧ ـ ٣١٩ ، وعيون أخبار الرّضا ١ / ٢٩ ـ ٣٠ مع تغيير ما .

(٣) مجمع الأمثال ٢ / ٣٤١ ، حرف النون . ذكرناه مع ما يمتّ إليه بصلة عند المثل الرّضويّ حرف الهمزة مع النّون .

٤١ ـ إنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن ـ عليه السلام ـ

روى الشيخ المفيد طاب ثراه بإسناده إلى زكريّا بن آدم قال :

« قلت للرّضا عليه السلام إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السّفهاء ، فقال : لا تفعل ؛ فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام »[١] .

وهل امتداح كهذا الامتداح في شأن زكريّا بن آدم إلّا وهو يقصر البلوغ دونه، نعم جاء عنه عليه السلام أيضاً في سؤال ابن المسيّب : شقّتي بعيدة ولستُ أصل إليك في كلّ وقت فممّن آخذ معالم ديني ؟ فقال : من زكريّا بن آدم القّميّ المأمون على الدّين والدّنيا[٢] .

إذا كان زكريا بمثابة الإمام المعصوم في دفع البلاء عن أهل بغداد وهذا عن أهل قم فلا يكون لا محالة إلا أميناً على الدّين والدنيا، والأمانة هي الّتي دعت الرّضا عليه السلام إلى أن يقارنه وأباه في دفع ما يحذر منه عن سكنة بغداد وقم وقد قال في سبب إرادة الخروج قوله : فقد كثر السّفهاء ويعلم منه أنّهم المدفوع عنهم ببركة وجود زكريّا بن آدم من أهل قم ولكن عموم الأهل يمنع اختصاص

(١) الاختصاص ٨٧ ، ومعجم رجال الحديث ٧ / ٢٧٢ .

(٢) المصدران .

الدّفع عن طائفة خاصّة ومن المقرّر في محله هو الأخذ بعموم الجواب لا خصوص السّؤال إلّا بمخرج معتبر من عقل أو نقلٍ .

وزكريّا بن آدم معدود من أصحاب الرّضا والجواد بل الصّادق عليهم السلام كما عن الشيخ[١] . وله منهم الثّناء الرّفيع قدّمنا بعضاً منه وإليك آخر :

قال المفيد حدّثنا جعفر بن محمد بن قولويه عن الحسن بن بنان عن محمّد بن عيسى عن أبيه عن علي بن مهزيار عن بعض القمّيين عن محمد بن إسحاق والحسن بن محمد قالا : خرجنا بعد وفاة زكريّا بن آدم إلى الحجّ فتلقانا كتابه عليه السلام في الطريق ما جرى من قضاء الله الرّجل المتوفّى في رحمة الله يوم وُلد ويوم قبض ويوم يبعث حياً فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحقّ ، قائلاً به صابراً محتسباً للحقّ قائماً بما يحبّ الله ورسوله ومضى رحمة الله عليه غير ناكثٍ ، ولا مبدّل ، فجزاه الله أجرنيّته وأعطاه جزاء شيعته . . .[٢]

فلو كان للأئمّة عليهم السلام اثنان من أصحابهم المرضيّين بكلّ معنى كلمة الرّضا فأحدهما زكريا بن آدم صاحب الرّضا عليه السلام المدفون في البقعة المعروفة بـ (شيخان) في بلدة قم يزار ويتبرك به رضوان الله تعالى عليه .

---

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ٢٧١ .

(٢) الاختصاص ٨٧ ـ ٨٨ ، معجم الرجال ٧ / ٢٧٣ . فيه ورد النص هكذا : «خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم بثلاثة أشهر نحو الحجّ ، فتلقانا كتابه عليه السلام في بعض الطريق فإذا فيه : ذكرت ما جرى من قضاء الله به في الرجل المتوفى رحمه الله يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حيًا . فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحق قائلاً به صابراً مخلصاً للحق ، قائماً بما يحبّه الله ورسوله . . . » الخ .

٤٢ ـ إنّ الّذي يموّن الحمار يموّن البرذون

روى الشيخ الكليني بإسناده إلى ابن طيفور المتطبّب قال :

« سألني أبو الحسن عليه السلام أيّ شيءٍ تركب ؟ قلت : حماراً ، فقال : بكم ابتعته ؟ قلت : بثلاثة عشر ديناراً ، فقال : إنّ هذا هو السّرفُ أن تشتري حماراً بثلاثة عشر ديناراً وتدع برذوناً . قلت : يا سيّدي إنّ مؤونة البرذون أكثر من مؤونة الحمار ، قال : فقال : إنّ الّذي يموّن الحمار يموّن البرذون ، أما علمت أنّ من ارتبط دابّة متوقّعاً به أمرنا ويغيظ به عدوّنا وهو منسوب إلينا أدرّ الله رزقه ، وشرح صدره ، وبلّغه أمله ، وكان عوناً على حوائجه »[١] .

الحمار يعرفه كلّ إنسان ، و (البرذون) بكسر الباء الموحّدة وبالّذال المعجمة : هو من الخيل الّذي أبواه أعجميّان ، والأنثى برذونة ، والجمع براذين[٢] . والبغل هو البرذون الفحل قال الدميري : البغل معروف وكنيته أبو الأشحج وأبو الحرون وأبو الصّقر وأبو قضاعة وأبو

(١) الكافي ٦ / ٥٣٥ .

(٢) مجمع البحرين في (برذ) وفي لغة الفُرس : (ستور ، وأسب تاتاري) . منتهى الأرب ، في (برذون) .

قمـوص وأبو كعب وأبـو مختار وأبـو ملعون . ويقـال له : ابن بـاهق ، وهـو مركّب من الفَرَس والحمار ؛ ولـذلـك صـار لـه صـلابـة الحمـار وعظم آلات الخيل ، وكذلك شحيجـه : أي صوتـه ، مولـد من صهيل الفـرس ونهيق الحمار، هـو عقيم لا يولـد له. . . وإذا كـان الذكـر حمـارا يكون شديد الشّبه بالفَرَس ، وإذا كان الذكر فرسـاً يكون شـديد الشّبـه بالحمار .

ومن العجيب أنّ كـلّ عضـو فـرضتـه منـه يكـون بين الفـرس الحمـار وكـذلـك أخـلاقـه ليس لـه ذكـاء الفـرس ولا بـلادة الحمـار ، ويقـال : إنّ أوّل من انتجها قـارون ولـه صبـر الحمـار وقـوّة الفـرس ، ويـوصف بـرداءة الأخـلاق والتّلوّن لأجـل التّـركيب وينشـد في ذلـك قوله :

خـلق جـديـد كـلّ يـوم مثـلَ أخـلاق البـغـال

لكنّه مع ذلـك يوصف بـالهدايـا في كلّ طريق يسلكه مـرّة واحداً وهو مع ذلـك مركب الملوك في أسفـارها وقعيـدة الصّعاليـك في قضاء أو أمـرها مـع احتمالـه للأثقـال وصبره على طـول الإيغـال وفي ذلـك يقال :

مركب قاضٍ وإمـام عدلٍ وعـالمٍ وسيّـدٍ وكهـل(١)

* يصلح للرّحل وغير الرّحل *

حياة الحيوان / ١٩٥ . وفي المصدر (كهل) بلا واو واللازم ثبوتها .
أقول : في حديث أبي هـاشم الجعفري حـرف القاف مـع الدّال من الحكم الـرّضويـة ذكرنـا حديث الهـادي عليه السـلام ودعاؤه لأبي هـاشم الجعفـري ولبرذونه فراجع ، فإنّه يمسّ المقام بعض المساس .

وقال في البرذون : كنيته أبو الأخطل كنى به لخطل ذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربي وهو الذي أبواه أعجميّان ، والأعجميّ من النّاس : الّذي لا يفصح الكلام عجميّاً كان أو عربيّاً ألا تراهم قالوا : زياد الأعجم لعجمة كانت في لسانه وهو عربيّ .

وقال في خواصّه إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبداً ، وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصّيته فيه ، وإذا جفف وذرّ منه في الأنف حبس الرّعاف ، وإذا ذرّ على الجراحات حبس الدّم . وقال : البرذون في المنام خصومة وقيل غلام ويعتبر أيضاً برجل أعجميّ ويعبّر أيضاً بامرأة ؛ فمن سرق برذونه طلق زوجته(١) .

وقال الجاحظ :

البراذين والبغال والحمير وأشباه ذلك من ذوات الشّعر(٢) . وقال البراذين والعتاق كلّها خيل(٣) . وقال البراذين عند الفرس ضأن الخيل(٤) . وأنّ الأنثى أشدّ أكلاً من الذكر قيل لبعض الأعراب : أيّ شيءٍ آكل ؟ قال : برذونة رغوث(٥) .

أقول : للبرذون خلال أخرى ذكرها بعض الكُتّاب نقتصر على بعض الأمثال المضروبة في ذلك قال الثعالبي : البغل الهرم لا يفزعه صوت الجُلْجُل)، (قيل للبغل : من أبوك ؟ قال : الفرس خالي) ، (فلان بغلة أبي دُلامة) لكثير العيوب . (في سبيل الله سرجي وبغلي) فيمن يتصدّق بما فاته وخاب .

---

(١) حياة الحيوان ١ / ١٦٨ و ١٧٢ .
(٢) الحيوان ٥ / ٤٨٤ .
(٣) الحيوان ٣ / ٢٠٢ .
(٤) الحيوان ١ / ١٥٢ .
(٥) الحيوان ١ / ١١٢ ، رغوث : مرضعة .

(ارتفع عن ذلّة العير ، واتّضع عن خيلاء الخيل ، وخير الأمور أوساطها)[1] .

وقد قيل في الحمار أيضاً نبذ من الكلمات المثليّة منها (لا يأبى الكرامة إلّا الحمار)[2] (كحمار القصّار أن جاع شرب ، وإن عطش شرب) . (بال الحمار فاستبال أحمرةً) .

كم من حمارٍ على جوادٍ ومن جوادٍ على حمار
إنّ الحمار مع الحمار مطيّة فإذا خلوت به فبئس الصاحب[3]

وقوله تعالى : ﴿ **والخيل والبغال والحمير نتركبوها وزينة** ﴾ [4] ، مقدّماً الأولى على الثّانية والثّانية على الثّالثة وفيه دلالة على أوساطيّة البغال الّتي هي خير [5] .

ولعلّ الحديث المبحوث ينظر إلى ذلك وإنّ البرذون وهو البغل أو النّوع الخاصّ منه على البيان الآنف الذّكر ركوبه الخروج من الخيلاء الحاصلة من الخيل والتّرفع عن الأتّضاع من ركوب الأحمرة ، وأنّ الله جلّ جلاله الكافل للمؤن الكثيرة والقليلة وأنّ الذي يموّن الحمار يموّن البرذون ونظيره المثل الصّادقيّ : « إنّ ربّ الماء ربّ الصّعيد » ، والآخر : « فإنّ ربّ الماء ربّ التراب » [6] . في كون الطّهارة التّرابيّة كالطّهارة المائيّة مجزية ومسقطة للتكليف .

---

(١) التّمثيل والمحاضرة ٣٤٢ (الأمثال النّبويّة) ١ / ٣٩٣ ، حرف الخاء مع الياء .
(٢) التمثيل والمحاضرة ٣٤٣ . وحرف اللام مع الألف من الأمثال العلوية .
(٣) التّمثيل والمحاضرة ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .
(٤) سورة النّحل : الآية / ٨ .
(٦) الوسائل ١ / ٩٨٤ ، باب ١٤ من أبواب التيمّم ، الحديث ١٥ و ١٣ . وفي الباب أحاديث أخر .

٤٣ ـ أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ

قال الصّدوق طاب ثراه : حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدّقّاق رضي الله عنه قال حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الحسني عن عبد السّلام بن صالح الهرويّ قال : حدّثني معمر بن خلّاد وجماعة قالوا :

دخلنا على الرّضا ـ عليه السلام ـ فقال له بعضنا : جعلنا الله فداك مالي أراك متغير الوجه ؟ فقال ـ عليه السلام ـ : إنّي بقيت ليلتي ساهراً متفكّراً في قول مروان بن أبي حفصة :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

ثمّ نمت فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ للمشركين دعائم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدّهم والعمّ متروك بغير سهام
ما للّطليق وللتراث ؟ وإنما سجد الطليق مخافة الصّمصام
قد كان أخبرك القرآن بفضله فمضى القضاء به من الحكّام
إنّ ابن فاطمة المنوّه باسمه حاز الوراثة عن بني الأعمام
وبقي ابن نُثْلة واقفاً متردّداً يبكي ويُسعده ذووا الأرحام[1]

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ ـ ١٧٥

ومروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة شاعر مروانيّ نشأ في العصر الأموي =

يريد الشّاعر بشعره الّذي كان الرّضا عليه السلام متفكراً فيه أنّ الخلافة للعبّاسيّين دون بني هاشم ،لأنهم ينتمون الى النّبيّ صلى الله عليه وآله بالعمومة وبنو هاشم من ولد علي عليهم السلام بنو بنته والعمّ أقرب من أبن بنت الميّت وأولى بميراثه وعليه الخلافة للمأمون العبّاسيّ دون الرّضا عليه السلام ابن بنت الرّسول ومن أجل ذلك استغرب الشّاعر الضّالّ أن تكون الإمامة وراثة أولاد فاطمة عليهم السلام الّتي هي خصيصةً الأعمام قائلاً :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

فأجاب عنه القائل في المنام بالأبيات التي أنشدها الرّضا عليه السلام : أنّ الخلافة نصيب أولاد فاطمة من جدّهم والعمّ متروك السهم .

مَنْ هذا القائل الّذي رآه الرّضا عليه السلام في المنام ؟ وهل نوم المعصوم وما يراه كغيره ؟ وقد جاء في صادقيّ : « إنّ منّا لمن ينكت في أذنه ، وإنّ منّا لمن يرى في منامه ، وإنّ منّا لمن يسمع مثل صوت السلسلة التي تقع في الطّست »[1] ، وآخر : « إنّا لنعلم ما فى اللّيل والنّهار »[2] . وآخر : « أترى أنّ الله استرعى راعياً واستخلف خليفة ثم يحجب عنه شيئاً من أمورهم »[3] ، وللبحث تتمّة مرهونة .

= ضالّ منحرف ، ولد ١٠٥ هـ ، ومات ١٨٢ ، كما قاله الزركلي في الأعلام ٧ / ٢٠٨ .

(١) البحار ٢٦ / ٥٥ .

(٢) المصدر ص ٦١ .

(٣) المصدر ص ١٤٢ .

٤٤ ـ انّ الشّيء إذا لم يُرَدْ لم تكن إرادةٌ

كلمة مستخرجة من مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة التي رواها الصّدوق ، ولبيان المراد نذكر شيئاً من متن المناظرة :

« قال سليمان إنّها كالسّمع والبصر والعلم ، قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : قد رجعت إلى هذا ثانية فأخبرني عن السّمع والبصر والعلم أمصنوع ؟ قال سليمان : لا ، قال ـ عليه السلام ـ فكيف نفيتموه ؟ قلتم لم يرد ، ومرّة قلتم أراد وليست بمفعول له ، قال سليمان : إنّما ذلك كقولنا مرّة عَلِمَ ومرّة لم يعلم ، قال الرّضا ـ عليه السلام ـ ليس ذلك سواء ؛ لأنّ نفي المعلوم ليس كنفي العلم ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ؛ لأن الشّيء إذا لم يُرَدْ لم تكن إرادةٌ فقد يكون العلم ثابتاً وإن يكن المعلوم ؛ بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المُبصَر . . . »[1] .

قوله عليه السلام : « قد رجعت إلى هذا ثانية » والأُولى قوله

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٩ ، التّوحيد : ٤٤٨ ـ ٤٤٩ وفي هامشه « لم تكن الارادة » ومتنه « لم يكن إرادة » .

أي قول سليمان : « ما تقول فيمن جعل الإرادة اسما وصفة مثل حيّ وسميع وبصير وقدير »[1] .

والصّنع أثر الفعل وكيف تكون صفة الّذات كالسّمع والبصر والعلم أثراً لفعل الّذات وهل هذا إلاّ خلط بين صفات الّذات والفعل ؟ على أنّ الأُولى لا يصحّ نفيها في حال فلا يقال قد يسمع وقد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم بينما يقال قد لم يرد فلو كانت الإرادة كالسّمع والبصر لما صحّ نفيها .

نعم ربّما يقال عالم ولا معلوم وسميع ولا مسموع وقادر ولا مقدور وهو صحيح إذ النفي خاصّ بالمعلوم والمقدور والمسموع كما نجد الإنسان بصيراً أي ذا بصر ولا مُبْصَرٌ يبصره وهذا كلّه بخلاف المراد والإرادة إذ الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة لعدم معقوليّة التّفكيك بينهما فلا يقال له تعالى مريداً إلاّ والمراد موجود . نعم القدرة على إيجاد المراد موجودة أمّا بوصف الإرادة فلا يعقل وجوده بدونها أو وجودها بدونه فافهم ، فإنّه دقيق .

بقي شيء :

وهو أنّ لله إرادتين : ١ـ إرادة حتم لا تتخلف عن المراد ولا هو عنها . ٢ ـ إرادة عزم بتخلّف المراد عنها كما في ذبح إسماعيل ، وأكل آدم من البُرّ المنّهيّ عنه في الجنّة ، فلو لم يرد ذلك لغلبت إرادة آدم وإبراهيم عليهما السلام على إرادة الله جلّ جلاله وذلك محال فلم يرد من النّهي المذكور إلا إرادة العزم ؛ ببيان ذكرناه عند كلمة « أنّ الفعل كلّه محدث »[2] . والمراد من الكلام الجاري هو مطلق الإرادة ولا يفرق بين كونها حتميّة وعزميّة .

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٦ ، التّوحيد : ٤٤٥ .
(٢) التّوحيد : ٦٤ ، وانظر أيضاً حرف الهمزة مع النّون

٤٥ ـ إنّ الصّدقة محرّمة على محمّد وآله

روى الشيخ الصدوق حديث استدلال الإمام الرّضا عليه السلام بالاثني عشر آية من القرآن الكريم على فضل العترة الطّاهرة جواباً لعلماء أهل العراق وخراسان الّذين جمعهم المأمون كعادته في غير مرّة لما أضمره ما الله عزّ وجلّ يعلمه ، ذكرنا طائفة منها متفرّقة عند كلمات انتزعناها ، ومنها الآية الثّامنة وهي آية الخمس[1] لم نذكر ها هنا ، ولا شرحه عليه السلام إيّاها ، ولبيان ربط الكلمة المختارة ما يلي من الحديث :

« فلمّا جاءت قصّة الصّدقة نزّه نفسه ورسوله ونزّه أهل بيته فقال : ﴿ **إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفى الرّقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السّبيل فريضة من الله** ﴾[2] فهل تجد في شيءٍ من ذلك أنّه سمّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى ؛ لأنّه لما نزه نفسه عن الصّدقة ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته لا بل حرّم عليهم ؛ لأنّ الصّدقة محرّمة على محمّد وآله وهي أوساخ أيدي النّاس لا يحلّ لهم لأنّهم طهروا من كلّ دنس ووسخ

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٤١

(٢) سورة التّوبة : الآية / ٦٠ .

فلمّا طهّرهم الله عزّ وجلّ واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عزّ وجلّ فهذه الثامنة »[1]

يريد عليه السلام أنّ المعصومين الّذين هم آل محمّد عليهم السلام منزلتهم غير موصوفة إلّا لمن في رتبتهم والّذي يكشف عن علوهّم مقارنتهم مع الله والرّسول في سهم الخمس من الغنائم والأنفال والطّاعة والولاية كما ذكرنا ذلك كلّه عند كلمة « جعلهم في حيّز وجعل النّاس في حيّز دون ذلك »[2]. كما شاركوا الله والرّسول في التّنزيه في آية الصّدقة حيث لم يؤت ذكرهم كما لم يؤت ذكر الله والرّسول فكلّ ما ذكرا ذكروا كما في آية الخمس والطاعة والولاية وكلّ ما لم يذكرا لم يذكروا كما في آية الصّدقات؛ ومن ثمّ صارت الصّدقة محرّمة عليهم عليهم السلام حيث لم يرضيها الله عزّ وجلّ لنفسه ولا لرسوله فلم يرضها لأهل البيت فهم شركاء في ذلك كلّه. وهذه فضيلة لا مطمع فيها لسواهم ولا نصيب فيها لغيرهم، وفي علويّ : « أكرم الله رسوله وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ النّاس »[3]. وكيف لا وهم ملوك الدّنيا والآخرة ولولاهم لما خلق العالم بأسره .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٦ ـ ١٨٧ الوسائل ٦ / ٣٦٠

(٢) حرف الجيم مع العين

(٣) الوسائل ٦ / ٣٥٨

٤٦ ـ إنّ الصّمت يكسب المحبّة

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بسنده الصّحيح إلى أحمدبن أبي نصر قال قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام :

« من علامات الفقه الحلم ، والعلم ، والصّمت ؛ إنّ الصّمت باب من أبواب الحكمة ؛ إنّ الصّمت يكسب المحبّة ؛ إنّه دليل على كلّ خيرٍ »(١)

قال الميداني في مجمع الأمثال : (الصّمت يكسب أهله المحبّة) : أي محبّة النّاس إيّاه لسلامتهم منه .

يضرب في مدح قلّة الكلام .(٢) فالرّضويّ هوالمثل السّائر مع تغيير مّا ، ولا يمتري اثنان في كسب الصّمت المحبّة ، وقد جاء امتداحه البالغ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وغيرها نذكر بعضها :

ففي باقريّ : « إنّما شيعتنا الخُرس » . وصادقي « وهو يقول

---

(١) أصول الكافي ٢ / ١١٣ .

(٢) ج ١ / ٤٠٢ ، حرف الصاد .

لمولى له يقال له سالم ـ ووضع يده على شفتيه وقال : ـ يا سالم احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل النّاس على رقابنا » . وعن حمّاد بن عيسى قال : حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني ، فقال له : « أحفظ لسانك تُعزّ ولا تمكّن النّاس من قيادك فتذلّ رقبتك » . وصادقيّ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : ألا أدلّك على أمرٍ يدخلك الله به الجنّة ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : أنل مما أنالك الله[1] : قال : فإن كنت أحوج ممّن أنيله ؟ قال : فانصر المظلوم ، قال : وإن كنت أضعف ممّن أنصره ؟ قال : فاصنع للأخرق[2] يعني أشر إليه ، قال : فإن كنت أخرق ممّن أصنع له ؟ قال : فاصمت لسانك إلّا من خير ، أما يسرّك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة ؟ » . وصادقيّ آخر : « قال : قال لقمان لأبنه : يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة ؛ فإنّ السّكوت من ذهب »[3] وعلويّ : « ما من شيءٍ أحقّ بطول السّجن من اللّسان »[4] .

وأمّا غير الأحاديث من الكلمات المحتملة الانتزاع منها فكما يلي بعضها أيضاً؛ فإنّ الاستقصاء الكامل مخرج للموضوع .

قالوا : (من أخافه الكلام أجاره الصّمت) . (وعاء الخطايا بالصّمت يختم) . (الصّمت ينفع النّاس والطّير) .

الصّمت حكمٌ وقليلٌ فاعله   يُسعد بالقول ويَشْقى قائلُه[5]

---

(١) أي أعط مما أعطاك الله .
(٢) الأخرف : الجاهل بما يجب أن يعمله ومن لا يحسن التّصرّف في الأمور ولم يكن في يده صنعة يكتسب بها . هامش أصول الكافي ٢ / ١١٣ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ١١٣ ـ ١١٤ .
(٤) الوسائل ٨ / ٥٣٥ ، وحرف الميم مع الألف من الأمثال العلوية .
(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٢٥ .

قـال بعضهم : الصّمت يجمـع للرّجـل خصلتين : السّـلامـة في دينـه ، والفهم عن صـاحبـه . وقـال آخـر : حفظ اللّسـان أشـدّ على النّاس من حفظ الدّنانير والدّراهم[1]

وفيما ذكر للعاقل الكفاية ، ولا تغني الكتب إن لم يكن .

---

(١) المحجّة البيضاء للكاشاني ٥ / ١٩٧ ، كتاب آفات اللّسان .

٤٧ ـ إنّ الفاعل قبل المفعول

من كلمات مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة المدّعي قِدمها وقد أبطلها عليه السلام رواها الصّدوق، ولربط الكلمة وبيان المراد منها نذكر شيئاً من المناظرة :

« قال سليمان : إرادته منه ـ عزّ وجلّ ـ كما أنّ سمعه منه وبصره منه وعلمه منه، قال الرّضا عليه السلام : فإرادته نفسه ؟! قال : لا ، قال عليه السلام فليس المريد مثل السّميع والبصير ، قال سليمان : إنّما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه ، قال الرّضا عليه السلام : ما معنى أراد نفسه : أراد أن يكون شيئاً أو أراد أن يكون حيّاً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً ؟! قال : نعم ، قال الرّضا عليه السلام : أفبإرادته كان ذلك ؟! قال سليمان : لا ، قال الرّضا عليه السلام : فليس لقولك : أراد أن يكون حيّاً سميعاً بصيراً معنىً إذا لم يكن ذلك بإرادته ، قال سليمان : بلى قد كان ذلك بإرادته، فضحك المأمون ومن حوله وضحك للرضا عليه السلام ، ثم قال لهم : ارفقوا بمتكلّم خراسان ، يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيّر عنها وهذا ممّا لا يوصف الله عزّ وجلّ به ، فانقطع .

ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان أسألك مسألةً ، قال : سل جعلت فداك قال : أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون النّاس

بما يفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون ؟! قال : بما يفقهون ويعرفون ، قال الرّضا عليه السلام : فالّذي يعلم النّاس أنّ المريد غير الإرادة وأنّ المريد قبل الإرادة وأنّ الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم : إنّ الإرادة والمريد شيء واحد ، قال : جعلت فداك ليس ذاك منه على ما يعرف النّاس ولا على ما يفقهون ، قال عليه السلام فأراكم أدّعيتم علم ذلك بلا معرفة ، وقلتم : الإرادة كالسّمع والبصر إذاً كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل ، فلم يحر جواباً . . . »[١] .

والقبليّة قبليّة القيام بالمفعول كما قال العالم عليه السلام : « والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه »[٢] .

وبعد ما قال المروزي الإرادة منه تعالى مثل السّمع والبصر والعلم، سأله هل هي نفسه المتعالية ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام فليست إذاً مثل السّمع والبصر والعلم إذ يصحّ أن يقال سمعٌ كلّه بصرٌ كلّه علمٌ كلّه،ولا يقال إرادةٌ كلّه إلّا أن يراد بها الاقتدار على إيجاد ما أراد،ثم غلط المروزي بقوله أراد نفسه وردّه عليه السلام بعدم المعنى المعقول ؛ لأنّ ذلك لا يخلو أن يريد تعالى ذاته أو كونه حيّاً أو سميعاً أو بصيراً والمروزي مرّة قال نعم ، وأخرى لا بالتناقض ومِنْ ثَمَّ ضَحَكَ الجميع منه، وأمر عليه السلام برفقه وألزمه بلزوم التغيّر في الله جلّ جلاله المنفيّ عنه بقوله عليه السلام : « وهذا مما

(١) التّوحيد ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ .
(٢) التّوحيد ٣٣٤ . كما أنّ فاء ﴿ **كن فيكون** ﴾ يّس : ٨٢ . بيان رتبة الفاعل والمفعول تعرّضنا إلى ذلك بتفصيل عند كلمة « أرأيت ما أكل أهل الجنّة . . . » حرف الهمزة مع الرّاء .

لا يوصف الله عزّ وجلّ به ، فانقطع » .

ثمّ وجّه عليه السلام سؤالاً أفحمه في الجواب .

وحاصل السّؤال : هل تكلّم النّاس أنت وأصحابك بما لا يعرفون أو يعرفون، فإن قلت بما يعرفون فالنّاس يفرّقون بين المريد والإرادة، وأنّ المريد قبلها والفاعل قبل المفعول وأين هذا من القول بالوحدة بينهما فهم على خلاف ما أنت عليه ، ولتحقيق ذلك نقول :

إنّ الفعل هو صدورٌ وحركةٌ حاكيةٌ عن الفاعل وعلى حدّ اللّفظ المرويّ العلويّ : « الاسم ما أنبأ عن المسمّى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى . . . »[1] . فالفعل محكيّ كلمة الفاء والعين واللّام ليس إلّا حركة صادرة عن شخص ، وبما أنّ الله عزّ وجلّ مبّرأ عن الأدوات والآلات وكلّ ما يجري في المخلوق كان ذلك منه إبداع وصنع ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾[2] . قال الرّضا عليه السلام : « وكن منه صنعٌ وما يكون به المصنوع »[3] . وله عليه السلام بيان حول الحروف المبدعة بالإبداع وهي مفعول بذلك الفعل وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً إلى آخر ما هناك فراجع[4] . فالفعل مخلوق الله تعالى بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ ، والفاعل هو تعالى ذاته المقدّسة القدرة كلّه والعلم كلّه والحياة كلّه السّميع البصير القدير المريد، ولكن لا تكون الإرادة ذاته المتعالية ولا صفة ، نعم المريد اسم من أسمائه الحسنى ، اسم فعل ، وتلك أسماء الذات ونعوته الجماليّة والكلّ أسماء الكمال ؛ ومن أجلها صحّ قسمة الاسم إلى اسم ذاتٍ وصفةٍ وفعلٍ يجمعها اسم الكمال الّذي لا يكون إلّا

---

(١) البحار ٤٠ / ١٦٢ .

(٢) سورة يس :الآية / ٨٢ .

(٣) التوحيد ٤٣٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٠ .

(٤) المصدران .

بالجمال والجلال .

ونعود إلى المناظرة :

بعدما أقرّ المروزي بأنّه لا يتكلّم مع النّاس هو ولا أصحابه إلاّ بما يعرفون أبطل مدّعاه بما عند النّاس من الفرق بين المريد والإرادة والفاعل والمفعول وأنّ كلاً من ذلك قبل صاحبه ؛ لأنّ مدّعاه يعود إلى أنّ الفاعل والمفعول ، شيء واحد والمريد والإرادة شيء واحد ، كما أنّ السّميع والسّمع والبصير والبصر والقدير والقدرة في الله تعالى شيء واحد .

ثم المروزي رجع عن إقراره المتقدّم إلى إنكار ما يعرفون وأنّه على خلافهم في العقيدة فكرّ عليه السلام عليه وردّه بأنّه يقول ما لا يعرف ولا يعقل ، وأنّه يتفرّد في ذلك وهذا باطل في العقول ؛ لأنّ الحكم العقلي لا يختصّ بمتكلّم خراسان ، وبإنسان دون إنسان ؛ ومن هنا لم يحر جواباً لهذا الكلام الحاسم القاصم .

ثم قال الرّضا عليه السلام : « يا سليمان هل يعلم الله عزّ وجلّ جميع ما في الجنّة والنّار ؟! قال سليمان : نعم ، قال : أفيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك ؟! قال : نعم قال : فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلاّ كان أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟! قال سليمان : بل يزيدهم ، قال : فأراه في قولك : قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون . . . »[1] .

وللكلام تتمّة هامّة لا تسع المقام واطلبها من كلمة : « أنّ الفعل كلّه محدث »[2] ، وغيرها خاصّة من كلمة « أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه »[3] .

(١) التوحيد ٤٤٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٢) حرف الهمزة مع النّون .
(٣) حرف الهمزة مع الرّاء .

٤٨ ـ إنّ الفعل كلّه محدث

كلمة مستخرجة من مناظرة مع سليمان المروزي في الإرادة التي رواها الصّدوق ، ولبيان ربطها لا بدّ من ذكر شيءٍ من المناظرة : قال الرّضا عليه السلام :

«أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟!قال: بلى ، قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟! قال سليمانِ : لا ، قال : فكذلك كلّ ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم ، قال سليمان : بل نقطعه عنهم فلا يزيدهم ، قال الرّضا عليه السلام إذا يبيد ما فيهما وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد** ﴾[١] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **عطاءً غير مجذوذ** ﴾[٢] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾[٣] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **خالدين فيها أبداً** ﴾[٤] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **فاكهة**

---

(١) سورة قَ : الآية / ٣٥ .

(٢) سورة هود : الآية / ١٠٨ .

(٣) سورة الحجر : الآية / ٤٨ .

(٤) سورة البيّنة : الآية / ٨

كثيرة * **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ [1]. فلم يحر جوابا ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل ؟ قال : بل هي فعل ، قال : فهي محدثة، لأنّ الفعل كلّه محدث ، قال : ليست بفعل ، قال فمعه غيره لم يزل ، قال سليمان : الإرادة هي الإنشاء ، قال : يا سليمان هذا الّذي ادّعيتموه [عبتموه] على ضرار وأصحابه من قولهم : إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله عزّ وجلّ وإنّ إرادة الله عزّ وجلّ تحيي وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك فتبرأ منها وتعاديها وهذا حدّها » [2].

يرى النّاظر إلى هذه المناظرة تناقض المروزي إذ مرّة ينكر انقطاع الأكل والشّرب من أهل الجنة، والعذاب لأهل النّار وأنّه تعالى يزيد كلاً منهم ، وأخرى يدّعي قطعها عنهم ومنع الزّيادة وهو تناقض واضح ، والحقّ ثبوت الزّيادة وعدم الانقطاع ، لآية ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ و ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ المتقدّمة الذكّر ، وحيث ردّ عليه السلام بها فلم يعرف الجواب ..

ولا غرو إن تناقضت أقواله، إذ لم يأخذها من عين صافية من علوم آل محمّد عليهم السّلام ثم نبّه عليه السّلام المروزي أنّ ما عاب به على ضرار بن عمرو وأصحابه القائلين بالجبر قد وقع فيه، ولا يخفى أنّ هذا المذهب موافق لبعض العرفاء والمتصوفة من وحدة

---

(١) سورة الواقعة : الآية / ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) التّوحيد ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ ـ ١٤٩

وفي هامش التوحيد ٤٤٨ : أي فتبرأ من الإرادة بالمعنى الّذي ذهب إليه ضرار وتعاديها مع أنّ هذا الذي ذهبت إليه من أنّ الإرادة هي الإنشاء حدّ الإرادة بالمعنى الّذي ذهب إليه ضرار .

الـوجود وأنّ الكـلّ بالإرادة التّكـوينيّة ، وقـد جـاء النّصّ بـأنّ لله إرادتين : إرادة حتم وإرادة عزم والثّاني قد يتخلّف فراجع[1] .

ثم الإرادة لا ريب في كـونهـا فعـلاً والفعـل كلّه محـدث فهي محدثة لا محالة وهذا مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم[2] .

إذا دريت أنّ الإرادة محدثة فلنعد إلى كلام الـرّضا عليـه السلام في ردّ سليمان وإبطال مذهبه بِقدِمها .

أختار عليه السـلام الردّ بـطرح السّؤال وضرب الأمثـال كما سبق منـه بالسّؤال بقـوله : « يـا سليمان أسـألك مسـألة » ذكـرناه عنـد كلمة « أنّ الفاعل قبل المفعول »

وهـا هنا سؤال آخـر استمراراً لإبـطال القول بقـدم الإرادة ، عن طـريق علم الله عزّ وجـلّ وتخلّف المعلوم عنـه وأنّ مـا تعلّق علمـه بـه هـل هو كـائن لم يتخلّف كمـا في علمـه تعـالى بجميـع مـا في الجنّـة والنّار ؟ وهل يزيد على الكائن المعلوم أو يطويه عنهم ؟!

فـإن قال المـروزي لا ، فقد أنكـر فضله وقـدرتـه تعـالى ، وإن قال : نعم يزيدهـم كما أقرّ بالزّيادة وأنّها لا نهاية لها فقـد أبطل مذهبه، حيث لم تكن الـزّيادة من الكـائن المعلوم أوّلاً كما هو الفرض فتخلف المراد ، والمروزي ينكر التخلّف .

وأمّـا الحقّ الّذي لا معـدل عنه أنّ المـراد لا يتخلّف عن الإرادة أي الحميّة دون إرادة العزم كمـا يأتي بيان ذلك، فلم تكن إن لم يكن كمـا قـال الصـادق عليـه السـلام : « إن المـريـد لا يكـون إلاّ المـراد

(١) حرف الهمزة مع الراء .
(٢) المصدر .
(٣) حرف الهمزة مع النّون .

معه »[1] . والباقري عليه السلام : « ولا لإرادته فصل »[2] فيتحقق المراد بلا فصل، فالفاء في قوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾[3] . ليس فصلاً بل بيان الرّتبة بأنّ الفاعل قبل المفعول كما ذكرناه في « أنّ الفاعل قبل المفعول »[4] . وأنّ القبليّة قبليّة القيام به كما قال العالم عليه السلام :

« فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه »[5] . نعم له تعالى إرادتان : إرادة حتم تسمّى بالإرادة التكّوينيّة ،وإرادة عزم تسمّى بالإرادة التّشريعيّة بمعنى يريد تعالى المراد بإرادة العبد فقد توافق إرادته وقد تخالفها بالعصيان وأمّا التكّوينيّة فلا تخلّف بين الإرادة والمراد ففي الرّضويّ[6] . « ... ويحك يا فتح إنّ لله إرادتين ومشيئتين إرادة حتم وإرادة عزم ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشّجرة وهو يشاء ذلك ، ولو لم يشأ لم يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله ، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيّئة الله عزّ وجلّ ... »[7] .

---

(١) التوحيد ١٤٦ .

(٢) التوحيد ٥٨ .

(٣) سورة يّس : الآية / ٨٢ .

(٤) حرف الهمزة مع النّون .

(٥) التّوحيد ٣٣٤ .

(٦) كما استظهر المعلّق في هامش التّوحيد ٦١ أنّ الحديث للرضا عليه السلام .

(٧) التوحيد ٦٤ .

خرجنا عن بيان الرّضا عليه السلام فلنعد ثانياً .

قال ما حاصله إنّ الكائن المعلوم لا تمنعه الزّيادة غير المتناهية وهي معلومةٌ له تعالى فما ادّعاه المروزي من عدم المعلوميّة لعدم التناهي فاسدٌ وليس العلم به موجب **لإنقطاعه**؛ والآي المذكورة تشهد بذلك وتنصّ على عدم الإنقطاع ولا ريب أنّ الأكل والشّرب في الجنّة يخلفان مكانهما بما لا انقطاع وكذا ما في النّار؛ والدليل على ذلك آية : ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ وإنكار الزيادة إبطال الخلود .

وهل هذا يربط قدم الإرادة ؟ إصرار المروزي على إنكار الزّيادة دليل الرّبط وإثباتها تصريح بلزوم حدوثها فافهم ، **فإنّه دقيق** .

٤٩ ـ إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن

روى الصّدوق بإسناده إلى الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال :

« من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ، ثم قال : إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ، ومحكماً كمحكم القرآن فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا »[1] .

المحكم والمتشابه :

القرآن الكريم مشتمل على الآيات المحكمة والمتشابهة قال تعالى : **﴿ هو الّذى أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون فى العلم ﴾**[2] .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٢٣٦ ، الوسائل ١٨ / ٨٢ .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ٧

مـادّة المحكم والمتشابـه جـاءت في الكتـاب العـزيـز في آيـة : ﴿ كتـاب أُحكمت آيـاتـه ثمّ فصّلت من لـدن حكيم خبيـر ﴾[1] . أي آياته بعد تفصيلها وتكثـرّها بعـد النّزول حـالها كمـا كانت قبـل النّزول في الإحكام والإتقان وبهذا المعنى القرآن كلّه مـوصوف بـذلك ، وفي آيـة : ﴿ كتابـاً متشابهـاً مثاني ﴾[2] . الكتـاب العزيـز كلّه متشابـه إذ لم يخصّصـه تعالى بقسم منـه بل وصف الكتـاب كلّه بالمتشـابه في هـذه الآية ، والمراد مشابهة بعضه لبعض في الهداية والبلاغـة والسّلامـة من التّناقض والاختلاف كمـا قال عـزّ وجلّ : ﴿ ولـو كان من عنـد غير الله لـوجدوا فيـه اختلافـاً كثيراً ﴾[3] . وأمّـا ما جـاء في آيـة من سـورة آل عمـران الّتي تلوناهـا آنفـاً فهـو غيـر المحكم والمتشـابـه المنعـوت بـه القـرآن كلّه بل منـه محكم وآخر متشـابه فـلا بدّ من معـرفتهما حتى لا يشتبـه بين هذين وذينـك وقد كثـر في معنى المحكم والمتشابـه أقـوال العلماء وربّما أنهيت إلى عشرين تفسيراً لا يسع المقام ذكرها .

وهل هذه الآية هي من الآيات المحكمة أو المتشابهة ؟

وعنـدي أنّها من المحكمـات بقرينـة التّقسيم وذكرهمـا فيها معـاً ويـراد بهما المعنى اللّغـويّ الّـذي يعـرفـه النـاس وأنّ المحكم أصـل الكتاب المنزل للهداية لا يفتقر إلى بيان لوضوح معنـاه كقولـه تعالى : ﴿ وكـان الله على كـلّ شيءٍ مقتـدراً ﴾[4]. وأمـا المتشـابـه فـلا يعلم تـأويله وتفسيـره : إلاّ الله والـرّاسخـون في العلم وهـم الأئمـة المعصومون عليهم السلام لإحتمالـه للمعاني الكثيرة المتشابهـة بمعنى الالتبـاس الّتي ربّما خـالفه العقـل والنقل كقـوله تعـالى : ﴿ الـرحمن

(١) سورة هود : الآية / ١
(٢) سورة الزّمر : الآية / ٢٣ .
(٣) سورة النّساء : الآية / ٨٢ .
(٤) سورة الكهف : الآية / ٤٥ .

على العرش استوى ﴾[1] . ومن ثمّ جاء الأمر بالعمل بالأوّل دون الثّاني كما في صادقيّ : « المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله »[2] . وآخر : « إن القرآن فيه محكم ومتشابه فأمّا المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به ، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به »[3] دلّ الحديثان على أنّ العمل بالمحكم والإيمان به واجب دون المتشابه فإنّ العمل به ممنوع ولاء الإيمان به فلو لم يكن المحكم مبيّناً المراد لما وجب العمل به ، لأنّه فرع العلم بخلاف المتشابه فلا يطلب غير الإيمان لعدم اتضاح المراد منه إلاّ بعد ورود التفسير والتأويل من الراسخين من آل محمد صلى الله عليهم اجمعين .

وأما اختلاف العلماء في تفسير المحكم والمتشابه فلا يصلح دليلاً على كون الآية المشتملة على المحكم والمتشابه بحملةٍ ومتشابهة غير محكمة لأنهم يتكلّمون على القواعد المتكثّرة التي في أيديهم ومن شاء نظر إليها[4] .

فلنعد إلى الحديث الرضوي :

أما قوله عليه السلام : « من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدى إلى صراط مستقيم » فدليل على ما قدمناه من وضوح معنى المحكم إذ لو لم يكن واضح المعنى كيف يمكن ردّ المتشابه إليه على أنّ قوله تعالى : ﴿ هنّ أمّ الكتاب ﴾ أي أصله الّذي يبنى عليه

---

(١) سورة طه : الآية / ٥ .

(٢) تفسير البرهان ١ / ٢٧١ .

(٣) في المقدمة الرابعة من تفسير الصافي ١ / ١٨ .

(٤) تفسير الميزان ٣ / ١٩ ـ ٤٦ ، وتفسير المنار ٣ / ١٦٣ ـ ١٩٦ .

ويرجع إليه ففيه دلالة على ردّ المتشابه إلى المحكم والعمل على طبقه والحديث الرّضوي وكذا الصّادقيّان عليهما شاهد من القرآن فيؤخذ بهما كما في صادقيّ : « إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ فالّذي جاءكم به أولى به »[1].

قوله عليه السلام : «إنّ في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن» أي فكما يجب رد متشابه القرآن ألى محكمه يجب ردّ متشابه الحديث إلى محكمه؛ فإنّ في روايات أهل البيت عليهم السلام ما لا يحتمله إلا من هداه الله إلى الولاية واستنار بنورها ففي باقري : « حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت فردّوه إلينا »[2]

ومعنى ردّه إليهم ترك الإنكار وعدم تفسيره بالقياس والاعتبار العقليّ كما في المتشابه القرآني ليس لنا تفسيره بالرّأي واتّباع ما وافق ذلك، فإنّه أولاً يشمله قوله تعالى : ﴿ **فأمّا الّذين فى قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه** ﴾ ، وثانياً النّهيّ الوارد ففي نبويّ : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوّء مقعده من النّار »[3]. وصادقيّ : « ما ضربِ رجل القرآن بعضه ببعض إلاّ كفر »[4].

ولا بدّ من السّؤال منهم والتمسّك بهم والأخذ عنهم لا العمل بالقياس والرّأي فقد جاء النّهيّ لعلّه في مائة وثلاثين حديثاً .

وفي باقريّ : « ويحك يا قتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب

(١) الوسائل ١٨ / ٧٨ .
(٢) بصائر الدرجات ٤١
(٣) الوسائل ١٨ / ١٤٠ .
(٤) الوسائل ١٨ / ١٢٥ .

وصـادقي : « ويحك أيّهمـا أعظم قتـل النّفس أو الـزّنـا ؟ فقـال أبـو حنيفة ـ قتـل النّفس ، قال : فـإن الله عـزّ وجـلّ قـد قبـل في قتل النّفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة »[2] .

---

(1) المصدر ص ١٢٩ .

(2) الـوسائـل ١٨ / ٢٩ وتمـامه : « ثم ايهما اعـظم ؟ الصـلاة أم الصـوم ؟ قـال الصلاة ، قال : فما بال الحـائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ؟ فكيف يقوم لك القياس فاتق الله ولا تقس » والروايات في ذلك كثيرة كما ذكرنا .

٥٠ ـ إنّ لله واديا من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل

روى الكليني بسنده الى يونس عمّن ذكره قال قيل للرّضا عليه السلام : إنّك متكلم بهذا الكلام والسّيف يقطر الدّم ، فقال : « إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل فلو رامته البخاتي لم تصل إليه »[١] .

في خبر رواه المجلسي « قال الوشاء : إنّي سألته عن هذه البلاد وقد سمعت الحديث قبل مسألتي ، فأخبرت أنه بين بلخ والتّبّت وأنّها تُنبت الذّهب وفيها نمل كبار . . . »[٢] .

قال الطّريحي : في الحديث « في الإبل البُخت السّائمة مثل ما في الإبل العربيّة » البُخت نوع من الإبل ، الواحد بختى مثل روم وروميّ والأنثى بختية ، والجمع بُخاتي غير مصروف ؛ لأنه جمع الجمع ، ومنه الحديث : « إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل ، فلو رامه البخاتي لم تصل إليه » خصها بالذّكر ؛ لأنّها أقوى

(١) الوسائل ١١ / ١٥٩ ، البحار ٤٩ / ١١٦ .
(٢) البحار ٤٩ / ٥٤

خلق الله من الحيوان[1] .

يـريد بـالحديث مـا ذكرنـاه ، وحديث النجـاتي ذكره الكليني[2] والبُخت والبُخاتي ـ بالضّمّ ـ ، الإبل الخراسانية[3] .

يريد الـرّضا عليـه السلام بـذكر وادي الـذّهب المحميّ بأضعف خلق الله عـزّ وجـلّ الخـلّ ، المثـل لحفـظه تعـالى إيّـاه من الـطّاغيـة المأمون غيـر المأمون فكمـا حفظ الله عزّ وجـلّ الوادي الـذّهبي يحفظ حجتّه البالغـة ، والمناسبـة مرعيّـة بين مضرب المثـل والممثّل لـه وهو الإمـام عليه السـلام ، هذا إذا مـا لم ينزل القضـاء فإذا نـزل خلّي بينه وبينـه ولا محيص من يوم خطّ القلم كمـا قـالـه الحسين عليـه السـلام جـدّه : « خطّ الـمـوت على ولـد آدم مـخطّ الـقـلادة عـلى جيـد الفتاة . . . لا محيص عن يوم خطّ بـالقلم رضى الله رضانـا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفّينا أجر الصابرين »[4] .

وقد نجّى الله جلّ جـلاله الإمـام الرّضـا عليه السـلام من مواطن الهلكـة .

منها: قصّـة رواها الصدوق بـإسنـاده عن محمـد بن خلف قـال حدّثني هرثمة بن أعين قال : دخلت على سيـدي ومولاي يعني الـرّضا عليـه السلام في دار المـأمون وقـد كان قـد ظهـر في دار المـأمـون أنّ الرّضا عليه السلام قد توفّي ولم يصـحّ هذا القـول فدخلت أريـد الإذن عليه قال : وكان في بعض ثقات خـدم المأمـون غلام يقـال له صبيـح الـدّيلمي وكان يتـوالى سيّدي حقّ ولايتـه وإذا صبيح قد خرج ، فلمّـا رآني ، قـال لي: يا هـرثمـة ألست تعلم أنّي ثقـة المـأمـون على سره

(١) مجمع البحرين في « بخت » .
(٢) الكافي ٣ / ٥٣٢ .
(٣) هامش الوسائل ١٦ / ٤٥٧ ، نقلاً عن المحاسن ٤٧٣ .
(٤) نفس المهمرم ١٦٣ .

وعلانيته ؟قلت : بلى ، قال : اعلم يا هرثمة أنّ المأمون دعاني وثلاثين غلاماً من ثقاته على سرّه وعلانيته في الثلث الأول من الليل ، فدخلت عليه وقد صار ليله نهاراً من كثرة الشّموع وبين يديه سيوف مسلولة مشحوذة مسمومة فدعا بنا غلاماً غلاماً وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا فقال لنا : هذا العهد لازم لكم أنّكم تفعلون ما آمركم به ولا تخالفوا فيه شيئاً قال : فحلفنا له فقال يأخذ كلّ واحد منكم سيفاً بيده وامضوا حتى تدخلوا على عليّ بن موسى الرّضا في حجرته ، فإن وجدتموه قائماً أو قاعداً أو نائماً فلا تكلّموه وضعوا أسيافكم عليه واخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخّه ثم اقلبوا عليه بساطه وامسحوا أسيافكم به وصيروا إليّ وقد جعلت لكلّ واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بُدر دراهم وعشر ضياع منتخبة والحظوظ عندي ما حييت وبقيت ، قال : فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنا عليه في حجرته فوجدناه مضطجعاً يقلب طرف يديه ويتكلّم بكلام لا نعرفه قال : فبادر الغلمان إليه بالسيوف ووضعت سيفي وأنا قائم أنظر إليه وكأنه قد كان علم مصيرنا إليه فليس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف فطووا عليه بساطه وخرجوا حتى دخلوا على المأمون فقال ما صنعتم ؟ قالوا فعلنا ما أمرتنا به يا أمير المؤمنين ، قال : لا تعيدوا شيئاً فما كان .

فلمّا كان عند تبلّج الفجر خرج المأمون فجلس مجلسه، مكشوف الرّأس محلّل الأزرار وأظهر وفاته وقعد للتّعزية ، ثمّ قام حافياً حاسراً فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه فلمّا دخل عليه حجرته سمع همهمته فأرعد ثم قال : من عنده ؟ قلت : لا علم لنا يا أمير المؤمنين ، فقال اسرعوا وانظروا ، قال صبيح فأسرعنا إلى البيت فإذا سيّدي عليه السلام جالس في محرابه يصلّي ويسبّح .

فقلت يـا أميـر المؤمنين هـوذا نـرى شخصـاً في محـرابـه يصلّي ويسبّـح فانتفض المـأمون وارتعـد ثمّ قـال : غـدرتمـوني لعنكم الله ثمّ التفت إليّ من بين الجمـاعة فقـال لي يا صبيـح : أنت تعرف فـانـظر من المصلي عنده؟!قال صبيح : فدخلت وتولّى المأمـون راجعاً ثم صـرتُ إليـه عنـد عتبـة البـاب قـال عليـه السـلام لي : يـا صبيـح قلت لبيـك يـا مولاي وقد سقطت لوجهي فقال قم يرحمك الله : ﴿يريدون لـيطفـئوا نور الله بـأفواههم والله متمّ نـوره ولو كـره الكافـرون﴾[1]، قال : فـرجعت إلى المـأمون فـوجدت وجهـه كقطع اللّيـل المظلم فقـال لي يـا صبيـح مـا وراءك فقلت لـه يـا أميـر المؤمنين هـو والله جـالس في حجـرتـه وقـد ناداني وقال لي كيت وكيت ، قال فشدّ أزراره وأمـر بردّ أثوابه ، وقـال قـولوا إنّـه كان غشي عليـه وأنّه قـد أفاق ، قـال هرثمـة فأكثـرت لله عزّ وجـلّ شكراً وحمـداً ثم دخلت على سيّدي الـرّضا عليـه السـلام فلمّـا رآني قـال يا هـرثمـة لا تحـدّث أحـداً بمـا حـدّثـك بـه صبيـح إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمـان بمحبتنا وولايتنـا ، فقلت نعم يا سيّـدي ، ثم قـال عليـه السـلام يـا هـرثمـة والله لا يضـرّنـا كيـدهم شيئـاً حتى يبلغ الكتاب أجله »[2] .

أقـول : كلمة « حتى يبلغ الكتـاب أجله » تكلّمنا عنهـا بتفصـيل فـراجع[3] ، وقـد نقلنـا بعض القصّـة المسـرودة هنـاك ، ولئن صحّت فقـد دلّت على غايـة ما أضمـره للمأمـون من الإساءة والفتـك به عليـه السـلام ولا عجب منه وقـد عجنت طينته بحبّ الـدّنيا الّـذي هـو رأس كـلّ خطيئـةٍ ، وامتاز المـأمـون عن بقيّـة المنـاوئين لأهـل البيت عليـه

(١) سورة الصف : الآية / ٨ .

(٢) عيـون الأخبـار ٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧ ، والـمـنـاقـب ٤ / ٣٤٩ ، والـبـحـار ٤٩ / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٣) حرف الحاء مع التّاء من الحكم .

السلام أن أدخل الإمام عليه السلام في قبول ولاية العهد جبراً كما صرّح به عليه السلام فقد روى الشّيخ الصّدوق بسنده عن أبي الصّلت الهرويّ حديثه المشتمل على كلام المأمون ـ إلى أن قال للرّضا عليه السلام ـ :

« فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك ، فكن وليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي فقال الرّضا عليه السلام والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، إنّي أخرج من الدّنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسُّمّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السّماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرّشيد ـ إلى أن قال ـ : ومن الّذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ[1] ؟

فقال الرّضا عليه السلام أما أنّي لو أشاء أن أقول لقلت من الّذي يقتلني ؟ فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول النّاس إنّك زاهد في الدّنيا ، فقال الرّضا عليه السلام والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ وما زهدت في الدّنيا للدّنيا وإنّي لأعلم ما تريد فقال المأمون وما أريد ؟ قال الأمان على الصّدق ؟ قال : لك الأمان ، قال : تريد بذلك أن يقول النّاس أنّ عليّ بن موسى الرّضا لم يزهد في الدّنيا بل زهدت الدّنيا فيه ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟ فغضب المأمون : ثم قال إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك ، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك فقال الرّضا عليه السلام قد

---

(١) من آخر الحديث تعلم كذبه .

نهاني الله تعالى أن ألقى بيدي الى التّهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك . . . الحديث »[1] .

لو شئت لنقلت جميع خداع المأمون وتفرعنه ، وكذلك يِتفعل الطّغاة من الرّؤساء مهما كانت أسماؤهم . فلنعد إلى الحديث الجاري .

قوله عليه السلام : « إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل » .

قد سبق أنّ هذا الوادي « بين بلخ والتّبّت وأنّها تُنبت الذّهب وفيها نمل كبار . . . » ، بلخ من بلاد خراسان وهي الآن محسوبة من أفغان وكانت من مساكن ملوك العجم ، ونهر بلخ مشهور[2] . ويقال لجيحون نهر بلخ بينهما عشرة فراسخ[3] . وتِبَت بكسر التّاء اسم لناحية آسيوية مركزيّة الصّين .

وهل المقصود بالّذهب ما هو المعروف به وبالتِّبر وقد ذكر الفرق بينهما بأنّ التّبر أخصّ منه لأنّه القطعة وغير المسكوك والعسجد وغيرها من أسماء ؟ أو أنّه كناية عمّا يشترى بالذّهب أو ما هو أغلى منه كالنِّفط وبعض المعادن وكثيراً يطلق الذّهب على أمور حَيَويّة كالّدجلة والفرات وغيرهما من الأنهار والمياه الّتي لولاها لما كان شجر ولا ثمر ولا بشر ولا شيء حيّ كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا من

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٣٨ ـ ١٣٩ البحار ٤٩ / ١٢٩ ـ ١٣٠ .
أقول وقد صدق عليه السلام ما أخبر أنّه مات مسموماً ٢٠٣ ، ومات المأمون سنة ٢١٨ .
(٢) مجمع البحرين في (بلخ) .
(٣) تعليق المصدر .

الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴾[1] ، ولكن خلاف ظاهر الحديث خاصّة كلمة الوادي والأصل الأخذ بمدلوله العرفي والتّأويل أو الكناية لا يصار إليهما إلاّ بدليلٍ ظاهر من نقل أو عقل .

وادي النّمل :

ثم وادي الذّهب الذي فيه النّمل الحامي له هل هو وادي النّمل المذكور في آية : **﴿ حتّى إذا أتوا على واد النّمل قالت نملة يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾**[2] ؟!

يشهد له قول علي بن إبراهيم القميّ : « قعد على كرسيّه وحملته الرّيح فمرّ به على وادي النّمل وهو وادٍ ينبت فيه الذّهب والفضّة وقد وكلّ به النّمل وهو قول الصّادق عليه السلام : « إنّ الله وادياً ينبت الذّهب والفضّة وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل لو رامته النّجاتي ما قدرت عليه »[3] ؛ كما يشهد للحديث الرّضوي صدوره المظنون ولا ينافي أنّه من الصّادق عليه السلام مرّة والرّضا عليه السلام مرّة ثانية ، والاحتمال المتقدّم آتٍ في الفضّة كما هو آتٍ في الذّهب من أنّها كناية عن معادن النّفط أو غيره ممّا يبذل بإزائه الذّهب والفضّة .

ثمّ إنّه قد قيل أنّ وادي النّمل بالشّام[4] ؛ ويردّه حديث الوشا

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠

(٢) سورة النمل : الآية / ١٨ .

(٣) تفسير القمّي ٢ / ١٢٦ - ١٢٧ ، تفسير البرهان ٣ / ١٩٧ ، تفسير الصّافي ٢ / ٢٣٤ .

(٤) حياة الحيوان للّدميريّ ٢ / ٣٧٧ .

أنّه بين بلخ وتبت[1] .

والنّمل له شأن وكفاه أنّ الله عزّ وجلّ خصّ باسمه سورة النّمل. يقال إنّ تلك النّملة إنّما أمرت رعيّتها بالدّخول في مساكنها لئلا ترى النّعم الّتي أوتيها سليمان وجنوده فتقع في كفران نعمة الله عليها وفي هذا تنبيه على أنّ مجالسة أرباب الدّنيا محظورة .

ويروى أنّ سليمان قال لها: لِمَ قُلت للنمل ادخلوا مساكنكم؟ أخفت عليها منّي ظلماً ؟ قالت : لا ولكنّي خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى[2] .

---

(١) البحار ٤٩ / ٥٤ .

(٢) حياة الحيوان للدّميري ٢ / ٣٧٨ .

وفيه قال بعض أهل التذكير : إنّها تكلّمت بعشرة أنواع من البديع : قولها « يا »نادت« أيها » نبّهت ، « النّمل » سمّت ، « ادخلوا » أمرت ، « مساكنكم » نعتت ، « لا يحطمنّكم » حذّرت ، « سليمان » خصّت ، « وجنوده » عمّت ، « وهم » أشارت . « لا يشعرون » اعتذرت . واختلف في اسمها طاخية وقيل حزمى. حياة الحيوان ٢ / ٣٧٨ .

وانظر ٣٧٤ ـ ٣٨١ بقية شؤون النّمل،فإنّها جديرة بالنّظر والاعتبار .

٥١ ـ إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً

روى الشيخ المجلسي طاب ثراه من كتاب النّزهة قال مولانا الرّضا عليه السلام :

« ... إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً فإذا أقبلت بصرت وفهمت ، وإذا أدبرت كلّت وملّت ، فخذوها عند إقبالها ونشاطها ، واتركوها عند إدبارها وفتورها »[١] .

الأصل لهذا المعنى : قول أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ للقلوب شهوةً وإقبالاً ، وإدباراً ، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها ؛ فإنّ القلب إذا أكره عميَ »[٢] .

قال ابن أبي الحديد : والعلّة في كون القلب يعمى إذا أكره على ما لا يحبّه ؛ أنّ القلب عضو من الأعضاء ، يتعب ويستريح كما تتعب الجثّة عند استعمالها وأحمالها ، وتستريح عند ترك العمل ، كما يتعب اللّسان عند الكلام الطّويل ، ويستريح عند الإمساك ، وإذا نواصل إكراه القلب على أمرٍ لا يحبّه ولا يؤثره تعب ؛ لأنّ فعل غير

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، إحقاق الحقّ ١٩ / ٥٨٣ .
(٢) النّهج ١٩ / ١١ ، الحكمة ١٨٩ .

المحبـوب مُتعب ؛ ألا تـرى أنّ جمـاع غيـر المحبـوب يحـدث من الضّعف أضعاف ما يحدثه جماع المحبوب ؛ والـرّكوب إلى مكـان غير محبـوب متعب ولا يشتهى ، يتعب البدن أضعـاف مـا يتعبه الـرّكـوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبـوباً ، وإذا أُتعب القلب وأعيـا ، عجز عن إدراك ما نكلفـه إدراكه ، لأنّ فعله هـو الإدراك ، وكلّ عضوٍ يتعب فـإنّـه يعجـز عن فعله الخـاصّ بـه ، فـإذا عجـز القلب عن فعله الخاصّ به وهو العلم والإدراك ، فذاك هو عماه[1] .

والقـــول العلويّ الآخــر : « إنّ للقلوب إقبـــالاً وإدبـاراً ، فـــإذا أقبلت فـاحملوهـا على النّـوافـل ، وإذا أدبــرت فـاقتصـروا بهـا على الفرائض »[2] .

قـال الشارح : لا ريب أنّ القلوب تمـلّ كمـا تمـلّ الأبـدان[3] ؛ وتُقبـل تارة على العلم وعلى العمـل، وتُدبـر تارة عنهمـا، قـال علي عليـه السـلام : فإذا رأيتمـوها مقبلة أي قـد نشطت وارتـاحت للعمل فـاحملوهـا على النّـوافـل، ليس يعني اقتصـروا بهـا على النّـافلة، بـل أدّوا الفـريضـة وتنفّلوا بعـد ذلك ، وإذا رأيتمـوها قـد ملّت العمل وسئمت فـاقتصـروا بهـا على الفرائض، فـإنه لا انتفـاع بعمل لا يحضـر القلب فيه[4] .

فظهر من كلام الرّضا عليه السـلام المراد من إقبـال القلوب وإدبارها ولمزيد الإيضاح نذكر ما جاء أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنه قـوله عليـه السلام : « إنّ هـذه القلوب تملّ كـما تملّ

---

(١) شرح النّهج ١٩ / ١١ .
(٢) النّهج ١٩ / ٢١٩ ، الحكمة ٣١٨
(٣) في العلوي : «إنّ هذه . . . » النّهج ١٨ / ٢٤٦
(٤) شرح النّهج ١٩ / ٢١٩ .

الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة »[1] ، والآخر : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة ؛ فإنها تكلّ كما تكل الأبدان »[2] .

الملّ : النَّصَب والضّجر المسبب عمّا لا يلائم الإنسان من عمل أو غيره والكَلّ : الإعياء والثقل ومنه الحديث « ملعون من ألقى كلّه على النّاس »[3] ، أي ثقله ، ولعلّ الملّ في الجسم وغيره ، والكلّ في الأجسام فقط فلا يقال (كلّ روحي - ويقال : ملّ) .

وكيف كان فقد قال ابن أبي الحديد : المراد أن لا يجعل الإنسان وقته كلّه مصروفاً في الأنظار العقلية في البراهين الكلاميّة والحكميّة بل ينقلها من ذلك أحياناً إلى النّظر في الحكمة الخلقيّة فإنّها حكمة لا تحتاج إلى إتعاب النّفس والخاطر فأمّا القول في الدّعابة فقد ذكرناه أيضاً فيما تقدّم وأوضحنا أنّ كثيراً من أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوي دعابة مقتصدة لا مسرفة فإن الإسراف فيها يخرج صاحبه إلى الخلاعة ولقد أحسن من قال :

أفد طبعك المكدود بالجدّ راحة ... يجمّ وعلّله بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطي الطّعام من الملح[4]

وأجمل ما يتحف القلوب الملولة والنّفوس الكليلة ، الحبّ والأمل والنّشاط وفي نبويّ « كلّ لهو المؤمن باطل إلاّ في ثلاث : في تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته امرأته ، فإنّهنّ حقّ »[5] .

(١) النّهج ١٨ / ٢٤٦ ، الحكمة ٨٩ .
(٢) أصول الكافي ١ / ٤٨ ، باب النّوادر الحديث ١ .
(٣) مجمع البحرين في « كلل » ، الوسائل ١٣ / ١٨
(٤) شرح النّهج ١٩ / ١٦ ، الحكمة ١٩٣ .
(٥) الوسائل ٨ / ٣٦١ .

وممّا يذهب بالملال لقاء الأخلّاء لأنّ الخليل يسكن إليه في كثير من الحالات الطّارئة ، إلاّ أنّ استرسال السّكون ليس بمطلوب وقد جاء « عثرة الاسترسال لا تستقال »[1] .

نعم الاسترسال مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام والمكالمة معهم بل الحبّ المفرط لهم مطلوب؛ لأنّ من أحبّ الله أحبّهم ولا ينفكّ حبّه تعالى عن اتّباعهم الّذي هو المتابعة للرّسول صلى الله عليه وآله قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله** ﴾[2] .

والمتحصّل : أنّ عامل الحبّ ذاهب بكلّ كلّ وملّ خاصّة التّبادل مع من تسكن النّفس إليه ويطمئنّ القلب به وخاصّة مع الله عزّ وجلّ تسكن النّفوس وبذكره تطمئنّ القلوب وقد دعا العباد بلطف فقال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[3] بفناء رحمته تحطّ الرّحال ، وعليه تعكف الآمال وبه لا بسواه يتحقّق الرّجاء ؛ لأنّه منه وإليه .

---

(١) غرر الحكم ٢٢١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٣١ .

(٣) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .

٥٢ ـ إنّ هٰذا البنيان بانياً

روى الصّدوق بإسناده إلى محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرّضا ـ عليه السلام ـ .

«قال: دخل رجلٌ من الزّنادقة على الرّضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام : أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون ألسنا وإيّاكم شرع سواء ؟ ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا . . . وإن يكن القول قولنا وهو قولنا وكما نقول ألستم قد هلكتم ونجونا ؟ قال رحمك الله فأوجدني كيف هو ؟ وأين هو ؟ قال : ويلك إنّ الّذي ذهبت إليه غلط وهو أيّن الأين وكان ولا أين وكيّف الكيف ، وكان ولا كيف فلا يعرف بكيفوفيّة ، ولا بأينونيّة ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيءٍ . قال الرّجل : فإذاً أنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواسّ ،فقال أبو الحسن عليه السلام : ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيّته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا وأنّه شيءٌ بخلاف الأشياء ، قال الرّجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان ؟ قال الرّجل : فما الدّليل عليه ؟ قال أبو الحسن : إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنيّ زيادة ولا نقصان في العرض والطّول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السّحاب وتصريف الرّياح ومجرى الشّمس والقمر والنّجوم

وغير ذلك . . . »[1] .

أمّا تمثيل الرّضا عليه السلام للجسد بأنّ له خالقاً قادراً عالماً بما بناه الباني؛ لإفتقار كلّ بناء إلى بانٍ فبدليل العقل والوجدان فإذا ضمّ الأمران أي الأوّل وهو صغرى القياس والثاني وهو كبراه نتج قوله عليه السلام : « أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به » وهو الله جلّ جلاله لأنّ غيره من الخلق المجسّد أيضاً هو بناء يفتقر إلى بانٍ كما افتقر جسدي وما حواه إليه ، فلا يصلح أن يكون ذلك بانياً له ولا لي بل لا بدّ من كون الباني غنياً بذاته لا يفتقر إلى بان وليس هو إلا الله الغنيّ القادر بالغنى والقدرة المطلقة .

وهذا من أبين البراهين الّتي نراها بالعيان وبالعقل والوجدان لأنّ نفس الإنسان أقرب شيء إليه من بين الأشياء على أنّ روحنا روح الله عزّ وجلّ الّذي نفخه فينا كما قال تعالى : ﴿ **نفخت فيه من روحى** ﴾[2] . ممزوج مع نور الإيمان ولا نور إلاّ نور واحد وهو نور روح الله جلّ جلاله المنفوخ في الإنسان، ومن العجيب أنّه به عاش ما عاش وهو جاهل لا يعلم ما هو .

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٠٨ .

(٢) سورة الحجر : الآية / ٢٩ ، وسورة صّ : الآية / ٧٢ .

ففي صادقي : « . . . فليست بالتي نقصت من الله شيئاً هي من قدرته » ، تفسير الصّافي ١ / ٩٠٢ .

وآخر « أنه سئل عن الرّوح ؟ فقال : هي من قدرته من الملكوت » . المصدر ص ٩٠٣ . وآخر : « مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أخرجت الجوهرة طرح الصندوق ولم يعبأ به، وقال : إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله إنّما هي كالكلل للبدن محيطة به » وآخر : « قيل : أفيتلاشى الرّوح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ ؟ قال : بل هو باقٍ إلى يوم ينفخ في الصّور » . تفسير الصّافي ١ / ٩٠٣ .

٥٣ ـ إنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل

روى الشّيخ الصّدوق حديث الرّضا عليه السلام الذي فيه استدلاله بآي من القرآن الكريم على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس وهي اثنتا عشرة آية قال عليه السلام في الآية السّادسة :

« . . . فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى ﴾[1]، فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها النّاس إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه ؟ فلم يجبه أحد فقال : يا أيّها النّاس إنّه ليس بذهب ولا فضّة ولا مأكول ولا مشروب فقالوا : هات إذاً فتلا عليهم هذه الآية فقالوا : أمّا هذه فنعم ، فما وفى بها أكثرهم وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلّا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً ؛لأنّ الله عزّ وجلّ يوفيه أجر الأنبياء ومحمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ فرض الله عزّ وجلّ مودّة طاعته ومودّة قرابته على أمّته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم ؛فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل فلمّا أوجب الله تعالى ثقل ذلك لثقل وجوب

---

(١) سورة الشّورى : الآية / ٢٣ .

الطّاعة فتمسّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء ، وعاند أهل الشّقاق والنفاق وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه الله عزّ وجلّ فقالوا : القرابة هم العرب كلّهم وأهل دعوته فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أنّ المودّة هي القرابة فأقربهم من النّبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أولاهم بالمودّة وكلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها . . . » [1] .

البيان الرّضوي حول أيه المودّة متّسع الجوانب مشبع بالأدّلة العقلية والنّقلية، ولأجله ذكرنا بعضه عند كلمة « أيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه ؟ »[2] . والآخر عند حكمة : « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[3] .

علل المودّة أمور أهمّها الإدراك والمعرفة بفضل المودود ومقامه الشّامخ المعنوي وفضائله وخُلُقه المرضيّة وحبّه ورأفته وكلّما كانت المعرفة بذلك أتمّ كانت المودّة أكثر حتّى يصل عرفانه إلى حدّ يتفانى العارف في المعروف وحتّى لا يشاء إلاّ ما شاء المودود وليس له همّ سواه كما كان أهل البيت عليهم السلام في طاعة الله عزّ وجلّ كذلك ﴿ **لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[4] ، ومن ثمّ كان

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) حرف الهمزة مع الياء .

(٣) حرف الكاف مع اللام .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ . وقبله ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾ .

قال الفيض : لا يقولون شيئاً حتّى يقوله كما هو شيمة العبيد المؤدّبين.. تفسير الصافي ٢ / ٨٩ . ولابن العربي على ما في هامش إحقاق الحق ٢ / ٢٢٣ : =

النّبيّ صلى الله عليه وآله أحبّ الأسماء إليه (عبد الله) .

= رأيت ولائي آل طه وسيلة
على رغم أهل البُعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى
بتبليغه إلّا المودّة في القربى

٥٤ ـ إنّ النّعم كالإبل المعقولة في عَطَنها على القوم

روى الصّدوق طاب ثراه بإسناده عن محمد بن عرفة قال : قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام :

« يا ابن عرفة إنّ النّعم كالإبل المعقولة في عَطَنها على القوم ما أحسنوا جوارها فإذا أساؤوا معاملتها نفرت عنهم »(١)

قال أبن منظور : وعقلت الإبل من العقل ، شدّد للكثرة ، وقال بُقَيْلة الأكبر وكنيته أبو المنهال :

يعقّلُهُنّ جعدٌ شيظمّي وبئس معقّل الذّود الظّؤارِ

وفي الحديث : « القرآن كالإبل المعقّلة » أي المشدودة بالعقال ، والتّشديد فيه للكثرة ، وفي حديث عمر : كتب إليه أبيات في صحيفة ، منها :

فما قُلُصٌ وُجِدْنَ معقّلاتٍ قفا سَلْع بمختلف النّجارِ

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١١

العطن بالتحريك مبرك الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

يعني نساء معقّلات لأزواجهنّ كما تعقّل النّوق عند الضّراب[1] .

والعطن للإبل : المناخ والمبرك ، ولا يكون إلاّ حول الماء فأمّا مباركها في البّرية أو عند الحي فهي : المأوى والجمع أعطان[2] .

في النّبويّ : « أحسنوا مجاورة النّعم لا تملّوها ولا تنفروها ؛ فإنّها قلّ ما نفرت من قومٍ فعادت إليهم »[3] .

وعلوي « أحسنوا صحبة النّعم قبل فراقها ؛ فإنّها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها »[4] .

وصادقيّ : « أحسنوا جوار النّعم ، قيل : وما جوار النّعم ؟ قال : الشّكر لمن أنعم بها ، وأداء حقوقها »[5] .

وآخر : « أحسنوا جوار نعم الله واحذروا أن تنتقل عنكم إلى غيركم أما إنّها لم تنتقل عن أحدٍ قط وكادت أن ترجع إليه ، وكان عليّ عليه السلام قال [يقول] : « قلّ ما أدبر شيءٌ فأقبل »[6] .

أداء حق النّعم شكرها بأن لا تصرف إلاّ في طاعة الله عزّ وجلّ وعدم صرفها في المعاصي قال علي عليه السلام : « شكر كلّ نعمة الورع عن محارم الله »[7] .

---

(١) اللّسان ١١ / ٤٥٩ ، في (عقل) ، والنهاية ٣ / ٢٨١ ، في (عقل) .
(٢) مجمع البحرين في (عطن) .
(٣) البحار ٧٧ / ١٧٣ .
(٤) البحار ٧١ / ٥١ .
(٥) البحار ٧١ / ٥٤ .
(٦) المصدر .
(٧) البحار ٧١ / ٥٦ .

والتمثيل بالبعير المعقول ناظر إلى سهولة التناول والتّصرف في النّعمة وعدم التّعصيّ فكما أن الإبل المعقولة يتناولها المتناول بسهولة ويسر ، ما لم تقطع عقالها ، كذلك النعمة ما لم تفقد بالكفر والعصيان كما هو واضح .

٥٥ ـ إنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب

روى الشّيخ الصّدوق المناظرة المطوّلة للرّضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات وما كلّم به عمران الصّابي في التّوحيد عند المأمون قال عمران :

« أسألك عن الحكيم في أيّ شيءٍ هو ، وهل يحيط به شيءٌ ، وهل يتحوّل من شيءٍ إلى شيءٍ ، أو به حاجة إلى شيءٍ ؟ قال الرّضا عليه السلام : أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ؛ فإنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب علمه[1] ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون :

أمّا أوّل ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحوّل إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنّه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً لحاجته[2] ولم يزل ثابتاً لا في شيءٍ ولا على شيءٍ إلاّ أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه ، والله عزّ وجلّ وتقدّس بقدرته يُمسك ذلك كلّه ، وليس يدخل في شيءٍ ولا يخرج منه ولا يؤُدُهُ حفظه ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عزّ وجلّ ومن أطلعه عليه من رسله ، وأهل سرّه والمستحفظين لأمره وخزّانه القائمين بشريعته ؛

(١) في لفظ : « العازب حلمه » ، وآخر : « العازب حكمه » . هامش التوحيد ٤٣٩ .

(٢) في لفظ : « لحاجة » . المصدر .

وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب . . . »[١] .

للمناظرة المذكورة بيان لا يتحمّله المقام

قوله عليه السلام : « إنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب » مقتبس من قوله عزّ وجلّ : ﴿ **وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر** ﴾[٢] . و﴿ **ما أمر السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب** ﴾[٣] والأول أقرب إلى الاقتباس ، والمثل مضروب لبيان غاية السّرعة واليُسر قال الفيض : يعني يقول : كن فيكون « كلمح البصر » في اليسر والسّرعة[٤] وقال في الثّاني : في سرعته وسهولته كرجع الطّرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها « أو هو أقرب » ؛لأنّه يقع دفعة[٥] .

ونظير الآيتين في تمثيل السّرعة والسّهولة قوله جلّ جلاله الحاكي عن آصف بن برخيا : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك** ﴾[٦]، في أقلّ من طرفة عينٍ جاء بعرش بلقيس كما في الخبر الهادوي[٧] .

ومنه المثل السّائر : (أسرع من طرف العين)[٨] ، و (أسرع من لمح البصر)[٩] .

---

(١) التوحيد ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .
(٢) سورة القمر : الآية / ٥٠ .
(٣) سورة النّحل : الآية / ٧٧ .
(٤) تفسير الصافي ٢ / ٦٣٧ .
(٥) تفسير الصافي ١ / ٩٣٣ .
(٦) سورة النمل : الآية / ٤٠ .
(٧) تفسير الصافي ٢ / ٢٣٩ .
(٨) المستقصى ١ / ١٦٤ .
(٩) المستقصى ١ / ١٦٥ .

٥٦ ـ إنّما تحدّ الأدوات أنفسها

من خطبة الإمام الرّضا عليه السلام رواها الصّدوق في التّوحيد تكلمّنا عنها عند نبذةً منها : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له » ، إلى فقرة : « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرّزها »[١] ، وإليك من موضع القطع :

« دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها ، حجب بعضها عن بعض،ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها ، له معنى الرّبوبيّة إذ لا مربوب ، وحقيقة الإلّهيّة إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السّمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة ، كيف ولا تغيّبه مذُ ولا تدنيه قدُ ، ولا تحجبه لعلّ ، ولا توقّته متى ، ولا تشمله حينٌ ، ولا تقارنه معٌ ، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها ... »[٢] .

قال المعلّق على « دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها » : إثبات التّفاوت هنا لا ينافي قوله تعالى : ﴿ **ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت** ﴾[٣] ؛ لأنّ ما في الآية بمعنى عدم التّناسب[٤]

(١) حرف الشّين مع الألف .
(٢) التوحيد ٣٨ ـ ٣٩ .
(٣) سورة الملك : الآية / ٣ .
(٤) هامش التوحيد ٣٨ .

يريد إتقان الصّنع ، وجمال النّظم ، وحاصل معاني الكلمات المذكورة في هذه الخطبة أنّه لا تجري عليه صفات المخلوقين وإلاّ لما كان خالقاً ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحمد لله العليّ عن شَبَه المخلوقين »[1] ، وحكاية عن الملائكة : « ولا يجرون عليه صفات المصنوعين »[2] ، وفي الكلام الرّضوي المبحوث : « فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه » .

ومن الواضح أنّ الوقت والحجاب والغيبة والتّرقّب والتّوقيت والاشتمال والتّفاوت والتّريب الّتي دلّت عليها كلمة الوقت ، والحجب ، ومذ، وقد ، ولعلّ ، ومتى ، وحين ، ومع . كلّها ثابتة في المخلوق الفاقد الفقير، وتعالى الله عن الفقد والنّقص والفقر، وكيف وهو الغنيّ المتعال المبّرء عن ذلك كلّه وله الكمال المطلق لا يشذّ منه شيء .

قال المعتزلي عند الكلام العلويّ الّذي عين الرّضوي : ثمّ قال ـ عليه السلام ـ : « وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات[3] إلى نظائرها »[4] ، هذا يؤكّد التّفسير الثّاني[5] ؛ وذلك لأنّ الأدوات كالجوارح إنّما تحدّ وتقدّر ما كان مثلها من ذوات المقادير ، وكذلك إنّما تشير الآلات- وهي الحواسّ ـ الى ما كان نظيراً لها في الجسميّة ولوازمها ، والباري ليس بذي مقدار ولا جسم ولا حالّ في جسم[6]. . .

(١) النّهج ١١ / ٦٢ ، الخطبة ٢٠٦ .
(٢) النّهج ١ / ٩١، الخطبة ١ .
(٣) المذكور في الرّضويّ : « تشير الآلة » .
(٤) النّهج ١٣ / ٧٣ ، الخطبة ٢٣٢ .
(٥) أي قوله عليه السلام : « وتشير الآلات إلى نظائرها » يؤكّد : «وإنما تحدّ للأدوات أنفسها » ويراد من الثّاني الآخر ويحتمل غير ذلك .
(٦) شرح النّهج ١٣ / ٧٥ ، وانظر هامش التوحيد ٣٩ .

٥٧ ـ إنّما الدّنيا كظلّ زائل

قال الصّدوق : حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال حدّثنا محمّد بن يحيى الصّولي قال : حدّثنا محمّد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال حدّثني عمّي قال سمعت الرّضا ـ عليه السلام ـ يوماً ينشد وقليلاً ما كان ينشد شعراً :

كلّنا نأمل مدّاً في الأجل ... والمنايا هنّ آفات الأمل
لا تغرنّك أباطيل المُنى ... والزم الصّمت ودع عنك العلل
إنّما الدّنيا كظلّ زائل ... حلّ فيه راكبٌ ثمّ رحل[١]

الأبيات لأبي العتاهية المتوفّي ٢١١ هـ ، وقبره الى نهر عيسى في بغداد وأوصى أن يكتب على قبره :

إنّ عيشاً يكون آخره المو ... ت لعيش معجّل التنغيص

وذكروا له أرجوزة حكميّة سمّاها ذات الأمثال في بضعة آلاف بيت وأشعار كثيرة في شتّى المعاني[٢] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٥ .

(٢) الكنى والألقاب للمحدّث القمّي ١ / ١٢٢ ـ ١٢٣ .

وقد ذكرنا عند التّمثيل العلويّ : « أهل الدّنيا كركب يساربهم وهم نيام » أبياتاً منها :

تزوّد من الدّنيا فإنّك راحل — وبادر فإنّ الموت لا شكّ نازل
سرورك في الدّنيا غرور وحسرة — وعيشك في الدنيا محال وباطل
ألا أنّما الدّنيا كمنزل راكب — أناخ عشيّاً وهوفي الصّبح راحل[1]

وفي باقريّ : « ... فأنزل الدّنيا كمنزل نزلته ثمّ ارتحلت عنه ، أو كمالٍ وجدته في منامك واستيقظت وليس معك منه شيء ، إنّي إنّما ضربت لك مثلاً ؛ لأنّها عند أهل اللّبّ والعلم بالله كفيء الظّلال » [2] .

وعلويّ : « احذروا هذه الدّنيا الخدّاعة الغدّارة الّتي قد تزيّنت بحليّها ، وفتنت بغرورها وغرّت بآمالها وتشوّقت لخطّابها فأصبحت كالعروس المجلوّة ، والعيون إليها ناظرة ، والنّفوس بها مشغوفة ، والقلوب إليها تائقة ، وهي لأزواجها كلّهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بسوء أثرها على الأوّل مزدجر ، ولا اللّبيب فيها بالتّجارب منتفع »[3] .

والرّضا عليه السلام إنّما تمثّل بالأبيات للاتّعاظ .

---

(١) الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ٦٩ ـ ٧٠ ، رقم المثل ٢٠ .
(٢) البحار ٧٣ / ٣٦ .
(٣) البحار ٧٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩ .
وكم لأمير المؤمنين عليه السلام من عظات موقظات لو صادفت قلوباً طاهرة ، ونفوساً نظيفة ، وعقولاً حصيفة تعرف من هو القائل؟ وما الّذي يقول؟لا يقول إلا ما قاله الله تعالى

٥٨ ـ الأنيس الرّفيق والوالد الشّفيق والأخ الشّقيق

في رواية الكليني عن الإمام الرّضا عليه السلام الواردة في بيان خصائص الإمامة والإمام قال فيها :

« الإمام الأنيس الرّفيق ، والوالد الشّفيق ، والأخ الشّقيق . . . »(١) .

إنّ ظاهرة الأنس والرّفق والشّفقة والإخاء في الإمام المفترض الطّاعة لا تقاس إلى ذويها من النّاس ؛ لأنّها لم تبن على صرح الغرائز العاطفيّة البشريّة الزّائلة بل حبّه للعباد حبّ الله عزّ وجلّ ورحمته لهم رحمة الله ولا ترمي من ورائها الأغراض الماديّة كما هي في غيره ؛ فإنّ الأنس والرّفق بين الرّفقة المتئآنسين ناشٍ عن أمر زائل يزول بزواله وكذا الوالد في حبّ ولده المطبوع عليه، والأخ للأخ عن الطّبع الّذي جعله الله في البشر لأمرٍ أهمّ وهو الاستدلال به على محبّة الله الذاتية غير المعلولة عن العلل الزّائلة .

ولعلّ توصيف الإمام بهذه الخصال من دون ذكر أداة التّشبيه

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠

إشارة الى أنّه توصيف حقيقي باق ببقاء الحقيقة الّذاتية المطلقة وأين هذا من حبّ الوالدين للولد والأخ للأخ والرّفيق للرّفيق الّذي يضمحلّ لا محالة قال تعالى : **﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصحبته وبنيه * لكلّ امرىء منهم يومئذٍ شأن يُغْنيه ﴾**[1] .

والإمام المعصوم عليه السلام هو الشّفيق في الدّنيا والآخرة لم تَزُلْ شفقته بزوال الدّنيا كما تزول من غيره وفي الدّنيا يضحّون أنفسهم في سبيل الله ليستنقذوا العباد من حيرة الضّلالة وفي الآخرة يشفعون لهم**﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**[2]، وفي الدنيا يحزنون لما يصيب المؤمنين وفي مقدمتهم النبيّ الامين قال تعالى : **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾**[3] ، بل للعالم كله قال عزّ وجلّ : **﴿ وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين ﴾**[4] ، وأهل بيته هم شجرة النّبوّة وموضع الرّسالة ومعدن الرّحمة ، ونقول ذلك في المؤمنين إذا أخلصوا حبّهم لله عزّ وجلّ ؛ فإنّ الحبّ الخالص ورقة من تلك الشّجرة الطّيّبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها فما ظنّك بأئمّة المؤمنين والشّفاعة من ورائنا إن نحن سرنا على منهجهم ولم نمل عنهم قيد شعرةٍ إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة عبس : الاية / ٣٤ ـ ٣٧

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية / ١٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية / ١٠٧

٥٩ ـ أُوجدكم في ذلك قرآنا

روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى رواية استدلال الإمام الرضا عليه السلام باثنتي عشرة آية من كتاب الله العزيز على أفضلية العترة الطاهرة جواباً لعلماء أهل العراق وخراسان الذين جمعهم المأمون . تكلّمنا عنها عند كلمات انتزعناها من نفس الرواية فراجع(١) . قال عليه السلام :

«وأمّا الرّابعة : فإخراجه ـ صلى الله عليه وآله ـ النّاس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك ، وتكلّم العبّاس فقال : يا رسول الله تركت عليّاً وأخرجتنا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : ما أنا تركته وأخرجتكم ، ولكن الله عز وجل تركه وأخرجكم ، وفي هذا تبيان قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ لعلي ـ عليه السلام ـ : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى »(٢) . قالت العلماء : وأين هذا من القرآن ؟ قال أبو الحسن : أُوجدكم في ذلك قرآنا وأقرؤه عليكم ، قالوا : هات ، قال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وأوحينا إلى**

---

(١) حرف الهمزة مع النّون ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والخاء مع الصّاد ، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللام ، والفاء مع الضاد ، والكاف مع اللاّم .

(٢) إحقاق الحق ٧ / ٤٢٨ ـ ٤٣٢

موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيـوتاً واجعلوا بيـوتكم قبلة ﴾[1] ، ففي هذه الآية منـزلة هـارون من موسى ، وفيهـا أيضاً منـزلة عليّ ـ عليـه السـلام ـ من رسول الله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ ، ومـع هذا دليـل واضح في قـول رسـول الله ـ صلّى الله عليـه وآلـه ـ حين قـال : ألا إنّ هـذا المسجد لا يحلّ لجنب إلاّ لمحمّـد وآله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ ، قـالت العلمـاء : يا أبـا الحسن هذا الشّـرح وهـذا البيـان لا يـوجـد إلاّ عنـدكم معاشر أهـل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ فقال: ومن ينكر لنـا ذلـك ورسـول الله يقـول : « أنـا مـدينـة العلم وعلي بـابهـا ، فمن أراد المـدينة فليـأتهـا من بـابهـا »[2] ، ففيمـا أوضحنـا وشـرحنـا من الفضـل والشّـرف والتّقدمـة والاصطفـاء والطّهـارة ما لا ينكـره إلاّ معانـدٌ ولله عـزّ وجلّ الحمد على ذلك ، فهذه الرّابعة »[3] .

في كاظميّ : « لما خـافت بنو إسـرائيل جبـابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون **﴿ أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾** قال : أمروا أن يصلّوا في بيوتهم » .

ونبويّ : « خطب النّاس فقال : أيّها النّاس إنّ الله عـزّ وجلّ أمـر مـوسى وهارون أن يبنيـا لقومهمـا بمصر بيـوتاً وأمـرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقـرب فيه النّسـاء إلاّ هارون وذرّيّتـه وأنّ عليّاً منّي بمنـزلة هـارون من موسى فـلا يحلّ لأحـدٍ أن يقرب النّسـاء في مسجدي ولا يبيت فيه جنباً إلاّ عليّ وذرّيتـه فمن ساءه ذلـك فها هنـا وضرب بيـده نحو الشام »[4] .

---

(١) سورة يونس : الآية / ٨٧ .

(٢) إحقاق الحقّ ٥ / ٤٦٩ ـ ٥٠١ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣ . ويخـالف بعض كلماتـه تحف العقول ٤٣٠ .

(٤) تفسيـر الصـافي ١ / ٧٦٢ ، وفي هامشه : « فمن ساءه فهاهنا مقـره » أي ت أو الشام مثل قوله :﴿ فمن ساءه ففي السقر أو في جهنم ﴾ .

٦٠ ـ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن

قال الشيخ الصدوق رضي الله عنه : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال حدّثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن حمزة الأشعري قال حدّثني ياسر الخادم قال : سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يقول :

« إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد [ويوم][1] يخرج من بطن أمه فيرى الدّنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدّنيا ، وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى ـ عليه السلام ـ في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال :

﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً ﴾[2] ، وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال : **﴿ وسلام عليّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعث حيّاً ﴾[3]** .

---

(١) كذا .

(٢) سورة مريم : الآية / ١٥ .

(٣) سورة مريم : الآية ٣٣ والآية : ﴿ والسلام عليّ يوم ولدت . . . ﴾ ، عيون أخبار الرضا ١ / ٢٠١ ، وتفسير الصافي ٢ / ٤٠ ، وإحقاق الحق ١٩ / ٥٨١ .

إنّ الأيـام الثّلاثـة من أهمّ أيّام الإنسـان لو لم تسلم لـه كـان من الهالكين، خاصّـة اليوم الأوّل من حيـاته الّـذي هـو كمـا قـال علي بن الحسين عليهما السلام :

« أكبر ما يكون ابن آدم اليوم الذي يلد [يولـد] من أمّه » قـالت الحكمـاء : ما سبقـه إلى هـذا أحـدٌ[١] ، وكلمـا كبـر نقص من عمـره وصغر على خلاف ما يعرفـه النّاس ومـا من يوم يمضي إلاّ وقـد اقترب من الآخرة وابتعد من الدنيا لا يـدري إلى الجنّة أو إلى النّـار اقترابـه ، وإذا ناله نقصان في مالـه اغتمّ ولا يغمّه نقصـان عمره ،والدّرهم يخلف عنه والعمر لا يردّه شيءٌ، فهو بين مصـائب ثلاث لا يعتبـر بواحدة منهن :

الأولى : نقصان عمره .

الثانية : استيفاء رزقه إن كان حلالاً حـوسب عليه أوحـراماً عوقب عليه .

الثالثة : دنوّه كلّ يوم إلى الآخرة وبُعده عن الدّنيا لا يدري إلى الجنّة دنّوه أم إلى النّار[٢] .

وأما يوم المـوت فهو ألـزم إلى أبن آدم من ظلّه وقد قـال السّجّاد عليه السلام : « ولست أذكر منها ـ أي الـدّنيا ـ إلاّ قتيـلاً أفنته أو مغيّب ضريح تجافت عنه فاعتبر أيّها السّامـع بهلكات الأمم ، وزوال النّعم ، وفظاعة ما تسمع وتـرى من سوء آثـارها في الـدّيار الخـالية ، والـرّسوم الفانية والرّبوع الصّموت .

وكم عـاقل أفنت فلم تبـك شجوه   ولا بـد أن تفنى سـريعـا لحـوقهـا

---

(١) البحار ٧٨ / ١٦٠ .

(٢) المصدر .

فتلك مغـانيهم وهـذي قبـورهم تـوارثها أعصـارهـا وحـريقهـا

فـرّقتهم أيدي المنـون فألحقتهم بتجـافيف التراب، فأضحـوا في فجوات قبورهم يتقلّبون، وفي بطون الهلكـات عظامـاً ورفاتـاً وصلصالا في الأرض هـامدون ، أتململ تململ السّليم ، وأبكي بكـاء الحـزين أنادي ولات حين مناص .

سـوى أنّهم كـانـوا فبـانـواوإنّني على جـدد قصد سـريعا لحـوقهـا
فلو رَجَعَتْ تلك اللّيـالي كعهدهـا رأت أهلهـا في صـورة لا تـروقهـا
حيـارَى وليـل القـوم داج نجـومـه طوامس لا تجري بطيء خفوقها[1]

وأما يوم البعث والحشر الأكبر فـ ﴿ يـا أيها النـاس اتّقوا ربّكمْ إنّ زلـزلة السـاعة شيء عـظيم * يوم تـرونها تـذهل كـل مرضعـة عما ارضعت وتضـع كل ذات حمـل حملها وتـرى الناس سكْـرى وما هم بسكـرى ولكنَّ عذاب الله شديد ﴾[2] .

قـال عمران بن الحصين وأبـو سعيد الخـدري : « نزلت الآيتـان من أوّل السّـورة ليـلاً في غـزاة بني المصـطلق وهم حيّ من خــزاعـة والنّـاس يسيرون فنـادى رسـول الله صلّى الله عليـه وآله فحثوا المـطيّ حتّى كـانوا حـول رسول الله فقـرأها عليهم فلم يـر أكثر بـاكياً من تلك اللّيلة فلّما أصبحوا لم يحـطّوا السّرُج عن الـدّوابّ ولم يضربـوا الخيام والنّاس بين باكٍ وجـالس حزين متفكّـر فقال لهم رسـول الله صلّى الله

(١) البحار ٧٨ / ١٥٥ ـ ١٥٨ ، مقتطفات ، ولأمير المؤمنـين (ع) توصيف للموت في كلام له ما أعظمه ، يجدر النظر إليه طوال الحياة قال فيه : « وإن للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة ، أو تعتدل على عقول أهل الدّنيا » . النهج ١١ / ١٥٢ ، الخطبة ٢١٦ . ولشارحها المعتزلي شرح حريّ بالنظر . ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٢) سورة الحج : الآية / ١ ـ ٢ .

عليه وآله : أتدرون أيّ يوم ذاك ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال : ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النّار من ولدك، فيقول آدم : من كم كم ؟ فيقول عزّ وجلّ: من كلّ ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النّار وواحد إلى الجنة ، فكبر ذلك على المسلمين وبكوا فقالوا: فمن ينجو؟ يا رسول الله ؟ فقال: ابشروا ، فإنّ معكم خليفتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيءٍ إلاّ كثرتاه ما أنتم في النّاس إلاّ كشعرة بيضاء في الثور الأسود ، أو كرقم[1] في ذراع البكر ، أو شامة في جنب البعير ، ثم قال : إنّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة فكبّروا ، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة ، فكبّروا ثم قال : إنّي لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنّة؛ فإنّ أهل الجنّة مائة وعشرون [صنفاً] صفّاً ثمانون منها أمّتي ، ثمّ قال : ويدخل من أمّتي سبعون ألفاً الجنّة بغير حساب . . . فقام عُكّاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: اللّهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ،فقال : سبقك عُكّاشة . قال ابن عبّاس: كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدع له »[2] .

كلمة « كشعرة بيضاء في الثور الأسود » ذكرناها في كتابنا « الأمثال النّبويّة »[3] ، وكذا « سبقك عُكّاشة »[4] والحديث النّبوي فيه إنذارٌ وبشارةٌ .

---

(١) الرّقمتان هنتان شبه ظفرين في قوائم الدابة . الشامة علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

(٢) تفسير الصّافي ٢ / ١١٠ ـ ١١١ . وهامشه .

(٣) ج ٢ / ٤٢ ، رقم المثل ٣٦٦ ، حرف الكاف مع الشين

(٤) ج ١ / ٤٦٣ ، رقم ٢٩٥ ، حرف السّين مع الباء .

والمهمّ أن العبد إذا مات عن إيمان بالله عزّ وجلّ ورسوله والأئمة المعصومين عليهم السلام شملته البشارة وإلّا فهو من غير الأمة المرحومة والعياذ بالله يموت وهو كافرٌ بكلّ شيءٍ نسأله تعالى حسن الختام .

٦١ ـ أوّل من أتاح اللّه له أن يتزوج بامرأة قُتل بعلها ، كان داود

من أجوبة الرّضا عليه السلام لمسائل ابن الجهم فيما رواه الصّدوق بإسناده إلى أبي الصّلت الهروي قال :

« لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والدّيانات من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمه حجّته كأنّه ألقم حجراً قام إليه عليّ بن محمد بن الجهم فقال له : يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء ؟ قال : نعم ، قال : فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾[1]، وفي قوله عز وجل : **﴿ وذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾**[2] ، وفي قوله عزّ وجلّ في يوسف عليه السلام : **﴿ ولقد همّت به وهمّ بها ﴾**[3] ،

---

(١) سورة طه : الآية / ١٢١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٨٧ .

(٣) سورة يوسف : الآية / ٢٤

وفي قوله عزّ وجلّ في داود : ﴿ وظنّ داود أنّما فتنّاه ﴾[1] ، وقوله تعالى في نبيّه محمد صلّى الله عليه وآله : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾[2] ؟

فقال الرّضا عليه السلام :

ويحك يا عليّ اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد قال : ﴿ ولا يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم ﴾[3] .

وأمّا قوله عزّ وجلّ في آدم ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ، فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة ، وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ : ﴿ إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾[4] .

وأما قوله عزّ وجل : ﴿ وذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾ ، إنّما ظنّ بمعنى استيقن أنّ الله لن يضيق عليه رزقه ، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وأمّا إذا ما ابتلاه ربّه فقدر عليه رزقه ﴾[5] . أي : ضيّق عليه رزقه ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر .

---

(١) سورة صّ : الآية / ٢٤ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٣٧ . .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ٧
(٤) سورة آل عمران : الآية / ٣٣
(٥) سورة الفجر : الآية / ١٦

وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف : ﴿ **ولقد همّت به وهمّ بها** ﴾ ، فإنّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ﴾[1] ، يعني القتل والزّنا .

وأمّا داود - عليه السلام - فما يقول من قبلكم فيه ؟

قال علي بن محمد بن الجهم يقولون : إنّ داود - عليه السلام - كان في محرابه يصلّي فتصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطّيور فقطع داود صلاته، وقام ليأخذ الطّير فخرج الطّير إلى الدار فخرج [كذا] الطّير إلى السطح ، فصعد في طلبه فسقط الطّير في دار أوريا بن حنّان ، فاطلع داود في أثر الطير ، فإذا بامرأة أوريا تغتسل ، فلمّا نظر إليها هونها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام التابوت فقدّم فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانيةً أن قدّمه أمام التّابوت ، فقدّم فقتل أوريا فتزوّج داود بامرأته ، قال : فضرب الرّضا عليه السّلام بيده على جبهته وقال :

إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله إلى التّهاون بصلاته حين خرج في إثر الطّير ثم بالفاحشة ثم بالقتل ، فقال : يا ابن رسول الله فما كان خطيئته ؟

فقال : ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أن ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا في المحراب فقالا : ﴿ **خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا**

---

(١) سورة يوسف : الآية / ٢٤ .

بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب ﴾[١] . فعجّل داود عليه السلام على المدّعىٰ عليه فقال : **﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾**[٢] ، فلم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك ولم يُقبل على المدّعى عليه فيقول له : ما تقول ؟ فكان هذا خطيئته رسم الحكم ، لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول : **﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى ﴾**[٣] . إلى آخر الآية .

فقال ياابن رسول الله فما قصّته مع أوريا ؟

فقال الرّضا عليه السلام : إنّ المرأة في أيام داود ـ عليه السلام ـ كانت إذا مات بعلُها أو قُتل لا تتزوّج بعده أبداً ، وأوّل من أتاح الله له أن يتزوّج بامرأة قُتل بعلها كان داود ـ عليه السلام ـ ، فتزوّج بأمرأة أوريا لّما قتل وانقضت عدّتها منه ، فذلك الّذي شقّ على النّاس من قبل أوريا »[٤] .

والحديث ذكرنا أكثره لتربط الكلمة به، ولأنّ في محتواه ، الأسئلة وأجوبتها الّتي تنفع ولإتمام النّفع نذكر تمامه :

---

(١) سورة صٓ : الآية / ٢٢ ـ ٢٣

(٢) سورة صٓ : الآية / ٢٤ .

(٣) سورة صٓ : الآية / ٢٦ .

(٤) عيون أخبار الرضا ١ / ١٥٣ ـ ١٥٥ . تفسير الصافي ٢ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .
وكان موت داود على ما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام عمّا سأله السّائل عن أوّل من مات فجأةً فقال عليه السلام : « داود مات على منبره يوم الأربعاء » . عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٢ .

قال الرّضا عليه السلام بعده :

« وأمّا محمّد - صلّىٰ الله عليه وآله - وقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وتخفى في نفسك ما الله مُبديه وتخشى النّاس والله أحقّ أن تخشه** ﴾ ، فإنّ الله عزّ وجلّ عرّف نبيّه - صلّىٰ الله عليه وآله - أسماء أزواجه في دار الدّنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنّهنّ أمّهات المؤمنين ، وإحداهن من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده، لكيلا يقول أحدٌ من المنافقين : إنّه قال في أمرأة في بيت رجل : إنّها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وتخشى الناس والله أحقّ تخشه** ﴾[١] . يعني في نفسك وإنّ الله عزّ وجلّ ما تولّى تزويج أحدٍ من خلقه إلاّ تزويج حوّاء من آدم عليه السلام ، وزينب من رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله - بقوله ﴿ **فلمّا قضى زيد منها وطراً زَوَّجنٰكها** ﴾ الآية[٢] ، وفاطمة من عليّ - عليهما السلام - قال فبكى عليّ بن محمّد بن الجهم فقال : يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من أن أنطق في أنبياء الله - عليهم السلام - بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته »[٣] .

العصمة في النبي والوصي واجبة عقلاً ونقلاً .

إذا كان النبي أو الوصي كأحد الناس يفقد العصمة فما المائز بينه وبين غيره ؟! وما وجه الأعتماد على إخباراته بالمغيّب ؟! ولولا العصمة للزم فوت الغرض من بعثته لعدم الاعتماد عليه فلا يصدّق، فيفوت الهدف من ذلك لو ركب ما عنه نهى وترك ما أمر به .

---

(١) سورة الاحزاب : الآية / ٣٧ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٣٧ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٥٥

وبلفظ آخر: إذا تخلّى عن الفضائل وتحلّى بالرّذائل فكيف تنجح دعوته إلى التحلّي بالأولى والتخلّي عن الثّانية ؟! وعلى هذا الأصل أجاب الرّضا عليه السلام عن مسائل ابن الجهم من عصيان آدم ، وظنّ يونس بعجز الرّب تعالى ، وهمّ يوسف بالزّنا ، وفتنة داود ، وما أضمره النّبيّ الأعظم عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام، وكانت آيٌ من القرآن الكريم تعطي بظاهرها ذلك، ولا ريب أنّها من المتشابه الّذي يجب الرّجوع فيه إلى المعصوم عليه السلام وإلّا شمله حديث : « من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب » كما في النبويّ[1] . و « ومن فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر » كما في الصادقي[2] ، على أنّ القرآن له معان وتصاريف.، لا يعرفها إلا العالم كما جاء في الصادقي :

« إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم »[3] والآخر : « نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة »[4] ، فمن المحتمل أنّ صوغ الآي المذكورة لذلك، فالنقل المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام يحتّم العصمة في الأنبياء عليهم السلام .

أمّا داود وقصّته فكما قال الرّضا عليه السلام وكما عن أمير المؤمنين عليه السلام : « لا أوتي برجل يزعم أنّ داود تزوّج امرأة أوريا إلّا جلدته حدّين حدّاً للنّبوة ، وحدّاً للإسلام»، وروي أنّه قال :

---

(١) الوسائل ١٨ / ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٢) الوسائل ١٨ / ٣٩ .
(٣) الوسائل ١٨ / ١٤١ .
(٤) أصول الكافي ٢ / ٦٣١ . وهو مثل سائر كما في مجمع الأمثال ١ / ٤٩ ، الرّقم ١٨٧ ، حرف الهمزة ، والتّمثّل الصّادقي به هو الرّضويّ المذكور في عيون أخبار الرّضا ١ / ١٦١ .

«من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصّاص جلدته مائة وستين »[1]

والصادقي : « إن رضا النّاس لا يملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا إلى داود أنّه تبع الطّير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوئها وأنّه قدّم زوجها أمام التّابوت حتى قتل ثم تزوّج بها »[2] ؟! .

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٤٤٤
(٢) المصدر .

٦٢ ـ الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللّسان وعمل بالجوارح

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه بإسناده إلى أبي الصّلت الهرويّ قال : سألت الرّضا عليه السّلام عن الإيمان؟فقال : « الإيمان عقد بالقلب ، ولفظ باللّسان ، وعمل بالجوارح ، لا يكون الإيمان إلاّ هكذا »[١] .

وعنه عليه السلام بإسناده الأعلى عن آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله خمس روايات في تعريف الإيمان أربعة منها : « الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللّسان وعمل بالأركان »[٢] وواحدة : « الإيمان قول وعمل »[٣] . قال أبو حاتم : لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لبرأ[٤] وبعدما روى الصّدوق الأخيرة قال: قال أحمد بن محمد بن

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٧٨ ، باب ٢٣ ما جاء عن الرّضا عليه السلام في الإيمان . . .
(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٧٧ ـ ١٧٩ .
(٣) المصدر ص ١٧٩
(٤) المصدر .

حنبل : ما هذا الإسناد ؟ فقال له أبي : هـذا سعوط المجانين إذا سعط به المجنون أفاق[١] .

سـواء أكان تعريف : « الإيمان عقـد بالقلب ولفظ بـاللّسـان وعمـل بالجوارح ، ـ أو ـ معرفة بالقلب وإقرار بـاللّسان وعمـل بالأركـان ، ـ أو ـ قول وعمل »فـإنّه يعـطي شيئاً واحـداً وإنّ الكلّ نـابع عن عين صـافية عن النّبـوّة والولايـة ، وروح الإيمان هـو الحبّ في الله والبغض في الله كمـا نصّت نصوصهم عليهم السّلام به .

ففي صـادقيّ : « من أوثق عـرى الإيمـان أن تحـبّ فـي الله ، وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله »[٢] .

وبـاقـريّ : « . . ألا مَنْ أحبّ في الله ، وأبغض في الله وأعـطى في الله ، ومنع في الله فهو من أصفياء الله »[٣] .

وآخـر : « يـا زيـاد ويحـك وهـل الـدّين إلاّ الحبّ ؟ ألا تـرى إلى قـولـه : ﴿ **قـل إن كنتم تحبّـون الله فـاتّبعـونى يحببكم الله ويغفـر لكم ذنـوبكم** ﴾[٤] ؟ أو لا تـرى قـول الله لمحمـد ـ صلى الله عليـه وآلـه ـ : ﴿ **حبّب إليكم الإيمـان وزيّنه فى قلوبكم** ﴾[٥] ؟ وقـال : ﴿ **يحبّـون من هاجر إليهم** ﴾[٦] ، فقال : « الدّين هوالحبّ ، والحبّ هو الدّين »[٧]

---

(١) المصدر ص ١٧٩ .
(٢) الوسائل ١١ / ٤٣١ ، باب ١٥ وجوب المحبّ في الله والبغض في الله . .
(٣) المصدر .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٣١ .
(٥) سورة الحجرات · الآية ٧ .
(٦) سورة الحشر : الآية ٩ .
(٧) الوسائل ١١ / ٤٣٥ .

وصادقي : « . . . وهل الإيمان إلّا الحبّ والبغض ؟»[1] .

ويساعده الاعتبار العقلي؛ اذ لم ير العاشق للّشيء والمحبّ له إلّا وهو متفانٍ فيه لا يرى سواه ولا يسمع إلّا منه ولا يعمل إلّا من أجله ، ولا يقول إلّا ما شاءه ولم تصدر منه حركة ولا سكون إلّا للمحبوب وهذه سنّة الحبّ وشرع الهوى: بأن لا يهوى المحبّ إلا الحبيب ولا يقنع به بدلاً ولا يعرف في العالم غيره . وقد قال تعالى : ﴿ **والذّين آمنوا أشدّ حبّاً لله** ﴾[2] ، وأهل البيت عليهم السلام هم التامّون في محبة الله تعالى كما في الزيارة الجامعة[3] .

---

(١) المصدر .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥ .

(٣) عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٧٨

٦٣ ـ أيّ شرفٍ يَتَقدّمُ هذا أو يُدانيه ؟

روى الصدوق حديث الرضا عليه السلام المشتمل على استدلاله بالآيات القرآنية على فضل العترة الطاهرة على سائر الناس عندما سأله علماء أهل العراق وخراسان، ذكرنا بعضها عند الكلمة : « فضل بعد طهارة تنتظر »[١] ، و « نفس عليّ عليه السلام كنفسه صلى الله عليه وآله »[٢] ، قال عليه السلام :

« والآية السادسة قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى** ﴾[٣] .

وهذه خصوصيّة للّنبيّ ـ صلى الله عليه وآله - إلى يوم القيامة وخصوصيّة للآل دون غيرهم ؛ وذلك أن الله عزّ وجلّ حكى في ذكر نوح في كتابه : ﴿ **يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجرى إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا أنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّى أراكم قوماً تجهلون** ﴾[٤] ، وحكى عزّ وجلّ عن هود أنّه قال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلاّ على الّذي فطرنى أفلا تعقلون** ﴾[٥] ، وقال عزّ

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف النّون مع الفاء .

(٣) سورة الشورى : الآية / ٢٣ .

(٤) سورة هود : الآية / ٢٩ .

(٥) سورة هود : الآية / ٥١ .

وجلّ لنبيّه محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ : **﴿قل﴾** يا محمد **﴿لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾** ولم يفرض الله تعالى مودّتهم إلّا وقد علم أنهم لا يرتدّون عن الدّين أبداً ولا يرجعون إلى ضلال أبداً ، وأخرى أن يكون الرجل وادّاً للرّجل فيكون بعض أهل بيته عدوّاً له فلا يسلم له قلب الرّجل ، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن لا يكون في قلب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ على المؤمنين شيء ، ففرض عليهم الله مودّة ذوي القربى ، فمن أخذ بها وأحبّ رسول الله وأحبّ أهل بيته لم يستطع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يبغضه ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته فعلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يبغضه ؛ لأنّه قد ترك فريضةً من فرائض الله عزّ وجلّ ، فأيّ فضيلة وأيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه ؟ »(١) .

للحديث الشّريف بقيّة باقية ، ولطوله اقتصرنا على ما يربط الكلمة المستخرجة .

إنّ الله عزّ وجلّ فضّل محمّداً وأهل بيته على جميع الخلق من الأوّلين والآخرين وشرّفهم عليهم شرفاً وفضلاً لا يُدانيهما دان إلى يوم القيامة فلهم الفضل الجليل والشّرف الأصيل ؛ إذ هم الصّفوة المصطفون اصطفاهم الله تعالى لنفسه وقدّمهم على الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام ، فأجر رسالاتهم ليس إلّا أن يتخذ العباد إلى ربّهم سبيلاً كما قال عزّ وجلّ : **﴿قل لا أسألكم عليه من أجر إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً﴾**(٢) ، ومودّة أهل البيت عليهم السّلام هي السّبب التام

---

(١) عيون أخبار الرّضا : ١ / ١٨٣ .

(٢) سورة الفرقان : الآية / ٥٧ .

ولا يخفى أن الآي المذكورة في القرآن الكريم في هذا الصدد على تنوّع معانيها اثنتا عشرة آية تعطي من تدبّر فيها الهدف الواحد وهو اتحاد سبيل الله عزّ وجلّ وعرفانه ومحبّته تعالى .

لأتّخاذ سبيل الرّبّ تعالى لأنّ الّـذي يودّ أحـداً مودّة صـادقة ، يتّبعـه فيما يهمّـه وأهل البيت عليهم السّـلام لا يهمّهم شيء إلّا الله عـزّ وجـلّ فالوادّ الصادق لا محالـة متّخذ طـريق الله عزّ وجلّ، ومن ثمّ أمر العبـاد بمودّتهم عليهم للحصول على الهدف الأسنى وفي غيرها الخيبة والضّلال .

حرف الباء

٦٤ - بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له

من خطبة الرّضا عليه السلام في التّوحيد رواها الصّدوق ، ذكرنا من أوّلها إلى فقرة : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له ؛ لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره » ، ومنها إلى فقرة : « من غيّاه فقد غاياه »[1] ، وإليك من موضع القطع :

« ومن غاياه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق ، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود ، أحدٌ لا بتأويل عدد ، ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة ، متجلٍّ لا باستهلال رؤية باطن لا بمزايلة ، مبائنٌ لا بمسافة ، قريب لا بمداناةٍ ، لطيفٌ لا بتجسمٍ ، موجودٌ لا بعد عدمٍ ، فاعلٌ لا باضطراب ، مقدّرٌ لا بحول[2] فكرةٍ ، مدّبرٌ لا بحركةٍ ، مريدٌ لا بهمامةٍ ، شاءٍ لا بهمّةٍ ، مدرك لا بمجسمةٍ ، سميعٌ لا بآلةٍ ، بصيرٌ لا بأداةٍ . لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمّنه الأماكن ، ولا تأخذه السّنات ، ولا تحدّه الصّفات ، ولا تقيّده

---

(١) حرف الميم مع النون .

(٢) في نسخة « بجول » بالجيم كما في هامش التوحيد ٣٧ .

الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له . . . »[1] .

قوله عليه السلام : « ومن غاياه فقد جزّأه . . . »[2] ، أي ذاته المقدّسة جزء وما ينتهي إليه جزء آخر .

وقال المعتزلي في شرح بعض الخطبة العلويّة : « ومن ثنّاه فقد جزّأه » : وهذا حقّ ؛ لأنّه إذا أطلق لفظة الله تعالى على الذّات والعلم القديم فقد جعل مسمّى هذا اللّفظ وفائدته متجزّئة ؛ « ومن جزّأه فقد جهله » : هذا حقّ لأنّ الجهل هو اعتقاد الشّيء على خلاف ما هو به[3] .

والإلحاد : هو الطّعن في أمر من أمور الدّين بالقول المخالف للحقّ المستلزم للكفر[4] ولبقيّة الكلمات شرح يخرج به عمّا نحن بصدده كقوله عليه السلام: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا شعر له » .

ولا يخفى أنّ كثيراً من كلمات الرّضا عليه السلام في هذه الخطبة قد جاءت في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام .

قال المعتزلي : المشاعر : الحواسّ قال بلعاء بن قيس :

والرّأس مرتفعٌ فيه مشاعره   يهدي السّبيل له سمع وعينان

---

(١) التّوحيد ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) النّهج ١ / ٧٢ ، الخطبة ١ .
(٣) شرح النّهج ١ / ٧٥ .
(٤) هامش التّوحيد ٣٧ .

قال : بجعله تعالى المشاعر عرف أن لا مشعر له ؛ وذلك لأنّ الجسم لا يصحّ منه فعل الأجسام ، وهذا هو الدّليل الّذي يعوّل عليه المتكلّمون في أنّه تعالى ليس بجسم[١] .

وأمّا قوله عليه السلام : « وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له » فلم أجده في الخطب العلويّة ، ووجدته في خطبة الرّضا عليه السلام الجارية .

الجواهر واحدها الجوهر : مقول على معاني منها الحجر الثمين المستخرج المنتفع به كالألماس والياقوت وهو معرّب: « كوهر » بالفارسي ، ومنها جوهر الشيء ما وضعت عليه جبلّته وطبيعته . وجوهر السّيف : فرنده . والجواهر العِلْويّة : الأفلاك أو الكواكب أو الأرواح[٢] . والمصطلح عند الحكماء : الموجود بنفسه ويقابله العَرَض وفسّر السّبزواري الجوهر بقوله :

الجوهر المهيّة المحصّلَة   إذا غدت في العين لا موضوع له

وقال في تفسير العَرَض وأقسامه التّسعة المعروفة مع انضمام الجوهر بالمقولات العشرة وعند بعض بالأقلّ بما يلي :

العَرَضُ ما كونه في نفسه   الكون في موضوعه لاتنسه
كمٌّ وكيفٌ وضعٌ أينٌ له متى   فعلٌ مضافٌ وانفعالٌ ثبتا
أجناسه القصوى لد المعلِّم   بالثلث أو بالأربع نُمي

فتكون تسعة[٣] إلى آخر ما ذكره هناك فراجع .

---

(١) النّهج ١٣ / ٧٢ ، الخطبة ٢٣٢ . وشرحه ١٣ / ٧٣ .
(٢) منتهي الأرب في لغة العرب ، وغيره من الكتب في (جوهر) .
(٣) المنظومة في الحكمة المتعالية المقصد الثّاني في الجوهر والعرض الفريدة الأولى والثانية ص ١٣٦ ـ ١٣٧

والجوهر أعمّ من الجسم المركبّ من الأبعاد الثلاثة الطّول والعرض والعمق والعناصر الأربعة أو الأكثر ، ومن البسيط المجرّد عنها .

وهل هنا مجرّد سوى الله جلّ جلاله كما عليه جمع أو لا ؟ على ما ذهب إليه المجلسي قال عند تفسير العقل : السّادس ما ذهب إليه الفلاسفة وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرّد قديم لا تعلّق له بالمادّة ذاتاً ولا فعلاً والقول به كما ذكروه مستلزم الإنكار كثير من ضروريات الدّين من حدوث العالم وغيره ممّا لا يسع المقام ذكره ، وبعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولاً حادثةً وهي أيضاً على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير من الأصول المقرّرة الإسلاميّة مع أنّه لا يظهر من الأخبار وجود مجرّد سوى الله تعالى[1] .

وظاهره الجزم بانحصار المجرّد في الله تعالى ، ويمكن الجمع لما ذهب إليه بحمل المجرّدات من عقول ونفوس على الإضافيّ وأما المجرّد من كلّ جهة وهو الكمال المطلق فليس الا الله جلّ جلاله ، وقد خرجنا عمّا نحن فيه من بيان الحكمة الرّضوية :

«بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له » أي : بإبداعه تعالى الجواهر بإعطاء الوجود الجوهريّ لها دلّ على نفيه عنه تعالى لافتقار المقولات كلّها والكون كلّه إلى الزّمان والمكان والمحلّ غير المنفك عن النقص المنفي عن الرّبّ عزّ وجلّ وإلاّ لانقلب الواجب إلى الممكن فتجد الجهات الملازمة للنّقائص حليفة الممكنات مهما كان نوعها والكلّ منتف عن الله جلّ جلاله وكيف وهو الغني كلّه والقدرة كلّها والعلم كلّه والحياة كلّها .

---

(١) البحار ١ / ١٠١ .

٦٥ ـ البخل يمزّق العرض

روى المجلسي طاب ثراه من كلمات الرّضا عليه السلام : « البخل يمزّق العرض »[١] .

بقدر ما يمزّق البخل عِرْض البخيل، ويشوّه كرامته، يصون الجود كرامة الجواد، وكما أنّ البخل كاشف عن عيوب البخيل لأنه إذا بخل عن المال الدّنيويّ فهو في كسب الفضائل المثمرة في الدّارين أبخل ، فتكثر رذائله وعيوبه ، والبخل دليل عليها ، والجود ساتر إن كان للجواد زلّات وعيوب ؛ إذ الجود من الفضائل يستدلّ به على سائرها ، كما أنّ البخل رذيلة دالّ على أخواتها ويخدش كلّ فضيلة له لو كانت ؛ والدّليل على أنّ الشّيء بالشّيء ملحق قول أمير المؤمنين عليه السلام : « فإنّ الشّرّ بالشّرّ ملحق »[٢] . وكذلك الخير يدعو إلى الخير ، وأوضح شاهد عليه قوله تعالى : ﴿ **ثمّ كان عاقبة الّذين أسائوا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله** ﴾[٣] ، أي قد أعقبت الإساءة تكذيب الآيات كلّها .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٧ .

(٢) النّهج ١٨ / ٤٢ ، كتاب ٦٩ .

(٣) سورة الرّوم : الآية / ١٠ .

روايات أهل البيت عليهم السلام ، وكلمات الأدباء المثليّة في البخل والشّح ، والبخيل والشحيح .

من الرّوايات

النّبويّ : « البخيل حقّاً مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ »(١) .

والآخر : « وإنّما البخيل حقّ البخيل : الّذي يمنع الزّكاة المفروضة من ماله ، ويمنع البائنة في قومه ، وهو في ما سوى ذلك يبذّر »(٢) .

في الحديث : « هل أبنت كل واحدٍ منهم مثل الّذي أبنت هذا » ، أي هل أعطيتهم مثله مالاً تبينه به أي تفرده ، والاسم البائنة(٣) .

ومنها الصّادقي رواية الفضيل بن عياض : « أتدري مَن الشّحيح ؟ فقلت : هو البخيل ؟ فقال : الشّحيح أشدُّ من البخيل ، إنّ البخيل يبخل بما في يديه ، وإنّ الشّحيح يشحّ بما في أيدي النّاس وعلى ما في يديه حتّى لا يرى في أيدي النّاس شيئاً إلاّ تمنّى أن يكون له بالحلّ والحرام ، ولا يشبع ، ولا يقنع بما رزقه الله تعالى »(٤) .

والآخر : « البخيل من بخل بالسّلام »(٥) .

---

(١) معاني الأخبار ٢٤٦ .
(٢) المصدر ص ٢٤٥ .
(٣) نهاية ابن الأثير ١ / ١٧٥ ، في (بين) .
(٤) معاني الأخبار ٢٤٥ .
(٥) المصدر .

ومنها الرّضويّ : « ليس لبخيل راحة . . . »[1] .

والآخر : « إيّاكم والبخل ، فإنّها عاهة لا تكون في حرّ . . . »[2] .

ومن كلمات الأدباء المثليّة :

« شرّ أخلاق الرّجال البخل » ، « البخيل أبداً ذليلٌ » ، « لا مروءة لبخيلٍ » ، « ما أفلح بخيلٌ قط ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ ومَن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ . . . »[3] . « البخل بالموجود من سوء الظّنّ بالمعبود » ، « الجبن والبخل غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله » ، « البخل يهدم مباني الكرم » ، « بَشّرْ مال البخيل بحادث أو وارث » ، « أبخل النّاس أجودهم بعرضه »[4] .

أقول : فصيانة العِرْض بالجود وإلاّ فكما قال الرّضا عليه السلام : « البخل يمزّق العِرْض » .

وغيظ البخيل على من يجو   د أعجب عندي من بخله[5]

وفي وصف البخيل قالت العرب :

(سواء هو والعدم) ، (سواء غناه والفقر) ، (ما تُبلُّ إحدى

---

(١) التّحف ٤٥٠ ، البحار ٧٨ / ٣٤٥ .
(٢) البحار ٣٤٦/٧٨، وفيه « ولا مؤمن ، إنّها خلاف الإيمان » .
(٣) سورة الحشر : الآية / ٩ .
(٤) التّمثيل والمحاضرة ٤٤٠ .
(٥) المصدر .

يديه الأخرى) ، (لا تندى صفاته ، ولا يبضّ[1] حجره ، ولا يثمر شجره) . (يمنع درّه ودرّ غيره) . المولّدون :

(لا تسقط من كفّه خردلة) . (سائله محروم ، وماله مكتوم) . (لا يحين إنفاقه ، ولا يحلّ خناقه) . (خبزه كآوي يُسمع بها ولا تُرى) . (اغناه فقر ، ومطبخه قفر) . (يملأ بطنه والجار جائع) ، (ويحفظ ماله والعرض ضائع) . (قد أطاع سلطان البخل بجهده ، وانخرط كيف شاء في سلْكِهِ) . (سمين المال مهزول النّوال) . (عظيم الرّواق صغير الأخلاق) . (يصون فَلْسَه ، ويبذل نَفْسَه) . (لا يحلب إلّا من ضرع بكيّ[2]، ولا يسقى إلّا من أنضب ركيّ)[3] . (فلان قد جعل ميزانه وكيله ، وضرسه أكيله ، وكيسه أنيسه ، وخبزه جليسه ، ورغيفه أليفه ، ومأكوله حليفه ، وديناره شقيقه ، ودرهمه رفيقه ، ويمينه أمينه ، ومفتاحه دفينه ، وصناديقه صديقه ، وخاتمه خادمه)[4] .

وعلاج البخل :

البذل هو العلاج وهل المحبوب في الشّرع وعند العقل هو الإيثار ولو كان بالمؤثر خصاصة كما قال تعالى :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[5] ؟ وهذا دليل على علاج البخل

(١) ولا يبيض وهو خطأ وبضّ الماء : سال قليلاً قليلاً أي : لا يرجى خيره . هامش التمثيل والمحاضرة ٤٤١ .
(٢) البكيّ : الكثير البكاء وهنا كثير اللبن : أي لا يحلب من ضرع كثير اللبن ، وبمعنى القليل ويحتمل اللّفظ « إلّا من ضرع بكيّ » : أي قليل اللّبن .
(٣) الزكيّ : البئر .
(٤) لتمّثيل والمحاضرة ٤٤٢
(٥) سورة الحشر : الآية / ٩

والشّحّ الّذي هو أشدّ منه، حيث عقّب تعالى الإيثار بوقاية شحّ النّفس الموجبة للفلاح، وفيه حثّ بالغ عليه، وجاء في تفسير الآية إيثار أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الضّيف : « يا ابنة محمّد نوّمي الصّبيّة واطفي المصباح . . . »[1]: . أو الإنفاق الوسط ؟ ويشهد له قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾[2] . في قصّة إعطاء الرسول صلّى الله عليه وآله قميصه للسّائل ونزول الآية الآمرة بالوسط[3] .

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٦٨٤ .

(٢) سورة الإسراء : الاية / ٢٩ .

(٣) تفسير الصّافي ١ / ٩٦٧ .

٦٦ ـ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها

قال الصّدوق حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال حدّثنا محمد بن يحيى العطّار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن الرّضا علي بن موسى ـ عليهما السلام إنه قال : « إنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[1] .

البسملة ، والأسم الأعظم ، والمثل بأقربيّتها إليه من سواد العين إلى بياضها . فهنا بحوث ثلاثة :

البحث الأوّل في البسملة :

البسملة أكرم آية في كتاب الله وأعظمها ففي باقريّ : « سرقوا أكرم آية في كتاب الله بسم الله الرّحمن الرّحيم »[2]

(١) عيون أخبار الرّضا ٢ / ٥ .

(٢) تفسير العيّاشي ١ / ١٩ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢

وآخر : « ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها ، وهي بسم الله الرّحمن الرّحيم »[1]
البسملة في أوّل كلّ كتاب نزل من السماء في صادقي : « ما أنزل الله كتاباً إلاّ وفاتحته بسم الله الرّحمن الرّحيم »[2]

وروايات البسملة فوق الخمسين ذكرناها في كتابنا « الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة »[3]. وقد كتبت حولها كتب ورسائل تنوف على مائة وعشرين جمعها السّيد الجلالي[4] .

قال بعض أهل المعرفة :

البسملة كلمة قدسيّة من كنز الهداية ، وخلعة ربوبيّة من خلع الولاية ، ووصلة قريبة لأهل العناية ، ورحمة خاصّة[5] للمؤمنين ، وعامة للخلق الأوّلين والآخرين .

البسملة حبيبة أهل ولاية الله جلّ جلاله لا يدعونها ليل نار ولا في حال من الحالات، جاذبة العبد الآبق إلى ربّه الكريم، ومن أثرها تنمية المحبّة والوفاء ، والتّقوى والحياء وسائر الفضائل وأهمّها المعرفة بالله جلّ جلاله، وبالصّفات والأفعال والأسماء ، رافعة الأقدار ، دافعة الأضرار ، جامعة الأسرار ، ينبوع العلوم والمعارف . وقد رام بعض البحث عنها من ثمانية عشر علماً :

اللّغة . الوضع . الاشتقاق . الصّرف . النحو . المعاني .

---

(١) تفسير العيّاشي ١ / ٢١ ـ ٢٢ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢ ـ ٤٣
(٢) تفسير البرهان ١ / ٤٢ . وفي معناه تفسير العيّاشي ١ / ١٩ .
(٣) طبع في بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات عام ١٤٠٢ هـ .
(٤) مخطوط .
(٥) خزينة الأسرار ١٠٣ .

البيان . البديع . الكلام . أصول الفقه . المنطق . الآداب . الفقه . التّفسير . الاستناد . القراءة . الحديث . التّصوّف . في كتاب لمؤلّفه الشيخ محمد عليش المتوفى حدود ١٢٧٩ هـ ، باسم (إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان : بسم الله الرحمن الرحيم) ، إيضاحاً لما ألّفه أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي . أوّله : « بسم الله » الّذي جعل البسملة الكريمة فاتحة كلّ كتاب « الرّحمن » الّذي جعلها بركة ويسّر بها ما صعب من الأسباب « الرحيم » الذي جعلها موصولة لكلّ خير بلا ارتياب . . .[١] ، نعم إنّها ترمي إلى المعارف أسماها وأرفعها .

وللبسملة المباركة آثار وخواصّ لا يعرفها إلاّ أهل البيت عليهم السلام وقد جاء بعضها في أحاديثهم ليس المقام موضع ذكر ذلك .

البحث الثاني : الأسم الأعظم .

نذكر أوّلاً بعض ما ورد فيه من روايات ، ونعقبها ثانيةً بنبذةً من كلمات العلماء .

الأولى : الرّوايات :

١ ـ الرّضويّ المتقدّم : « إنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى الأسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[٢] .

---

(١) الإسم الأعظم . . . ص ٨ .

أقول : البسملة تدعو العبد إلى الله بلطف نظير آية ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ سورة الزّخرف :الآية / ٣٦ ولنعم من قال:

هيج داني بهرجه رحمن بكفت   دعوت غيبيست باتو دز نهفت

أي : كلمة « الرحمن » الكائنة في الآية تدعوك في الخفاء وتقول لك هلمّ إلينا .

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٥ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢ .

٢ ـ الصادقي : « بسم الله الرّحمن الرّحيم اسم الله الأكبر ـ أو قال : ـ الأعظم »(١) .

٣ ـ الباقريّ : « بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى أسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها »(٢) .

٤ ـ رواية ابن عباس قال صلّىٰ الله عليه وآله : « بسم الله الرحمن الرحيم اسم من أسماء الله الأكبر ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها »(٣) .

٥ ـ الصادقيّ : « اسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب »(٤) .

٦ ـ العسكريّ : « إنّ رجلاً قام إليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه ؟ فقال إنّ قولك الله أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ وهو الاسم الّذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ولم يسمّ به مخلوق . . . »(٥) .

٧ ـ عمّار السّباطيّ قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أحبّ أن تخبرني باسم الله تعالى الأعظم ؟ فقال لي : إنّك لن تقوى على ذلك ، قال فلمّا ألححتُ قال : فمكانك إذاً ، ثم قام فدخل البيت هنيهة ، ثمّ صاح بي ادخل ! فدخلت ، فقال لي : ما ذلك ؟ فقلت أخبرني به جعلت فداك ! قال فوضع يده على الأرض فنظرت إلى البيت يدور بي وأخذني أمر عظيم كدتُ

---

(١) تفسير نور الثقلين ١ / ٦ ـ ٧ .

(٢) تفسير نور الثقلين ١ / ٦ .

(٣) نور الثقلين ١ / ٧ ، مهج الدعوات ٣١٩ .

(٤) تفسير البرهان ١ / ٤١ ، تفسير نور الثقلين ١ / ٣ .

(٥) تفسير البرهان ١ / ٤٥ ، تفسير نور الثقلين ١ / ١١ .

أهلك ، فضحك[1] فقلت جعلت فداك حسبي لا أريد ذا [2] .

٨ ـ وما رواه الصّدوق إلى الصّادق عليه السلام قال : « ألم » هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الّذي يؤلّفه النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والإمام فإذا دعا به أجيب »[3] .

٩ ـ في علويّ قال : « إنّ أمّ سلمة سألت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها فسكت ثم دخل عليها وهي ساجدة تقول : اللّهمّ إنّي أسألك بأسمائك الحسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك الأعظم الّذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت فإنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت المنّان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام . فقال لها : سألت يا أمّ سلمة باسم الله الأعظم »[4] .

١٠ ـ ونبويّ : « اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر الحشر »[5] .

١١ ـ ورضويّ : « من قال بعد صلاة الفجر بسم الله الرّحمن الرّحيم لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم ، مائة مرّة كان أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[6] .

١٢ ـ وآخر : « بسم الله الأكبر يا حيّ يا قيّوم »[7] .

١٣ ـ صادقيّ أنّه في الحمد والتّوحيد وآية الكرسي وإنّا أنزلناه

---

(١) وفي الأصل فضحكت والصّحيح ما ذكرناه .

(٢) اختيار معرفة الرّجال ٢٥٣ ـ ٢٥٤ من الجزء الثالث .

(٣) معاني الأخبار ٢٣ ، تفسير الصّافي ١ / ٥٧ .

(٤) البحار ٩٣ / ٢٢٧ .

(٥) البحار ٩٣ / ٢٢٤ .

(٦) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .

(٧) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .

تقرأ ، تجاه القبلة فيجاب إذا دعا الدّاعي بذلك ، مضمون الحديث[1] فراجعه . ونكتفي بهذا القدر من الروايات .

نبذةً من كلمات العلماء :

هل الأسم الأعظم يعلمه غير المعصوم عليه السلام ؟ من وليّ أو غير وليّ ؟ ولو كان في فترة وليّاً ثم صار عدوّاً لله ورسوله في فترة ثانية ؟

الجواب: نعم وليس ذلك مطّرداً في الكلّ ويشهد للأخير قصّة بلعم قال تعالى : **﴿ واتل عليهم نبأ الّذى اتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الّذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون ﴾**[2] .

روى القمّي عن الرّضا عليه السلام أنّه أعطى بلعم بن باعورا الاسم الأعظم وكان يدعو به [فيستجاب] فيستجيب له فمال إلى فرعون في طلب موسى وأصحابه ، قال فرعون لبلعم ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته[3] ليمرّ في طلب موسى

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .
أقول : وليكن رابع عشر الرّوايات ما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام للشاب الداعي في المسجد الحرام : « أتاك الغوث ألا أعلّمك دعاء علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه اسم الله الأكبر الأعظم . . . » أوّله : « اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم » . مهج الدعوات ١٥٣ ـ ١٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية / ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) ربّ مركوبٍ خيرٌ من راكبه من المثل السّائر ذكرناه في الأمثال النّبويّة : ١ / ٤٣٨ ، رقم المثل ٢٨٠ ، حرف الراء مع الباء ،وبلعم من أظهر مظاهره .

فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت ويلك على ماذا تضربني أتريدني أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين ؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الأسم من لسانه وهو قوله تعالى : ﴿ فانسلخ منها ﴾ الآية[1] .

بل أبليس والشّياطين لا يعدمون الاسم المبارك ولولاه لما تمكّنوا من نفوذهم في قلوب ابن آدم ولا من العلم ولولاه لما درت سُبُل إغوائهم ووسائله، ومن ثم قيل العلم من دون التّقوى لا يقيم له الإسلام ولا العقل وزناً وأجاد من قال شعراً :

لو كان للعلم من غير التّقى شرفٌ لكان أشرف خلق الله إبليسُ[2]

ثمّ الأقوال في فهم الأسم الأعظم وتعيينه من بين أسماء الله الحسنى حسب دلالة الآيات والأخبار لعلّها تربو على المائة كما اعترف بذلك بعضٌ[3] واعتمد على أمرين قال : الّذي يمكن الرّكون إليه في الجملة بحسب ظواهر الآثار ولوائح الأخبار ومضامين الأدعية وغيرها (أمران) :

أحدهما: أنّ الاسم كثيراً ما يراد في كلماتهم معناه اللّغويّ دون العرفي: أي يراد به مطلق ما يكون علامة ومرآة لذاته الأقدس ، وبهذا المعنى يكون جميع الكائنات والمخترعات والمصنوعات أسماء لذاته المقدّس[4] ولكنّها متفاوتةٌ بحسب اختلاف درجاتها في المرآتيّة

---

(١) تفسير القمي ١ / ٢٤٨ ، تفسير الصّافي ١ / ٦٢٦ ، تفسير البرهان ٢ / ٥١ .

(٢) لا أدري .

(٣) ختام الغرر للسيد الأبطحي ص ١٣٤ ، الباب السّادس .

(٤) الأولى « المقدّسة » .

والتّخلّق بأخلاق الله وظهور آثار قدرته وحكمته وعلمه .

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد[1]

فالكل دليلٌ إليه وعلامةٌ لوجوده ومرآةٌ لقدرته واية وحدانيّته ، وكلّ مرتبة منها تزيد على المرتبة . . . وهكذا إلى أن تبلغ إلى درجة النسخة الجامعة والمرآة الكاملة والمتخلق بما يمكن التخلّق به من أخلاق الله ومظهر صفات الله من الجلاليّة والجماليّة . . . وبهذا الاعتبار يكون الاسم الأعظم نبيّنا محمد[2] هو وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم ـ أسماؤه الحسنى . . . ويمكن أن يكون وجه أطلاق الأسم الأعظم عليه صلى الله عليه وآله من جهة ثبوت الولاية الكليّة . . .

ثانيهما : ـ أي الأمرين ـ أن يكون المراد به ظاهره وعلى هذا فاختلفوا فيه على وجوه :

الأوّل : هو (الله) كما مرّت الإشارة في باب الجفر[3] . . .

وراح السّيّد يسرد الأقوال المائة في الأسم الأعظم . ولا ريب أنّ أهل البيت عليهم السلام هم حقيقة الأسم الأعظم وعندهم ذلك ؛ لأنّه ورد فيهم أنّهم الأسماء الحسنى[4] والأسم الأعظم منها ولعلّ

---

(١) من شعر أبي العتاهية المتوفي ٢١١ هـ واسمه إسماعيل بن القسم بن سويد العيني أوّله :

ألا إنّنا كلّنا بائدُ وأيّ بني آدم خالدُ

الكنى والألقاب للشّيخ المحدث القمى ١ / ١٢١ ـ ١٢٣ .

(٢) في الأصل (وهو) والأولى (هو) .

(٣) ختام الغرر ١٣٤ ـ ١٤٨ .

(٤) [illegible] العيّاشي ١ / ٤٢ .

أحسن من خاض في هذه البحوث في زعمي السّيّد محمد حسين الطّباطبائي والشّيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب التفسير المتوفّى عام ١٣٠٨ هـ في أوّل يوم منه[١] وهو غير الشّيخ محمد حسين الأصبهاني المتوفّى ١٣٦١ هـ صاحب الحاشية على الكفاية . ولا يخفى أنّ الأقوال المائة أكثرها هي الرّوايات التي سردناها في كتابنا الأسم الأعظم[٢] وذكرها المجلسي[٣] وكيف كان نقدّم كلام الأوّل قال :

ما معنى الأسم الأعظم ؟

شاع بين النّاس أنّه اسم لفظيّ من أسماء الله سبحانه إذا دعي به استجيب ، ولا يشذّ من أثره شيء غير أنّهم لمّا لم يجدوا هذه الخاصّة في شيء من الأسماء الحسنى المعروفة ولا في لفظ الجلالة اعتقدوا أنّه مؤلّف من حروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا لو عثرنا عليه أخضعنا لإرادتنا كلّ شيءٍ . وفي مرغمة أصحاب العزائم والدّعوات أنّ له لفظاً يدلّ عليه بطبعه لا بالوضع اللّغوي غير أنّ حروفه وتأليفها تختلف بإختلاف الحوائج والمطالب ، ولهم في الحصول عليه طرق خاصّة يستخرجون بها حروفاً أوّلاً ثم يؤلّفونها ويدعون بها على ما يعرفه من راجع فنّهم . وفي بعض الرّوايات إشعارٌ بذلك كما ورد أنّ « بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين إلى سوادها »[٤] ، وما ورد أنّه في آية الكرسيّ وأوّل سورة

---

(١) المتولّد في منتصف عام ١٢٦٦ هـ كما في ملحق تفسيره المختصر لسورة الفاتحة و٢٢ آية من البقرة وفيه ترجمته الكاملة .

(٢) أو معارف البسملة والحمدلة ص ٥٨ ـ ٧٣ .

(٣) البحار ٩٣ / ٢٢٣ ـ ٢٣٢ .

(٤) الصّحيح « من سواد العين إلى بياضها » كما تقدم .

ال عمـران[١]، ومـا ورد أنّ حـروفـه متفـرّقـة في سـورة الحمـد[٢] يعـرفها الإمـام واذا شاء ألّفهـا ودعى بها فـاستجيب[٣]. وما ورد أنّ آصف ابن برخيا وزير سليمان دعا بما عنده من حروف اسم الله الأعظم فأحضـر عرش ملكة سبأ عند سليمـان في اقلّ من طـرفة عين[٤] . ومـا ورد أن الأسم الأعظم ثلاثـة وسبعون حـرفاً قسمّ الله بين أنبيـائه اثنتين وسبعين منهـا واستأثـر واحدةً منهـا عنده في علم الغيب[٥] . إلى غيـر ذلك من الرّوايات المشعرة بأنّ له تأليفاً لفظيّاً .

والبحث الحقيقي عن العلّة والمعلول وخواصّها يـدفع ذلـك كلّه ؛ فـإنّ التّـأثيـر الحقيقي يـدور مـدار وجـود الأشيـاء في قـوّتـه وضعفـه ، والمسانخة بين المؤثّر والمتأثّـر ، والأسم اللّفظي إذا اعتبـرناه من جهـة خصـوص لفـظه كـان مجمـوع أصـوات مسمـوعـة هي من الكيفيّـات العرضيّة ، وإذا اعتبر من جهة معنـاه المتصوّر كـان صورة ذهنيّـة لا أثر لهـا من حيث نفسها في شيءٍ البتّـة ، ومن المستحيل أن يكـون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صـورة خياليّـة نصوّرهـا في ذهننا بحيث يقهـر بوجـوده وجود كـلّ شيء ، ويتصرف فيمـا نريـده على ما نـريـده فيقلب السّمـاء أرضـاً والأرض سمـاءً ويحـوّل الـدّنيـا إلى الآخـرة وبالعكس وهكذا ، وهو في نفسه معلول لإرادتنا .

والأسمـاء الإلَهيّة واسمـه الأعـظم خـاصـة وإن كـانت مؤثّـرة في الكـون ووسائط وأسبـاباً لنـزول الفيض من الـذات المتعـاليـة في هـذا

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٤ و ٢٢٧ .
(٢) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .
(٣) تفسيـر البـرهـان ١ / ٥٣ ، تفسيـر الصّـافي ١ / ٥٧ . وانـظر تفسيـر الميـزان ٨ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦ .
(٤) تفسير البرهان ٣ / ٢٠٣ ، تفسير الصافي ٢ / ٢٣٩
(٥) المصدران .

العالم المشهود لكنّها إنّما تؤثّر بحقائقها لا بألفاظها الدّالّة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصوّرة في الأذهان ومعنى ذلك : أنّ الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكلّ شيء بماله من الصّفة الكريمة المناسبة له الّتي يحويها الأسم المناسب ، لا تأثير اللّفظ أو صورة مفهومة في الذّهن أو حقيقة أخرى غير الذّات المتعالية إلّا أنّ الله سبحانه وعد إجابة دعوة من دعاه كما في قوله : ﴿ أجيب دعوة الدّاع إذا دعان ﴾ البقرة : ١٨٦ ، وهذا يتوقّف على دعاء وطلب حقيقيّ ، وأن يكون الدّعاء والطّلب منه تعالى لا من غيره ـ كما تقدّم في تفسير الآية ـ فمن انقطع عن كلّ سبب واتّصل بربّه لحاجة من حوائجه فقد اتّصل بحقيقة الأسم المناسب لحاجته فيؤثّر الأسم بحقيقته ويستجاب له ، وذلك حقيقة الدّعاء بالاسم فعلى حسب حال الأسم الّذي انقطع إليه الدّاعي يكون حال التّأثير خصوصاً وعموماً ، ولو كان هذا الأسم هو الأسم الأعظم انقاد لحقيقته كلّ شيءٍ واستجيب للدّاعي به دعاؤه على الإطلاق . وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الرّوايات والأدعية في هذا الباب دون الأسم اللّفظيّ أو مفهومه .

ومعنى تعليمه تعالى نبيّاً من أنبيائه أو عبداً من عباده اسماً من أسمائه أو شيئاً من الأسم الأعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه . ذلك في دعائه ومسألته، فإن كان هناك اسم لفظيّ وله معنى مفهوم فإنّما ذلك لأجل أنّ الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فافهم ذلك(١) .

أقول :

---

(١) تفسير الميزان ٨ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦ .

يروم بكلامه هذا طاب ثراه(١) أنّ الألفاظ ومنها الأسماء ومداليلها بما هي ألفاظ ومداليل لا يعقل أن يكون لها تأثير وأثرٌ ، وإنّما التّأثير والأثر لانقطاع الدّاعي بها الّذي يعقبه إرادة الله جلّ جلاله المؤثّرة في الشّيء المدعوّ له ،وكلّ ما جاء من الأمر بالدّعاء أو قراءة الأذكار والأسماء الحسنى لتحصيل الانقطاع؛ومن ثمّ ربّما لا يستجاب بعضها لعدم حصول ذلك وما استجيب منها فإنّما هو لحصول الإنقطاع .

ولكنه يرد عليه أنّ الإجابة قد تكون ولا دعاء فضلاً عن الحصول المذكور ، وقد يكون الانقطاع ولا إجابة لحكمة اقتضت عدمها ، وربّما كان الأمران كما قاله رحمه الله تعالى .

والّذي أراه أنّ الأسماء منها ما ليس مجرّد لفظ وصوت ناش من تموّج الهواء معتمد على مقاطع الحروف كي يقال إنّ اللّفظ بما هو هو ليس إلّا هو ولا أثر ولا تأثير له ، ولم لا تكون أسماؤه تعالى وتعالت عن المثل كمثل النّار والشّجر والمدر المخلوقة ذات آثار ، ولا تنافي القول أنّ المؤثّر هو الله وحده إذ هو مُعطي الوجود وآثاره وتأثيره ، وإنّما نحن نجهل الأثر وصاحبه ولا نعلم أنّ الأسم الأعظم أيّ الأسماء الحسنى وإن كانت كلّها عظيمة ولكنّ الجهل إنّما هو باعظمها المؤثّر من بينها(٢) .

وقد يجعل الله عزّ وجلّ الأثر فيما يريده لا ما نريده ، وتشهد

---

(١) أي المرحوم السّيّد الطّباطبائي .

(٢) ومنه دعاء السّحر من ليالي شهر رمضان ، قال أبو جعفر عليه السّلام : « لو حلفت لبررت أنّ اسم الله الأعظم قد دخل فيها . . . تقول : اللهم اني أسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهي ، اللهم إني أسألك ببهائك كله » إلى آخره . الاقبال ٧٧ .

له قصّة دعاء أمّ سلمة كما في رواية زيد بن علي عليه السلام قال :

« إنّ أمّ سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها ، (و) فسكت ثمّ دخل عليها وهي ساجدة تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك بأسمائك الحسنى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم وأسألك بأسمك الأعظم الّذي إذا دعيتّ به أجبت ، وإذا سُألت به أَعْطِيت فإنّ لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السّماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام » .

فقال لها : « سألت يا أمّ سلمة باسم الله الأعظم »[1] .

على أنّ الأسم الأعظم قد أعطي مَنْ لا يعرف إلاّ عصيان الله تعالى، مثل بلعم وإبليس وبعض النّفوس المسخّرة لهم الجنّ ، كما قيل ، إلاّ أن يدّعى منع ذلك كلّه ، وكيف كان فليس الأسم صرف اللّفظ المجرّد عن كلّ شيء ليكون الدّاعي المنقطع إليه تعالى هو المؤثّر بل الأعظم من أسمائه عزّ وجلّ له الأثر الذّاتي حتى ما لو كان الدّاعي به غافلاً عنه أثرّ أثره كما تأثّر النّار فيما لاقته قهراً وإن لم يُعلم بذلك ، وقد يعطي الاسم المبارك أثره المطلوب بواقعه الحقيقيّ وإن لم يدع به ؛ لأنّه ليس واقعه من مقولة الألفاظ ليكون التّلفّظ به سبباً له ،على أنّ حالة المضطرّ توجب إجابة الدّعاء وكشف السّوء ولعلّها من أثر الأسم الأعظم أو هي هو قال تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء ﴾[2]

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٧ .

(٢) سورة النمل : الآية / ٦٢ .

تجده صريحاً في كون الاضطرار سبباً للاجابة نعم مع احتمال ضمّ الدعاء إليه بنحو جزء السبب أو أن الاضطرار هو الأصل والدعاء متفرع عنه على أنه شرط أو جزء . والله تعالى هو العالم بحقيقة الأمر .

بقي كلام المحقّق الإصبهاني الّذي وعدنا نقله ، وبما أنّ محتواه يرتبط بالبحث الثالث : وهو التّمثيل بأقربيّة البسملة إلى أسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها أي بقرب سوادها من بياضها نذكره تحت العنوان وهو :

البحث الثالث :

قال المحقّق الإصبهاني طاب ثراه ، ربّما يوجّه بأنّ البسملة اللّفظيّة نسبتها إلى البسملة التكوينيّة ـ بمعنى حقيقة ما يدلّ عليها في عالم الأسماء الإلّهيّة ـ نسبة المظهر والمرآة والفرع إلى الغيب والأصل ، فتلاحظها فيها من دون مشاهدته وبملاحظتها كما إذا توجهت إلى النفس المقابلة في المرآة من دون التفات إليها أصلاً ، والأولى محل لظهور الثانية وجاكية لها فهي أقرب إليه[1] من سواد العين إلى بياضها[2] ، لأنّ ذلك قرب الملاصقة ، وهنا قرب المداخلة لا كدخول شيءٍ في شيءٍ .

والّذي يظهر لي أنّ البسملة في المقامين نسبتها إلى الإسم الأعظم فيهما نسبة النّاظر والسّواد إلى بياض العين ؛ وذلك أنّ حقيقة الأسم الأعظم الإلهيّ ينبغي أن يكون هو الأسم الواحد الّذي بوحدته يشمل جميع الأسماء ويكون تلك الأسماء بمنزلة الأجزاء والجزئيّات والحروف من تلك الكلمة العينيّة ، ولا يعزب عنها[3] شيء من حقائق الأسماء ، وحقائق مدلول البسملة أمور ـ متعدّدة لا تجمعها وحدة من البهاء والملك والمجد وآلآء الله على خلقه من نعيم الولاية . . .

---

(١) أي الاسم الأعظم .
(٢) في الأصل « إلى بياضه » والصّحيح ما ذكرناه .
(٣) في الأصل « عنه » .

ـالجلالة والرّحمن والرّحيم الظّاهر[1] أنّ شيئاً منها[2] ليس اسماً جامعاً على ما وصفنا كما يظهر بالتّأمل فيما فصّلناه سابقاً ، فيشبه أن تكون هي تفصيل ذلك الأسم الأعظم ، وبمنزلة الحروف من تلك الكلمة ، وإذا أخذت تلك الحقائق التّفصيليّة ونسبتها إلى الحقيقة الإجماليّة الوجدانيّة ، ولاحظت إحاطة ذلك الإسم الواحد بها وإندراجها فيه كان الأسم الأعظم كالبياض المحيط بالنّاظر المشتمل على الأجزاء المتعدّدة والسّواد مشتمل عليها ، وقربه إليها قرب البياض إلى أحدهما[3] إذ ليس المحاط معزولاً عن المحيط ، ومفصولاً عنه سواء كانت الإحاطة صوريّة أو معنويّة فالأعظم هو البياض كما هو الأظهر بلفظ الرّواية[4] ، وإن لاحظتَ أنّ الحقائق التفصيلية مظاهر ومجالٍ لتلك الحقيقة الوحدانيّة وهي ـ أي البسملة ـ الظّاهر فيها المتجلّي بها كانت هي كالبياض وتلك الحقيقة كالسّواد أو النّاظر ، وقربها إليها كقربه إليه[5] إذ قرب الظّاهر والمتجلّي في المظهر والمتجلّي فيه بحسب المعنى ، وكقرب الحال إلى المحلّ في الصّورة .

وإذا عرفت كيفيّة النّسبةبين البسملة والأسم الأعظم في مقام الحقيقة ، صحّ لك اعتبارها بين لفظالبسملة وذلك الأسم اللّفظي ؛ إذ نسب الألفاظ هاهنا تابعة للحقائق كتبعيّتها أيّاه في وصفها بالكليّة والجزئيّة والتّرادف والتّباين ، كما أنّ بياض العين غير محيط من

---

(١) في الأصل « والظاهر » .
(٢) في الأصل « منهما » .
(٣) أي قرب الاسم الأعظم إلى البسملة قرب البياض إلى أحدهما وهو السواد فتدبّر ، فإنه دقيق .
(٤) تقدم أنه بالعكس .
(٥) أى قرب البسملة الى الحقيقة الوحدانية كقرب الناظر إلى السواد .

جميع الجوانب ، كذا لا تحيط[1] البسملة بجميع تفصيل الأسم الأعظم مطابقة ، إذ منه أسامي القهر والانتقام في مقام التّفصيل وهي غير مصرّحة فيها ـ أي البسملة ـ وإن فهم من الملك والمجد إن لم تؤخذ بمعنى الكريم والألوهيّة على وجه التّضمن والإلتزام .

نعم يدلّ عليها الهاء من لفظ الجلالة على وجه إجماليّ كما سبق أنّ حقيقة العين والأصل فيها هو النّاظر والسّواد المشتمل عليه ، والبياض بمنزلة الغالب لهما كذا مرتبة الأسم الأعظم مرتبة الأصل والحقيقة بالنّسبة إلى حقيقة البسملة وهي بمنزلة الغالب له[2] .

انتهى كلامه رفع مقامه ، وفيه نوع غموض كالأسم الأعظم، إذ لم يعلم أنّه رحمه الله تعالى يريد بيان تركيب الأسم المبارك أو بساطته ،

وهل المثل ناظر إلى أن ناظر العين وهو إنسانها كما أنّه قريب إلى بياضها كذا الأسم الأعظم قريب الى البسملة فالمثل لبيان القرب بين ذين وذين ؟ أو ناظر إلى نوع من القرب الخاصّ ؟ وهو القرب الشّرفيّ إذ أشرف عضوٍ في وجه الإنسان عينه وأشرف من العين إنسانها،ومن ثم قيل عين الإنسان إنسان عينه وعن لسان زينب عليها السلام :

إنسان عيني يا حسين أُخيّ يا   أملي وعِقْد جماني المنضودا[3]

أو المثل ناظر إلى جهة الإحاطة فالبياض محيط بالسّواد وهو

---

(١) في الأصل « لا يحيط » .

(٢) تفسير الشيخ محمد حسين الاصبهاني ١١٩ ـ ١٢١ .

(٣) الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد ١٠٩ ، حرف الدال من قصيدة للحاج هاشم الكعبي .

محيط بالنّاظر أي العدسة الصّغيرة ؟هذا إذا اعتبر المثل مضروباً لجهة الظّاهر وأمّا إذا أخذ باعتبار الضّوء والنّور ،فإنّ العدسة منها الإشعاع والإنارة لأطرافها فالسّواد النّوريّ هو المحيط والبياض المُحاط؟ أو المثل ناظر إلى معنى أبعد من هذا كلّه بأن يكون كناية عن آثارهما التكّوينيّة ولا بدّ من اعتبار القرب في ذلك لذكره في الرّوايات المذكورة وقرب كلّ شيءٍ بحسبه؟أو كناية عن العوالم المنطوية في كلّ من الأسماء والذّوات العينيّة ففي عالم الأسماء الأسم الأعظم من أعظمها عالماً وفي عالم الأعيان أعظمها النّبيّ والوصيّ؟ أو كناية عن أن المثل مضروب للمخلوق من النّوعين ؟ وأمّا المسمّى وهو الخالق تعالى فتعالى عن ذلك فلو كان اسمه الأعظم هذا شأنه وأنّه كإنسان عين الإنسان فالمسمّى فوق كلّ ذلك .

٦٧ ـ بشروطها وأنا من شروطها

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه قال: حدّثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: حدّثنا محمد بن الحسين الصّولي قال: حدّثنا يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهوية قال: لمّا وافى أبو الحسن الرّضا ـ عليه السلام ـ نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال: « سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول: سمعت الله عزّ وجلّ يقول: لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال: فلمّا مرّت الرّاحلة، نادانا: بشروطها وأنا من شروطها »[1].

وروى المجلسي عن صاحب كشف الغمّة بسنده: « أنّ

(١) عيون اخبار الرضا (ع) ٢ / ١٣٤، معاني الأخبار ٣٧٠ ـ ٣٧١.

علي بن موسى الرّضا عليه السلام لمّا دخل إلى نيسابور في السّفرة الّتي فاض فيها بفضيلة كان في مهد على بغلة شهباء عليها مركب من فضّة خالصة ، فعرض له في السّوق الإمامان الحافظان للأحاديث النّبويّة : أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطّوسيّ رحمهما الله، فقالا : أيّها السّيّد ابن السّادة وابن الأئمّة أيّها السّلالة الطّاهرة الرّضيّة أيّها الخلاصة الزّاكية النّبويّة بحقّ آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلاّ أريتنا وجهك المبارك الميمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك نذكرك به .

فاستوقف البغلة ، ورفع المظلّة ، وأقرّ عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة فكانت ذؤابتاه كذوابتي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله والنّاس على طبقاتهم قيام كلّهم وكانوا بين صارخٍ وباكٍ وممزّقٍ ثوبه ومتمرغ في التراب ومقبّل حزام بغلته ومطوّل عنقه إلى مظلة المهد إلى أن انتصف النّهار وجرت الدّموع . . وسكنت الأصوات وصاحت الأئمة والقضاة معاشر الناس اسمعوا وعوا ولا تؤذوا رسول الله في عترته وأنصتوا فأملى صلوات الله عليه هذا الحديث، وعدّ من المحابر أربع وعشرون ألفاً سوى الدُّوي والمستملي أبو زرعة الرّازي ومحمد بن أسلم الطّوسيّ رحمهما الله فقال عليه السلام حدّثني أبي موسى بن جعفر الكاظم . . . » .

قال المجلسي قال الأستاذ أبو القاسم القشيري إنّ هذا الحديث بهذا السّند بلغ بعض أمراء السّامانيّة فكتبه بالذّهب وأوصى أن يدفن معه فلمّا مات رُئي في المنام فقيل : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي بتلفّظي بلا إله إلا الله وتصديقي محمداً رسول الله مخلصاً وأنّي كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً واحتراماً[١] .

---

(١) البحار ٤٩ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .

قـال المحدّث القمّي : الأحـاديث الّتي ينبغي أن تكتب بالذهب: خبـر لا إلـه إلا الله حصني بسنـده المعلوم ، وخبـر نفـس المهمـوم ، ووصيّـة أميـر المؤمنين المعـروفـة لـمّا أقبـل من صَفّين كتب إلى ابنـه الحسن: « بسم الله الـرّحمن الرّحيم من الـوالـد الفـان المقرّ للزّمان. . . الخ »قال أبـو أحمد العسكري: ولو كـان من الحكمة مـا يجب أن تكتب بالذّهب لكانت هذه[1] .

أقـول : الحديث الـرّضويّ المـذكور معـروف ومشتهـر بحـديث سلسلة الذّهب. إما لكون رواته كـالذّهب المكنىّ عنهم بسلسلة الذّهب: أي رواة الحـديث وهم المعصومون: أوّلهم جبـرئيـل ثم النّبي ثم أميـر المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسيـن ثم الـبـاقـر ثم الصادق ثم الكاظم ثم الـرّضا عليهم صلوات الله. أو بعض أقلام كتّاب الحـديث الرّضـوي كان ذهباً. أو لأجل القصّـة الآنفة الـذكر.أو غيـرهـا ممّن كتبه بالـذّهب.ولعلّ الـوجه الأوّل هـو الأولى ، وكيف كان إنّ لفظ الحديث مكرّر[2] اكتفينا بما تقدّم

قـوله عليـه السلام : « بشـروطها وأنـا من شروطهـا » قـد جـرى مجرى الأمثال وإن لم يكن مَثَلاً حين صدوره .

قال الصّدوق : من شروطها الإقرار للرّضا عليه السلام بأنّه إمـام من قبـل الله عزّ وجـلّ على العبـاد مفتـرض الـطاعـة عليهم. ويقال: إنّ الرّضا عليه السلام لمّا دخل نيشابور نـزل في محلّة يقال لهـا:الفرويني فيهـا حمّام وهـو الحمّام المعـروف اليوم بحمّـام الرّضـا عليـه السـلام وكانت هناك عينٌ قد قلّ ماؤها فأقام عليهـا مَنْ أخرج مـاءها حتّى تـوفّر

(١) السفينة ١ / ٤٩٠ في (ذهب) .
(٢)عيـون أخبـار الـرضـا (ع)٢/١٣٢ ـ ١٣٤ وفيه أحـاديث أربعـة ، البحـار ٤٩ / ١٢٥ ـ ١٢٧ وفيه أحاديث ثلاثة .

وكثر وأتخذ من خارج الدّرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرّضا عليه السلام واغتسل فيه ثمّ خرج منه وصلّى على ظهره والنّاس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه، التماساً للبركة ويصلّون على ظهره . يدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها النّاس إلى يومنا هذا[1] .

وتمام الشروط: الإيمان بأحقيّة المعصومين أوّلهم الرّسول خاتم الأنبياءوآخرهم الحجّة بن الحسن العسكري المهديّ خاتم الأوصياء عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، وعصمة فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليهم أجمعين وإلاّ فهو ممّن صدق عليه قوله تعالى: **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى . . . ﴾**[2] . و **﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾**[3]

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٣٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٨٥ .

(٣) سورة الكهف : الآية / ٢٩

٦٨ ـ بصنع الله يستدلّ عليه

من خطبة للإمام الرّضا عليه السلام رواها الشّيخ الصّدوق عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحصين بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن زياد القلزمي عن محمد بن أبي زياد الجدّي صاحب الصّلاة بجدّة قال: حدّثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قال : سمعت أبا الحسن الرّضا ـ عليه السلام ـ يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التّوحيد .

قال ابن أبي زياد: ورواه لي وأملىٰ أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالاً لبعضهم عن القاسم بن أيوب العلوي :

إنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرّضا ـ عليه السلام ـ جمع بني هاشم فقال لهم : إنّي أريد أن استعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدي ، فحسده بنو هاشم وقالوا : أتوُلّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه رجلاً يأتنا ترى من جهله ما تستدلّ به عليه ـ أي على جهله ـ فبعث إليه فأتاه ، فقال له بنو هاشم : يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا عَلَماً نعبد الله عليه ، فصعد عليه السلام المنبر فقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقاً ، ثمّ انتفض انتفاضةً واستوى قائماً ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه وأهل

بيته ثم قال :

« أوّل عبادة الله تعالى معرفته ، وأصل معرفة الله ـ رحيده ، ونظام توحيد الله تعالى نفي الصّفات عنه ،لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدوث ، وشهادة الحدوث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدوث ، فليس عرف الله مَنْ عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إيّاه وَحّدَه سنْ اكتنهه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا به صدّق من نهّاه ، ولا صمد صمده مَنْ أشار إليه ، ولا إيّاه عنى مَنْ شبّهه ، ولا له تذلّل من بعّضه ، ولا إيّاه أراد مَنْ توهّمه ، كل معروف بنفسه مصنوع ، وكلّ قائم في سواه معلول ، بصنع الله يستدلّ عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالفطرة تثبت حجّته ، خلق الله الخلق حجاباً بينه وبينهم ، ومباينته إيّاهم، ومفارقته أينيّتهم[1] ، وابتداءه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له ؛ لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره . . . »[2] .

والخطبة مطوّلة وزّعناها على عدد من مباحث توحيديّة لا يستغني عنها الباحث وهي جديرة بالنّظر إليها .

قوله عليه السلام : « بصنع الله يستدل عليه » في الصّنع آيات كثيرة تدلّ عليه منها ابتداؤه تعالى له الدّالّ عليه، وقد بيّن ذلك بقوله عليه السلام : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له » والدّليل لإثبات ذلك ما جاء بعده مباشرة : « لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره » .

---

(١) من (الأين) الزّماني والمكاني علم أن لا زمان له تعالى ولا مكان .
(٢) عيون أخبار الرّضا (ع) ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤ .

أي : إن لم يدلّ ابتداؤه تعالى على عدم الابتداء له كان مبتدأ لا محالة، والمبتدأ عاجز عن ابتداء غيره وإلّا لاختار الابتداء لنفسه قبل غيره، والأمر دائر بين أن لا يكون له عزّ وجلّ الابتداء وهو الثّابت المطلوب، وبين أن يكون. والثّاني محال للزوم العجز المنفيّ عنه تعالى فافهم إن شاء الله تعالى .

وهو من قبيل إثبات الشّيء بنفي النّقيض؛ للدّوران بين أمرين لا ثالث لهما. وفي كلمات المعصومين عليهم السلام من نوع هذا الاستدلال الشّيء الكثير: ومنها: الخطبة المبحوثة وفيها« بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[١] ، و « بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له »[٢] ، و « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها »[٣] . وهو من الحكم العقلي الدّائر بين النّفي والإثبات والسّبر والتّقسيم، على أن لا طريق لنا إلى الإثبات إلّا بنفي الضّدّ وعدم المعرفة بمن لا حدّ له يحدّ به ولا مثل ولا ضدّ له إلّا من طريق نفي الحدود الكائنة في المخلوق عنه تعالى ، وأمّا الاكتناه فلا سبيل للعقول إليه ففي الدعاء المهدوي :

« . . . يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام »[٤] .

والسّجاديّ : « أنت الّذي لا تحدّ فتكون محدوداً ، ولا تمثّل فتكون موجوداً مشهوداً ، ولم تلد فتكون مولوداً »[٥] ، أي : غيرك

(١) حرف الباء مع التّاء .
(٢) حرف الباء مع الضّاد .
(٣) حرف الشّين مع الألف .
(د) المصدر ص ٣٥١ .

محدود مشهود مولود

ثم هنا بحث :

هل أوّل ما ابتدأ الله عزّ وجلّ بخلقه : هو العقل كما في نبوي نقله المجلسي[1] ؟ أو النور[2] ؟ أو الماء ؟ رواه الصّدوق[3] أو الهواء ؟ أو القلم[4] ؟ أو الحروف[5] ؟ وهل يمكن الجمع بين الجميع ؟؟؟ .

وعندي أنّ الخلق الأوّل هو نور محمّد وآل محمّد صلّىٰ الله عليهم وسلّم ؛ ففي الباقري : « يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباح نور بين يدي الله قلت : وما الأشباح ؟ قال : ظلّ النّور أبدان نورانيّة بلا أرواح . . . »[6]. وخبر جابر قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله : « أوّل ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره ، واشتقّه من جلال عظمته »[7] .

والأخبار كثيرة جدّاً ويساعده الأعتبار العقلي أيضاً ؛ إذ أنّهم عليهم السلام أشرف الممكنات بتمام معنى كلمة الشّرف ويلزمه عقلاً شرف التقدم الوجودي أيضاً وإلاّ لما كان الكمال وتمام الشرف متحققين فيهم على أنّهم أحب الخلق إليه تعالى ومقتضاه التقدم المطلق .

---

(١) البحار ١ / ٩٧ ، عن عوالي اللّئالي ٤ / ٩٩ .

(٢) كما في المصدرين .

(٣) التوحيد ٦٦ ـ ٦٧ ، ٣١٩ .

(٤) التوحيد ٣٢٥ .

(٥) التوحيد ٤٣٥ .

(٦) البحار ١٥ / ٢٥ .

(٧) لمصدر ص ٢٤ .

٦٩ ـ بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم

روى عليّ بن عيسى الإربلي صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الإمام علي بن موسى الرّضا عليهما السلام وهي :

« بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله الفعّال لما يشاء لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ، وصلاته على نبيّه محمّد خاتم النّبيّين وآله الطيبين الطاهرين .

أقول وأنا علي بن موسى الرّضا بن جعفر إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسّداد ووفقه للرّشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وآمن نفوساً فزعت بل أحياها وقد تلفت وأغناها إذ افتقرت مبتغياً رضى ربّ العالمين ، لا يريد جزاءً من غيره **﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾**[1] ، و **﴿ لا يضيع أجر المحسنين ﴾**[2] ، وإنّه جعل إليّ عهده وإلا مرة الكبرى إن بقيتُ بعده فمن حلّ عقدةً أمر الله بشدّها ، وقصم عروةً أحبّ الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأحلّ محرّمه إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهكاً

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٤٤ .

(٢) سورة يوسف : الآية / ٩٠ .

[منهتكاً]حرمة الإسلام، بذلك جرى السّالف فصبر منه على الفلتات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً من شتات الدّين واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز، وبائقة تبتدر، وقد جعلتُ الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلّدني خلافته، العمل فيهم عامّةً وفي بني العبّاس خاصّةً بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وأن لا أسفك دماً حراماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلّا ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي وجعلتُ بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فإنّه عزّ وجلّ يقول: ﴿ **وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً** ﴾[1].

وإن أحدثت أو غيّرت أو بدلتُ كنت للغيرَ مستحقّاً، وللنّكال متعرّضاً، وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التّوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان[2] على ضد ذلك ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم** ﴾[3]، ﴿ **إن الحكم إلا لله يقضى بالحقّ وهو خير الفاصلين** ﴾[4] لكنّي امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله يعصمني وإيّاه وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاه، والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

---

(١) سورة الاسراء : الآية / ٣٤ .
(٢) تدلان .
(٣) سورة الأحقاف : الآية / ٩ .
(٤) سورة الأنعام : الآية / ٥٧ والآية هكذا . ﴿يقصّ الحق وهو خير الفاصلين﴾ .

الشهود على الجانب الأيمن : شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله أن يعرّف أمير المؤمنين وكافة المسلمين ببركة هذا العهد والميثاق وكتب بخطّه في التّاريخ المبيّن فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أثبت شهادته فيه بتاريخه ، شهد حمّاد بن النّعمان بمضمونه ظهره وبطنه ، وكتب بيده في تاريخه بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك .

الشّهود على الجانب الأيسر : رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة هذه الصحيفة الّتي هي صحيفة الميثاق نرجو أن يجوز بها الصّراط ظهرها وبطنها بحرم سيّدنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد بمرأىً ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد استيفاء شروط البيعة عليهم بما أوجب أمير المؤمنين الحجّة على جميع المسلمين ، ولتبطل الشّبهة الّتي كانت اعترضت آراء الجاهلين .

﴿ وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ﴾[١] . وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه »[٢] .

ليس لنا من نقل الصّحيفة بالخط الشّريف شاهد سوى الكلمة الرّضويّة وهي قوله عليه السلام : « بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم » وإنّما ذكرناها عن آخرها لأجل بيان موضع الكلمة وارتباطها بما في الصّحيفة على تقدير صدورها منه عليه السلام .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٧٩ .

(٢) كشف الغمّة ٢٨٠ ، والبحار ٤٩ / ١٥٢ ـ ١٥٣ .

قال ابن منظور: وفي حديث حنظلة: «تذكّرنا بالجنّة والنّار كأنّا رأي عين» تقول: جعلت الشّيء رأي عينك وبمرأى منك. أي حذاءك ومقابلك بحيث تراه وهو منصوب على المصدر أي: كأنّا نراهما رأي العين[1]. وقال أيضاً: دور القوم منّي رئاء أي: منتهى البصر حيث نراهم. وهم منّي مرأى ومسمع، وإن شئت نصبت ـ أي: قلت: مرأياً ومسمعاً ـ وهو من الظّروف المخصوصة الّتي أجريت مجرى غير المخصوصة عند سيبويه، قال:

وهو مثل «مناط الثريا ومدرج السّيول» ومعناه هو منّي بحيث أراه وأسمعه[2].

وقولهم: «هو منّي مرأىً ومسمع» مرفوع أو منصوب على المصدريّة أي: كأنّه آراه مرأي عينٍ. وقد تدخله الباء فيقال: «هو منّي بمرأى ومسمع» بالجرّ[3].

أقول: ومنه كلام فاطمة عليها السلام من خطبتها الشريفة:

«وأنتم بمرىء منّي ومسمع ومنتدى»[4]. ولا ريب في أنّ الكلمة جارية على الألسن، تقال: عند وضوح الشّيء واشتهاره كما في قولهم: «على رؤوس الأشهاد» الجاري على اللسان.

وممّا يقال في هذا الصّدد: «جعلته رأي عينك» أي: حذاءك

---

(١) لسان العرب ١٤ / ٢٩٨ في (رأى).
(٢) المصدر ص ٢٩٩.
(٣) منتهى الأرب في لغة العرب في (رأى).
(٤) الاحتجاج ٢ / ١٤٠.

ومقابلك بحيث تراه[1] . وقوله تعالى : ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا** ﴾[2] . ويحتمل ذكر ﴿ **بأعيننا** ﴾ كناية عن الحفظ ، وصنع الفلك المذكور في الآية كأن بمرأى ومسمع .

ومنه قول الإمام الحسين عليه السلام عندما ذبح طفله عليّ الأصغر في حجره : « هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله »[3] .أي : بمرأى ومسمع منه .

والمراد من الكلمة الرّضويّة أنّ ولاية العهد وشهودها كانت قد شهدتها الأعين وسمعتها الآذان ولا خفاء فيها .

---

(١) منتهى الأرب في (رأى) .

(٢) سورة هود : الآية / ٣٧ .

(٣) البحار ٤٥ / ٤٦

والمعنى أنّ ما نزل بي من المصائب تعلمها وتراها ولا يخفى عليك منها شيءٌ . ومنه القول العلويّ : « فإنّكم بعين من حرّم » النّهج ٩ / ١٤٦ ، الخطبة ١٥١ ، أي : بمرأى منه تعالى .

٧٠ ـ بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له

من خطبة الإمام الرّضا عليه السلام التي رواها الصّدوق وقد استخرجنا كلمات حكميّة أخرى منها : « من غيّاه فقد غاياه »[١] . و « بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[٢] .

قال عليه السلام مباشرة بالأخيرة :

« وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له »[٣] .

وهذه الكلمة موجودة في بعض الخطب العلويّة[٤] قال أبن أبي الحديد في شرحها : ثمّ قال ـ عليه السلام ـ : « وبمضادّته بين الأمر[٥] ، عرف أن لا ضد له » ، وذلك لأنه تعالى لمّا دلّنا بالعقل على

(١) حرف الميم مع النّون .
(٢) حرف الباء مع التّاء .
(٣) التّوحيد ٣٧ .
(٤) النّهج ١٣ / ٧٣ .
(٥) هنا الأمور ، وفي الرّضويّة الأشياء ، والمراد واحد .

أنّ الأمور تتضادّ على موضوع تقوم به وتحلّه كان قد دلّنا على أنّه تعالى لا ضدّ له ؛ لأنّه يستحيل أن يكون قائماً بموضوع يحلّه كما تقوم المتضادات بموضوعها[١] .

قال الرّضا عليه السلام بعدها متصلاً :

« وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له »[٢]

أيضاً هذه الكلمة كائنة في تلو المتقدمّة في الموضعين ، وقال المعتزلي : ثم قال ـ عليه السلام ـ : « وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له »[٣] ؛ وذلك لأنه تعالى قرن بين العرض والجوهر ، بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر ، وقرن بين كثير من الأعراض ، نحو ما يقوله أصحابنا في حياتي القلب والكبد ، ونحو الأضافات التي يذكرها الحكماء ، كالبنوّة والأبوّة ، والفوقيّة والتّحتيّة ، ونحو كثير من العلل والمعلولات ، والأسباب والمسبّبات فيما ركبه في العقول من وجوب هذه المقارنة واستحالة انفكاك أحد الأمرين عن الآخر ، علمنا أنّه لا قرين له سبحانه ؛ لأنّه لو قارن شيئاً على حسب هذه المقارنة لاستحال انفكاكه عنه ، فكان محتاجاً في تحقّق ذاته تعالى إليه ، وكلّ محتاجٍ ممكنٌ فواجب الوجود ممكنٌ ! هذا محال[٤]

ولعلّ المثل السّائر : « تعرف الأشياء بأضدادها » [٥] . مصدره

---

(١) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ .
(٢) التوحيد ٣٧ .
(٣) النّهج ١٣ / ٧٣ .
(٤) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ ـ ٧٤ .
(٥) أمثال وحكم ١ / ٥٤٨ .

هذه الكلمة الحكميّة العلويّة أو الرّضويّة أو على الأقل مطبّق عليها .

إن قيل: على ذلك يلزم أن تكـون الأشياء مضـادة له تعـالى وليس لله عزّ وجلّ ضدّ .

والجواب : أنّ المراد هنا النّفي للّضدّ لا للإثبات فتدبّر .

٧١ - بيدك صِناعة لا تبيعها بملء الدّنيا ذهباً

روى الكشي عن خلف بن حمّاد قال :حدّثني أبو سعيد الآدمي قال :حدّثني أحمد بن عمر الحلبي قال: دخلت على الرّضا عليه السلام بمنى فقلت له : جعلت فداك كنّا أهل بيت غبطة - عطيّة - وسرور ونعمة وإنّ الله قد أذهب بذلك كلّه حتى احتجنا إلى من كان يحتاج إلينا، فقال لي : يا أحمد ما أحسن حالك يا أحمد بن عمر ! فقلت له :جعلت فداك، حالي ما أخبرتك ، فقال لي: يا أحمد أيسرّك أنّك على بعض ما عليه هؤلاء الجبّارون ولك الدّنيا مملوءة ذهباً ؟ فقلت له: لا والله يا ابن رسول الله، فضحك ثمّ قال : ترجع من هيهنا إلى خلف ، فمن أحسن حالا منك وبيدك صِناعة لا تبيعها بملء الدّنيا ذهباً . . . »[١] .

« الصِناعة » بالكسر : حرفة الصّانع وعمله الصَّنْعة[٢] من الصّنع : وهو عمل الشّيء صُنْعاً . وامرأة صَناع ورجل صَنَعٌ ، إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه قال :

(١) اختيار معرفة الرّجال ٥٩٧ / الرقم : ١١١٦ .معجم رجال الحديث ٢ / ١٧٨ .

(٢) مجمع البحرين في (صنع) .

خرقاء بـالخير لا تهتـدي لوجهتـه وهي صَناع الأذى في الأهل والجار[1]

والمـراد بالصِّنـاعـة ولايـة أهـل البيت عليهم السـلام والانتهـاج بنهجهم وقـد كنّى عنها بهـا لأنّها كحـرفة لا تفـارق صاحبهـا ولا يعدل بهـا إلى غيرهـا مهما كـان نوعه، فلذا قـال عليـه السـلام : « لا تبيعهـا بمـلء الدّنيا ذهباً » .

ونـظيرة الكلمـة آية : ﴿ **فلن يقبـل من أحدهم مـلء الأرض ذهباً** . . . ﴾[2] ، ولفظة « الـدنيا » أشمـل من ﴿ **الأرض** ﴾ إلاّ أنّهما ترميان مرمى واحداً من التّمثيل بالكثرة غير المستطاعة .

ولايــة أهـل البيت عليهم الســلام أفضـل من الصّــلاة والصّـوم والحـجّ وبقيّـة أركـان الإسلام، كمـا في صحيـح زرارة عن أبي جعفـر عليـه السـلام قـال : « بني الإسـلام على خمسـة أشياء: على الصـلاة والـزّكاة والحـجّ والصّوم والـولايـة ، قـال زرارة : فقلت: وأيّ شيءٍ من ذلـك أفضل ؟ فقـال : الولايـة أفضل ؛ لأنهـا مفتاحهنّ ، والـوالي هـو الدّليل عليهنّ . . . »[3]

وهي شرط صحة العمل وقبوله ففي باقـري : « ولو أنّ عبـدا عبد الله بين الـرّكن والمقام حتّى تنقـطع أوصـالـه وهـو لا يـدين الله بحبّنـا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه »[4] . وفيه عـدّة روايات نـاصّة على ذلك .

---

(١) معجم مقاييس اللّغة ٣ / ٣١٣ في (صنع) .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ٩١ .
(٣) الوسائل ١ / ٧ ـ ٨ باب ١ من مقدّمات العبادات الحديث ٢ .
(٤) جامع احاديث الشّيعة ١ / ٤٣٤ ، باب ١٩ من المقدمات ح ٢٥ .

أمّـا أحمد بن عمـر المقصـود بـه الكلام ، فقـد ذكـرنـا شيئـاً من تـرجمته عنـد الكلمة : « مَنْ حسن ظنّـه بالله كـان الله عند ظنـه »[1] . وإليك شيئاً آخر منها قال النّجاشي : أحمـد بن عمر بن أبي شـعـبة الحلبي ثقـة روى عن أبي الحسن الرّضـا عليه السـلام وعن أبيه عليـه السـلام من قبـل وهـو ابن عمّ عبيـد الله وعبـد الأعلى وعمـران ومحمّد الحلبيّين ، وروى أبوهم عن أبي عبد الله وكانوا ثقات . لأحمد كتـاب يرويه عنه جماعة[2] .

وكيف كان فالحديث : من أدلة الثبات على الولاية .

---

(١) حرف الميم مع النّون من الحكم .

(٢) معجم رجال الحديث ٢ / ١٧٧ .

حرف التّاء

٧٢ ـ تضيء كضوء السّراج السّليط

قال ابن شهر آشوب : وفي كتاب الشّعر كان عليه السّلام يتمثّل :

تضيء كضوء السراج السّلـ ـيط لم يجعل الله فيه نحاساً[١]

قال أبو محمّد في حديث علي عليه السلام : « إنّ ابن عبّاس رحمه الله قال : ما رأيت رئيساً مِحْرباً يُزنّ به لرأيته يوم صفّين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وكأنّ عينيه سراجا سليطٍ ، وهو يُحمش

(١) المناقب ٤ / ٣٣٨ يريد من كتاب الشّعر: «الشّعر والشعراء» لأبن قتيبة [illegible] في ص ١٨١ .

أصحابه إلى أن انتهى إليّ ، وأنا في كثف ، فقال : معشر المسلمين استشعروا الخشية ، وعنّوا الأصوات ، وتجلببوا السّكينة ، وأكملوا اللّؤم ، وأخفّوا الجنن ، وأقلقوا السّيوف في الغمد قبل السّلّة ، والحظوا الشّزر ، واطعنوا الشزر ، أو النّتر - أو اليسر كلاّ قد سمعت - ونافحوا بالظّبا ، وصِلوا السّيوف بالخُطا ، والرّماح بالنّبل ، وامشوا إلى الموت مشيةً سُجُحاً أو سَجْحاً ، وعليكم الرّواق المطنّب ، فاضربوا ثبجه ؛ فإنّ الشّيطان راكدٌ في كسره ، نافجٌ حِضْنيه ، مفترشٌ ذراعيه ، قد قَدَّمَ للوَثْبَة يَداً ، وأخرّ للنّكُوص رِجْلاً » .

والسّليط : الزّيت وهو عند قوم دهن السّمسم . قال الجَعْدي[1] وذكر امرأة :

[من المتقارب]

تضيء كضوء سراج السّلـ ـيط لم يجعل الله فيه نحاساً

أي : دخاناً . ومنه قول الله تعالى : ﴿ **يرسل عليكما شواظٌ من نارٍ ونحاس** ﴾[2] .

وقال ابن الأثير : في حديث ابن عبّاس : « رأيت عليّاً وكأنّ عينيه سراجا سليطٍ » وفي رواية « كضوء سراج السّليط » السّليط : دهن الزّيت . وهو عند أهل اليمن دهن السّمسم[3] .

---

(١) في هامش غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ١٢٦ ، الجَعْدي النّابغة ديوانه ص ٨١ .

(٢) سورة الرّحمن : الآية / ٣٥ . غريب الحديث ٢ / ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) النّهاية ٢ / ٣٨٩ ، في « سلط » .

أقول :

لا ندري من الّذي تمثّل الرّضا عليه السلام من أجله، وعلى تقدير صدور التّمثّل أنّ المتمثّل له جميل يضيء كالسّراج الخالي عن الدّخان وهو من المدح البليغ، إذ الضّياء هو الأصل وكذا السّراج ، والنّور فرعه قال تعالى : ﴿ **هو الّذى جعل الشّمس ضياءً والقمر نوراً** ﴾[1] ، ﴿ **وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشّمس سراجاً** ﴾[2] . ونور القمر من الشّمس .

---

(١) سورة يونس : الآية / ٥ .

(٢) سورة نوح : الآية / ١٦ .

ولا يخفى أنّ كلمة « السّراج » في المناقب مع اللّام ، وفي غريب الحديث والنّهاية مع الإضافة إلى كلمة « السّليط » وهي الصّحيحة ؛ لأنّ السّراج وضوءه لا يكون سليطاً أي زيتاً بل هو منه وعنه . فتدبّر ذلك .

٧٣ ـ التّودّد إلى الناس نصف العقل

روى الحسن بن علي بن الحسين بـن شعبـة الحـرّانـي[١] من كلمات الرّضا عليه السلام الحكميّة :

«التودّد إلى النّاس نصف العقل »[٢]

وقـد عـدّ التّودّد إلى النّـاس والتّحبّب إليهم في بعض أحـاديث أهل البيت عليهم السلام من رأس العقل .

ففي نبـويّ : « رأس العقـل بعـد الـدّين التّـودّد إلى النّـاس ، واصطناع الخير إلى كلّ برٍّ وفاجر »[٣]

وآخـر : « رأس الـعقـل بـعـد الإيمـان بـالله الـتّحبّب إلـى النّـاس »[٤] ، وعن الحسن بن علي عليهمـا السـلام قـال : « لا أدب لمن لا عقـل له ، ولا مـروءة لمن لا همّـة لـه ، ولا حيـاء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة النّـاس بالجميـل ، وبالعقـل تُدرك الـداران

(١) من علماء القرن الرابع .

(٢) تحف العقول ٤٤٣ ، البحار ٧٨ / ٣٣٥

(٣) البحار ٧٤ / ٤٠١ .

(٤) البحار ١ / ١٣١ .

جميعاً ، ومَنْ حُرِمَ مِن العقل حُرِمَهم جميعاً »[1] .

للعاقل مجال واسع للتّفكّر النّافع لدينه ودنياه وعقباه .

قوله صلّى الله عليه وآله : « وبالعقل تدرك الدّاران جميعاً » أي الدّنيا والآخرة تدركان بالسّير على ضوء العقل قال الشاعر :

ما أحسن الدّين والدّنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس بالرّجل[2]

ولنعد إلى التّودّد إلى النّاس والتّحبّب إليهم ومعاشرتهم بالجميل كما في الحديث الأخير كيف صار نصف العقل .

وهذا على حدّ تعبير المثل السّائر : « لا أدري نصف العلم »[3] وبلفظ أجلى النّبويّ : « من تزوّج أحرز نصف دينه »[4] . وقال الكليني : وفي حديث آخر: « فليتّق الله في النّصف الآخر ، أو الباقي »[5] . بمعنى أنّ التّزويج قسم وبقيّة الوجبات قسم ثان من الدّين إذا قسّم إلى اثنين .

والكلام مصوغ للتأكيد وبيان الاهتمام بذلك ،وكذلك التّودّد إلى النّاس لأهميّته جعل كأنّه نصف العقل وأنّ المتودّد إليهم قد أحرز نصفاً منه بتودّده والنّصف الآخر إنّما هو بمتابعته له في سائر الأمور الدّينيّة والدّنيويّة الأخرى، وليس هنا تقسيم العقل إلى نصفين متساويين أدرك النّصف منهما بالتّودد إلى النّاس والآخر بغيره من الأمور، بل كما عرفت أنّ الكلام كناية عن الأهتمام البالغ بشأن

(١) البحار ٧٨ / ١١١

(٢) جامع الشّواهد ٣ / ١ ، لأبي دلامة واسمه زيد بن الجون

(٣) أمثال وحكم ٣ / ١٣٤٠

(٤) الوسائل ١٤ / ٥

(٥) المصدر .

المعاشرة الجميلة مع النّاس[١] .

ويشهد له الحديث الصادقيّ : « تواصلوا وتبارّوا وتراحموا ، وكونوا إخوة بَرَرَة كما أمركم الله عزّ وجلّ »[٢] . إذا كانوا مؤمنين أو أعمّ ، لآية : ﴿ **وقولوا للنّاس حسناً** ﴾[٣] .

---

(١) ويحتمل قوله عليه السلام : « نصف العقل » محرّكة النّون والصّاد من الإنصاف أي نُصفة العقل وإنصافه التودّد إلى الناس وتقابله الجفوة لهم ، فتدبر جيداً .

(٢) ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ : سورة الحجرات : الآية / ١٠ ، البحار ٧٤ / ٤٠١ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ٨٣ .

حرف الجيم

٧٤ - جعل نفس عليّ عليه السلام كنفسه صلّى الله عليه وآله

روى الشيخ الصّدوق كلام الرّضا عليه السلام المشتمل على الأستدلال بالآيات القرآنيّة حول العترة الطّاهرة وفضلها على سائر النّاس منها الإثنتا عشر آية ، وقد ذكرنا الأولى والثانية عند الحكمة المستخرجة : « فضلٌ بعد طهارة تنتظر »[١] . قال عليه السلام :

« وأمّا الثّالثة فحين ميّز الله الطّاهرين من خلقه فأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الإبتهال فقال عزّ وجلّ : يا محمّد ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم[٢] فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله**

---

(١) حرف الفاء مع الضاد .

(٢) كلمة : ﴿ **من العلم** ﴾ من النسخة ساقطة .

على الكاذبين ﴾[1] . فبرز [أبـرز[2]] النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، وقرن أنفسهم بنفسه .

فهل تـدرون مـا معنى قـولـه : ﴿ وأنفسنـا وأنفسكم ﴾ ؟ قـالت العلمـاء: عنى بـه نفسـه، فقـال أبـو الحسن عليـه السـلام لقـد غلطتم، إنّمـا عنى بهـا عـلي بن أبـي طـالب ـ عـليـه السـلام ـ ؛ وممّا يـدلّ على ذلـك قـول النّبيّ ـ صـلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ حين قـال : « لينتهنّ بنـو وليعـة أو لأبعثنّ إليهم رجـلاً كنفسي » يعني عليّ بن أبي طـالب ـ عليـه السّـلام ـ وعنى بـالأبنـاء الحسن والحسين ـ عليهمـا السّـلام ـ وعنى بالنّساء فاطمة ـ عليها السّلام ـ فهـذه خصوصيّـةٌ لا يتقدّمهم فيهـا أحـدٌ ، وفضلٌ لا يلحقهم فيـه بشرٌ ، وشـرفٌ لا يسبقهم خلقٌ، إذ جعل نفس عليّ ـ عليّه السّلام ـ كنفسه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فهذه الثالثة»[3] .

الحديث النّبويّ المأثور في بني وليعة ذكرناه في كتابنـا « الأمثال النّبـويّة » عنـد كلمة: « لتنتهنّ يـا بني وليعـة أو لأبعثنّ [عليكم] رجـلاً كنفسي »[4] . وتعرضّنا فيـه إلى حديث الـرّضا عليـه السّلام المبحـوث وحديث الهادي عليه السّلام .

وظاهر تنزيل شيءٍ بشيءٍ هو تنزيـل في جميع الآثـار الكائنـة في المنـزّل به وأنّهـا ثابتـة للمنزّل خصـوصـاً المعقّب بـالاستثنـاء كمـا في حـديث المنزلـة النّبـويّ المـأثـور في عليّ عليـه السّـلام : « أنت منّي بمنـزلة هـارون من موسى إلاّ أنّـه لا نبيّ بعدي »[5] . فله الفضـائـل

(١) سورة آل عمران : الآية / ٦١ .
(٢) كما في تحف العقول ٤٢٩ .
(٣) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٢ .
(٤) ج ٢ / ١٢٦ ، رقم المثل ٤٤٠ ، حرف اللام مع التاء .
(٥) إحقاق الحق ١٦ / ١٨ ـ ٢١ .

النّبويّة سوى النّبوّة بنصّ الحديث وكذا إذا نزّله منزلة النّفس النّبويّة كما في الآية المذكورة، ولولا أنّه قد علم بالّدليل النّقليّ، والعيان الّذي هو أدلّ من البيان أنّ عليّاً وصيٌّ وخليفةٌ لا نبيٌّ لقلنا بعموم التّنزيل فيها أيضاً .

وفي حديث بني وليعة حيث قال صلّىٰ الله عليه وآله : « كنفسي » وقد سأل المأمون الرّضا عليه السلام بما يخصّ الآية ومن أجله نذكره :

روى المجلسي صورة السّؤال والجواب بما يلي :

«قال المأمون يوماً للرّضا عليه السّلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين يدلّ عليها القرآن ، قال : فقال له الرّضا عليه السّلام : فضيلةٌ في المباهلة، قال الله جلّ جلاله : ﴿فمن حاجّك فيه﴾ الآية فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السّلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السّلام فكانت في هذا الموضع نساءة ، ودعا أمير المؤمنين عليه السّلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ، فثبت أنّه ليس أحدٌ من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأفضل ، فواجب ، أن لا يكون أحدٌ أفضل من نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بحكم الله عزّ وجلّ .

قال : فقال المأمون : أليس قد ذكر الله تعالى الأبناء بلفظ الجمع ، وإنّما دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ابنيه خاصّة؟ وذكر النّساء بلفظ الجمع ، وإنّما دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ابنته وحدها ؟ فألّا جاز أن يذكر الدّعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ؟ فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السّلام ما ذكرتَ من الفضل .

قال : فقال الرّضا عليه السّلام : ليس يصحّ ما ذكرت يا أمير

المؤمنين ؛ وذلك أنّ الدّاعي إنّما يكون داعياً لغيره ، كما أنّ الآمر آمر لغيره ، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلّا أمير المؤمنين عليه السّلام فقد ثبت أنّه نفسه الّتي عناها الله سبحانه في كتابه ، وجعل [له] حكمه ذلك في تنزيله .

قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال[1] .

وقد روى عن المأمون نفسه أنّه استدلّ لجماعة جمعهم للمناظرة في أفضليّة أمير المؤمنين عليه السّلام وخلافته بلا فصل بآية أنفسنا قيل : قال : « وهو نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في يوم المباهلة »[2] .

قال القاضي التّستري الشّهيد : السّادسة آية المباهلة أجمع المفسّرون على أنّ أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السّلام ونساءنا إشارة إلى فاطمة عليها السّلام ، وأنفسنا إشارة إلى عليّ عليه السّلام فجعله الله تعالى نفس محمد صلّىٰ الله عليه وآله والمراد المساواة : ومساوي الأكمل والأولى بالتّصرف أكمل وأولى بالتّصرف ، وهذه الآية من أدلّ دليل علىٰ علوّ رتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام ،لأنّه تعالى حكم بالمساواة لنفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ،وأنّه تعالى عيّنه في استعانة النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله في الدّعاء، وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر الله تعالى نبيّه أن يستعين به على الدّعاء إليه والتّوسّل به ولمن حصلت هذه المرتبة[3] ؟ .

---

(١) البحار ٤٩ / ١٨٨ ـ ١٨٩ .
(٢) البحار ٤٩ / ٢١٠ .
(٣) إحقاق الحقّ ٣ / ٤٦ و ٦٢ .

وقال البيضاوي : لا شكّ أنّ عليّا ليس نفس محمّد بعينه، بل المراد به أنّ عليّاً بمنزلة النّبيّ، وأنّ علياً هو أقرب النّاس إلى رسول الله فضلاً وإذا كان كذلك كان أفضل الخلق بعده[1] .

وإذا كان كذلك كان هو المتعيّن لمنصب الخلافة إذ الأفضل الأكمل الجدير بها عقلاً ونقلاً .

---

(١) إحقاق الحقّ ١٤/١٤٧ . نقلاً عن كتابه (طوالع الأنوار) مخطوط .

ثم المباهلة اليوم الرّابع والعشرون من ذي الحجّة وقيل الخامس والعشرون والأوّل أشهر .

وصفة المباهلة : أن تشبك أصابعك في أصابع من تباهله وتقول : « اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم إن كان فلان جحد الحق وكفر به فأنزل عليه حسباناً من السماء وعذاباً اليماً » كذا في الحديث .

والوقت بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس . كذا في مجمع البحرين للشيخ الطريحي في (بهل) ، فراجع وفي نبويّ : « لولا عنوا لمسخوا خنازير ، أو لأضرم الوادي ناراً » إحقاق الحق ٣ / ٥٧ .

وفي المقام روايات لا يسع ذكرها .

٧٥ ـ جعلهم في حيّز وجعل النّاس في حيّز دون ذلك

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه حديث استدلال الرّضا عليه السّلام بالأثني عشر آية على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس، ذكرنا عدداً منها متفرّقة عند كلمات انتزعناها منها كلمة: « فضل بعد طهارة تنتظر »[١] و: « جعل نفس عليّ عليه السّلام كنفسه صلّىٰ الله عليه وآله »[٢] ، و: « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[٣] .

قال عليه السّلام :

« وأمّا الثّامنة فقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خُمسه وللرّسول ولذى القربى** ﴾[٤] . فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فهذا فضل أيضاً بين الآل والأمّة ؛ لأنّ الله تعالى جعلهم في حيّز وجعل النّاس

(١) حرف الفاء مع الضّاد .
(٢) حرف الجيم مع العين .
(٣) حرف الكاف مع اللام .
(٤) سورة الأنفال : الآية / ٤١ .

في حيّز دون ذلك ، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه ، فبدأ بنفسه، ثمّ ثنى برسوله ثمّ ، بذي القربى، فكلّ ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك ممّا رضيه عزّ وجلّ لنفسه فرضيه لهم ، فقال وقوله الحقّ : ﴿ **واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خُمسه وللرّسول ولذى القربى** ﴾ . فهذا تأكيد مؤكّد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله النّاطق الّذي : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1] .

وأما قوله : ﴿ **واليتامى والمساكين** ﴾[2] ، فإنّ اليتيم إذا انقطع يُتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب ، وكذلك المساكين [المسكين] إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحلّ له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم الغنيّ والفقير منهم ؛ لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّ وجلّ، ولا من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ سهماً ، فما رضيه لنفسه ولرسوله صلّىٰ الله عليه وآله رضيه لهم ، وكذلك الفيء ما رضيه منه لنفسه ولنبيّه صلّىٰ الله عليه وآله رضيه لذي القربى كما أجراهم في الغنيمة، فبدأ بنفسه جلّ جلاله، ثمّ برسوله، ثمّ بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلّى الله عليه وآله وكذلك في الطّاعة قال : ﴿ **يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم** ﴾[3] ، فبدأ بنفسه، ثمّ برسوله ، ثمّ بأهل بيته . كذلك آية الولاية : ﴿ **إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوٰة ويؤتون الزّكوٰة وهم راكعون** ﴾[4] ، فجعل

(١) سورة فصّلت : الآية / ٤٢ .
(٢) سورة الانفال : الآية / ٤١ .
(٣) سورة النساء : الآية / ٥٩ .
(٤) سورة المائدة : الآية / ٥٥ .

طاعتهم مع طاعة الرّسول مقرونة بطاعته كذلك ولايتهم »[1] .

مقارنة العترة الطّاهرة مع الله والرّسول في فرض الخمس، والطّاعة، والولاية شرف لا يُسامى، فهم في منزلة عالية وحيّز رفيع والنّاس كلّهم في حيّز دون ذلك؛ وكيف لا وهم المصفّون المصطفون اختارهم الله تعالى لنفسه .

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٦

٧٦ ـ جنّبتها « لولا » التكملة

من خطبة الإمام الرّضا عليه السّلام الّتي قد رواها الصّدوق تعرّضنا إلى طائفة من كلماتها الحكميّة وانتهينا إلى كلمة: « إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها »[1]، وإليك منها إلى الكلمة المبحوثة :

« وفي الأشياء يوجد فعالها مَنَعَتْها (منذ) القِدمة ، وحَمَتْها (قد) الأزليّةَ ، وجَنَبَتها (لولا) التّكملة ، افترقت فدلّت على مفرّقها ، وتباينّت فأعربت عن مباينها؛ لما تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرّؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدّليل ، وبها عرّفها الإقرار »[2] .

قوله عليه السّلام : « إنّما تحدّ الأدوات أنفسها »

قال المعلّق : أي إنّما يتقيّد في الفعل والتأثير بالأدوات أمثالها في المحدوديّة والجسمانيّة، ولا يبعد أن يكون « تحدّ » على صيغة

---

(١) حرف الهمزة مع النّون .
(٢) التّوحيد ٣٩ ـ ٤٠ .

المجهول فلا يفسّر أنفسها بأمثالها ، وإشارة الآلة كناية عن التّناسب أي تناسب الآلة نظائرها وأمثالها في الماديّة والجسميّة والمحدوديّة[1] .

قوله عليه السّلام : « وفي الأشياء يوجد فعالها » .

قال المعلّق : أي في الأشياء الممكنة توجد تأثيرات الآلات والأدوات ، وأمّا الحقّ تعالى فمنزّه عن ذلك كلّه[2] .

قوله عليه السّلام : « منعتها (منذُ) القِدمةَ ، وحمتها (قد) الأزليّةَ ، وجنّبتها (لولا) التّكملةَ » .

قال المعلّق : « منذ » و « قد » و «لولا» فواعل للأفعال الثّلاثة ـ أي منعتها وحمتها وجنّبتها ـ والضّمائر مفاعيل أُولى لها ، والقِدمة ، والأزليّة ، والتّكملة ، مفاعيل ثواني .

والمعنى : أنّ اتّصاف الأشياء بمعاني ـ كلمة ـ « منذ » ، و « قد » ، و « لولا » ، وتقيدها بها يمنعها عن الأتّصاف بالقِدم والأزليّة والكمال في ذاتها ؛ فإنّ القديم الكامل في ذاته لا يتقيّد بها . والأظهر أنّ الضمائر المؤنّثة من قوله : « منعتها » إلى قوله : « عرفها الإقرار » ترجع إلى الأشياء[3] .

أقول : إنّ هذه الكلمات موجودة في بعض خطب أمير المؤمنين عليه السّلام[4] ، فالمناسب بيان الكلمة العلويّة المتّحدة مع الرّضويّة .

---

(١) هامش التوحيد وتعليقته ٣٨ .

(٢) المصدر .

أقول : و « تحدّ » ظاهره على صيغة المعلوم ، والفاعل الأدوات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) النهج ١٣ / ٧٦ ، الخطبة ٢٣٢ .

قال المعتزلي : قد اختلف الرّواة في هذا الموضع من وجهين :

أحدهما: قول من نصب « القِدمة » و « الأزليّة » ، و « التّكملة » فيكون نصبها عنده على أنّها مفعول ثانٍ ، والمفعول الأوّل الضّمائر المتّصلة بالأفعال ، وتكون « منذ » و « قد » و « لولا » في موضع رفع ، فإنّها فاعلة ، وتقدير الكلام :

إنّ إطلاق لفظة « منذ » على الآلات والأدوات يمنعها عن كونها قديمة ؛ لأنّ لفظة « منذ » وضعت لابتداء الزمان كلفظة « من » لابتداء المكان ، والقديم لا إبتداء له. وكذلك إطلاق لفظة « قد » على الآلات ، والأدوات تحميها وتمنعها من كونها أزليّة ؛ لأنّ « قد » لتقريب الماضي من الحال ، تقول : قد قام زيدٌ ، فقد دلّ على أنّ قيامه قريب في الحال الّتي أخبرت فيها بقيامه . والأزليّ لا يصحّ ذلك فيه . وكذلك إطلاق لفظة « لولا » على الأدوات والآلات يجنّبها التّكملة ، ويمنعها من التّمام المطلق ؛ لأنّ لفظة « لولا » وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره ، كقولك : لولا زيد لقام عمروٌ ، فامتناع قيام عمرو إنّما هو لوجود زيد ، وأنت تقول في الأدوات والآلات : « وكل جسمٍ ما أحسنه لولا أنّه فانٍ ! وما أتمّه لولا كذا!»، فيكون المقصد والمنحىٰ بهذا الكلام على هذه الرّواية بيان أنّ الأدوات والآلات محدثة ناقصة ، والمراد بالآلات والأدوات أربابها .

الوجه الثاني :

قول من رفع « القِدمة » و « الأزليّة » و « التَّكملة » فيكون كلّ واحد منها عنده فاعلاً ، وتكون الضّمائر المتّصلة بالأفعال مفعولاً أوّلاً ، و « منذ » و « قد » و « لولا » مفعولاً ثانياً ، ويكون المعنى : أنّ قِدم الباري وأزليّته ـ عزّ وجلّ ـ منعت الأدوات والآلات من إطلاق

لفظة « منذ » و « قد » و « لولا » عليه سبحانه لأنّه تعالى قديمٌ كاملٌ ، ولفظتا « منذ » و « قد » لا تطلقان إلاّ على محدث لأنّ إحداهما لابتداء الزّمان، والأخرى لتقريب الماضي من الحال ، ولفظة « لولا » لا تطلق إلاّ على ناقص ، فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرّواية بيان قدم الباري تعالى وكماله، وأنّه لا يصحّ أن يطلق عليه ألفاظ تدلّ على الحدوث والنّقص[1] .

الوجهان المذكوران وان كانا محتملين إلاّ أنّ الظّاهر من ضمير منعتها ، وحمتها ، وجنّبتها. عائد إلى الأشياء المذكورة قبلها، وكلمة « منذ » و « قد » و « لولا » في موضع رفع فاعليّ. والقِدمة، والأزليّة، والتّكملة مفاعيل كما استظهر ذلك كلّه المعلّق الآنف الذّكر. وللكلام تتمّة مرهونة بمحلّ يناسبها .

---

(١) شرح النّهج ١٣ / ٧٦ ـ ٧٧ .

حرف الحاء

٧٧ ـ الحارّ لمن اصطلىٰ به

كلمة تمثيليّة جاءت في رواية الشّيخ الكليني عن عبد العزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السّلام في أوصاف الإمام :

« الإمام النّار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلىٰ به ، والدّليل في المهالك ، من فارقه فهالك »[١] .

« الإمام النّار على اليفاع » تكلّمنا عنه[٢] .

قوله عليه السّلام : « الحارّ لمن اصطلىٰ به » ، قال الشّيخ الطّريحي : أي أراد الانتفاع[٣] .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) مجمع البحرين في (يفع) .

من طبع النّار الحرارة، ولا تنفكّ عنها عادة إلاّ ما أراد الله جلّ جلاله كما في نار نمرود الّتي أدخل فيها إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ **قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[1] .

ومن أجل عدم الأنفكاك بالطّبع عقّبها عليه السّلام بقوله : « الحار لمن اصطلىٰ به » وجاء الاصطلاء في موضعين من القرآن الكزيم يخصّان موسى عليه السّلام في قصّة عوده من مدين مع أهله بنت شعيب عليه السّلام إلى الأرض المقدّسة : **أي بيت المقدس** أو يريد مصر على رواية القمّي فلّما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم بردٌ شديدٌ وريحٌ وظلمةٌ وجنّهم اللّيل، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال تعالى : ﴿ **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنَسَ من جانب الطّور ناراً قال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبرٍ أو جذوة من النّار لعلّكم تصطلون** ﴾[2] ، أي تستدفؤون[3] . وقال تعالى : ﴿ **إذ قال موسى لأهله إنّى آنست ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبس لعلّكم تصطلون** ﴾[4] . بخبر عن حال الطّريق لأنّه قد ضلّه ، أو شعلة نارٍ مقبوسة[5] .

فالموضعان أتي فيها بلفظ الاصطلاء[6] ، والأصل فيه الصّلا ، قال ابن الأثير : وفي حديث السّقيفة: « أنا الّذي لا يصطلى بناره » الاصطلاء افتعال من صلا النار والتسخّن بها : أي أنا الّذي لا يتعرّض لحربي . يقال فلان لا يصطلىٰ بناره : إذا كان شجاعاً لا

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٦٩ .
(٢) سورة القصص : الآية / ٢٩ .
(٣) تفسير الصافي : ٢ / ٢٦٠ .
(٤) سورة النمل : الآية / ٧
(٥) تفسير الصافي : ٢ / ٢٣١ .
(٦) الأصل الإصتلاء قلبت تاؤه طاءً لقانون الصرف .

يطاق [1] ، و« الصلاء » ككساء : الشواء، لأنّه يصلى بالنّار . قال الجوهري فإن فتحت الصّاد قصرت وقلت :(صلا النار) [2] .

فائدة :

اختلف في اشتقاق الصّلاة بمعنى ذات الأركان فعن المغرب أنّها فعلة من (صلّى) كالزّكاة من (زكى) واشتقاقها من (الصلاة) وهو من العظم الّذي عليه الأليان ، لأنّ المصلّي يحرّك صلويه في الرّكوع والسّجود . وعن ابن فارس هي من (صليت العود بالنّار) : إذا ليّنته ؛ لأنّ المصلي يلين بالخشوع . ذكره الطّريحي[3]

لأدنى علقة كلمة الاصطلاء جئنا بهذه النبذة ، كما لنفس العلقة نشير إلى بعض أقسام النيران :

قال الزبيدي : (والنّار) : أي معروفة ، أنثى تقال : للّهيب الّذي يبدو للحاسّة نحو قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم النّار الّتي تُورون** ﴾[4] ، وقد تطلق على الحرارة المجرّدة ومنه الحديث : إنه قال لعشرة أنفس فيهم سمرة : « آخركم يموت في النّار » قال ابن الأثير : فكان لا يكاد يدفأ، فأمر بقِدْر عظيمة فملئت ماءً وأوقد تحتها واتّخذ فوقها مجلساً وكان يصعد بخارها فيدفئه فبينا هو كذلك ، خسفت به فحصل في النّار ، قال فذلك الّذي قال له والله اعلم

وتطلق على نار جهنّم المذكورة في قوله تعالى :﴿ **النّار وعدها الله الّذين كفروا** ﴾[5] (ج أنوار) . . . وفي اللّسان أنور (ونيران) . . . والسّمة والجمع كالنّورة . . . قال أبو منصور والعرب

---

(١) النهاية ٣ / ٥١ ، في (صلا) .

(٢) مجمع البحرين في (صلا) .

(٣) مجمع البحرين، في(صلا)، واحتمل بعض من الصلة؛ لأن المصلّي واصل .

(٤) سورة الواقعة : الآية / ٧١

(٥) سورة الحج : الآية / ٧٢ .

تقـول : (ما نـار هذه النّـاقة) : أي مـا سمتها ، سمّيت نـاراً ؛ لأنهـا بالنّار توسم وقال الرّاجز :

حتّى سقـوا آبـالهم بـالنّـار   والنّـار قـد تشفي مـن الأوار

أي سقوا إبلهم بالسّمة . . . ومن أمثالهم : (نجـارها نـارها) : أي سمتهاتدلّ على نجارها يعني الإبل قال الـرّاجز يصف إبـلاً سماتهـا مختلفة :

نجـار كـلّ إبـلٍ نجـارهـا   ونـار إبـل العـالمين نارها[(١)]

ومنهـا : الـرّأي ، ومن الحـديث : « لا تستضيئـوا بنـار أهـل الشّـرك » . . . معنـاه لا تشـاورهم فجعـل الـرّأي مثـلاً للّضـوء عنـد الحيرة .

ومنها : نار المهوّل : نارٌ كـانت للعرب في الجـاهليّة يـوقدونهـا عنـد التّحالف ويـطرحـون فيهـا ملحـاً يفقـع يهـوّلـون بـذلـك تـأكيـدا للحلف .

ومنها : نار الحرب ونائرتها شرّها وهيجها[(٢)] .

ومنهـا : نار يشعلونهـا في اللّيل لتـدلّ على إقراء التّـائـه ، ومنـه الشّعر :

أَكُـلُّ امـرءٍ تحسبيـن امـرءاً   ونـارٍ تـوقّـد بـاللّيـل نـاراً[(٣)]

---

(١) تـاج العـروس ٣ / ٥٩ في (نور). ونقله الميـداني في مجمـع الأمثـال٢ /٣٣٨ رقم المثل ٤٢١٥ ، حرف النون .

(٢) تاج العروس ٣ / ٥٩٠ ، في (نور) .

(٣) جـامع الشـواهد ١ / ١٥٢ ، بـاب الألف بعد الكـاف . والشعر من المقـطوعـة لأبي داوود الأبادي واسمه جارحة بن الحجاج .

يـريد الـرّضا عليـه السّـلام بقـولـه : « الحـارّ لمن اصـطلىٰ بـه » الـدّعوة إلى الله فـإنّها تتحقّق عنـد لقاء الإمـام ومرافقتـه وإلاّ فليس لـه نار يصطلي بها ، أو يراد بها بلوغ الحجّة ؛لئلاّ يقول العبـد يوم القيامة : يـا ربّ لولا أرسلت إلينـا رسولاً منـذراً فنتبع آيـاتـك من قبـل أن نـذلّ ونخزى ، فيقال له : جاءك الرّسول المبلّغ لأحكام الله وجاءك الإمام الحافظ لها وموصلها بعمله وقوله إليك ، ولكن أَعْرضتَ عن ذلك فذق العذاب الأكبر .

إنّ الإمام كالقرآن شفاء ورحمـة لمن استشفاه وخسـران للجاحـد المكـابر لـه قال تعـالى : ﴿ **ونـنزّل من القـرآن مـا هـو شفـاء ورحمـة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً** ﴾[1] . يـزيد لقـاؤه في الإيمان والتّوكّل ، كمـا بتلاوة الآيـات ﴿ **وإذا تليت عليهم آياتـه زادتهم إيمانـاً وعلى ربّهم يتوكّلون** ﴾[2] ، تزيدهم .

نجـد من أنفسنـا أنّـا إذا لقينـا عبـداً صـالحـاً تقيّـاً ورعـاً عـالمـاً بمسائل الدّين مخلصاً نـاصحاً لمن صحبـه اكتسبت نفوسنـا منه كـرائم الخصال،فكيف بالإمام المعصوم المنصـوب علماً للعبـاد وهاديـاً لهم . الإمام لقاؤه نورٌ وكلامه نورٌ وبركةٌ .

يـا أئمـة الهـدى بكم تنبت الأرض أشجـارهـا ، وبكم تُخـرج الأرض ثمارها ، وبكم تنـزل السّماء قـطرها ، ورزقهـا ، وبكم يكشف الله الكـرب ، وبكم يسعـد العبـاد ، وتعمـرُ البـلاد ، إرادة الـرّبّ في مقادير أمـوره تهبط إليكم وتصدر من بيـوتكم ، والصّادر عمـا فصّل من أحكام العباد[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٨٢ .
(٢) سورة الأنفال : الآية / ٢ .
(٣) كامل الزيارات ١٩٩ .

إنّ الإمام من أعظم نفحات الدّهر الّتي أمرنا بالتّعرّض لها كما في الحديث : « إنّ لله في أيّام دهركم نفحات ألا فترصّدوا لها »[1] . أو « إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات فتعرّضوا لها . . . »[2] .

وايّة نفحة أعظم من لقاء الإمام والاستنارة بنوره والانتهاج بنهجه والسّير على ضوء إشارته والأخذ بحجزته في حضوره وغيبته ؛ إنّ الأئمة هم أعدال القرآن الكريم في حديث الثّقلين المتّفق عند الخاصّة والعامّة[3] المبشّر بنجاة المتمسّك بهم والمحذّر بالمتخلّف عنهم إنّ القرآن والعترة لن يفترقا حتّى يردا على النّبيّ صلّى الله عليه وآله الحوض. وليس معنى التمسّك بهما إلاّ العمل بهما لا الحبّ وحده .

(١) عوالي اللئالي ١ / ٢٩٦ .
(٢) الجامع الصغير ١ / ٩٦ .
(٣) أفرد العلامة السيد حامد حسين مجلداً خاصّاً له من عبقات الأنوار .

٧٨ ـ حتّى يبلغ الكتاب أجله

روى الصّدوق بإسناده عن إسحاق بن حمّاد قال : « كان المأمون يعقد مجالس النّظر ويجمع المخالفين لأهل البيت ويكلّمهم في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وتفضيله على جميع الصحابة تقرّبا إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ ، وكان الرضا ـ عليه السلام ـ يقول لأصحابه الّذين يثق بهم : ولا تغترّوا منه بقوله ، فما يقتلني والله غيره ، ولكنّه لا بدّ لي من الصّبر حتى يبلغ الكتاب أجله »[١] .

بلوغ الكتاب الأجل : انقضاء أمد الحياة هنا والكلمة مفسّرة في كلّ مورد بما تناسبه ، ففي الوصايا بالموت، وفي المواعدات بما حُدّد لها من الأوقات والشّروط ، وفي المعاملات بما ضُربت لها في متن عقودها وهكذا ، وقد جاءت الكلمة في كثير من كلمات أهل البيت منهم الرّضاعليهم السّلام كما حديث هرثمة بن أعين من إخباره عليه السّلام له بما يضمر له المأمون من الفتك به بسيوف ثلاثين من

(١) عيون أخبار ٢ / ١٨٣ ، باب ٤٥، البحار ٤٩ / ١٨ .

غلمانه وما رآه صبيح من المعجز ، ولولا أنّ الحديث طويل لذكرته .

وفي آخره : « قال ـ عليه السّلام ـ : يا هرثمة لا تحدّث أحداً بما حدّثك به صبيح إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبّتنا وولايتنا، فقلت: نعم يا سيدي ثم قال عليه السّلام : يا هرثمة والله لا يضرّنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله »[1] .

وحديثه الآخر ما رواه الشّيخ الصّدوق بسنده عن هرثمة بن أعين قال : « كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من اللّيل أربع ساعات، ثم أذن لي في الأنصراف فانصرفت ، فلمّا مضى من اللّيل نصفه قرع قارع الباب فأجابه بعض غلماني فقال له : قل لهرثمة أجب سيّدك ، قال : فقمت مسرعاً وأخذت على أثوابي وأسرعت إلى سيّدي الرّضا ـ عليه السّلام ـ فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه فإذا أنا بسيّدي جالسٌ فقال لي : يا هرثمة فقلت : لبّيك يا مولاي فقال لي: اجلس . فجلستُ، فقال لي : اسمع وعه يا هرثمة هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدّي وآبائي ـ عليهم السلام ـ وقد بلغ الكتاب أجله ، وقد عزم هذا الطّاغي على سُمّي في عنب ورمّان مفروك . . . »[2]

وفي صحيح عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عُقدة النّكاح حتّى يبلغ الكتاب**

(١) عيون الأخبار : ٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧ ، باب ٤٧ .

(٢) عيون الأخبار : ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، باب ٦٤

أجله ﴾[1] . قال : السّرّ أن يقول الرّجل : موعدك بيت آل فلان ، ثم يطلب اليها أن لا تسبقه بنفسها إذا انقضت عدّتها . قلت : فقوله ـ تعالى ـ : **﴿ إلاّ أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾** قال : هو طلب الحلال من غير أن يعزم عقدة النّكاح حتى يبلغ الكتاب أجله »[2]

وكلمة « حتّى يبلغ الكتاب أجله » كما عرفت قرآن أي حتّى ينتهي ما كتب وفرض من العدّة[3] فإمّا حكاها عليه السّلام أو تمثّل بها في كلامه .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٣٥ .

(٢) الوسائل : ١٤ / ٣٨٣ ، باب ٢٧ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة حديث٢ ، و ص ٣٨٤ وفيه الصادقي والكاظمي .

(٣) تفسير المنار ٢ / ٤٢٧ .

ولا يخفى أن الكلمة جارية على الألسن وهي من المثل السائر القرآني او أنّها رضويّ ، وإن أبيت فحكمة حاكية عن القران، تقال في الأمور الموقتة والمغياة بغايات معهودة .

٧٩ ـ الحياء من الإيمان

روى الصّدوق بإسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهرويّ قال قال الرّضا عليه السّلام : « الحياء من الإيمان »[1]

قال الميداني في مجمع الأمثال : « الحياء من الايمان » هذا يروى عن النّبيّ صلّىٰ الله عليه ـ وآله ـ وسلم ، قال بعضهم : جعل الحياء : ـ وهو غريزة ـ من الإيمان وهو اكتساب ؛ لأنّ المستحيي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم يكن له تقيّة، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، ومنه الحديث الآخر : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » : أي : من لم يستحي صنع ما شاء ، لفظه أمر ومعناه الخبر[2] .

أقول :

لعلّه يريد بالحديث الآخر النّبويّ : « قال : لم يبق من أمثال الأنبياء إلّا قول النّاس : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »[3] .

وفي النّبويّ : « استحيوا من الله حقّ الحياء ، قالوا : وما نفعل

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٠٦ البحار ٧١ / ٣٣٤ .

(٢) المجمع ١ / ٢١١ ، رقم المثل ١١٢٨ ، حرف الحاء .

(٣) البحار ٧١ / ٣٣٣ .

يا رسول الله ؟ قال : فإن كنتم فاعلين فلا يبيتنّ أحدكم إلاّ وأجله بين عينيه ، وليحفظ الرّأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدّنيا »[1] .

والاخر : « الحياء على وجهين فمنه الضّعف ، ومنه قوّة وإسلام »[2]

والآخر : « الحياء والايمان في قرن واحدٍ فإذا سلب أحدهما اتّبعه الآخر »[3] .

والحياء خمسة أنواع : حياء ذنب ، وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حبّ ، وحياء هيبة. ولكلّ واحدٍ من ذلك أهل ، ولأهله مرتبة على حدة[4] .

وفي حديث سجّادي : « خف الله تعالى لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك »[5] .

وعلوي : « من كساه الحياء ثوبه لم ير النّاس عيبه »[6] .

وآخر : « قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان والفرصة تمرّ مرّ السحاب ، فانتهزوا فُرَص الخير » [7] .

ولا ريب أنّ الحياء من أجلي مظاهر الخير وهو لا يكون إلاّ في

---

(١) البحار ٧١ / ٣٣٣ .
(٢) البحار ٧١ / ٣٣٤ .
(٣) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٤) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٥) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٦) البحار ٧١ / ٣٣٧ .
(٧) البحار ٧١ / ٣٣٧ .

الرَّجل الكريم وغضّ البصر من الكرم، ومن آيات الحياء أنّه في النّفوس النّظيفة، وعند ذوي العقول الحصيفة، فانظر إلى نفسك تعلم من أنت، ومن أيّ الصّنوف؟ فإن كنت من الواجدين فاشكر الله، وأقم المأتم إذا فقدت هذه الجوهرة الثّمينة.

٨٠ ـ حيّ ميّت ، قائم قاعد ، أعمى بصير

كلمة منتزعة من كلمات الرّضا عليه السّلام في مناظرته مع سليمان المروزي في الإرادة رواها الصّدوق رحمه الله تعالى ،ولربطها بالموضوع نذكر شيئاً من المناظرة :

«قال الرّضا عليه السّلام: يا سليمان هل يعلم ـ أي الله تعالى ـ أنّ إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً،وأنّ إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم ؟قال سليمان: نعم، قال الرضا عليه السّلام : فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون أو يعلم أنّه يكون ما لا يريد أن يكون ؟ ! قال : يعلم أنّهما يكونان جميعاً ، قال الرضا عليه السّلام : إذن يعلم أنّ إنساناً حيّ ميّت ، قائم قاعد ، أعمى بصير في حال واحدة ، وهذا هو المحال ، قال : جعلتُ فداك فإنّه يعلم أنه يكون أحدهما دون الآخر ، قال عليه السّلام : لا بأس ، فأيّهما يكون ، الّذي أراد أن يكون أو الّذي لم يرد أن يكون؟ قال سليمان : الّذي أراد أن يكون ، فضحك الرّضا عليه السّلام والمأمون وأصحاب المقالات . قال الرّضا عليه السّلام : غلطتَ وتركتَ قولك : إنّه يعلم أنّ إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم ، وأنّه يخلق خلقاً وهو لا يريد أن يخلقهم ، فإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون فإنّما يعلم أن يكون

ما أراد أن يكون »[1] .

عِلمُ الله جلّ جلاله بالإنسان المكوّن والإنسان غير المكوّن على حدّ سواء ولكن إرادته تعالى ليست كذلك ؛ لأنّه أراد الأوّل ولم يرد الثّاني ، نعم أراد عدمه وهو كما أراد .

وحاصله : أنّ العلم الرّباني بشيء موجود أو عدمه على حدّ واحد وأنّ العلم بالعدم لا يستلزم الوجود ما لم يرده .

قال السّيّد المعلّق :حاصل الكلام ، هل يتعلّق علمه تعالى بنسبة قضية ولا يتعلّق إرادته بها فأقرّ سليمان بذلك فثبت مطلوبه عليه السّلام الّذي هو عدم اتّحادهما[2] .

كيف يكون إنسان في حال واحدة حيّاً ميّتاً أعمى بصيراً قائماً قاعداً ؟! فاختار سليمان أحدهما فسأله عليه السّلام التعيين بقوله : « فأيّهما يكون : الّذي أراد أن يكون أو الّذي لم يرد أن يكون ؟ » فاختار المراد كونه، فكّر عليه بقوله السّابق، واعترافه بالعلم بموت إنسان اليوم وعدم إرادة موته وخلق إنسان وعدم إرادة خلقه ، وإنّ مَنْع تعلّق العلم بما لم يرد كونه يلزم العلم بما أراد كونه لعدم نفيهما جميعاً .

وصور المسألة أربع : العلم بكون ما يراد كونه . والعلم بكون ما لا يراد كونه . وبالجميع . وبعدم الجميع . والأخيران محال ، والثانية ما ينطبق عليها المثلان ، والأولى لا بأس بها كما قاله عليه السّلام . والمقام المبحوث له نوع من الدّقة فتدبّر .

---

(١) التوحيد ٤٥٢ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥١ .

(٢) حاصل ما ذكره المعلق أنظر هامش التوحيد ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .

حرف الخاء

٨١ ـ خرج علينا من وراء أَكَمَةٍ من هذه الآكام

روى الشّيخ الكراجكي من أمالي المفيد : « أنّه لمّا سار المأمون إلى خراسان كان معه الإمام الرّضا علي بن موسى عليهما السّلام ،فبيناهما يتسايران إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن إنّي فكّرت في شيءٍ فسنح لي الفكر الصّواب فيه : فكّرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت الفضيلة فيه واحدة ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبيّة .

فقال له أبو الحسن الرّضا عليه السّلام : إن لهذا الكلام جواباً إن شئت ذكرته لك ، وإن شئت أمسكتُ ، فقال له المأمون : لم أقله إلاّ لأَعَلمُ ما عندك فيه ، قال الرّضا عليه السّلام : أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أنّ الله بعث محمداً صلّىٰ الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أَكمَةٍ من هذه الآكام فخطب إليك ابنتك لكنت مزوّجه إيّاها ؟ فقال : يا سبحان الله وهل أحدٌ يرغب عن رسول الله صلّىٰ

الله عليه وآله ؟ فقال الرّضا عليه السّلام : أفتراه كان يحلّ له أن يخطب ابنتي ؟ قال فسكت المأمون هنيئة ثم قال : أنتم والله أمسّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رحماً »[1] .

قبل أن نأتي على شرح بعض كلمات الحديث نذكر شيئاً من المناظرة بين هارون والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لارتباطه بما نحن بصدده :

روى الشيخ للصدوق بإسناده إلى موسى بن جعفر عليهما السّلام في حديث طويل إنّه قال : « لمّا دخلت على الرّشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السّلام ثمّ قال : يا موسى بن جعفر خليفتين [خليفتان] يجبى إليهما الخراج ـ استمرت المناظرة إلى قول هارون : ـ

ثم قال : لم جوّز تم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ، ويقولون لكم : يا بني رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنتم بنو عليّ وإنّما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنّما هي وعاء والنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جدّكم من قبل أمّكم ؟ .

فقلت : يا أمير المؤمنين لو أنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله كيف

---

(١) كنز الفوائد ١٦٦ ، البحار ٢٥ / ٢٤٢ ، وج ٤٩ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .
لم أوفّق للرّجوع إلى أمالي الشيخ المفيد طاب ثراه واستخراج ما نقله الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ هـ ، رحمه الله تعالى ، وبما أنّ الحكم أي حرمة تزوّج الرّجل من كرائم الأسباط والأحفاد ثابتٌ كما يأتي التّصريح في المتن قريباً بعد نقل رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام مستدلاً بآية التحريم ، لا يبقى مجال للحديث .

لا أجيبه ؟! بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك .

فقلت لـه : لكنّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لا يخطب إلّي ولا أزوّج كريمتي منه قطّ ، فقال: ولم ؟ فقلت : لأنّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ولدني ولم يلدك ، فقال : أحسنت يا موسى ، ثمّ قال : كيف قلتم إنّا ذرّيّة النّبيّ ؟ والنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لم يعقب وإنّما العقب للذّكر لا للأنثى ، وأنتم ولد لابنته ولا يكون لها عقب . فقلت : أسألك يا أمير المؤمنين بحقّ القرابة والقبر ومَنْ فيه إلاّ ما أعفيتني عن هذه المسألة ، فقال : لا ، أوتخبرني بحجّتكم فيه يا ولد عليّ وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم كذا أنهي إليّ ، ولستُ أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله تعالى وأنتم تدّعون معشر ولد عليّ أنه لا يسقط عنكم منه بشيءٍ ألفٍ ولا واوٍ إلاّ وتأويله عندكم ، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ ﴾[1] . وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم .

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟ قال : هات ، قلت : أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس ﴾[2]

مَنْ أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى أبٌ ، فقلت : ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم ـ عليها

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٨٤ ـ ٨٥ .

السلام ـ وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ صلّى الله عليه وآله من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام . . . »[1] .

ولعمر الحق إنّه الجواب الحقّ لو وعاه واع ، وهكذا بقيّة الأجوبة الّتي احتوتها الرّواية، لولا إطالة المقام لطولها والخروج عمّا نحن بصدده لذكرناه كملاً ، ولتكميل الفائدة نثلّث الحديثين بما عن الكليني بإسناده إلى أبي الجارود عن أبي جعفر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام :

« ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام ؟ قال: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: فأيّ شيءٍ احتججتم عليهم ؟قلت: احتججنا عليهم بقول الله عزّ وجلّ في عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿**ومن ذريّته داود وسليمان ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين* وزكريّا ويحيى وعيسى**﴾. فجعل عيسى بن مريم من ذريّة نوح ، قال : وأيّ شيءٍ قالوا لكم ؟ قلت : قالوا : قد يكون ابن الابنة من الولد ولا يكون من الصّلب ، قال: فأيّ شيءٍ احتججتم عليهم ؟قلت: احتججنا عليهم بقوله تعالى للرّسول : ﴿**فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم**﴾[2] . ثمّ قال: وأيّ شيءٍ قالوا لكم ؟ قلت قالوا : قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول أبناءنا[3] .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٦١ .

(٣) ولكن لم يختلف اثنان من الأمة وغيرها أنّ المدعوّين هم الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام ، فاللفظ وإن كان عامّاً لكن الخارج خصصه.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: يا أبا الجارود لأعطيتكها من كتاب الله عزّ وجلّ أنّهما من صلب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله لا يردّهما إلّا كافرٌ، قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟ قال: من حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿ حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم ﴾ الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ وحلائل أبنائكم الّذين من أصلابكم ﴾[1]، فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحلّ لرسول الله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما ابناه لصلبه »[2].

أبو الجارود زياد بن المنذر، قال المحدّث القمّي: قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته في الخاتمة: وأمّا أبو الجارود فالكلام فيه طويل والّذي يقتضيه النّظر بعد التأمل فيما ورد وفيما قالوا فيه أنّه كان ثقة في النّقل مقبول الرّواية[3].

أقول: حتى لو كان مردوداً لأن الموضوع أبين من ذلك لا يفتقر إلى الرّواية بعد الدّراية؛ فإنّ حليلة ابن الرّجل أو ابن بنته حرام عليه التزوج منها بالإجماع بعد نصّ الكتاب العزيز والسّنّة القطعيّة، وتحريم التزوج من حلائل الأبناء مطلقاً كتحريم نكاح الأمّ والأخت والعمّة والخالة.

فلنعد إلى الرّضويّ فنقول:

قوله عليه السّلام: « من وراء أكمة من هذه الآكام » من

---

(١) سورة النساء: الآية / ٢٣.

(٢) تفسير البرهان ١ / ٣٥٧، تفسير الصافي ١ / ٣٤٤.

(٣) الكنى والألقاب ١ / ٣٤. وقد كثر القول حوله والمسألة كما في المتن لا تفتقر الى التوثيق.

« أكم » : تجمّع الشّيء وارتفاعه قليلاً ، قال الخليل : الأكمة تلّ من القفّ ، والجمع آكام وأَكَمٌ . واستأكم المكان أي صار كالأكمة. قال أبو خراش :

ولا أمغر الساقين ظل كأنه على مُحْزئلّاتِ الإكام نصيل

يعني صقراً. اجزألّ : انتصب . نصيل : حجر قدر ذِراع[١] . قال الطّريحي : والأكَمَة كقَصَبَة : تلٌّ صغيرٌ ، والجمع أَكَم كَقَصَب[٢] . وقال ابن الأثير : في حديث الاستسقاء: « على الإكام والظّراب ومنابت الشّجر » الإكام بالكسر جمع أَكَمة وهي الرّابية ، وتجمع الإكام على أُكُم[٣] والأُكُم على آكام[٤] .

لا تؤثّر في النّفوس الأثيمة العظات والحقائق التي يزفّها الإمام المعصوم ، بل ولا الكتب السّماوية ورسالات الأنبياء عليهم السلام .

وهل ارتدع الطّاغية المأمون العبّاسي عندما سمع جواب الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه أمسّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رحماً وأولى من المأمون بالخلافة ؟! كلّا بل زاده عليه حقداً وعتوّاً وهل لو نشر الرّسول أو خرج من وراء تلّ من تلال خراسان ـ وهو مثل ضربه عليه السّلام لتجسيد الحقّ المنسيّ أو المتناسي ـ أمام بصر المأمون ويقول الحقّ مع ولدي يا تُرى يقبل منه ذلك أو يمدّ في عماه ؟! شأن حبّ الدنيا الّذي أعماه وأصمّه كما جاء به المثل السائر :

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ١٢٥ ، فى (أكم) .

(٢) مجمع البحرين في (أكم) .

(٣) في اللسان : جمع الإكام أُكُم ، مثل كتاب وكُتُب ، وجمع الأُكُم : آكام ، مثل عُنُق واعناق، في (أُكُم)

(٤) النهاية ١ / ٥٩ ، في (أُكُم)

« حبّك الشّيء يعمي ويصمّ »[1] .

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام : « من عشق شيئاً أعشى بصره ، وأمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذنٍ غير سميعة »[2] .

وهل مناظرة المأمون وقبله هارون مع الكّاظم عليه السّلام إلاّ لأجل الحصول على الدّنيا، تجد هارون قائلاً لموسى بن جعفر عليهما السلام : «أخبرني لم فضّلتم علينا نحن وأنتم من شجرة واحدةً وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد إنّا بنو العبّاس وأنتم ولد أبي طالب وهما عمّان لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقرابتهما منه سواء ؟ فقلت : نحن أقرب ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنّ عبد الله وأبا طالب لأبٍ وأمٍّ ، وأبوكم العبّاس ليس هو من أمّ عبد الله ولا من أمّ أبي طالب . . . »[3] .

والكلّ يدري أنّ الأحقّ بالخلافة هم الأئمّة عليهم السّلام ؛ لأنّهم قد اجتمعت القرابة القريبة لهم مع الطهارة الموهوبة والفضائل الّتي تجمّعت فيهم لا يدانيهم من الناس دانٍ ولا يقاس بآل محمّد من هذه الأمة ولا غيرها أحدٌ ليس المحقّ كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدْغل[4] . . .

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ١٩٦ ، حرف الحاء ،الأمثال النبويّة ١ / ٣٤٨ ، رقم المثل ٢٢٣ .

(٢) النهج ٧ / ٢٠٠ ، الخطبة ١٠٨ .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٦٧ .

(٤) النهج ١٥ / ١١٧ ، كتاب ١٧ .

٨٢ خرجتُ على أن لا إله إلا أنت

روى الصّدوق بإسناده إلى موسى بن سلام قال: « اعتمر أبو الحسن الرّضا عليه السّلام فلمّا ودّع البيت وصار إلى باب الحنّاطين ليخرج منه وقف في صحن المسجد في ظهر الكعبة، ثم رفع يديه فدعا ثمّ التفت إلينا فقال : نعم المطلوب به الحاجة إليه الصّلاة فيه أفضل من الصّلاة في غيره ستين سنة أو شهراً ، فلّما صار عند الباب قال : اللهم إني خرجتُ على أن لا إله إلاّ أنت »[١] .

كلمة « على » عاملها الخروج على التّضمين أي خرجتُ معتقداً بواحدانيّتك وأن لا إله سواك .ونظيرها كلامه الآخر روحي فداه قد رواه الصّدوق أيضاً بسنده عن إبراهيم بن ابي محمود قال : رأيت الرّضا عليه السّلام ودّع البيت ، فلّما أراد أن يخرج من باب المسجد خرّ ساجداً ثمّ قام فاستقبل الكعبة وقال : « اللّهمّ إنّي انقلبت على أن لا إله إلاّ الله »[٢] .

وتعليق الحالتين الخروج أو الانقلاب المفسّر بالخروج أو أيّة حالة من حالات الإنسان يراد من ذلك كلّه ذكره تعالى الّذي هو على كلّ حالٍ حسن ،كما جاء التّصريح به في أحاديث أهل البيت عليهمالسلام ،ففي الصّحيح عن الباقر أبي جعفر عليه السّلام قال :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧ .

(٢) المصدر .

« مكتوب في التّوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال : إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها، فقال : يا موسى إنّ ذكري حسن على كلّ حالٍ »(١) .

أو يراد بيان التّوحيد وترك الحول والقوّة إلّا بالله الواحد الأحد الفرد الصّمد ولا قوة على فعل من الأفعال ولا على شيء آخر إلّا بقوته تعالى ومشيئته لا « بكد اليمين وعرق الجبين » المثل السّائر بل بتوفيقه عزّ وجلّ يطاع وبحوله تترك المعاصي وقد جاء في الكاظميّ : « مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون في القدر ، فقال لمتكلمهم : أبالله تستطيع أم مع الله أم من دون الله تستطيع ؟! فلم يَدْرِ ما يردّ عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : إنك إن زعمت أنّك بالله تستطيع فليس لك من الأمر شيء ، وإن زعمت أنّك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه ، وإن زعمت أنك منْ دون الله تستطيع فقد ادّعيت الرّبوبيّة من دون الله عزّ وجلّ ، فقال : يا امير المؤمنين لا ، بل بالله استطيع ، فقال عليه السّلام : أما إنّك لو قلت غير هذا لضربت عنقك »(٢) .

---

(١) الوسائل ١ / ٢١٩ . وفيه عدّة أخرى بلفظه ومعناه

(٢) التّوحيد ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

أقول : في نفس الوقت إنّ الكلام الرّضوي فيه من آداب بيت الله الحرام لمن أراد الخروج منه . وباب الحنّاطين قال الطّريحي : في الحديث: « لا تسلّم ولدك حنّاطاً ؛ فإنّه يحتكر الطّعام على أمّتي » الحنّاط بفتح الحاء والتّشديد : بيّاع الحنطة بالكسر وهي القمح والبُرّ بضمّ الباء ، والجمع حنط ومنه « فخرج من باب الحنّاطين » ، لبيعهم الحنطة هناك ، وقيل: لبيعهم الحنوط . والحنوط كرسول . والحناط ككتاب : طيب يوضع للميّت خاصّة مجمع البحرين في « حنط »

٨٣ ـ خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه رواية استدلال الإمام الرّضا عليه السّلام بالاثنتي عشر آية من الكتاب العزيز على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس جواباً لسؤال علماء أهل العراق وخراسان بمحضر المأمون العبّاسي النّاوي من وراء مناظرتهم السّوء به عليه السّلام وإطفاء نوره ﴿ **ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون** ﴾[1] ، وقد بحثنا عن أكثرها[2] ، قال عليه السّلام :

« والآية الخامسة قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾[3] . خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها واصطفاهم على الأمّة ، فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال : ادعوا لي فاطمة، فدُعيَتْ له فقال : يا فاطمة، قالت : لبيك يا رسول الله ، فقال : هذه فدك ممّا هي لم يوجف عليه بالخيل [خيل] ولا ركاب وهي لي خاصّة دون المسلمين وقد جعلتها لك

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٢ .

(٢) حرف الهمزة مع النّون . والهَمزة مع الياء ، والجيم مع العين، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللاّم ، والفاء مع الضّاد ، والكاف مع اللاّم .

(٣) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك . فهذه الخامسة . . . »[1] .

روى الشّيخ الحرّ بإسناده إلى علي بن أسباط عن أبي الحسن موسى عليه السّلام (في حديث) قال : « إنّ الله لمّا فتح على نبيّه فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيّه : ﴿ وآت ذا القربى حقّه ﴾ فلم يدر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله مَنْ هم فراجع في ذلك جبرئيل ، وراجع جبرئيل ربّه ، فأوحي الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة (إلى أن قال :)حدٌّ منها جبل أُحد ، وحدٌّ منها عريش مصر ، وحدٌّ منها سيف البحر ، وحدٌّ منها دومة الجندل ، قيل له : كلّ هذا ؟ قال : نعم ، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف أهله على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بخيل ولا ركاب »[2]

وفي كتاب البحار : « فلما فرغ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله من خيبر عقد لواء ثمّ قال : مَنْ يقوم إليه فيأخذه بحقّه ؟ وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك ، فقام الزّبير إليه فقال : انا ، فقال : أمط عنه ، ثم قام إليه سعد ،فقال : أمط عنه ، ثمّ قال : يا عليّ قم إليه فخذه ، فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله خاصّاً خالصاً فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه ، قال : يا جبريل ومَنْ قرباي ؟ وما حقّها ؟ قال : فاطمة ، فأعطِها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها ، فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فاطمة وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر ،

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٣ .
(٢) الوسائل ٦ / ٣٦٦ .

وقالت هذا كتاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لي ولابنَيْ »[1] .

في باقري : « الفيء والانفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة من الدماء وقوم صولحوا وأعطوا بأيديهم وما كان من أرض خربة أو بطون أو دية فهو كلّه من الفيء فهذا لله ولرسوله فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرّسول . . . »[2] .

وصادقيّ : « الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم ـ . . . . »[3] .

وفدك من ذلك أنحلها الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام في حال حياته ، وقال لها : وقدكان لأمّك خديجة على أبيك محمّد مهر وأنّ أباك قد جعلها لك بذلك وأنحلتُكها تكون لك ولولدك بعدك .

وكتب كتاب النّحلة عليّ عليه السّلام في أديم وشهد على ذلك [هو] وأمّ أيمن ومولى لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ[4] .

فهي عطيّة إمّا من المهر كما تقدم أو عوض عمّا أنفقته خديجة من أموالها في سبيل الله ، ولولا خُلق رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسيف عليّ عليه السّلام وأموال خديجة ، لما قام للّدين عمود ، وما اخضرّ له عود . أو من سهم ذي القربى امتثالاً لامره تعالى به قال عزّ وجلّ : ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾[5] . كما سبق تفصيل ذلك ولا

---

(١) البحار ٢١ / ٢٣ .

(٢) تفسير البرهان ٤ / ٢١٤ في تفسير الآية ٦ من سورة الحشر ، الوسائل ٦ / ٣٦٧ .

(٣) الوسائل ٦ / ٣٦٦ .

(٤) السّفينة ٢ / ٣٥١ في (فدك) .

(٥) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

ينافي أن يكون الحقّ الواجب عليه إعطاؤه عوضاً عن أموال أمّها خديجة المصروفة في سبيل الله في الدُّنيا، وأمّا الآخرة فلها ما شاء من الأجر. وعلى كلّ تقدير هي حقّ خاصّ لفاطمة عليها السّلام ليس لأحد من المسلمين فيها سهم أبداً وقد أخذها أبو بكر بحجة إنّها للمسلمين. وهي: قرية تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة أرضها زراعيّة خصبة فيها عين فوّارة ـ على حدّ تعبير بعض ـ ونخيل كثير يقدّر نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري[1]. وأمّا وارداتها في رواية الشّيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاري قدر أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، وفي رواية غيره سبعين ألف دينار[2]. فانتزعها الأوّل، ودفعها الثّاني إلى علّي والعبّاس بعد تقرير الانتزاع زماناً معتدّاً، وأقطعها عثمان لمروان، وردّها عمر بن عبد العزيز فكتب إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم وهو عامله على المدينة، انظر ستّة الآف دينار فزد عليها غلّة فدك أربعة آلاف دينار فأقسمها في ولد فاطمة رضي الله عنهم من بني هاشم. وكانت فدك للنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ خاصّة فكانت ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[3] واغتصبها يزيد بن عبد الملك، ودفعها السّفاح، وأخذها المنصور، وأعادها المهدي العبّاسيّ، وقبضها الهادي، وردّها المأمون. كما قال دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزّمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشماً فدكا[4]

وأمّا صدقات الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله وأوقافه ففي صحيح

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٢٣٦، طبع الحلبي الجديد.
(٢) فدك الحائري القزويني ١٢ ـ ١٣، السّفينة ٢ / ٣٥١ نقلاً عن كشف المحجّة لابن طاووس.
(٣) البحار ٢٣ / ٢٩٥.
(٤) السّفينة ٢ / ٣٥١ في (فدك).

البزنطي، قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن الحيطان السّبعة، فقال: « كانت ميراثاً من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وقف [وقفاً] وكان رسول الله يأخذ منها ما ينفق على أضيافه والنّائبة يلزمه فيها ، فلّما قبض جاء العبّاس يخاصم فاطمة عليها السّلام فشهد عليّ عليه السّلام وغيره أنّها وقف ، وهي الدّلال ، والعواف ، والحسنى ، والصّافية ، وما لأمّ إبراهيم[1] ، والميثب ، وبرقة »[2] ، وصادقيّ : « الميثب : هو الّذي كاتب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عليه سلمان فأفاءه الله على رسوله فهو في صدقاتها »[3] ، أي : فاطمة عليها السّلام .

وقيل كانت هذه الحيطان السبعة لمخيريق[4] اليهودي أحد بني النّضير قيل أسلم ولمّا حضرته الوفاة قال أموالي لمحمّد صلّىٰ الله عليه وآله وهي بساتينه السبعة : الدّلال، وبرقة ، والصّافية ، والميثب، ومشربة أمّ إبراهيم ، والأعواف، وحسنى . قال ابن شهاب : أوصى بأمواله للنّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وشهد أحداً فقتل، قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : مُخَيريق سابق اليهود ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة ـ وبعد ذكر السّبعة قال: ـ فمجاورات بأعلى الصّورين من خلف قصر مروان بن الحكم ويسقيها مهزور[5] .

---

(١) ومال أمّ إبراهيم هامش البحار ٢٢ / ٢٩٦ .

(٢) البحار ٢٢ / ٢٩٦

(٣) المصدر، وفي هامش ص ٢٩٧ منه الميثب كمنبر : ما ارتفع من الأض وكذا الأرض السّهلة ، وفيه وفي بقيّة الأسماء اختلاف انظر البحار ٢٢ / ٢٩٧ . ٢٩٨ وهامشه .

(٤) مصغراً ، قيل إنه من بقايا بني قينقاع . البحار ٢٢ / ٢٩٨ :

(٥) في هامش المصدر وفاء الوفاء ٩٨٨ .

وأمّا مشربة أمّ إبراهيم [فـ] سمّيت بها لأنّ أمّ إبراهيم بن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ولدت فيها وتعلّقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة فتلك الخشبة اليوم معروفة، وكان النّبيّ أسكن مارية هناك . والمشربة : الغرفة[1] .

وفي باقريّ : « كان (الدّلال) لأمرأة من بني النّضير وكان لها سلمان . . . »[2] .

و (الصافية) : معروفة اليوم شرقي المدينة بجزع زهيرة ، و (برقة) : معروفة أيضاً اليوم في قبلة المدينة مما يلي المشرق ، و (الدلال) : جزع [جذع] معروف أيضاً قبل (الصّافية) ، و (الميثب) : غير معروف اليوم ، و (الأعواف) : جزع معروف اليوم بالعالية ، و(مشربة أمّ إبراهيم) : أيضاً معروفة بالعالية، (وحسنى) : لا يعرف اليوم ولعلّه تصحيف (الحنا)، وهو معروف اليوم وخطأ ذلك لأنه لا يشرب من مهزور، و (الحسنا) .هي الموضع المعروف اليوم بـ(الحسينيا) قرب جزع (الدّلال) وهو يشرب من مهزور وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة عليها السلام من أبي بكر مع سهمه صلى الله عليه وآله بخيبر وفدك كما في الصحيح فأبى أبو بكر عليها ذلك ثمّ دفع عمر صدقته إلى عليّ والعبّاس وأمسك خيبر وفدك[3] . . .

قال المعتزلي : واعلم أن النّاس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين : في الميراث والنّحلة ، وقد وجدت في الحديث أنّها نازعت في أمرٍ ثالث ومنعها أبو بكر إياه أيضاً وهو سهم ذوي القربى[4] .

---

(١) البحار ٢٢ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٢) البحار ٢٢ / ٢٩٩ .

(٣) البحار ٢٢ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٤) في هامش فدك للقزويني الحائري ٢٤ . قال:قال ابن أبي الحديد في شرح =

وناهيك أنّ خطبة الزّهراء سلام الله تعالى عليها من أدلّ دليل على ظلامتها؛ لأنّها تقول فيها : « هذا أبن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي ، وبلغة ابنيّ لقد أجهد في خصامي . . . »[1] وفيها تنطق بكلّ صراحة على اغتصاب حقها .

النهج ١٦ / ٣٣٠ : « واعلم . . . » .
أقول : الصّحيح شرح النّهج ١٦ / ٢٣٠ ، فراجع .
(١) الاحتجاج ١ / ١٤٥ ، وبدأ الخطبة ١٣١ ـ ١٤٩ .

حرف الذّال

٨٤ ـ ذبح كما يذبح الكبش

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده عن الـرّيّان بن شبيب قـال دخلت على الـرّضا ـ عليـه السّلام ـ في أوّل يـوم من المحرّم فقـال : « يـا بن شبيب أصـائم أنت ؟ قلت : لا فقال : إنّ هـذا اليوم هـو اليـوم الّـذي دعا فيه زكريّا ـ عليه السّلام ـ ربّه عزّ وجلّ فقال :

﴿ ربّ هب لى من لدنك ذرّية طيّبة إنّك سميع الدّعاء ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنـادت زكريّـا **﴿ وهو قـائم يصلّى فى المحراب إنّالله يبشّرك بيحيى ﴾** . فمن صام هـذا اليوم ثمّ دعـا الله عـزّ وجلّ استجـاب الله له كمـا استجاب الله لـزكريّـا ثم قـال : يـا ابن شبيب إنّ المحـرّم هو الشّهـر الّذي كـان أهل الجـاهليّة يحـرّمـون فيـه الظّلم والقتال لحرمته ، فما عرفت هذه الأمّة حـرمة شهرها، ولا حـرمة نبيّهـا لقد قتلوا في هـذا الشهر ذرّيتـه وسبـوا نسـاؤه وانتهكـوا ثقله فـلا غفـر الله لهم ذلـك أبـداً ، يـا ابن شبيب إن كنت بـاكيـاً لشيءٍ فـابـك للحسين بن علي بن ابي طـالب ـ عليهم السّلام ـ ؛ فـإنّـه ذبـح كمـا

يـذبح الكبش وقتـل معه من أهـل بيته ثمـانيـة عشـر رجـلاً مـا لهم في الأرض شبيهون . . . »[1] .

قـالِ الـطّريحي : « الكبش : فحـل الضّـأن في أيّ سنّ كـان ، وقيـل الحمـل إذا أثني[2] وإذا خـرجـت ربـاعيتـه . والجمـع كبـاش ككتـاب ، وكبش القـوم سيّـدهم . . . كـان المشـركـون ينسبـون النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله إلى أبي كبشـة ، وكان أبـو كبشة رجـلاً من خزاعـة خـالف قريشـاً في عبادة الأوثـان وعبد الشّعـرى[3] فلمّـا خالفهم النبي صلّىٰ الله عليـه وآله في عبـادة الأوثان شبّهـوه به وقيـل هو نسبـة إلـى جـد النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ لأمّـه فـأرادوا أنّـه نـزع إليـه في الشّبه[4] .

قال التّستري في الخصـائص الحسينية بعـد حديث ابن شبيب : وفي الحـديث نكتـة حيث أنّـه عبّـر عنـه بـالـذّبـح ، وعن أهــل بيتـه بـالقتل ؛ وذلـك لأنّهم قتلوا بالجـراح ومـاتـوا بعد الـوقوع على الأرض بسبب الجـراح ، ولكنّه عليـه السّلام قتـل أيضـاً بـالجـراح ووقـع على الأرض يجـود بنفسـه وكـان مـا فيـه كـافيـاً فيمـا أرادوه ،ولكن لـم يكتفــوا فذبحوه كما يذبح الكبش يعني قبضوا عليه وجزّوا رأسه الشّريف[5] .

المثل بذبح الكبش ناظر إلى عدم الاكتراث بذبحـه عليه السّـلام كمـا لم يكترثـوا بالكبش،أو إلى كيّفيّـة الـذّبـح من مـوضـع النّحـر في

(١) عيـون الأخبـار ١ / ٢٣٣ ، بـاب ٣٨ ، الإقبـال ٥٤٥ . سورة آل عمران : الآية / ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) دخل في العام الثاني .

(٣) النجم المعروف ولفظ المصدر « الشعراء » .

(٤) مجمع البحرين في « كبش » .

(٥) الخصائص ١٢٧ ـ ١٢٨ وقضوا عليه ولفظ الكتاب « وقبضوا عليه » .

الكبش كذلك ذبح عليه السّلام من نحره ، ولا ينافي ما جاء في ندبة زينب بنت علي عليهما السّلام : « هذا حسين محزوز الرّأس من القفا »[1] ؛ إذ يتحقّق الذّبح من النحر مقلوباً ومكبوباً كما نقل بالذّبح مواجهةً وإتمامه قفاءً في المقتل[2] سلام الله عليك يا حسين .

---

(١) البحار ٤٥ / ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) نفس المهموم ٢٢٦ . ويمكن أن يكون الذّبح كناية عن الحزّ المطلق نحراً أو القفا أو النحر من القفا .
ولا يخفى أنّه جاء التنظير في قصّة إسماعيل بن ابراهيم بأنّ الحسين عليه السلام تذبحه طائفة من أمّة محمد كما يذبح الكبش عيون الأخبار ١ / ١٦٦ باب ١٨ .

٨٥ ـ ذكاة الجنين ذكاة أمّه

روى الشيخ الصّدوق بإسناده عن الفضل بن شاذان قال : « سأل المأمون علي بن موسى الرّضا عليهما السّلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار فكتب عليه السّلام له أنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله . . . . ـ إلى أن قال عليه السّلام : ـ وذكاة الجنين ذكاة أمّه إذا أَشْعَرَ وأَوْبَرَ ـ . . . »[1] .

والحديث مطوّل وفيه بيان محض الإسلام على سبيل الاختصار .

وقوله عليه السّلام : « وذكاة الجنين ذكاة أمّه إذا أَشْعَرَ وأَوْبَرَ » من الأصول الفقهيّة المتواترة عليها روايات أهل البيت عليهم السّلام .

ففي صحيح صادقيّ : « عن الحوار[2] تذّكى أمّه أيؤكل

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٢٠ ـ ١٢٥ ، والكلمة في ص ١٢٣ .

(٢) الحوار بالضمّ : وهو ولد النّاقة ولا يزال حواراً حتى ينفصل ، فإذا فصل عن أمّه فهو فصيل أي مفصول . مجمع البحرين في « حور » .

بذكاتها ؟ فقال : إذا كان تماماً ونبت عليه الشّعر فكلْ »[1] .

ومضمر سماعة :«قال سألته عن الشّاة يذبحها وفي بطنها ولد وقد أشعر قال : ذكاته ذكاة أمّه »[2] .

وعن محمد بن مسلم قال : « سألت أحدهما عليهما السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام** ﴾[3] . قال : الجنين في بطن أمّه إذا أَشْعَرَ وأَوْبَرَ فذكاته ذكاة أمّه ، فذلك الّذي عنى الله عزّ وجلّ »[4] .

وصحيح صادقيّ : « إذا ذبحت الذبيحة فوجدت في بطنها ولداً تامّاً فكل ، وإن لم يكن تامّاً فلا تأكل »[5] .

وصحيح باقري مثله[6] ، وكذا صادقي آخر[7] .

وقد صرّح في ثمان روايات الباب[8] بكلمة « ذكاة الجنين ذِكاة أمّه » الّتي تعتبر من الأمثال السّائرة لدورانها على الألسن ككثير من الكلمات الجارية عليها مثل « كِلّ شيءٍ نظيف حتّى تعلم أنّه

---

(١) الوسائل ١٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
(٢) المصدر ص ٣٢٩ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ١ .
(٤) الوسائل ١٦ / ٣٢٩ .
(٥) المصدر .
(٦) المصدر .
(٧) المصدر ص ٣٣٠ .
(٨) الباب ١٨ من أبواب الذبائح من كتاب الصيد والذبائح من المصدر : ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ .

قذر »[1] و « الميسور لا يسقط بالمعسور »[2] . و « ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه »[3] . على أنّ الكلمة المذكورة أصلها هو النّبويّ المرويّ[4] وبعد ذلك سارت على لسان الأئمّة الباقر والصّادق والكاظم والرضا عليهم السلام ، ثم على ألسن سائر النّاس ، فهي مثل سائر عند أهل البيت عليهم السّلام وغيرهم .

وحاصل معنى الكلمة أنّ جنين الذّبيحة حلال إذا حلّت ، بشرط تماميّته وإشعاره في بطنها، هذا إذا لم تلده حيّاً وإلاّ فلا بدّ من التّذكية له ولا تكفي ذكاة أمّه ، وعليه تحمل الآية المتقدمّة كما في صحيح محمد بن مسلم المتقدّم ذكره ، وإطلاقها كبقيّة إطلاقات الكتاب العزيز المقيّدة بالسّنّة المعتبرة كما قرّر في محلّه .

---

(١) الوسائل ٢ / ١٠٥٤ ، باب ٣٧ من أبواب النّجاسات ، حديث ٤ عن عمار عن الصادق عليه السلام .
(٢) عوالي اللئالي ٤ / ٥٨ ، عوائد الأيام ٨٨ .
(٣) عوالي اللئاليء ٤ / ٥٨ .
(٤) مستدرك الوسائل ٣ / ٦٧ ، باب ١٦ من أبواب الذبائح .

٨٦ ـ الذّكر رسول الله ونحن أهله

روى الصّدوق حديث استدلال الإمام الرّضا عليه السّلام بالاثني عشر آية على فضل أهل البيت على سائر النّاس جواباً لما قالته علماء أهل العراق وخراسان بمحضر المأمون الّذي جمعهم ليكسر بهم الإمام عليه السّلام كما هي عادته في غير مجمع واحد وهو عليه السّلام يردّ مكرهم في نحورهم في كلّ مرّة وافتضحوا بأجمعهم في مناظراتهم معه ،وقدتعرّضنا لذكر كثير منها عند كلمات استخرجناها[١] قال عليه السّلام :

« وأمّا التّاسعة فنحن أهل الذّكر الّذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **فسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[٢] . فنحن أهل الذّكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون ، فقال العلماء : إنّما عنى الله بذلك اليهود والنّصارى ، فقال أبو الحسن عليه السّلام : سبحان الله وهل يجوز ذلك ؟ إذاً يدعون إلى دينهم ويقولون : إنه أفضل من دين

---

(١) حرف الهمزة مع النون ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والسّين مع الألف ، والفاء مع الضاد ، والكاف مع اللام .

(٢) سورة النحل : الآية / ٤٣ . وسورة الأنبياء : الآية / ٧ .

الإسلام ، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن ؟ فقال أبو الحسن : نعم الذّكر رسول الله ونحن أهله ؛ وذلك بُيّن في كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول في سورة الطّلاق : ﴿ فاتّقوا الله يا أولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ﴾[1] . فالذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن أهله . فهذه التاسعة »[2] .

لا ينافي نزول الآية في اليهود والنّصارى الآمرة برجوعهم إلى علمائهم في صدق دعوة خاتم الأنبياء عليهم السلام تفسير الرضا عليه السّلام لأنّ للقرآن تصاريف ووجوهاً صحيحة وهو كما قال عليه السّلام، إذ لو كان السّائلون المسلمين ، والمسؤول عنهم اليهود والنّصارى للزم أحقيّة دينهم وقد قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾[3] .

وفي نبويّ : « الذّكر أنّا والأئمّة أهل الذكّر »[4] .

وصادقيّ : « الذّكر محمّد ونحن أهله المسؤولون قال: قلت : قوله : ﴿ وإنّه لذكر ، لك ولقومك وسوف تسألون ﴾[5] قال : إيّانا عنى ونحن أهل الذّكر ونحن المسؤولون »[6] .

---

(١) سورة الطلاق : الآية / ١٠ ـ ١١ .
(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٧ .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ٨٥ .
(٤) أصول الكافي ١ / ٢١٠ .
(٥) سورة الزخرف : الآية / ٤٤ .
(٦) أصول الكافي ١ / ٣١٠ .

وباقريّ : « إنّ مَنْ عندنا يزعمون أنّ قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **فسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[1] إنّهم اليهود والنّصارى ، قال : إذاً يدعونكم إلى دينهم ! قال : ـ قال بيده إلى صدره ـ نحن أهل الذّكر ونحن المسؤولون »[2] .

والعقل قاضٍ بأنّ المسؤول عنه في الأمور المهمّة لا بدّ أن يكون الأعلم الأفضلُ خاصّة إذا كان الآمر بالسّؤال هو الله جلّ جلاله كما في المقام خاصّة في الّدين الخالص الّذي لا يقبل الله عزّ وجلّ غيره وهل في ذلك ريب ؟ كلا .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٧ . وسورة النحل : الآية / ٤٣ .

(٢) أصول الكافي ١ / ٢١١ .

٨٧ ـ ذنب من تخلّف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا عون بن محمد قال: حدّثنا سهل بن القاسم قال: «سمع الرّضا ـ عليه السّلام ـ عن بعض أصحابه يقول: لعن الله من حارب أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فقال له: قل إلاّ من تاب وأصلح، ثمّ قال: ذنب من تخلّف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثمّ تاب»[١].

ممّن حارب الحق ثم تاب وأصلح الحرّ بن يزيد الرّياحي حيث جعجع بالحسين عليه السّلام وأهل بيته في مسيرهم إلى كربلاء من حادثة الطف المؤلمة عام ستّين هـ، ثم تاب على يديه يوم العاشر من المحرّم عام ٦١ هـ، وقتل في سبيل الله عزّ وجلّ رحمه الله[٢].

أمّا من الصّنف المتخلّف غير التّائب فكثير في التاريخ، منه

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٦.

(٢) البحار ٤٥ / ١٣ ـ ١٥، وفيه أشعاره منها:

* اني أنا البر ومأوي الضيف * الأبيات

بلعم بن باعورا تخلّف عن النّبيّ موسى عليه السّلام وحاربه بما كان عنده من الأسم الأعظم قد اقتصّ الله عزّ وجلّ قصّته في القرآن الكريم، وضرب مثله بالكلب اللاّهث قال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعنا بها ولكنّه اخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الّذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون** ﴾[1] .

وجاء في حديث الرّضا عليه السّلام : « أنّه أعطي بلعم بن باعورا الأسم الأعظم وكان يدعو به فيستجيب [فيستجاب] له فمال إلى فرعون فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم : ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته . . » إلى آخره وقد ذكرناه عند « بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى أسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[2] . وحديث الباقر عليه السّلام : « الأصل فيه بلعم ،ثم ضربه الله مثلاً لكلّ مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة »[3] . والعيّاشي عنه عليه السّلام : « مثل المغيرة بن سعيد مثل بلعم الّذي أوتي الأسم الأعظم الّذي قال الله : ﴿ **آتيناه آياتنا . . . الآية** ﴾ . . . »[4]

أقول في تفسير العيّاشي : «عن سليمان بن اللّبان قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : أتدري ما مثل المغيرة بن شعبة؟ قال: قلت : لا ، قال : مثله مثل بلعم . . . »[5] والمغيرة بن شعبة

(١) سورة الأعراف : الآية / ١٧٥ ـ ١٧٦
(٢) انظر حرف الباء مع السين .
(٣) تفسير الصافي ١ / ٦٢٦ .
(٤) المصدر .
(٥) تفسير العيّاشي ١/ ٤٢ .

ولّاه عمر بن الخطاب البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزّنا فعزله، ثم ولّاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأقرّه عثمان عليها، ثم عزله وولّاه معاوية الكوفة ، مات سنة خمسين من الهجرة وهو ابن سبعين[1] ، وجاء ذمّه في أكثر من رواية . وأمّا المغيرة بن سعيد ففي حديث الرّضا عليه السّلام : « كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السّلام فأذاقه الله حرّ الحديد »[2] . وهو الّذي دسّ في كتب أصحاب الباقر عليه السّلام أحاديث لم يحدّث بها[3] وعليه صحيح ابن شعبة .

---

(١) هامش المصدر ، وجاءت ترجمته في معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٢) معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٧٦ .

(٣) المصدر ص ٢٧٦ .

حرف الرّاء

٨٨ ـ الرّؤيا على ما تُعَبّر

روى الكليني في الصّحيح عن الحسن بن جهم قال : سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول : « الرّؤيا على ما تعبّر ، فقلت له : إنّ بعض أصحابنا روى أنّ رؤيا المَلِك كانت أضغاث أحلام ، فقال أبو الحسن عليه السّلام : إنّ امرأة رأت على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ جذع بيتها قد انكسر فأتت رسول الله صلّى الله عليه وآله فقصّت عليه الرّؤيا فال لها النّبيّ صلّى الله عليه وآله : يقدم زوجك ويأتي وهو صالح ، وقد كان زوجها غائباً فقدم كما قال النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمّ غاب عنها زوجها غيبةً أخرى فرأت في المنام كأنّ جذع بيتها قد انكسر فأتت النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقصّت عليه الرّؤيا فقال لها : يقدم زوجك ويأتي صالحا ، فقدم على ما قال ، ثم غاب زوجها ثالثة فرأت في منامها أنّ جذع بيتها قد انكسر فلقيت رجلاً أعسر فقصّت عليه الرّؤيا فقال لها الرّجل السّوء : يموت زوجك ، قال : فبلغ [ذلك] النبي صلّى الله عليه وآله فقال : ألاّ كان عبّر لها خيراً »[١] .

تكلّمنا عن المثل النّبوي : « الرّؤيا لأوّل عابر » ولفظ السّيد الشّريف : « الرّؤيا على الرّجل طائر ما لم نعبّر فإذا عبّرت وقعت فلا تحدثنّ بها إلاّ حبيباً أولبيباً »[٣] قال الشّريف : ولمّا جعل عليه الصّلاة والسّلام الرّؤيا بمنزلة الطّائر المتطيّر به جعل تعبيرها على الأمر المكروه بمنزلة وقوع الطّائر موافقة بين أنحاء الكلام حتّى يقع مواقعها[٣] . . .

وفي صادقيّ : « الرّؤيا على ثلاثة وجوه : بشارة من الله للمؤمن ، وتحذير من الشّيطان ، وأضغاث أحلام »

وآخر : « . . . أمّا الكاذبة المختلفة فإنّ الرّجل يراها في أوّل ليلة في سلطان المردة الفسقة ،وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرّجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها ، وأمّا الصّادقة إذا رآها بعد الثلثين من اللّيل مع حلول الملائكة ، وذلك قبل السّحر فهي صادقة لا تخلّف إن شاء الله إلاّ أن يكون جنباً أو ينام على غير طهور ولم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره ، فإنّها تختلف وتبطيء على صاحبها »[٤] .

أقول : روى الشّيخ الطّريحي خبرين للرّؤيا في ثانيهما : « الرّؤيا على رِجْل طائرٍ ما لم تعبّر فإذا عبّرت وقعت » .

ثمّ ذكر كلاماً عن بعض الشّارحين في تحقيق الرّؤيا الصّادقة والكاذبة يجدر النّظر إليه[٥] .

---

(١) روضة الكافي ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٢) الأمثال النّبويّة ١ / ٤٣١ ، الرّقم ٣٧٥ ، حرف الرّاء مع الهمزة .
(٣) المجازات النّبويّة ٢٥٢ .
(٤) روضة الكافي ٩٠ ـ ٩١ .
(٥) مجمع البحرين في « رأى » .

٨٩ ـ ربّما كان السكوت عن الجواب جواباً

في حديث الشّيخ الصّدوق المسند إنشاد المأمون العبّاسيّ من الرّضا عليه السّلام الأبيات في نبذة من الفنون، منها : قال المأمون : « فأنشدني أحسن ما رويته في السّكوت عن الجاهل ، وترك عتاب الصّديق ، فقال عليه السّلام :

إنّي ليهجرني الصّديق تجنّباً   فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته   فأري له ترك العتاب عتابا
وإذا بُليت بجاهلٍ متحكّم   يجد المحال من الأمور صوابا
أوليتُه منّي السّكوتَ وربّما   كان السّكوت عن الجواب جوابا

فقال المأمون: ما أحسن هدا ، هذا من قاله ؟ فقال ـ عليه السّلام ـ :لبعض فتياننا»[1] .

قال الميداني في مجمع الأمثال : (ربّما كان السّكوت جواباً) ، هذا كقولهم : (ترك الجواب جواب) قال أبو عبيد : يقال ذلك للرّجل الّذي يجل خَطَرَهُ عن أن يكلّم بشيءٍ ، فيجاب بترك

(١) عيون الأخبلر ٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣ .

الجواب[1] .

ليس كلّ كلام صواباً وجواباً،بل ربّ سكوتٍ أجمل من كلام ، وأبلغ منه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ربّ سكوت أبلغ من كلام »[2] .

والمهمّ معرفة موضع الإصابة من كلام أو سكوت ربّ مقام لا يصلح فيه إلّا الكلام ، وآخر لا يسوغ فيه إلّا تركه والنّاس أطوار مختلفون في إدراك المقاصد وليسوا فيها سواء ، فمنهم من تكفيه الإشارة .

قال الميداني :

العبد يقرع بالعصا والحرّتكفيه الإشارة[3]

ومنهم مَن لو لم تُعد الكلام مرّتين أو ثلاثاً لا يعي ، فالحكيم أو مَنْ وهب له أدنى شعور لا يعامل النّاس إلّاعلى مقدرتهم؛ومن ثَمَّ جاء الحديث النّبويّ : « إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس على قدر عقولهم »[4] .

والعلويّ : « لسان الحال أصدق من لسان المقال »[5] . وهو السّكوت والكفّ عن التكلّم أحياناً .

ثمّ المثل الرّضويّ قد عرفت أنّه المثل السّائر ، ونظيره

---

(١) ج ١ / ٣٠٢ ، حرف الرّاء .
(٢) غرر الحكم ١٨٤،في (رُبّ) .
(٣) مجمع الأمثال ٢ / ١٩ ، حرف العين .
(٤) إحياء العلوم ١ / ٧٤ .
(٥) غرر الحكم ٢٦٤،حرف اللّام .

العلويّ : « ربّ كلام جوابه السّكوت »[1] .

وحاصل البحث أنّ الكلام والسّكوت لا بدّ من الإتيان بهما بقدر الحاجة وإصابة الموضع اللاّئق .

ويعجبني ذكر حديثين رواهما الشّيخ الصّدوق، قال: حدّثني أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن عليّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن إسحاق بن عمّار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « الرّجل آتيه أكلّمه ببعض كلامي فيعرف كلّه ، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ، ثمّ يردّه عليّ كما كلّمته ، ومنهم من آتيه فأكلّمه فيقول : أعد عليّ .

فقال: يا إسحاق، أوما تدري لم هذا؟ قلت: لا ، قال: الّذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرف كلّه فذاك مَنْ عجنت نطفته بعقله، وأمّا الّذي تكلمه فيستوفي كلامك ثمّ يجيبك على كلامك فذاك الّذي ركّب عقله في بطن أمّه ، وأمّا الّذي تكلّمه بالكلام فيقول : أعد عليّ ، فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول أعد عليّ »[2] .
هذا هو الحديث الأوّل .

وأما الثّاني : فقال الصّدوق : حدّثنا محمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ قال : « دعامة الإنسان العقل ، ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، فإذا كان تأييد عقله من النّور ، كان عالماً حافظاً ذكيّاً فطناً فهماً ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح

(١) غرر الحكم ١٨٣ ، في (رب)
(٢) علل الشّرائع ١ / ١٠٢ ـ ١٠٣

أمره »[1] .

من الحديثين الشّريفين يتجلّى البُعد الشّاسع ربّما بين أخوين أحدهما سريع الفهم والإدراك والآخر بطيئهما فضلاً عن غيرهما من النّاس البعداء المختلفة أقطارهم وقبائلهم؛ فإنّ التّفاوت في أفهامهم من الكثرة الكاثرة بمكان .

ولأمير المؤمنين كلام يشير به فقال -عليه السّلام ـ وقد ذكر عنده اختلاف النّاس :

« إنّما فرّق بينهم مباديء طينهم ، وذلك أنّهم كانوا فلقةً من سَبَخ أرضٍ وعذبها ، وحَزْن تربةٍ وسهلها ، فهُمْ على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون ، فتامّ الرُّواء ناقص العقل ، ومادّ القامة قصير الهمّة ، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السَّبْر ، ومعروف الضّريبة منكر الجليبة ، وتائه القلب متفرّق اللّبّ ، وطليق اللّسان حديد الجنان »[2] .

وابن أبي الحديد أوّل الكلام العلويّ بما يراه ، وليس الأمر على ما أوّله بل له معنى صحيح تعرضنا لبيان بعض ذلك دون الاستيفاء[3] .

ولشرحه موضع خاصّ لا بدّ من النّظر إلى ملابساته وشواهده والجمع بين الأدلّة كما هو شأن كلّ موضوع نظريّ تتطرّق إليه المحتملات من داخل وخارج .

---

(١) علل الشّرائع ١ / ١٠٣ . باب ٩١ ، علّة سرعة الفهم وإبطائه .

(٢) النهج ١٣ / ١٨ ، كلام ٢٢٩ .

(٣) حرف الميم مع الألف من الأمثال العلوية : « مادّ القامة قصير الهمّة » ، مخطوط .

٩٠ ـ رقة العراقي غير غليظة

روى الصّدوق بسند له إلى الحسن بن محمّد النّوفلي ثم الهاشمي يقول : لمّا قدم علي بن موسى الرّضا عليه السّلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصّابئين والهربذ الأكبر وأصحاب زرادشت ونسطاس الرّومي والمتكلّمين ليسمع كلامه وكلامهم ، فجمعهم الفضل بن سهل ، ثم أعلم المأمون بإجتماعهم فقال : أدخلهم عليّ ، ففعل فرحّب بهم المأمون، ثم قال لهم : إنّي إنّما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلّف منكم أحد ، فقالوا: السّمع والطّاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكّرون إن شاء الله .

قال الحسن بن محمد النّوفلي : فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولّى أمر أبي الحسن ـ عليه السلام ـ فقال له : يا سيّدي إنّ أمير المؤمنين يقرئك السّلام ويقول: فداك أخوك إنّه أجمّع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلّمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إن أجبت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم ، وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا .

فقال أبو الحسن: أبلغه السّلام وقل له: قد علمت ما أردت وأنا صائرٌ إليك بكرة إن شاء الله. قال الحسن بن محمد النّوفلي: فلمّا مضى ياسر التفت إلينا، ثم قال لي: «يا نوفلي أنت عراقيّ ورقّة العراقي غير غليظة...»(١).

إنّما ذكرنا الحديث بسنده إلى هنا لأجل ربطه بالكلمة المثليّة: «رقّة العراقي غير غليظة».

قال السّيّد المعلّق:

الرّقّة في كلّ موضع يراد بها معنى، فيقال مثلاً: رقّة القلب ويراد بها الرّحمة، ورقّة الوجه ويراد بها الحياء، ورقّة الكلام ويراد عدم الفدفدة فيه، والظّاهر أنّ مراده عليه السّلام حيث أضاف الرّقة إلى الإنسان هو رقّة الجهة الإنسانيّة، وهي: سرعة الفهم وجودته وإصابة الحدس وصفاء الذّهن وعمق الفكر وحسن التّفكر وكمال العقل. وغير غليظة خبر في اللّفظ، وفي المعنى صفة مفيدة للكمال، أي: للعراقيّ رقّة رقيقة كما يقال: ليل لائل، أي: كامل الإظلام(٢)، ونور نيّر، أي: كامل في النّوريّة، وجمال جميل، أي: كامل في الجماليّة. ولايبعد أن يراد بها الرّوح؛ فإنّ للإنسان لطافة هي روحه وكثافةً هي بدنه، أي: روح العراقيّ غيّر غليظة لا تقف دون ما يرد عليه من المسائل، بل تلج فيه وتخرج منه بسهولة وتكشف حقّ الأمر وحقيقة الحال(٣).

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٧، التّوحيد ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) لعلّ الصّحيح الظّلام

(٣) هامش التّوحيد ٤١٨ ـ ٤١٩.

وقد جاء بمعنى الورق الرّقة محذوفة الواو المبدلة عنها بالتّاء، صرّح بذلك ابن =

أقول :

إن كانت اللّفظة من « رقّ عليه قلبه »أي : لان . فلا يساعدها قوله عليه السّلام : « غير غليظة »وذلك ؛ لأنّ الرّقّة في قبال الغلظة لا يفتقر سلب الغلظة عنها لاستغناء ذكر أحد المتقابلين عن سلب ما يقابله ، وما وجّه به بأنّه من قبيل « ليل لائل ، ونور نيّر ، وجمال جميل » غير جميل ؛ لأنّ اللّفظ المكرّر مذكور في نفس الأمثلة الثّلاثة ففراراً عن التّكرار يوجّه بما ذكر وهو في محلّه من ذكر ذلك للتّأكيد .

وأمّا في المقام فغير مكرّر من لفظ « الرّقّة »بل المذكور في الحديث الرّقّة وما يضادّها أي الغلظة المسلوبة والمناسب تفسيرها بشيء آخر من المعنى التّأسيسيّ الّذي هو خيرٌ من التأكيد .

والّذي أظنّه ـ والظّن لا يغني من الحقّ شيئاً ـ أنّ لفظ الحديث : « وَرَقَةُ العراقي غير غليظة » بتخفيق القاف من الورق : إمّا من ورق الشّجر ، وعليه يكون المراد به سرعة الأثر والانعطاف كما يقال في المثل الفارسي : « مثل برگ گل نازك است » أي : مثل ورق الورد رقيق لطيف . فيكون من المثل السّائر . يقال ذلك لمن كان له قلب رقيق ولطيف

والمعنى أنّ العراقيّين هم كالورد اللّطيف لأنهم من أهل الولاية كما كانوا في جيش عليّ عليه السّلام في صفّين في قبال جيش معاوية حيث كانوا من أهل الشّام ، وكان أهل العراق هو الموالون له

= منظور قال : الورق : الدّراهم المضروبة وكذلك الرّقة ، والهاء عوض من الواو . اللسان ١٠ / ٣٧٥ ، في (ورق) وجمع الرّقة رقوق . إلّا أن يقال: أنّ المحذوفة منه الواو إنّما هو بمعنى الدّراهم لا من ورق الشّجر وغيره فلا يجوزحذفها،بل يقال الورق بإثبات الواو .

ولأهـل البيت عليهم السّلام[1] ؛ لأنّ عليّـاً عليه السّـلام كـان في العـراق ومعاوية المحارب في الشام .

فلعلّ الحدبث الرّضوي نـاظر إلى هـذه النّاحيـة الولائيّـة بضرب المثل للنّوفلي العراقيّ بورق الشّجـر في الانعطاف واللطافة لقبـول ما بثّ له الرّضا عليه السّـلام من الأزمة الّتي كـان يعانيهـا من قبل طـاغية زمـانه المـأمون العباسي من جمع أهـل المقالات وأصحـاب المذاهب وغيـرهم ليكسـر بهم الإمـام عليـه السّـلام ولـو احتمـالاً في المنـاظـرة معهم ، وكـان الأمر على خـلاف ما أضمـره المأمـون كما صـرّح ذلك في نفس الحديث .

وإمّا [illegible] الورق : القرطاس ، ونفي الغلظة [illegible] ايـة عمّا وهب النّوفلي من قابليّة القبول لما يكتب في قلبه وينتقش فيـه من علوم الرّضا عليــه السّـلام ومــا يلقى عليـه من الأخبــار الغيبيّة؛ إذ نـوع من القراطيس ما لا يقبل الكتابة والنقش لفقد البيـاض منه أو لـرداءة جنس القـرطاس وكـدرته ، فضـرب الرّضـا عليه السّـلام المثل بـأنّ النّـوفلي كالورق والقـرطاس الأبيض اللّطيف القـابل للكتـابة والّـذي أملى عليه وليس فيه غلظة وكدورة تمنع من ذلك أو تعوق من قبول الحقّ .

فالكلام مصـوغ مثلاً إمّـا من المثل السّـائر المضـروب من الورد في اللّطافـة ، أو من النّوع الثـاني بمعنى القرطـاس المضـروب للقلب

---

(١) ربّما يقال : إنّ الأمر بالعكس لأنّ أميـر المؤمنين عليه السـلام كان يشكـو إلى الله عزّ وجلّ من تمرّد أصحابه وجلّهم عراقيّون .

والجواب : بأن نقـول ليس الكلام بصـدد إثبات العمـوم بل النّـوفلي كان كـذلك ولكن الـوصف مشعرٌ بـالعلّة وعليه فيحتمـل أن يكـون المـراد بـه بـأنّ الجـديـر بالعراقي أن يكون رقيق القلب غير غليـظه لوجـود أهل البيت عليهم السـلام وفي =

الصّـافي الخالي من المـوانع عن قبـول الحقّ الّذي أمـلاه الرّضـا عليه السّلام على النّوفلي العراقيّ. وفي المثل الفـارسي أيضاً يقـال : « مثل كاغذ سفيد است » أي : كالقرطاس الأبيض الخالي النقوش وهو معنىٰ قوله عليه السّلام : « غير غليظة » ، أي : رقيقة لطيفة ، ولا يقال ذلك إلّا عند قابليّة القلب لقبول الحقّ والحافظ له .

وعلى التفسيـرين يبقى سؤال العطف بـأنّ الـواو إن كـان من واو الـورق سواء أكـان من ورق الشّجر أم القـرطاس فـأين الواو الآخـر واو العـطف ليرتبط بـه الكلام ؟ وليس المقـام من مـواضـع الحـذف حتّى يقال إنّه في التقدير .

وعليـه يشبـه أن يكـون الحقّ مـا ذكـره السّيّـد المعلّق من كــون الكلمـة من رقة القلب الّتي تقـابـل الغلظة، ومنها: النّبـويّ المـروي في مدح قبيلة الأزد : « أتتهم الأزد أرقّها قلوباً ، وأعذبها أفواها »[1] .

= مقدمتهم أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة التي كانت خلافتـه فيها إلى آخـر أيام حياته روحي فداه .

(١) علل الشّرائع ١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥ . وفيه بيان علّة ذلك .

حرف الزّاي

٩١ ـ زفت أربعة أيّام الى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها

قال السّيّد ابن طاووس رحمه الله تعالى :(فصلٌ) فيما نذكره من فضل يوم الغدير من كتاب النّشر والطي رواه عن الرّضا عليه السّلام قال :

« إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيّام إلى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها . قيل: ما هذه الأيام ؟ قال : يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، ويوم الغدير ، وأنّ يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب وهو اليوم الذي نجا فيه ابراهيم الخليل من النار فصامه شكراً لله ، وهو اليوم الّذي أكمل الله به الدّين في إقامة النّبيّ عليه السلام عليّاً أمير المؤمنين علماً، وأبان فضيلته ووصاءته فصام ذلك اليوم ، وأنّه ليوم الكمال ويوم مرغمة الشيطان ، ويوم تقبل أعمال الشيعة . . . »[1] .

(١) إقبال الأعمال ٤٦٤ .

اشتمل الحديث على أربعة تمثيلات : اثنان منها : التّمثيل بزفّ العروس ، والقمر بين الكواكب[1]. واثنان آخران في باقي الحديث الّذي لم نذكره وهما : « مثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم ، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير مثل إبليس . . . »[2]

أمّا التمثيل الأول أي زف الأيام الأربعة : الأضحى والفطر والجمعة والغدير يوم القيامة إلى الله عزّ وجل بزفّ العروس إلى خدرها، فالغرض منه التبجيل والترفيع، أي : فكما أنّ العروس ليلة زفافها عليها أفخر ثيابها وحليّها وهي أجمل ليلة في دنياها الّتي تعيشها كذلك هذه الأعياد الأربعة لا تعرف جلالتها ومرتبتها السامية إلّا في يوم القيامة، إنّ الله تعالى يظهر قدرها لأهل المحشر ومالها عنده عزّ وجلّ من عظيم الجلال والرّفعة ، كلّ ذلك لأجل ما تليها من حقائق مستورة اليوم عن الناس تنكشف لهم يوم القيامة كبقية الحقائق المستورة عن الأبصار وقد جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام بيانها آمن بها المؤمنون كما جاء، وجحدها غيرهم جهلاً وعناداً، منها: يوم الغدير الأغرّ الذي كمل به الدين وتمت النعمة بنصب عليّ امير المؤمنين إماماً للناس وعلماً وهدىً ورحمةً وخليفةً للرسول بعد وفاته يقوم مقامه استمراراً لنبوته وحفظاً للأحكام التي صدع بها في رسالته، لولاه لاندرست آثارها وذهبت أنوارها وأبى الله إلّا أن يتمها به وبأهل بيته الطاهرين عليهم السلام .

---

(١) حرف الكاف مع القاف .

(٢) إقبال الأعمال ٤٦٥ .

٩٢ ـ زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية

روى الصّدوق بسند لـه إلى ابن أبي عبدون عن أبيـه قال : لمّـا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المـأمون وقـد كان خـرج بالبصـرة وأحرق دور ولد العبّاس ، وهب المأمون جرمـه لأخيه علي بن مـوسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ وقال له : يـا أبا الحسن لئن خـرج أخوك وفعـل مـا فعل لقـد خرج قبله زيـد بن علي، فقتل، ولـولا مكـانـك منّي لقتلتُه ، فليس مـا أتاه بصغيـر .

فقـال الـرّضـا عليـه السّـلام : يـا أميـر الـمؤمنيـن لا تقس أخـي زيـداً إلى زيـد بـن علي ؛ فـإنّـه كـان مـن علمـاء آل مـحمد ، غضب لله عـزّ وجـلّ فجـاهـد أعـداءه حتى قتـل في سبيله، ولـقـد حدّثني أبي موسى بن جعفـر عليهما السّـلام أنه سمـع أباه جعفـر بن محمـد بن علي عليهم السّلام يقـول : رحم الله عمّي زيـداً إنّـه دعـا إلى الرّضا من آل محمد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشـارني في خـروجه فقلت لـه : يا عم إن رضيت أن تكـون المقتول المصلوب بـالكناسـة فشأنك، فلمّا ولّى قـال جعفر بن محمـد : ويـل لمن سمـع واعيته فلم يجبه .

فقال المأمون : يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء ؟ فقال الرّضا عليه السّلام : إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أتقى لله من ذلك، إنّه قال : أدعوكم [إلى] الرّضا من آل محمد عليهم السّلام، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله تعالى نصّ عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم ، وكان زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾(١) .

أقول : قد ترجم زيد بن عليّ الكثير من أصحاب الحديث والفقه ، وإليك ما نقله الشّيخ الصّدوق من ستّ روايات فيه تنصّ على ما لزيد من إجلال. قال الصّدوق . لزيد بن علي فضائل كثيرة عن غير الرّضا أحببت إيراد بعضها(٢) . . . وأنا أذكره بدون إسناد .

١ ـ « قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ للحسين عليه السّلام : يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له : زيد يتخطّا هو وأصحابه يوم القيامة رقاب النّاس غُرّاً محجّلين يدخلون الجنّة بلا حساب » (٣) .

٢ ـ « عن عمرو بن خالد قال : حدّثني زيد بن علي بن الحسين عليهم السّلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني الحسين بن عليّ عليهما السّلام وهو آخذ شعره، قال: حدّثني علي بن أبي طالب عليه

---

(١) سورة الحج : الآية / ٧٨ عيون أخبار الرضا ١ / ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) المصدر ص ١٩٥ .

(٣) المصدر ، (غُرّ) جمع أغرّ قال الطّريحي : في وصف علي عليه السلام : « قائد الغُرّ المحجّلين » جمع أغرّ من الغُرة وهي : بياض في الوجه . يريد بياض وجوههم بنور الوضوء . مجمع البحرين في (غرر) .

السّلام وهو آخذ بشعره عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، قال : من آذى شعرةً منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ، ومن آذى الله عزّ وجلّ لعنه الله ملؤ السماء والأرض »[1] .

٣ ـ « عن معمّر قال : كنت جالساً عند الصّادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فجاء زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق جعفر بن محمد : يا عمّ أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة، فقالت أم زيد : والله لا يحملك على هذا القول غير الحسد لابني، فقال عليه السلام : يا ليته حسدا يا ليته حسداً ثلاثاً، حدّثني أبي عن جدي أنّه قال : يخرج من ولده رجل يقال له : زيد يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة يخرج من قبره حين ينشر تفتح لروحه أبواب السماء يبتهج به أهل السّموات والأرض يجعل روحه في حوصلة طير أخضر يسرح في الجنّة حيث يشاء »[2] .

٤ ـ « عن جابر الجعفي قال : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام وعنده زيد أخوه فدخل عليه معروف بن خرّبوذ المكي قال له أبو جعفر عليه السلام : يا معروف أنشدني من طرائف ما عندك فأنشده :

لعمرك ما إن أبو مالك ... بوانٍ ولا بضعيف قواه
ولا بألدّ لدى قوله ... يعادي الحليم إذا ما نهاه
ولكنّه سيّد بارع ... كريم الطّبائع حلوٌ ثناه
إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاه

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٥ ـ ١٩٦ ، الضّمير في « بشعره » يعود إلى الآخذ ، فتدبّر آخر الحديث .
(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٦ .

قـال : فوضـع محمد بن علي يـده على كتفي زيد وقـال : هذه صفتك يا أبا الحسن »[1] .

٥ ـ « عبـد الله بن سيابـة قال : خـرجنا ونحن سبعـة نفـر فـأتينـا المـدينة فـدخلنا على أبي عبـد الله الصادق عليـه السـلام فقـال لنـا : أعندكم خبر عمّي زيـد ؟ فقلنا : قـد خرج أو هـو خارج ، قـال : فإن أتاكم خبر فأخبروني، فمكثنـا أيّامـاً فأتى رسـول بسام الصّيـرفيّ بكتاب فيـه : أمّا بعـد فإنّ زيـد بن علي قد خـرج يوم الأربعـاء غُـرة صفـر ، فمكث الأربعـاء والخميس ، وقتل يـوم الجمعـة ، ومعـه فـلان وفـلان فدخلنا على الصّـادق عليه السّـلام فدفعنـا إليه الكتـاب[2] فقرأه وبكى ثم قـال : إنّا لله وإنّـا إليه راجعون، عنـد الله تعـالى أحتسب عمّي ،إنّه كان رجلاً لـدنيانـا وآخرتنـا مضى والله عمي شهيداً كشهـداء استشهدوا مـع رسـول الله صلى الله عليــه وآلـه وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم »[3] .

٦ ـ « عن الفضيل بن يسار قـال : انتهيت الى زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة، فسمعته يقـول : من يعينني منكم على قتـال أنباط[4] أهـل الشـام ؟ فـوالّـذي بعث محمّـداً بـالحقّ بشيراً ونـذيراً لا يعينني منكم على قتـالهم أحد إلاّ أخـذت بيده يوم القيامة فأدخلتُه الجنّة بإذن الله عزّ وجـلّ ، فلما قتـل اكتريت راحلة

(١) المصدر ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) في نسختي « الكتابة » فصحّحت .
(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٧ .
(٤) جمع نبط كسبب وأسباب: قوم ينزلون البطائـح بين العراقين ،والنّبطية منسـوبة إليهم ، قيـل إنّهم عـرب استعجمـوا أو عجم استعـربوا، و في المصبـاح : (النبط): جيـل من النّـاس كـانـوا ينـزلـون سـواد العـراق ، ثم استعمـل في أخلاط الناس وعوامهم . قاله الطريحي في مجمع البحرين في (نبط) .

وتـوجّهت نحو المدينة، فـدخلت على أبي عبد الله عليـه السّلام، فقلت في نفسي : والله لأخبرنّه بقتل زيد بن علي فليجـزع عليه ،فلمّا دخلت عليـه قال لي : مـا فعـل عمّي زيـد ؟ فخنقتني العبـرة فقـال : قتلوه ؟ قلت : أي والله قتلوه قـال : فصـلبـوه ؟ قلت : أي والله فـصلبـوه ، قال :فأقبل يبكي[و]دموعه تنحدر عن جـانبي خدّه كـأنّها الجمـان ، ثم قال : يا فضيل شهدتَ مع عمّي زيد قتال أهل الشـام ؟ قلت : نعم ، فقـال فكم قتلتَ منهم ؟قلتُ: ستّـةً قـال : فلعلّك شـاكّ في دمـائهم ؟ قلت : لـو كنت شـاكـاً في دمـائهم مـا قُتلتهم فسمعتـه وهـو يقـول : أشركني الله في تلك الدماء ، مضى والله زيد عمي وأصحـابه الشهـداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب عليه السّلام وأصحابه »[1] .

والأحـاديث السّتّـة مـع الحـديث الأوّل المبحـوث تنص على فضائل زيد بن علي، فلا يقاس بـه زيـد بن موسى أخو الرّضـا وزيـد هذا يعـرف بزيـد النار وقـد قال فيـه الإمام الـرّضا عليـه السّـلام عندما قال له زيد: أنا أخـوك وابن أبيك : « أنت أخي مـا أطعت اللـه عزّ وجلّ ، إنّ نـوحاً عليـه السّلام قـال : ﴿ رب إنّ ابنى من أهلي وإنّ وعـدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾ فقـال الله عـزّ وجـل : ﴿ يـا نوح إنّه ليس من أهلك إنّـه عمل غيـر صالـح ﴾[2] . فأخـرجه الله عـزّ وجلّ من أن يكون من أهله ، بمعصيته »[3] .

قال السّيّد الأستاذ بعد كلام له في زيـد بن موسى : إنّـه لم يرد في هـذا تـوثيق ولا مـدح ، وكـلام الشّيـخ المفيـد لا دلالـة فيـه على المدح من جهة الدّين كما هو ظاهر[4] .

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(٢) سورة هود : الآية / ٤٥ ـ ٤٦ .
(٣) معجم رجال الحديث ٧ / ٣٦٠ .
(٤) المصدر .

وقد نقل السيد الأستاذ كلام الشيخ المفيد عند ترجمة إبراهيم ابن موسى : من أنّ لكل واحد من ولد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً ومنقبة مشهورة(١) .

وعدم الدلالة لاحتمال الفضل عند النّاس أو غير ذلك . وأين هذا من زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وقد نصّت الأحاديث السّبعة الآنفة الذّكر على فضائله، وعن الشيخ المفيد : وكان زيد . . . عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسّيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السّلام واعتقد كثير من الشّيعة فيه الإمامة . . .(٢)

وقد جاءت روايات تذمّ زيداً ذكرها السّيّد الأستاذ وعلّق عليها بما يخرجها عن الذّمّ فراجع(٣) .

وقيل إنّ علي بن الحسين عليهما السلام لمّا أراد أن يسمّى زيداً فتح المصحف فنظر فإذا في أوّل حرف من الورقة: ﴿ **وفضّل الله المجاهدين** ﴾(٤) ثم طبقه وفتحه فإذا هو : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم** ﴾(٥) فقال : هو والله زيد هو والله زيد فسمّى زيداً(٦) .

---

(١) المصدر ١ / ٣٠٠ ، و ٧ / ٣٦٠ .

(٢) المصدر ٧ / ٣٤٥ .

(٣) المصدر ٧ / ٣٤٨ ـ ٣٥٦ .

(٤) سورة النساء : الآية / ٩٥ .

(٥) سورة التوبة : الآية / ١١١ .

(٦) السفينة ١ / ٥٧٧ ، في (زيد) . وفيه كان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٠ ، وكان سنّه اثنين وأربعين . قاله الشيخ المفيد كما في معجم رجال الحديث ٧ / ٣٤٦ ، أو إحدى وعشرين ومائة حكاه السّيّد الأستاذ عن رجال الشيخ . معجم رجال الحديث ٧ / ٣٤٥ .

حرف السّين

٩٣ ـ سبحان الله مات رسول الله
ولم يمت موسى بن جعفر ؟!

قال الصّدوق: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر عن المعلى بن محمد البصري ،قال: حدّثنا علي بن رباط، قال: قلت: لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام : إنّ عندنا رجلاً يذكر أنّ أباك عليه السلام حيّ وإنّك تعلم من ذلك ما تعلم ، فقال عليه السّلام :

سبحان الله مات رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ولم يمت موسى بن جعفر عليه السّلام؟! بلى والله لقد مات وقسمت أمواله ونكحت جواريه[1]

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٨٦ .

لا ريب أنّ رسول الله أعظم من موسى بن جعفر ومن سائر الائمّة والأنبياء والنّاس أجمعين ، فإذا حكم على الأعظم بالموت حكم على غير الأعظم بالطريق الأولى عقلاً، ولعل إلى هذه الأولوية العقلية تشير آية ﴿ **إنك ميّت وإنّهم ميتون** ﴾[1] بتقديم الحكم بالموت عليه صلّى الله عليه وآله المشعر بذلك[2] ، فالكلمة الرّضوية تشير إلى الحكم العقلي الذي لا ريب فيه

الواقفية :

قوم قالوا بالوقف على إمامة موسى بن جعفر عليهما السلام، وأنّه حيّ وهو الإمام الموعود، وأنّه لا إمام بعده: وهم المسمّون بالممطورة. قال سعد بن عبد الله الأشعري: وهذه الفرقة من الرّافضة تلقّب بالممطورة وقد غلب عليها هذا اللقب وشاع في النّاس؛ وكان سبب ذلك أنّ علي بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم فقال له علي بن إسماعيل وقد وقع بينهم : ما أنتم من الشيعة وإنّما أنتم كلاب ممطورة ؛ أراد أنّكم جيف أنتان[3] ؛ لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف ، فلزمهم هذا اللّقب وفيه يعرفوناليوم ؛ لأنّه إذا قيل لرجل إنّه ممطور عرف أنّه من الواقفة على موسى بن جعفر خاصّة ؛ لأنّ كلّ من مضى منهم إلاّ القليل فإنّه [من الـ] واقفة قد وقفت عليه فهذا اللقب لقب الواقفة على موسى بن جعفر ـ عليه السّلام ـ خاصّة[4] .

---

(١) سورة الزمر : الآية / ٣٠

(٢) لا تدل واو العطف إلاّ على الجمع في الحكم فنّاً، نعم تدل على التقديم عرفاً فتدبر .

(٣) المقالات والفرق ٩٢ ، في هامشه: أراد أنّكم أنتن من جيف .

(٤) المقالات والفرق ٩٢ .

أقول اسم الواقفة يطلق على طوائف: منهم من وقف على الباقر عليه السّلام، ومن الواقفة مَنْ وقف على الصّادق عليه السّلام، والثالثة على الكاظم عليه السّلام وقد انقرضوا واهتمّت أحاديث أهل البيت عليهم السّلام بإبطال مذهبهم، وقد ذكر أكثرها الصّدوق[1].

والمجلسي[2] قال: قد ثبت بطلان مذهبهم زائداً على ما مرّ في سائر مجلّدات الحجّة وما سنثبت فيما سيأتي منها بإنقراض أهل هذا المذهب ولو كان ذلك حقّاً لما جاز انقراضهم بالبراهين المحققة في مظانها، وإنّما أوردنا هذا الباب متصلاً بباب شهادته عليه لشدّة ارتباطهما، واحتياج كلّ منهما إلى الآخر[3]. ومن عمد هذه الفرقة البطائني وهو علي بن أبي حمزة بل هو أوّل من أظهر الواقف.

قال الأستاذ الخوئي قال الشّيخ في الكلام على الواقفة، فروى الثّقات أنّ أوّلِ مَنْ أَظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القنديّ، وعثمان بن عيسى الرّؤاسي. طمعوا في الدّنيا ومالوا إلى حطامها، واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً ممّا اختانوه من الأموال.

ثم ذكر رواية محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى العطّار عن محمد بن أحمد عن محمد بن جمهور عن أحمد بن الفضل (المفضّل) عن يونس بن عبد الرّحمن قال: مات أبو ابراهيم عليه السّلام وليس من قوّامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٧٨ ـ ٨٦ وفيه قال: إنما أوردت هذه الأخبار في هذا الركاب رداً على الواقفة . . .
(٢) البحار ٤٨ / ٢٥٠ ـ ٢٧٠.
(٣) البحار ٤٨ / ٢٧٥

وقفهم وجحدهم موته ؛ طمعاً في الأموال ! كان عند زياد بن مروان القنديّ سبعون ألف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار[1] .

محمد بن الحسين قال : حدّثني أبو علي الفارسي عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن، قال : دخلت على الرّضا عليه السّلام فقال لي : مات علي بن أبي حمزة ؟ قلت نعم قال: قد دخل النّار، قال: ففزعت من ذلك قال: أما أنّه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال : لا أعرف إماماً بعده !! فقيل: لا ؟! فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً[2] .

ومنهم محمد بن بشير :

قال الأستاذ الخوئي : محمد بن بشير غالٍ ملعون من أصحاب الكاظم عليه السلام[3] قال: قال أبو عمرو: قالوا: إنّ محمد بن بشير لمّا مضى أبو الحسن عليه السّلام و وقف عليه الواقفة، جاء محمد بن بشير ـ وكان صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك ـ فادّعى أنّه يقول بالوقف على موسى بن جعفر عليه السلام ، وأنّ موسى عليه السّلام هو كان ظاهراً بين الخلق يرونه جميعاً يتراءى لأهل النّور بالنّور ولأهل الكدورة بالكدورة في مثل خلقهم بالإنسانيّة والبشريّة اللّحمانيّة[4] ، ثم حجب الخلق جميعاً عن إدراكه وهو قائم بينهم موجود كما كان غير أنّهم محجوبون عنه، وعن إدراكه كالّذي كانوا يدركونه، وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة من موالي بني

(١) معجم رجال الحديث ١١ / ٢١٥ ـ ٢١٦ وعيون أخبار الرّضا ١ / ٩١ .
(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٣) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٢٧ .
(٤) هكذا .

أسـد وله أصحـاب قالـوا : إنّ موسى بن جعفـر لم يمت، ولـم يحبس وأنّـه غاب واستتـر وهو القـائم المهدي، وأنّـه في وقت غيبتـه استخلف على الأمّة محمد بن بشيـر وجعله وصيّه،وأعـطاه خاتمـه وعلّمه جميـع مـا يحتاج إليـه رعيّته من أمـر دينهم ودنياهم ،وفوّض إليـه جميـع أمـره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الإمام بعده[1] .

وقـال بربـوبيّة الإمـام الكاظم عليـه السّلام ونبـوّة نفسه ، وحكم عليه بالزّندقة عند الخليفـة العبّاسي ، فقتـل وقد انقـرضوا عن آخـرهم والحمـد لله ، ولكن في كـلّ دور دجّـالـون ضـالّـون مضلّون وقى الله المسلمين شرورهم .

(١) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٢٨ .

٩٤ ـ السَّخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا

روى الصّدوق بإسناده عن الحسن بن علي الوشّا قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: « السّخيّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنة، قريب من النّاس، بعيد من النّار. والبخيل بعيد من الجنّة بعيد من النّاس، قريب من النّار! وسمعته يقول: السّخاء شجرة في الجنّة أغصانها في الدّنيا مَنْ تعلّق بغصنٍ من أغصانها دخل الجنّة »[1].

هل الكلام الرّضوي كناية وتمثيل لملكة السّخاء بشجرة ذات أغصان أصلها ثابت في مكان، وفروعها في مكان آخر، وأنّ المتعلّق بفرع منها موصول بأصلها، متنعّم بخيراتها وأثمارها. فكذلك الإنسان السّخيّ، المأمول فضله، المبذول نواله في هذه الدّنيا يجد جزاءه في الآخرة، وليس ذلك إلاّ الجنّة؟

أو أن السّخاء هي الخصلة الحميدة المسمّاة بها؟ كبقيّة الخصال المرضيّة: من العفّة والشّجاعة والحلم وما ضاهاها، متجسّدة بصورة شجر ذات أغصان، أصلها في اجنّة، وفروعها في الدّنيا لا يراها أهلها

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١١ .

بـأعينهم الظّاهـرية المغـطاة عليهـا عن الحقائق، كمـا لا يـرون سـائـر الصفات بصورها الملكوتية الواقعيّة ،وعوالمها المثاليّـة البرزخيّـة وإنّما يرونها إذا ماتوا وخرجوا عن الدّنيا والطّبيعة قهراً أو اختياراً بـالمجاهـدة والرّياضات الشّرعية: وهي الموت الأختياريّ، وقد نـطق القرآن الكـريم وأحـاديث أهل البيت عليهم السّـلام بـذلـك قـال تعـالى : ﴿ **فكشفنـا عنك غطاءك فبصرك اليوم حـديد** ﴾ [1] ولا غطاء سـوى الانهماك في المحسوسات والغفلة عن الحقائق، وحدّ البصر نفوذه فيها الزوال الحجب والأغـطية إذا خلص العبـد من النّفس الأمارة ،والنفس الفاجرة، والنفس اللوامة بعد ركوب موجبها، وتحلّى بالنفس المـطمئنّة كُشِفَ الغـطاء عن بصـره وفي قولـه تعالى: ﴿**يـا أيتهـا النّفس المـطمئنـة*ارجعي إلى ربـك راضيـةً مرضيّـةً * فـادخلى فى عبـادى * وادخلي جنّتي** ﴾[2] . ومـن أظهـر مظاهـره الحسين عليه السّـلام ومن ثَمَّ أوّل بـه[3]. إشـارة إليـه إذ الإذن بالرّجوع إلى الله ليس للأعمى : الوجهان محتملان .

وإنّمـا تعرّضنـا لهذا البحث لمنـاسبة السّخـاء الحقيقي، المتحقّق في العبد المجاهد للنّفس ، الفائز بموهبـه اليقين والراجع إلى ربّـه راضياً مرضياً فدخل في عباده وجنّته ،وهل للسّخاء حقيقـة إلاّ هذه ؟ إذ الجـود بالنفس والنفيس في سبيـل الله هو غـاية الجـود والسخاء؛ ومن هنـا كـان الأئمة عليهم السّلام هم أهل الجود والسّخاء حقّاً وصدقاً؛ لأنهم جـادوا بأنفسهـم في الله عزّ وجلّ ،وعنهم يؤخذ السّخـاء وبذل العـطاء ، عادتهم الإحسان ،وسجيتهم الكرم .

فلئن كان الرّضـا عليه السّـلام يحثّ على السّخاء فـإنّه القـدوة

---

(١) سورة قۤ : الآية / ٢٢ .
(٢) سورة الفجر : الآية / ٢٧ ـ ٣٠ .
(٣) تفسير الصّافي ٢ / ٨١٨ .

في ذلك كيف وهو الإمام الرّؤوف العـطوف ، يعطف على الرّعيّة، ومن نظر إلى ما روي عنه عليه السّـلام أيقن بذلك، وتمنّى لقاءه وأحبّـه حبّاً يحدّث عنه القلب فيقول :

فــرضي ونفلي وحـديثي أنتم   وكــلّ كُـلّي مِنْكُـمْ وعـنـكَـمُ
خيــالكمُ نصبٌ لعينـي أبــداً   وحبّكمُ في خــاطــري مخيّـمُ[1]

---

(١) لـرجب البرسي المتـوفي ٨١٣ ، في أواخـر كتـابـه مشـارق أنـوار اليقين في أسـرار أمير المؤمنين عليـه السّلام ، من منشـورات الأعلمي للمـطبـوعـات ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة العاشرة ص ٢٤١ . وفيهـا مجمرعـة من أشعاره الّتي منها ما اقتطفناه .

٩٥ ـ ﴿ سلام على آل ياسين ﴾ ولم يقل سلام على آل موسى

روى الشّيخ الصّدوق حديث استدلال الرّضا عليه السّلام بالآيات على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس جواباً لسؤال علماء أهل العراق وخراسان الّذين جمعهم المأمون : وهي اثنتا عشر آية ، ذكرنا نبذة منها عند الكلمات المستخرجة : « فضل بعد طهارة تنتظر »[١] . و « إنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل »[٢] . و « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[٣] . وغير ذلك قال عليه السّلام :

« وأمّا الآية السّابعة فقول الله عزّ وجلّ : **﴿ إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ﴾**[٤] .

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف الهمزة مع النّون .

(٣) حرف الكاف مع اللام .

(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٥٦ .

قالوا : يا رسول الله قد عرفنا التّسليم عليك، فكيف الصّلاة عليك؟فقال: تقولون: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر النّاس في هذا خلاف ؟ فقالوا : لا فقال المأمون : هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً، وعليه إجماع الأمّة فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن ؟ فقال أبو الحسن : نعم أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿يسّ * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم ﴾[1] ، فمن عنى بقوله : يسّ ؟

قالت العلماء : يسّ محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لم يشكّ فيه أحد ، قال أبو الحسن : فإنّ الله عزّ وجلّ أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحدٌ كنه وصفه إلاّ مَنْ عقله ؛ وذلك إنّ الله عزّ وجلّ لم يسلّم على أحد إلاّ على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى: ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾[2] . وقال : ﴿ سلام على إبراهيم ﴾[3] . وقال : ﴿ سلام على موسى وهارون ﴾[4] ، ولم يقل : سلام على آل نوح ، ولم يقل : سلام على آل إبراهيم ولا قال : سلام على آل موسى وهارون ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ سلام على إل ياسين ﴾[5] .

يعني آل محمّد صلوات الله عليهم . فقال المأمون : لقد علمت

---

(١) سورة يٓس : الآية / ١ ـ ٤ .
(٢) سورة الصافات : الآية / ٧٩ .
(٣) سورة الصافات : الآية / ١٠٩ .
(٤) سورة الصافات : الآية / ١٢٠ .
(٥) سورة الصافات : الآية / ١٣٠ .

أنّ في معدنِ النّبوّة شرح هذا وبيانه . فهذه السابعة »[1] .

ربّما يتوهّم: أنّ قوله تعالى : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلا منّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك** ﴾[2] . مناف لقوله عليه السلام : « فإنّ الله عزّوجلّ لم يسلّم على أحد إلا على الأنبياء » .

والجواب عنه : أنّ الأمم ممّن مع نوح لعلّ المعنيّ بهم الأئمة الذين جاءوا من بعد نوح[3] أو يراد من نفي أحد من كلام الرّضا عليه السّلام آل الأنبياء، بقرينة شرحه بعد ذلك كما اعترف به المأمون في آخره فلا منافاة فيه .

ولعمري إنّها لنكتة هامَّة ،أظهرها الإمام عليه السلام للنّاس .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٥ .

(٢) سورة هود : الآية/ ٤٨ .

(٣) وكلمة ﴿من﴾ في ﴿ممن معك﴾ نشويّة دالة على أن جماعات تأتي بعد نوح ولعلّهم الأئمة المعصومون الآل عليهم السلام ، فإنّ نوحاً هو آدم الثاني بعد الغرق العالمي ، والأنبياء من بعده كلهم منه . وللبحث بيان مبسط مرهون .

٩٦ ـ السّماء الظليلة والأرض البسيطة

روى الشّيخ الكليني بسنده حديث الإمام الرّضا عليه السّلام المشتمل على خصائص الإمامة وفيه :

« الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة ،والسّماء الظّليلة ، والأرض البسيطة . . . »[١] .

تكلّمنا عن التّمثيل بالسّحاب الماطر والغيث الهاطل[٢] والشّمس المضيئة[٣] .

قوله عليه السلام : و« السّماء الظّليلة ، والأرض البسيطة » قد جاء الإظلال نعتاً للسّماء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا وإن الأرض التي تحملكم ، والسماء التي تُظلّكم ، مطيعتان لربّكم . . . »[٤] .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .
(٣) حرف الهمزة مع الميم .
(٤) النّهج ٩ / ٧٦ ، الخطبة ١٤٣ .

قال ابن أبي الحديد : تُظلّكم : تعلو عليكم ، وقد أظلّتني الشّجرة واستظللت بها[1] أي : السّماء عالية عليكم . وعليه المراد أنّ الإمام كالسماء العالية لا تصلها الأيدي : وهي كناية عن علوّ رتبته الّتي لا مطمع لأحدٍ من الخلق ، ونظيره التّمثيل العلوي : « ينحدر عنّي السّيل ، ولا يرقى إليّ الطّير »[2] : من العلوّ بحيث لا يصل إليه الطّير بطيرانه والمقصود به العلوالمعنويّ الّذاتي من الرّتبة المختصّة بالمعصوم عليه السّلام ، للخصال الّتي تجمّعت فيه دون غيره ؛ ومن ثمّ اشتقّ له اسم من العليّ الأعلى جل جلاله فسمّي بـ (عليّ) ومن الأربعة الحُرُم المعنيّة بها الآية : ﴿ **إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الّدين القيّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم . . .** ﴾[3] عن المسمّين به أوّلهم عليّ بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين ، وعلي بن موسى الرّضا ، وعلي بن محمّد الهادي[4] أو المحمّدين الأربعة محمد بن عبد الله ، ومحمد بن علي الباقر ، ومحمد بن علي الجواد ، ومحمّد بن الحسن العسكري صلّىٰ الله عليهم وسلم .

والمحمدون مقصدون من الأربعة الحُرُم احتمالاً ، وأمّا المسّمون بعلي فمنصوص عليهم . هذا هو التّأويل ، وأمّا التنّزيل فشوّال ، وذو القعدة ، وذو الحجّة ، ورجب[5] . والاثنا عشر شهراً : هم الأئمة الأثنا عشر عليهم السّلام تأويلاً[6] والشهور : المحرّم ، وصفر ، وربيع

(١) شرح النّهج ٩ / ٧٧ .
(٢) النهج ١ / ١٥١ ، الخطبة ٣ .
(٣) سورة التوبة : الآية / ٣٦ .
(٤) تفسير البرهان ٢ / ١٢٢ . عند تفسير الآية .
(٥) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .
(٦) تفسير البرهان ٢ / ١٢٢ ـ ١٢٤ .

الأول ، والثاني ، وجمادى الأولى ، والثانية ، وشعبان ، ورمضان ، والأربعة الآنفة الذكر تنزيلاً[1] .

ومما يؤكّد أنّ السماء ظليلة الحديث النّبويّ المرويّ في أبي ذرّ رواه الكشّي بسنده المرفوع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « ما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنّة وحده »[2] .

وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « بلى كانت في أيدينا فَدَكُ من كلّ ما أظلته السماء »[3] . والمراد من كل ذلك التفيوء علاوة على جهة العلوّ السّماوي السّابقة الذكّر

ومعنى أن الإمام السماء الظّليلة : المفيّئة ؛ والدّليل على أنّ الظّلال مفيّىء قوله عزّ وجلّ : ﴿ **يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشّمائل سّجداً لله** ﴾[4] ويطلق أحدهما على الآخر وإن كان بينهما فرق لا يضرّ بالإطلاق .

والإمام كذلك أنّه الظّل على الأمّة كالنّبيّ وأنّهم يعيشون تحت ظلّه وفيئه آمنين وادعين ، هم في أمان من الضّلال إذا نهجوا منهجه الوضّاء ، ولأنّ الإمام وجوده أمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء كما جاء في المثل المهدويّ : « وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السماء »[5]

---

(١) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .
(٢) اختيار معرفة الرّجال ٢٤ ، ومعجم رجال الحديث ٤ / ١٦٥ .
(٣) النهج ١٦ / ٢٠٨ ، كتاب ٤٥ .
(٤) سورة النحل : الآية / ٤٨ .
(٥) غيبة الشيخ الطوسي ١٧٧ ، والبحار ٥٣ / ١٨١ .

وإذا ثبتت فضيلة من الفضائل لأحدهم عليهم السلام ثبتت لسائرهم إلّا الخصائص .

وأمّا الإمام هو الأرض البّسيطة والتّمثيل بذلك فوجهه سعتها الصّالحة للهجرة فيها ،والسّير في ديارها وبلدانها وقراها، ويشهد للسّعة والسّير قوله تعالى : ﴿ **يا عبادى الّذين آمنوا إنّ أرضى واسعة فإياى فاعبدون** ﴾[1] . و﴿ **أرض الله واسعة** ﴾[2] ، ﴿ **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة** ﴾[3] .

هذه السعة وأمّا السّير فقد قال تعالى : ﴿ **وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأيّاماً آمنين** ﴾[4] .

ففي الحديث الباقريّ : « فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى الّتي بارك الله فيها، فمن أقرّ بفضلنا ؟ حيث أمرهم الله أن يأتونا فقال: ﴿ **وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها** ﴾ أي : جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة والقرى الظاهرة : الرّسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا وقوله : ﴿ **وقدّرنا فيها السّير** ﴾ فالسير مثل العلم سير به ليالي وأيّاماً آمنين لما يسير من العلم في اللّيالي والأيّام عنّا إليهم . . . »[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية / ٥٦ .
(٢) سورة الزّمر : الآية / ١٠ .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٠٠ ، والمراغم من الرّغام : وهو التراب ومخلصاً من الضّلال. قاله الكاشاني في تفسير الصافي ١ / ٣٨٨ .
(٤) سورة سبأ : الآية / ١٨ .
(٥) تفسير البرهان ٣ / ٣٤٩ .

حرف الشين

٩٧ ـ شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها

روى الصّدوق خطبة الرّضا عليه السّلام في التّوحيد: منها كلمة: « بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[١] . وإليك المتصل بالكلمة مباشرة :

« وبمضادّاته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له ، ضادّ النّور بالظّلمة ، والجلاية بالبهم ، والجفّ بالبلل ، والصّرد بالحرور ، مؤلّفٌ بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، دالّة ، بتفريقها على مفرّقها ، وبتأليفها على مؤلّفها ؛ ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن كلّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون ﴾[٢] . ففرّق بينها قبلٌ وبعدٌ ؛ ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ،

(١) حرف الباء مع التاء .

(٢) سورة الذاريات : الآية / ٤٩ .

شاهدة بغرائزها[1] أن لا غريزة لمغرزها . . . . »[2] .

للخطبة شرح مرهون بوقته، والبحث هنا حول قوله عليه السّلام : « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها » قال : ثم قال : «ومضادته . . . »؛ وذلك لأنه تعالى لما دلّنا بالعقل على أنّ الأمور المتضادّة إنّما تتضادّ على موضع تقوم به وتحلّه كان قد دلّنا على أنّه تعالى لا ضدّ له ؛لأنّه يستحيل أن يكون قائماً بموضوع يحلّه كما تقوم المتضادّات بموضوعها[3] . قال الشارح : وذلك ؛لأنّه تعالى قرن بين العرض والجوهر ، بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر، وقرن بين كثير من الأعراض نحو ما يقوله أصحابنا في حياتي القلب والكبد[4] .

الغرائز واحدها الغريزة :

وهي الطّبيعة والقريحة[5] يستحيل وجودها فيه تعالى؛ للزوم الإضمار بدليل قول أمير المؤمنين عليه السّلام : « المُنشئ أصناف الأشياء بلا رويّة فكرٍ آل إليها ، ولا قريحة غريزة أضمر عليها ، ولا تجربة أفادها من حوادث الأمور . . . »[6] . كما يضمر أحدنا إذا

---

(١) هكذا في النسخة بدون « على » .

(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٥ .

(٣) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ ، الخطبة ٢٣٢ .

(٤) المصدر .

(٥) مجمع البحرين في (غرز)، وكما قال المعتزلي: في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام : « وغرّز غرائزها». النهج ١ / ٧٨ ، الخطبة ١ : وقوله : « وغرّز غرائزها » المرويّ بالتشديد ، والغريزة الطبيعة . شرح النهج ١ / ٨١ .

(٦) النهج ٦ / ٤١٦ ، الخطبة ٩٠ .

أراد شيئاً وذلك نقص بيّن ؛ لأنّه افتقار ظاهر منفيّ عن الله جلّ جلاله ، بل خلقه إبداع بلا سبق إداةً على الإطلاق، وإنّما يخلق الشّيء لا من شيءٍ ، لا من لا شيء ، ولا من شيء جاء التّصريح بذلك في حديث باقريّ رواه الصّدوق : « فقال السّائل : فالشّيء خلقه من شيء أو من لا شيءٍ ؟ فقال : خلق الشّيء لا من شيءٍ كان قبله ولو خلق الشيء من شيءٍ ، إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيءٌ ، ولكن كان الله ولا شيء معه . . . »[1] .

---

(١) التوحيد ٦٧ .

٩٨ ـ شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه

روى الصّدوق في الصّحيح بإسناده إلى إبراهيم بن هاشم قال : « رفع إلى المأمون أنّ أبا الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السّلام يعقد مجالس الكلام والنّاس يفتتنون بعلمه ، فأمر محمّد بن عمرو الطّوسي حاجب المأمون فطرد النّاس عن مجلسه ، وأحضره ، فلمّا نظر إليه زبره واستخفّ به فخرج أبو الحسن الرّضا عليه السّلام من عنده مغضباً وهو يدمدم بشفتيه ويقول : وحقّ المصطفى والمرتضى وسيّدة النّساء لأستنزلنّ من حول الله عزّ وجلّ بدعائي عليه ما يكون سبباً لطرد كلاب أهل هذه الكورة إيّاه، واستخفافهم به، وبخاصّته، وعامّته » .

ثمّ إنّه عليه السّلام انصرف إلى مركزه ، واستحضر الميضأة وتوضّأ وصلّى ركعتين وقنت في الثّانية .

فقال :

« اللّهمّ يا ذا القدرة الجامعة ، والرّحمة الواسعة والمنن المتتابعة ـ إلى أن قال عليه السّلام : ـ صلّ على من شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه ، وانتقم لي ممّن ظلمني واستخفّ بي وطرد الشّيعة عن بابي وأذقه مرارة الذّلّ والهوان كما أذاقنيها ، واجعله طريد

الأرجاس وشريد الأنجاس » .

قال أبو الصّلت عبد السّلام بن صالح الهروي : فما استتمّ مولاي عليه السّلام دعاءه حتى وقعت الرّجفة في المدينة ، وارتجّ البلد ، وارتفعت الزّعقة والصّيحة ، واستفحلت النّعرة ، وثارت الغبرة . . . »[1] .

« صلّ على من شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه » يراد بالصّلاة الأولى الصّلوات الخمس بل مطلق الصّلاة فرضاً ونفلاً لا بدّ من الصّلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله في تشهّدها الأوّل والثّاني في الثنائية والثّلاثيّة والرّباعيّة، وضمّ الآل إليه وجوباً بأن يقول المصلّي : « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد » ويراد بالصّلاة الثّانية نفس الصّيغة المأثورة والدّعاء لهم عليهم السّلام بهذا اللّفظ، إذ الصّلاة : الدّعاء بالخير من الدّاعي للمدعوّ[2]، ووجوب الصّلاة على محمّد وآل محمّد في كلّ صلاة عند الشّيعة ثابت بأدلّتها منها :

الصّحيح الصّادقي : « إنّ الصّلاة على النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من تمام الصّلاة إذا تركها متعمّداً فلا صلاة له . . . »[3] .

والآخر : « إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنّة . . . »[4] والصّلاة

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١ ، البحار ٤٩ / ٨٢ ـ ٨٣ .
(٢) قال ابن فارس : فالصلاة : الدعاء ، ونقل النّبويّ : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصل أي : فليدع لهم بالخير والبركة بهم. مقاييس اللغة ٣ / ٣٠٠ في (صلى) .
(٣) الوسائل ٤ / ٩٩٩ باب ١٠ من أبواب التشهد .
(٤) المصدر .

ـ صلّى الله عليه وآله ـ ق.. جاء تفسيرها عند قوله تعالى : **﴿ إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ﴾**[١] .

وفي صادقيّ : « . . . الصّلاة من الله عزّ وجلّ رحمته ومن الملائكة تزكيته ، ومن النّاس دعاء . . . قال: فقلت: كيف نصلى على محمد وآل محمد ؟ قال : تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسّلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته »[٢] وعن كعب بن عجرة: «قيل: يا رسول الله أمّا السّلام فقد عرفناه فكيف الصّلاة ؟ قال: قولوا : اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد . . . »[٣] .

وأمّا عند السّنّة فكذلك وقد تصدّى جمع منّا لجمع أقوالهم ورواياتهم المأثورة الصّحيحة عندهم: منهم القاضي التّستري فقد روى ابن حجر عن الإمام الشافعي قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[٤]

وقد روى البيتين عنه جماعة منهم العلاّمة السيّد أبو بكر الحضرميّ الشّافعيّ، قال السّيّد المرعشي : شيخ شيخنا في الرّواية في « رشفة الصّادي » (ص ٣١ ط القاهرة بمصر)[٥] . . . وقد نقل عن

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٥٦
(٢) تفسير البرهان ٣ / ٣٣٥ ، تفسير نور الثقلين ٤ / ٣٠٠ ، عيون الأخبار ١ / ١٨٥ .
(٣) تفسير البرهان ٣ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
(٤) إحقاق الحق ٣ / ٢٧٣ ، تعليق السّيّد المرعشي .
(٥) إحقاق الحق ٩ / ٦١٦ .

الجمهور الأحاديث المرويّة في كيفيّة الصّلوات بطرق كثيرة فراجع[1] كما نقل وجوب الصّلاة على آل النّبيّ وبطلان الصّلاة بتركه فيها[2] وبعض القصائد: منها ما تقدّم ، ومنها ما يلي للشّافعي :

أولئك قومٌ أذهب الله رجسهم وخُصّوا بفضل لا سبيل بجحدِهِ
فكيف وجبريل جاء بمدحهم وأنزل قرآناً نُثابُ بسَرْدِهِ
وكلّ مصلٍّ لم يصلّ عليهِمُ فليس لهُ قيراط أجرٍ لطردِهِ[3]

ثمّ كلمة الرّضا عليه السّلام « شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه » لها تفسيرٌ أشمل من الأوّل: بأن يراد من الصّلاة أعمّ من معناها الشّرعيّ واللّغويّ أي: الدّعاء، إذ الدّعاء إذا لم يكن مصدّراً بالصّلاة على النّبيّ وآله لم يكن ذا شأن، وإنما يشرّف ويقع موقع الرّضا والقبول إذا خصّ بمن خصّه الله عزّ وجلّ به، نعم لا بدّ من شمول التّشريف للصلاة بالصّلاة عليه صلى الله عليه وآله في غير صلاة الله تعالى في الآية المتقدّمة الذّكر؛ لأنّ صلاة الرّبّ جلّ جلاله: وهي الرّحمة تكون هي المشرِّفة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله (بكسر الراء)، فالحديث وإن كان عامّاً لا بدّ من تخصيصه بغيره تعالى .

بقي سؤال :

هل صلاة الملائكة والنّاس نفعها عائد إلى النّبيّ وآله عليه السّلام؟ أو أنّ لهم من الجلال والرّفعة والمنزلة ما لا يتصوّره المتصوّر ، وإنّما ثواب الصّلاة يعود إلى المصلّي ويشرّف بها وينوّر قلبه ويثقل ميزانه[4]؟

---

(١) إحقاق الحق ٩ / ٥٢٤ ـ ٦١٠ .

(٢) المصدر ص ٦١١ ـ ٦٢١ .

(٣) المصدر ص ٦١٥ . قوله : (لطرده) كذا في المصدر .

(٤) اختر ما شئت .

٩٩ ـ شفّع في مثل ربيعة ومضر

قال الشّيخ الصّدوق طاب ثراه: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ قال:

« من صام أوّل يوم من رجب رغبةً في ثواب الله عزّ وجلّ وجبت له الجنّة، ومن صام يوماً في وسطه شفّع في مثل ربيعة ومضر في أبيه وأمّه، وابنه وابنته، وأخته وأخيه، وعمّه وعمّته، وخاله وخالته، ومعارفه، وجيرانه، وإن كان فيهم مستوجباً للنّار »[1].

لا محظور عقلاً وشرعاً في خلف الوعيد بأن يعفو الله عزّ وجلّ عن المستوجب للنّار، وإنّما المحظور عقلاً وشرعاً خلف الوعد من الكلّ لا سيّما ممّن له القدرة المطلقة والحكيم على الإطلاق: وهو الله جلّ جلاله، فلا استيحاش من آخر الحديث الشّريف: وهو قوله عليه السّلام: « وإن كان فيهم مستوجباً للنّار ». وباقي الكلام فيه ظاهر

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٢٢٦.

سوى كلمتين مضروب بهما المثل للكثرة الكاثرة :

ربيعة ومضر :

هما قبيلتان عربيّتان. أمّا ربيعة ، والرّبائع فبطون من تميم ، قال الجوهري : وفي تميم ربيعتان : الكبرى: وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :وهو ربيعة الجوع ، والوسطى [الصغرى]:وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك . وربيعة : أخو حيّ من هوازن: وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة:وهم بنو محمّدٍ ، ومجد اسم أمّهم نسبوا إليها . وفي عُقَيل ربيعتان :ربيعة بن عُقيل وهو أبو الخلعاء، وربيعة بن عامر بن عُقيل:وهو أبو الأبرص ، وقحافة ، وعرعرة،وقرّة:وهما ينسبان للّربيعتين . وربيعة الفرَس : أبو قبيلة رجل من طيّء وأضافوه كما تضاف الأجناس :؛وهو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وإنّما سمّي ربيعة الفرس ؛ لأنّه أُعطي من مال أبيه الخيل ، وأعطي أخوه الّذهب سمى مضر الحمراء ، والنّسبة إليهم رَبَعيّ ، بالتّحريك[١] .

قال الشّيخ الطّريحي : في الحديث : « إذا مات المؤمن خلى على جيرانه من الشّياطين مثل ربيعة ومضر » ، بضرب المثل بهما في الكثرة[٢] . وقال : في الحديث : « مثل ربيعة ومضر » بفتح الميم وفتح المعجمة : قبيلة منسوبة إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، ويقال له مضر الحمراء ولأخيه ربيعة الفَرَس ؛ لأنّهما لما اقتسما الميراث أعطي مضر الذّهب وهي تؤنّث ، وأُعطي ربيعة

---

(١) لسان العرب ٨ / ١١٢ ، في (ربع) .

(٢) مجمع البحرين في (ربع) .

الخيل[1] . وقال ابن منظور بعده: ولبن ومضير: حامض شديد الحموضة: قال اللّيث: يقال إنّ مُضَر كان مولعاً بشربه فسمّي مضربه، قال ابن سيّده: مضر اسم رجل قيل سمّي به؛ لأنّه كان مولعاً بشرب اللّبن الماضر، وهو مضر بن نزار معدّ بن عدنان، وقيل: سمّي به لبياض لونه من مضيرة الطّبيخ[2] .

ومن هذه الكلمات ظهر أنّ ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان أبوا قبيلتين كبيرتين لكثرة البطون والأفخاذ لكلّ منهما تنتسب إليهما، فيقال فلان رَبَعيّ أو مضريّ، ولكثرتهما يضرب بهما المثل. ومن شاء الخبرة الكافية نظر السّبائك[3] .

ولربيعة ومضر في الجاهلية والإسلام سننٌ وعاداتٌ منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: « إنّ قريشاً كانت تفيض من جَمع[4] وربيعة من عِرفات »[5] .

ولضرب المثل للكثرة يقال أيضاً: عدد الحصى، وعدد رمل عالج، وعدد المدر، والحجر، وعدد الشّوك والشّجر، وغيرها. قال ابن عبّاس: « سبحان الله العظيم أترون أنّ الّذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً. فهذان قد ذهبا بالمال فأين موضع

---

(١) مجمع البحرين في (مضر) .
ولا يخفى أنّ المثل بربيعة ومضر جاء في حديث نبوي رواه المفيد « ابشروا برجل من أمّتي يقال له أويس القرني؛ فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر » . هامش الاختصاص ٧ .

(٢) لسان العرب ٥ / ١٧٧ ، في (مضر) .

(٣) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ٢٠ ـ ٣٥ .

(٤) جَمع والمزدلفة والمشعر معنى واحد .

(٥) الوسائل ١٠ / ٢٧ .

الثّلث ، فقال زفر بن أوس البصريّ : فمن أوّل من أعال الفرائض . . . ؟ »(١) .

والدّعاء المأثور في أوّل يوم من ذي الحجّة إلى آخر العشرة الأولى منه المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام جاء فيه « لا إله إلا الله عدد الليالي والدّهور، لا إله إلا الله عدد أمواج البحور، لا إله إلا الله ورحمة خير مما يجمعون ، لا إله إلا الله عدد الشوك والشجر ، لا إله إلّا الله عدد الشّعر والوبر ، لا إله إلا الله عدد الحجر والمدر ، لا إله إلّا الله عدد لمح العيون، لا إله إلّا الله في الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفّس ، لا إله إلا الله عدد الرّياح والبراري والصّخور ، لا إله إلّا الله من اليوم إلى يوم ينفخ في الصور »(٢) .

والمثل المضروب بهذه الأشياء ونظائرها لا يراد لها العدد الحقيقي الواقعيّ، وكذا كلّ ما يفرض له المقدار ، بل الكثرة والغلبة؛ والوجه فيه أنّ ثناءه تعالى لا يحصيه العدد والوصف مهما كان؛ لأنّه فوق كلّ ثناء أو وصف إلّا ما وصف به تعالى نفسه وأثنى عليها وقد جاء « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت [على] نفسك »(٣) .

ولنعد إلى حديث الرّضا عليه السّلام :

لشهر رجب المرجّب فضائل للمتعبّد في أيّامه وليالي، ووظائف مرويّةٍ عن أهل البيت عليهم السّلام وهو أحد الشّهور الحُرُم الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **إنّ عدة الشّهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السّمٰوات والأرض منها أربعة**

---

(١) الوسائل ١٧ / ٤٢٧ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٤٢ ، رقم المثل ١٩ حرف الهمزة مع الباء .

(٢) إقبال السيد ابن طاووس ٣٢٤ .

(٣) كنز العمال ١ / ٤٨٦ .

حرمٌ . . . ﴾[1] .

في باقريّ : « رجب مفرد وذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ثلاث متواليات . . . »[2] . والمسمّون بعليّ : وهم عليّ بن أبي طالب والسّجّاد والرّضا والهادي عليهم السّلام[3]. ومن الوظائف صيامه الّذي قاله الرّضا عليه السّلام .

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٦

(٢) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .

(٣) تفسير البرهان ٢ / ١٢٣ ، ما مضمونه .

١٠٠ ـ شفقة النّبيّ على أمّته
شفقة الآباء على الأولاد

روى الصّدوق بإسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه قال : سألت أبا الحسن[١] عليه السّلام « فقلت له : لم كنّي النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بأبي القاسم ؟ فقال : لأنّه كان له ابن يقال له قاسم فكنّي به ، قال :فقلت:له يا ابن رسول الله : فهل تراني أهلًا للزّيادة ؟ فقال : نعم ، أما علمت أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال : أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة ؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أبٌ لجميع أمّته ، وعليّ فيهم بمنزلته ؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قاسم الجنّة والنّار ؟ قلت : بلى ، قال : فقيل له أبو القاسم ؛ لأنّه أبوقسيم الجنّة والنّار ، فقلت له : وما معنى ذلك ؟ قال : إنّ شفقة النّبيّ على أمّته شفقة الآباء على الأولاد ، وأفضل أمّته عليّ ، ومن بعده شفقة عليّ عليهم كشفقته ؛ لأنّه وصيّه

(١) بقرينة الراوي احتمل أبو الحسن هو الرضا ،ولأجله ذكرناه .

وخليفتــه ، والإمــام بعده؛ فـلذلــك قــال : أنــا وعليّ أبــوا هــذه الأمّة . . . »[1] .

كيف يُـدرك شفقة الأبـوين على أولادهمـا غيـر الأبوين؟ فمن لم يولد له ولد لا يـدرك رحمة الـوالدين بـه وحنانهمـا عليه ؛ إنّ الله عـزّ وجلّ شفيق ومن شفقته شفقة الأبوين على الأولاد مهما كان نوعهم: وهو اسم من الإشفـاق والشّفق : الخوف والحـذر إذا قلت أشفقت منه ، فـإنمـا تعني حذرته وخفته ومنه قول إسحاق بن خلف :

تهوى حياتي وأهـوى موتهـا شفقاً والمـوت أكرم نـزّال على الحـرم

وبلوغ النّصـح والحرص على صـلاح المنصوح كمـا قالـه اللّيث إذا قلت: أشفقتُ عليك[2] واختلاف التّفسيـرين جـاء من كلمـة « من » و « على » .

وإذا دريت الفـرق بينهمـا فـالشفيق : بمعنى الخـوف لا يجـوز على الله جـلّ جلالـه ، والجائـز عليـه تعـالى تفسيـره ببلوغ النّصـح . وربّما صحّ الخـوف فقط كما في آيـة ﴿ **إنّا عـرضنا الأمـانة** ـ إلى قـوله تعالى: ـ **وأشفقن منهـا** ﴾[3] . أي: خفن من حمـل الأمـانـة . ويصحّ

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٤ ، علل الشّرائع ١ / ١٢٧ .
(٢) الـلّســان ١٠ / ١٧٩ ـ ١٨٠ في شـفق ، وفـي النـهـايـة ٢ / ٤٨٧ ، فـي (شفق)،الشفق من الأضـداد يقع على الحمـرة التي تـرى في المغـرب بعـد مغيب الشمس . . . وعلى البيـاض البـاقي في الأفق الغربي بعد الـحمـرة المذكورة .
أقول : قوله تعالى: ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾ الانشقـاق : ١٦ ، إمّا من الحمـرة المغربية كما قالهـا القمي . تفسير الصـافي ٢ / ٨٠١ ، وإمّا البيـاض الباقي بعد الحمرة . ذكرناه لأدنى علقه .
(٣) سورة الأحزاب : الآية / ٧٢ .

التفسيران في غيره تعالى من الأبوين والأنبياء وأوصيائهم الذين هم الآباء الحقيقيـون الرّوحيّون، والأب الرّوحي أفضـل من الأب الجسمي ،لبقاء الأوّل ،وفناء الثّاني ،فالنّبيّ وعليّ عليهما السّـلام أبوا هـذه الأمّة روحيّاً، بـل وجسميّاً؛ إذ لـولاهمـا لمـا كـان الكـون ولا آدم ولا بنو آدم، إذ بهم رزق الـورى وثبتت الأرض والسّماء: وهم الهـدف الأعلى من الوجود؛ اذ بهم عرف الله تعالى ووُحّد .

١٠١ ـ الشّيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً

من الحكم المنتزعة من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في مسألة البداء والإرادة الّتي رواها الصّدوق وقد تعرّضنا للأولى عند كلمة « ضاهيت اليهود في هذا الباب »[١] .

وأمّا الثّانية فقد قال سليمان : « يا سيّدي أسألك ؟ قال الرّضا عليه السّلام : سل عمّا بدا لك ، قال : ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفةً مثل حيٍّ وسميع وبصير وقدير ؟ قال الرّضا عليه السّلام : إنّما قلتم :حدثت الأشياء واختلفت ؛ لأنّه شاء وأراد ، ولم تقولوا:حدثت واختلفت ؛ لأنّه سميع بصير ، فهذا دليل على أنّها ليست بمثل سميع ولا بصير ولا قدير ، قال سليمان : فإنّه لم يزل مريداً ، قال : يا سليمان فإرادته غيره ؟ قال : نعم ، قال : فقد أثبتَّ معه شيئاً غيره لم يزل ، قال سليمان : ما أَثبتُّ ، قال الرّضا عليه السّلام : أهي محدثة ؟ قال سليمان : لا ما هي محدثة ، فصاح به المأمون وقال : يا سليمان مِثْله يعايا[٢] أو يكابر ؟ عليك بالإنصاف

(١) حرف الضّاد مع الألف .
(٢) من العيّ : العجز .

أما ترى مَنْ حولك من أهل النّظر ، ثمّ قال : كلّمه يا أبا الحسن فإنّه متكلّم خراسان ، فأعاد عليه المسألة فقال : هي محدثة يا سليمان ؛ فإنّ الشّيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدّثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً . . . »[1] .

لا واسطة بين الحدوث والقدم ، والأوّل لم يكن أزليّاً والعقل قاضٍ بعدم اجتماعهما وعليه تدور المناظرة حول الإرادة الّتي هي محدثة عند الرّضا وسائر المعصومين عليهم السّلام، ودلّل عليه السّلام على حدوثيّتها أوّلاً بأنّها لو كانت قديمة مثل السّميع والبصير والقدير لصحّ التّعليل بالثلاثة لحدوث الأشياء واختلافها كما صحّ بها لذلك، وحيث أنّها لم تصحّ ولم تستقم علمنا أنّ الإرادة ليست كالثّلاثة وهذه آية حدوثها وقِدم تلك .

وثانياً : أثبت عليه السلام حدوثيّة الإرادة بالدّوران العقلي بين كونها غيره أو نفسه تعالى ، فإن قيل إنّها غيره فقد أثبت معه شيئاً لم يزل وإلّا فهي محدثة لم تكن معه أزلاً ، وتجد التّناقض في كلام سليمان ، ولأجله صاح به المأمون خالق هذه المناظرة فبإلزام الرّضا عليه السّلام إيّاه سدّ عليه باب دعوى قِدم الإرادة .

والمناظرة مطوّلة ذكرنا شيئاً آخر منها عند كلمه « إن الفعل كلّه محدث »[2] . والإرادة فعل وكلّ فعل محدث فهي محدثة فتدبّر .

---

(1) التوحيد ٤٤٥ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(2) التوحيد ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ ، وانظر حرف الهمزة مع النّون

حرف الصّاد

١٠٢ ـ صدق الله في جميع أقواله

قال الصّدوق: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عليه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن عبد السّلام بن صالح الهروي قال: « قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السّلام: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصّادق عليه السّلام: أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السّلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السّلام: هو كذلك فقلت: وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[1]. ما معناه؟

قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السّلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب

(١) سورة فاطر: الآية / ١٨

لكان الرّاضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل؛ وإنّما يقتلهم القائم ـ عليه السّلام ـ إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم ، قال : فقلت له : بأيّ شيءٍ يبدأ القائم ـ عليه السّلام ـ منكم إذا قام ؟ قال : يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ؛ لأنّهم سرّاق بيت الله عزّ وجلّ »[1] .

قوله عليه السّلام : « من رضي شيئاً كان كمن أتاه » يمرّ البحث عنه[2] .

قوله عليه السّلام : « صدق الله في جميع أقواله » ، لغناه الذّاتيّ، ولقوله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾[3] ، و ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾[4] .

قال الصّدوق في أسماء الله تعالى : ﴿ **الصّادق** ﴾ معناه أنّه صادق في وعده ، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده[5] .

ثم الكلمة الرّضويّة أي : « صدق الله في جميع أقواله » كالجارية على الألسن : « صدق الله العليّ العظيم » الّتي هي كالمثل السّائر أو نفسه ،لما قاله أبو هلال العسكريّ: من أنّ كلّ حكمة جارية على الألسن مثل سائر، وإن لم تجر فحكمة . والفرق بين الحكمة والمثل هو سيرها على الألسن[6] وعدمه،ولا شكّ في السّير فتكون من

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ ، العلل ١ / ٢٢٩ ، الوسائل ١١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٢) حرف الميم مع النّون .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٢٢ .
(٤) سورة النساء : الآية / ٨٧ .
(٥) التوحيد ٢٠٧ .
(٦) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ٤ / ٥ .

الأمثـال لا محالة، وكما يقـال : « صدق الله وكـذب المنّجمـون » عنـد إخبـارهم بوقـوع الحوادث الكـونيّـة وتخلفّهـا . ويقـال : « صـدق الله وكذب الوقّاتون »[1] كمـا في الحديث النّـاهي عن توقيت زمـان خروج القـائم المهـديّ من آل محمّـد عجّـل الله فـرجـه الشّـريف وصلّى الله تعـالى عليهم أجمعين . وقـد جـاءت أمثـال سـائـرة في الصّـدق منهـا « صـدقني سنّ بكـره »[2] يضــرب في صـدق الخبــر ، ومنهـا المثــل العلويّ : « الصّــدق سيف الله في أرضـه وسمــائـه أيّنمــا هـوى بــه يقدّ »[3] .

---

(1) كمـال الدين ٢ / ٤٨٤ ، البحـار ٥٣ / ١٨١ ، وفيهما « كـذب الـوقّـاتـون » المعدود من الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام المهديّ .

(2) مجمع الأمثال ١ / ٣٩٣ ، حرف الصاد .

(3) البحـار ٧١ / ١١ ، ومن المثل السـائر : « الصـدق منجاة » . الفاخر ٢٦٤ ، من أمثال أكثم بن صيفي .

١٠٣ - صديق كلّ امرىءٍ عقله

روى الكليني بسنده عن الحسن بن الجهم، قال : سمعت الرّضا عليه السّلام يقول : « صديق كلّ امرءٍ عقله ، وعدوّه جهله »[١] .

وأصله الحديث العلويّ : « العقل عقلان: عقل الطّبع ، وعقل التّجربة وكلاهما يؤدّي إلى المنفعة، والموثوق به صاحب العقل والدّين ، ومن فاته العقل والمروءة فرأس ماله المعصية ، صديق كلّ امرىءٍ عقله ، وعدوّه جهله ، وليس العاقل من يعرف الخير من الشّر ، ولكنّ العاقل من يعرف خير الشّرين ، ومجالسة العقلاء تزيد في الشّرف ، والعقل الكامل قاهر الطّبع السّوء ، وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدّين والرّأي والأخلاق والأدب فيجمع ذلك في صدره ، أو في كتاب ويعمل في إزالتها »[٢] .

ولعلّ فيه إنضماماً مع غيره والله العالم ، وقد بحثنا عن أحاديث العقل في مناسبات منها المثل النّبويّ : « مثل العقل في

(١) أصول الكافي ١ / ١١ ، التّحف ٤٤٣ .

(٢) البحار ٧٨ / ٦ - ٧ .

القلب كمثل السّراج وسط البيت »[1] . و « لا عقـل كالتـدبير »[2] والمثل العلويّ : « إذا تمّ العقل نقص الكلام »[3] .

وإنّما صار العقل صديق صاحبه والجهـل عدوّه ؛ لأنّـه النّاصـح الأمين ذو الفضـائل والجهـل على ضـدّه ذو الـرّذائـل وليس من الخيـر شيء إلاّ والعقـل يأمـر به ، ولا من الشّـر شيء إلاّ وينهى عنه والجهـل على خلاف ذلك .

وحـاصل الكـلام أنّ العقل ذو الفضـائـل والجهل ذو الـرّذائل ، وقـد جاء في صـادقيّ : « قلت لـه : مـا العقـل ؟ قـال : مـا عبـد بـه الـرّحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت : فـالّـذي كـان في معـاويـة ؟ فقـال : تلك النّكـراء ! تلك الشّيـطنـة وهي شبيهـة بـالعقـل وليست بالعقل »[4] . ولا تجد عاقلاً إلاّ وله دين كمـا في صادقي آخـر : « من كـان عـاقـلاً كـان لـه دين ، ومن كـان لـه دين دخـل الجنّـة » [5] . وعلويّ : « إنّ قلوب الجهّـال تستفزّهـا الأطمـاع ، وتـرْتَهنُهـا المنى ، وتستعلقها الخدائع »[6] .

ومن الأمثـال السـائـرة : (العقـل عقـال النّفس)[7] . (العقـل صفاء النّفس ، والجهل كدرها)[8] .

---

(1) الأمثال النّبوية ٢ / ١٩٥ ، الرقم ٥٠١ ، جرف الميم مع الثاء
(2) المصدر ص ١٠٧ ، الرقم ٤٢٤ ، حرف اللام مع الألف .
(3) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة الرقم ٧ ، ص ٢٩ .
(4) أصول الكافي ١ / ١١ .
(5) المصدر .
(6) المصدر ص ٢٣ .
(7) التمثيل والمحاضرة ٤٠٧ .
(8) المصدر ص ٤٠٨ .

١٠٤ ـ الصّغائر من الذّنوب طرق إلى الكبائر

روى الصّدوق من كلامه عليه السّلام المشهور قوله : «الصّغائر من الذّنوب طرق إلى الكبائر ، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير . . . »[١] .

أنا أكتفي لبيان الكلام الرّضوي بكلمات أهل البيت عليهم السّلام، فإنّها كالقرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، ويصدّق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها على بعض كما في النّبويّ : « إنّ القرآن ليصدّق بعضه بعضاً فلا تكذّبوا بعضه ببعض »[٢] .

والعلوّي : « كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض »[٣] .

وقد تكلّمنا عن الرّضوي : « إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ، ومحكماً كمحكم القرآن . . . »[٤] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٨ ، البحار ٧١ / ١٧٤، وج ٧٣ / ٣٥٣ .
(٢) كنز العمّال ١ / ٦١٩ ، الرقم ٢٨٦١ .
(٣) النهج ٨ / ٢٨٧ ، الخطبة ١٣٣ .
(٤) حرف الهمزة مع النّون .

وأمّا لبيان الذّنوب فـإليك عـدداً من كلماتهم عليهم السّـلام ففي صـادقي : « إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ نـزل بـأرض قـرعـاء فقـال لأصحابـه : أئتونـا بحطب فقـالـوا : يـا رسـول الله نحن بـأرض قـرعاء مـا بهٰا من حـطب ، قال : فليـأت كلّ إنسـان بما قـدر عليـه ، فجـاؤوا به حتّى رمـوا بين يديـه بعضـه على بعض ، فقـال رسـول الله ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ : هكذا تجتمـع الـذّنـوب ، ثمّ قـال : إيّـاكم والمحقّرات من الذّنوب ، فإنّ لكـلّ شيءٍ طالبـاً ألا وإن طالبهـا يكتب ما قدّموا وآثارهم : ﴿ **وكلّ شيءٍ أحصيناه في أمام مبين** ﴾ . . . »[1] .

وعلويّ : « لا تستصغـروا قليـل الآثـام ، فـإنّ الصّغيـر يحصى ويرجع إلى الكبير »[2] .

وكـاظميّ : « لا تستكثـروا كثيـر الخيـر ، ولا تـستـقلّوا قـليــل الذّنوب ، فإنّ قليل الذّنوب يجتمع حتّى يكون كثيـرا ، وخافـوا الله في السّرّ حتّى تعطوا من أنفسكم النّصف »[3] .

وكـاظميّ آخـر عن المسيـح عليـه السّلام : « . . . وإنّ صغـار الذّنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم »[4] .

وصـادقيّ : « اتّقوا المحقّـرات من الذّنـوب ؛ فـإنّها لا تغفـر ، قلت : وما المحقّرات ؟ قال : الرّجل يذنب الـذّنب فيقول : طـوبى لي لو لم

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٨٨ ، البحـار ٧٣ / ٣٤٦ ، وفيه اشـارة إلى آية ١٢ من سورة يٓس .
(٢) البحار ٧٣ / ٣٥١ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .
(٤) البحار ٧٨ / ٣٠٧ .

يكن لي غير ذلك »[1] .

وآخر : « لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار »[2] .

وباقريّ : « الذّنوب كلّها شديدة وأشدّها ما نبت عليه اللّحم والدّم ؛ لأنّه إمّا مرحوم وإمّا معذّب ، والجنّة لا يدخلها إلاّ طيّب »[3] .

وصادقي : « تعوّذوا بالله من سطوات الله باللّيل والنّهار قلت : وما سطوات الله ؟! قال : الأخذ على المعاصي »[4] .

وكاظميّ : « الكبائر ما وعد الله عليه النّار . . . »[5] .

وصادقيّ : « لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيءٍ من معاصيه »[6] .

وسجّادي : « حب الدّنيا رأس كلّ خطيئة »[7] . فتدبّر جيّداً .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ .
(٢) المصدر ص ٢٨٨ .
(٣) الوسائل ١١ / ٢٣٧ .
(٤) الوسائل ١١ / ٢٤١ .
(٥) الوسائل ١١ / ٢٥٢ .
(٦) الوسائل ١١ / ٢٦٨ .
(٧) أصول الكافي ٢ / ١٣٠ - ١٣١ .
ولا يخفى أنّ روايات النهي عن استصغار الذنب كثيرة. ومنها الباقري : « ولا تستصغرن سيئةً تعمل ؛ فإنك تراها حيث تسوؤك » . الوسائل ١ / ٨٩ ، باب ٢٨ من أبواب مقدّمة العبادات ، الحديث ٧ .

١٠٥ ـ الصّلاة قربان كلّ تقي

روى الشّيخ الصدوق طاب ثراه بسنده إلى محمّد بن الفضل عن أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ قال: «الصلاة قربان كلّ تقيّ»[١].

هذه الكلمة الحكميّة تعدّ من الأمثال السّائرة على الألسن وقد قالها عليّ المرتضى قبل عليّ بن موسى الرّضا عليهم السّلام[٢] وكلّهم عليهم السّلام نور واحد ولهم هدف واحد، وكلامهم واحد لا يخالف آخرهم أوّلهم.

والمراد من القربان، هو: القرب إلى الله عزّ وجلّ، وأنّ الصّلاة سببه ووسيلة له إذا صدرت عن المتّقي؛ إذ لا قرب ولا قبول من غير المتّقي، قال تعالى فيما اقتصّ من أحد ابني آدم عليه السّلام هابيل: ﴿ **إنّما يتقبّل الله من المتّقين** ﴾[٣]. وقد قرّره عزّ وجلّ بعد

(١) عيون الأخبار ٢ / ٧، الكافي ٣ / ٢٦٥.
(٢) النهج ١٨ / ٣٣٢، الكلمة ١٣٢، البحار ٧٨ / ٦٠.
(٣) سورة المائدة: الآية / ٢٧.

الاقتصاص .

ومنه حال السّجود الّذي هو أحد أركان الصّلاة، وإذا تركت السّجدتان من ركعة واحدة بطلت إجماعاً، كما جاء في صحيح معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وأحبُّ ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو؟ فقال : ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاة، ألا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى بن مريم عليه السّلام قال : ﴿ **وأوصاني بالصّلوة والزّكوة ما دُمتُ حيّاً** ﴾[1] .

وفي رواية الصّدوق بسنده عن الوشّا قال : سمعت الرّضا يقول : أقرب ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ وهو ساجد، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾[2] .

والصّادقيّ : « . . . عليك بالدّعاء وأنت ساجد، فإنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد . . . »[3] .

لا يحصي ما للصّلاة من شؤون قلم، ولا بيان، ونحن نذكر بعض ما ورد فيها .

ففي صادقيّ : « إذا قام المصلّي إلى الصّلاة نزلت عليه الرّحمة من أعنان السّماء إلى أعنان الأرض ، وحفّت به الملائكة وناداه ملك : لو يعلم هذا المصلّي ما في الصّلاة ما انفتل »[4] .

إنّ الصلاة قرّة عين الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله وأهل بيته

---

(١) سورة مريم : الآية / ٣١ ، الكافي ٣ / ٢٦٤ .
(٢) سورة العلق : الآية / ١٩ ، الكافي ٣ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .
(٣) الكافي ٣ / ٣٢٤ .
(٤) الكافي ٣ / ٢٦٥ .

عليهم السّلام، روى الصّدوق بسنده إلى أنس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال : حبّب إليّ من دنياكم النّساء ، والطّيب ، وجعل قرّة عيني في الصّلاة »[1] . ورواه الشّيخ الطّوسي بلفظ : « . . . وحبّبت إليّ . . . »[2]وفي نفس الرّواية: «يا أبا ذرّ إنّ الله تعالى جعل قرّة عيني في الصّلاة وحبّبها إليّ كما حبّب إلى الجائع الطّعام ، وإلى الظّمآن الماء ؛ فإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإذا شرب الماء روي ، وأنا لا أشبع من الصّلاة »[3] .

والنّبويّ : « الصّلاة كالميزان من أوفى استوفى »[4] .

والصّلاة صلة بين الخالق والخلق ، وللقربان معنى آخر ليس هنا محل ذكره فتدبّر .

---

(١) الخصال ١ / ١٦٥ ، وفي المصدر ما يجدر النظر اليه .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٢ / ١٤١ .

(٣) المصدر .

(٤) الأمثال النبويّة ١ / ٤٩٨ ، رقم المثل ٣١٦ ، حرف الصاد مع اللام .

١٠٦ ـ صمّاء صيلم

روى الصّدوق بسنده إلى إبن محبوب عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال : قال لي : « لا بدّ من فتنة صمّاء صيلم يسقط فيها كلّ بطانة ووليجة ، وذلك عند فقدان الشّيعة الثّالث من ولدي يبكي عليه أهل السّماء وأهل الأرض وكلّ حرّى وحرّان[١] وكلّ حزينٍ لهفان .

ثم قال : بأبي وأمّي سمّي جدّي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السّلام عليه جيوب النّور تتوقّد بشعاع ضياء القدس كم من حرّىٰ مؤمنة وكم من مؤمن متأسّف حيران حزين عند فقدان الماء المعين كأنّي بهم آيس ما كانوا ، نودوا نداء يسمع من بُعدٍ كما يسمع من قربٍ يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين »[٢] .

قال الجزري : الفتنة الصّمّاء : هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في دهائها، لأنّ الأصمّ لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع

---

(١) من حرّ العطش المؤنث منه حرى والرجل حران .

(٢) البحار ٥١ / ١٥٢ ، عيون الأخبار ٢ / ٦ مع اختلاف يسير .

عمّا يفعله ، وقيل هي كالحيّة الصّماء الّتي لا تقبل الرُّقىٰ »[1]

قال المجلسي بعد النّقل لفظ الجزري : أقول : لا يبعد أن يكون مأخوذاً من قولهم : صخرة صمّاء أي الصّلبة المصمتة كناية عن نهاية اشتباه الأمر فيها حتّى لا يمكن النّفوذ فيها والنّظر في باطنها وتحيّر أكثر الخلق فيها ، أو عن صلابتها وثباتها واستمرارها .

والصّيلم : الدّاهية والأمر الشّديد ، ووقعة صيلمة أي : مستأصلة . وبطانة الرّجل : صاحب سرّه الّذي يشاوره في أحواله . ووليجة الرّجل : دخلاؤه وخاصّته أي : يزلّ فيها خواصّ الشّيعة .

والمراد بالثالث : الحسن العسكري . والظاهر رجوع الضّمير في « عليه » إليه . ويحتمل رجوعه إلى إمام الزّمان المعلوم بقرينة المقام ، وعلى التّقديرين المراد بقوله سمّي جدّي القائم عليه السّلام[2] .

أقول :

المراد من قوله عليه السّلام : « من ولدي » هو الجواد عليه السّلام وعليه فلا ينطبق الثّالث إلاّ على المهدي عليه السّلام ، وآخر الكلام قرينة على المراد، إلاّ أن يقال أنّ الفصل بكلمة « ثم قال »

---

(١) النهاية في « رقي » .
(٢) البحار ٥١ / ١٥٣ .
ومن الصخرة الموصوفة بها الإنشاد العلوي :
لو كان في صخرة في البحر راسية ... صمّاء ململمة ملس نواحيها
رزق لنفس يراها الله لانفلقت ... عنه فأدّت إليه كلّ ما فيها
أو كان بين طباق السبع مجمعه ... لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى يوافي الذي في اللوح خط له ... إن هي أتته وإلاّ فهو يأتيها
التوحيد ٢٧٢ .

كلام ثانٍ يخصّ المهدي، وقبله خاصّ بـالحسن العسكري، وللتـأمل فيـه مجال واسع .

قـوله عليـه السّلام : « عليـه جيوب النّـور » قال المجلسي :لعل المعنى: أنّ جيـوب الأشخاص النّـورانية من كمّـل المؤمنين والمـلائكـة المقرّبين وأرواح المرسلين تشتعـل للحزن على غيبتـه ، وحيرة النّـاس فيه ، وإنّما ذلك لنور إيمانهم الساطع من شموس عوالم القدس .

ويحتمل أن يكون المراد بجيوب النّـور ، الجيوب المنسـوبة إلى النّور والّتي يسطع منها أنوار فيضه وفضله تعالى .

والحـاصـل أنّ عليـه عليـه السّـلام أثـواب [بـا] قـدسيّـة وخلع [ـعا] ربّانيّة تتّقدمن جيوبها أنوار فضله وهدايتـه تعالى ويؤيّـده مـا مـرّ في روايـة محمّـد بن الحنفيّـة عن النبيّ صلّىٰ الله عليـه وآلـه « جلابيب النّور » .

ويحتمـل أن يكون« على » تعليليّـة أي : بـركـة هـدايتـه وفيضـه عليـه السّـلام يســطع من جيـوب القـابلين أنـوار القــدس من العلوم والمعارف الرّبانيّة[1] .

أقول :

إذا كان « القدس » بمعنى الطّهر والنّقـاء الذّاتي الّـذي لا يحمل أيّ كـدر بل شـأنه القـداسة والكـرامـة ، فـلا محـالـة يـراد من « عليـه جيوب النّور » سطوع النّور من بـدن المهدي وروحـه الطّاهـر إلى فوق قميصه، ومن أثوابه المقدّسة تتّقد أشعّتـه النّور لـظاهر العـالم وباطنـه ، ويـراد منها أي: من الجيـوب ثيـابـه والمهـديّ عليـه السّـلام هـو أصـل النّور .

---

(١) البحار ٥١ / ١٥٣ ـ ١٥٤ .

أو يراد أنّ الله عزّ وجلّ كساه من كسوة الأنوار الرّبّانيّة، وقد جاء السّؤال عنها من الإمام السّجاد عليه السّلام: « ما بال المتهجّدين باللّيل من أحسن النّاس وجهاً؟ قال: لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره » ![1].

إذا كان المؤمن إذا خلا بربّه في صلاة اللّيل كساه الله عزّ وجلّ من نوره فما ظنّك بإمام المؤمنين مهديّ آل محمّد صلّىٰ الله عليهم وسلّم الّذي هو معدن النّور الموهوب الذّاتي الرّبّاني المشتقّ من النّور النّبويّ والعلوي أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ.

ففي نبويّ: « يا علي إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله ... »[2]

وباقري: « قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: أوّل ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته »[3].

قوله عليه السّلام: «شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السّلام». كان الرّضا عليه السّلام فيه الشّبه النبويّ فالمهديّ عجّل الله فرجه كذلك، على أنّهما من ولد الحسين عليه السّلام وهو وأخوه الحسن فيهما الشّبه النّبويّ والعلويّ.

ولعلّ حديث: « أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد، وأخرنا محمّد، وكلّنا محمّد »[4]. ناظر إلى الشّبه المحمّدي في الصّورة كما هم عليهم السّلام كذلك في السّيرة.

(١) علل الشرائع ٢ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦، باب ٨٧ الحديث ١.
(٢) البحار ٢٥ / ٣.
(٣) البحار ٢٥ / ٢٢.
(٤) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩.

وأمّا شبه المهدي بالكليم ففي غيبته عن قومه لميقات ربّه وارتدادهم في المدّة الأربعينيّة كذلك المهدي قد غاب بعد وفاة أبيه الحسن عليه السّلام عام المائتين والسّتين الهجري وله غيبتان إحداهما أطول من الأخرى .

ومبدأ الصّغرى إن اعتبرنا ولادته فمن خمس وخمسين بعد المائتين، لأنّه توفّي أبوه الحسن عليهما السّلام وله من العمر خمس، ومنتهاها وفاة النّائب الرابع علي بن محمّد السّمري ، عام ٣٢٩ ، وعليه تكون مدّة الصّغرى أربع وسبعين عاماً، وإن اعتبرناه وفاة العسّكري عام مائتين والستّين فتسع وستون .

وأما الكبرى التّامّة فمبدأها ٣٢٩ عام وفاة السّمري، وأمّا النّهاية فلا يعلمها إلاّ الله جلّ جلاله، وتاريخ كتابة هذا الكتاب ألف وأربع مائة وسبع سنين ، وحتّى يأذن الله عزّ وجلّ له بالخروج اللّهمّ سهّل مخرجه .

أو يراد من الشّبه بموسى خفاء الولادة فكما خفي ساعة ولادة موسى عن فرعون وقومه، كذلك المهدي خفي ولم يعلم بولادته أحدٌ إلا القليل .

حرف الضّاد

١٠٧ ـ ضاهيت اليهود في هذا الباب

كلمة من كلمات الرّضا عليه السّلام المستخرجة من مناظرته مع سليمان المروزي الّتي رواها الصّدوق طاب ثراه نذكر منها ما يخصّ مسألة البداء الّتي أنكرها سليمان المروزي .

« قال ـ عليه السّلام ـ : وما أنكرت من البداء يا سليمان والله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **أولا يذكرُ الإنسانُ أنّا خلقناهُ من قبل ولم يكُ شيئاً** ﴾[١] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **وهو الّذى يَبْدء الخلقَ ثمّ يُعيده** ﴾[٢] . ويقول : ﴿ **بديع السّموات والأرض** ﴾[٣] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **يزيد فى الخَلْق ما يَشاء** ﴾[٤] . ويقول : ﴿ **وبَدَأ خَلْق**

(١) سورة مريم : الآية / ٦٧

(٢) سورة الروم : الآية / ٢٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ١١٧ ، سورة الأنعام : الآية / ١٠١ .

(٤) سورة فاطر : الآية / ١ .

الإنسـان من طين ﴾[١] . ويقول عـزَ وجلّ : ﴿ وآخـرون مرجـون لأمر الله إمّـا يعذّبهم وإمّـا يتـوب عليهم ﴾[٢] . ويقـول عـزّ وجـلّ : ﴿ ومـا يُعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلاّ فى كتاب ﴾[٣] .

قـال سليمان : هـل رويت فيه[٤] من آبـائك شيئـاً ؟ قـال : نعم رويتُ عن أبي عبـد الله ـ عليـه السّـلام ـ أنّـه قـال : إنّ لله عـزّ وجــلّ عِلْمين : عِلمـاً مخـزونـاً مكنـونـاً لا يعلمـه إلاّ هـو ، من ذلـك يكـون البـداء ، وعلماً علمـه ملائكتـه ورسله ، فالعلمـاء من أهـل بيت نبيّنـا يعلمونه .

قـال سليمـان : أحبّ أن تنـزعـه لي من كتـاب الله عـزّ وجـلّ ، قـال : قول الله عـزّ وجلّ لنبيّـه ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ : ﴿ فتـولّ عنهم فما أنت بملوم ﴾[٥] .. أراد هلاكهم ثم بدا لله عز وجـلّ فقال : ﴿ وذكّـر إنّ الذّكرى تنفع المؤمنين ﴾[٦] . قال سليمان : زدني جعلت فداك .

قـال الـرّضـا : لقـد أخبـرني أبي عن آبـائـه عليهم السّـلام عن رسـول الله ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ قـال : إنّ الله عـزّ وجـلّ أوحى إلى نبيّ من أنبيائُه أن أخبر فلاناً الملك : أنّي متوفّيـه إلى كذا وكـذا فأتـاه ذلـك النّبيّ فأخبـره فدعـا الله الملك وهـو على سـريـره حتّى سقط من السّرير وقـال يا ربّ أجّلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمـري فأوحى الله

---

(١) سورة السجدة : الآية / ٧ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ١٠٦
(٣) سورة فاطر : الآية / ١١ .
(٤) أي : في البداء .
(٥) سورة الذّاريات : الآية / ٥٤ .
(٦) سورة الذّاريات : الآية / ٥٥ .

عزّ وجلّ إلى ذلك النّبيّ : أن ائت فلاناً الملك فأعلمه أنّي قد أنسيتُ في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة، فقال ذلك النّبيّ ـ عليه السّلام ـ : يا ربّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب قطّ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، والله لا يُسأل عمّا يفعل ، ثمّ التفتَ إلى سليمان فقال : أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب ، قال : أعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود ؟ قال : قالت: ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾[1] يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يُحدث شيئا »[2] .

قوله عليه السّلام : « ضاهيت اليهود » من المضاهاة : وهي مشاكلة شيءٍ بشيءٍ ، قال ابن فارس : يقال ضاهاه يضاهيه ، إذا شاكله ، وربّما همز فقيل يضاهي، والمرأة الضهياء : هي الّتي لا تحيض فيجوز على تمحّل واستكراه أن يقال كأنها قد ضاهت الرّجال فلم تحض[3] .

وقيل الضّهياء من النّساء : الّتي لا تحيض ولا ينبت ثدياها ولا تحمل ، وقيل :الّتي لا تلد وإن حاضت[4] .

ولم تكن في القرآن الكريم من هذه اللّفظة إلاّ آية ﴿ **يضاهئون**

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٦٤ .

(٢) التوحيد ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦ وفيه: « أن ائت فلانا الملك فاعلم أني . . . » . وبعده : فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ **غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ .

وللكلام الرضوي تتمة لم نذكرها ، وما ذكرناه إنما هو لبيان الكلمة .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٧٤ ، في (ضهي) .

(٤) لسان العرب ١٤ / ٤٨٧ ، في (ضها) .

قول الّذين كفروا من قبل ﴾[1] . وقبلها قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النّصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ أي: اخترعوه بأفواههم لم يأتهم به كتاب، وما لهم به حجّة[2] .

وقد ضاهى قول اليهود : إنّ عزيراً ابن الله وقول النّصارى: المسيح ابن الله قول الكافرين من قبل : بأنّ الملائكة بنات الله وكلّ هذه الأقوال الثّلاثة نظائر تشترك في الفساد والبطلان ، وهكذا قول سليمان المروزي وأتباعه بإنكار البداء : يشبه اليهود في قولهم: بأنّ الله قد فرغ من خلق الخلق ، وأنّه مغلول اليد وهو إنكار للقدرة المطلقة وإثبات النّقص والعجز لله جلّ جلاله ، فردّهم الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾[3] . وهو القول بالتّفويض الباطل كالجبر .

والحقّ القول بالأمر بين الأمرين في مسألة الطّاعة والعصيان .

وإنكار البداء كالقول بالتّفويض من مذهب اليهود ومعتقدهم المستلزم لإنكار القدرة المطلقة، وقد أبطله الرّضا والأئمة المعصومون عليهم السّلام بما تقدّم ذكره ، وما يمرّ عليك .

وأمّا وجه الاستدلال بالآي في كلام الرّضا عليه السّلام فيظهر من إثبات حدوث العالم، الملازم لإثبات البداء ، المفسّر بالإظهار من

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٠ .
(٢) تفسير الصافي ١ / ٦٩٥ ، عند الآية .
(٣) سورة المائدة : الآية / ٦٤ .

العلم المكنون المصرّح به في كلامه عليه السّلام .

وأمّا البداء بمعنى الظّهور المستلزم للجهل فهو محال عليه تعالى، نعم يراد به بالنّسبة إلى الشّيء الواقع فيه البداء أي: الظّهور؛ لأنّه لا ينفكّ عن الإظهار ، فافهم الفرق بينهما ولا تخلطهما .

وأما ما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم بهذا الصّدد فإليك بعضها: ومنه الصّحيح الصّادقي : « ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّة ، وخلع الأنداد ، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء »[1] . والآخر : « في هذه الآية : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾[2] قال : فقال : وهل يمحو الله إلاّ ما كان ؟ وهل يثبت إلاّ ما لم يكن ؟ »[3] . والرّضويّ : « ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ بتحريم الخمر ، وأن يقرّ له بالبداء »[4] . والصّادقي : « لو يعلم النّاس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه »[5]. والآخر : « من زعم أنّ الله عزّ وجلّ يبدو له في شيءٍ لم يعلمه أمس فابرؤوا منه »[6] . وعن الصادقين عليهما السلام : « ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء »[7] . والصادقي : « ما عظّم الله عز وجل بمثل البداء »[8] .

---

(١) البحار ٤ / ١٠٨ .
(٢) سورة الرعد : الآية / ٣٩ ، آخرها ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ .
(٣) البحار ٤ / ١٠٨ .
(٤) المصدر .
(٥) المصدر .
(٦) المصدر ص ١١١ .
(٧) التّوحيد ٣٣٢ .
(٨) التوحيد ٣٣٣ .

قال الصّدوق :

ليس البـداء كما يـظنّه جهّـال النّاس : بأنّه بـداء ندامة، تعالى الله عن ذلـك ، ولكن يجب علينـا أن نقـرّ لله عـزّ وجـلّ بـأنّ لـه البـداء ، معناه : أنّ له أن يبـدأ[1] بشيءٍ من خلقه فيخلقـه قبـل شيءٍ ، ثمّ يعـدم ذلك الشّيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمـر بأمـرٍ ثمّ ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيءٍ ثم يـأمـر بمثـل مـا نهى عنـه ، وذلـك مثـل نسـخ الشّـرائع، وتحويل القبلة، وعدّة المتوفّى عنها زوجها، ولا يأمر عبـاده بأمـر في وقت مـا إلاّ وهـو يعلم أنّ الصّـلاح لهم في ذلـك الـوقت في أن يـأمــرهم بـذلك ، ويعلم أنّ في وقت آخـر الصّلاح لهم في أن ينهـاهم عن مثل مـا أمرهم بـه ، فإذا كـان ذلك الـوقت أمرهم بمـا يُصلحهم ، فمن أقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له أن يفعـل ما يشـاء ويعدم مـا يشاء ويخلق مكـانه مـا يشاء ، ويقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشـاء ويأمـر بما يشـاء كيف شاء فقـد أقـرّ بالبـداء وما عـظّم الله عزّ وجـلّ بشيءٍ أفضـل من الإقـرار بـأنّ لـه الخلق والأمـر ، والتّقديم والتّـأخير ، وإثبـات ما لم يكن ومحـو ما قـد كان .

والبـداء هو ردّ على اليهـود ؛ لأنّهم قالـوا : إنّ الله قـد فـرغ من الأمـر فقلنا: إنّ الله كـلّ يـوم في شـأن يُحي ويميت ويرزق ويفعــل مـا يشاء ، والبداء ليس من ندامة، وإنّما هو ظهـور أمر، يقول العرب : بـدا لي شخص في طريقي أي : ظهر، قـال الله عزّ وجـلّ : ﴿ **وبدا لهم من الله مـا لم يكونـوا يحتسبون** ﴾[2] . أي : ظهر لهم ومتى ظهر لله تعـالى ذكـره من عبد صلة لـرحمه زاد في عمـره ، ومتى ظهر لـه منـه قـطيعـة

---

(١) قـال المعلّق على كتاب التـوحيد ٣٣٥ : لا يتـوهم من هذا أنـه أخـذ البـداء مهموزاً، فليتأمّل في ذيل كلامه .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٤٧ .

لرحمه نقص من عمره ، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزّنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له منه التّعفف عن الزّنا زاد في رزقه وعمره[1] .

أقول :

إنّ البحث حول البداء مبسّط درسناه بتفصيل عند وصول السّيّد الأستاذ إليه في مبحث الأصول وكتبنا عنه بعض الشّيء[2] وأحسن الأجوبة ما أجاب عنه الأئمّة المعصومون عليهم السّلام قدمنا بعض أحاديثهم .

وقال زميلنا السّيّد المعلّق : وأحقّ ما قيل في الجواب ما ذكر في كلمات أئمّتنا صلوات الله عليهم أنّ من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالى يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء وعلم ذلك كلّه عنده تعالى ويقع علم تلك الأمور عند مدبّرات الأمور من الملائكة وغيرهم فيخبرون عنها مع جهلهم بالتّوقّف أو سكوتهم عنه مع العلم كما سكت عنه الله تعالى كما هو الشّأن في أئمتنا صلوات الله عليهم بعقيدتي لأنّ علمهم فوق البداء لأنّهم معادن علمه تعالى . . .[3] .

وكفى جواباً ما تقدّم عن الصّادق : « ما عظّم الله عزّ وجلّ بمثل البداء »[4] . وذلك لا يكون إلا بالإقرار به وأنّ له تعالى القدرة المطلقة في كلّ شيءٍ .

---

(١) التوحيد ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٢) عندما كنا في النجف الأشرف الى عام ١٣٩٥ هجري، ثم انتقلنا الى قم المقدسة ونحن في جوار فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهم السلام الى عامنا هذا ١٤٠٧ هـ .

(٣) هامش التوحيد ٣٣٢ . وله بيان مشبع حول الموضوع، انظر التوحيد ٣٣١ ـ ٣٣٣ .

(٤) التوحيد ٣٣٣ .

أمثال وحكم الإمام الرضا

أو

كلماته المختارة

محمد الغروي

الجزء الثاني

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

أمثال وحكم الإمام الرضا

أو

كلماته المختارة

أمثال وحكم الإمام الرضا (ع)

أو

كلماته المختارة

محمد الغروي

الجزء الثاني

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

حرف الطّاء

١٠٨ ـ طلبوا الخلاص من الظّلمة بالظّلمة

روى الصّدوق مناظرة الرّضا عليه السّلام مع عمران الصّابي وفيما قال عليه السّلام ردّاً عليه :

« والله تبارك وتعالى فردٌ واحدٌ لا ثاني معه يُقيمه، ولا يَعْضده، ولا يُمسكه ، والخلق يُمسك بَعضُه بعضاً بإذن الله ومشيئته ، وإنّما اختلف النّاس في هذا الباب حتّى تاهوا وتحيّروا ،وطلبوا الخلاص من الظّلمة بالظّلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم فازدادوا من الحقّ بُعداً ، ولو وصفوا الله عزّ وجلّ بصفاته، ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفَهْم واليقين ، ولما اختلفوا . فلمّا طلبوا من ذلك ما تحيّروا فيه ارتبكوا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . قال عمران : يا سيّدي أشهد أنّه كما وصفت ولكن بقيَتْ لي مسألةٌ ، قال سل عمّا أردت . . . »[1] .

(١) التوحيد ٤٣٩ .

ولـمّا كانت المناظـرة مطوّلـة اكتفينا بما تقدّم، والمعنى واضـح لا يفتقر إلى إيضاح .

قـوله عليـه السّلام : « طلبـوا الخلاص من الـظّلمة بـالـظّلمـة » صـالح لضـربه مثـلاً لمن يطلب أمـراً بما يضـادّ طلبه ،كناقش الشّـوكـة بـالشّوكـة حيث لا تزيـده إلاّ ولوجاً، وهو المثـل السّائـر تمثّـل بـه أميـر المؤمنين عليه السّلام في كلام له :

« . . . أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي ، كناقش الشّـوكـة بـالشّـوكـة ، وهو يعلم أنّ ضلعها معهـا »[1] ، فالمثـل العلويّ مصوغ للمنـع عن أن يكون الإنسان كذلك ، ولا بدّ من نقش الشّوكـة بما لا يـزيدهـا ولوجـاً بـل بما هـو مخرج لها، وقد نصّ القـرآن الكريم في نـظائر ذلك: منهـا قـوله تعـالى : ﴿ ويدرءون بـالحسنة السّيّئـة ﴾[2] . والدّرء : الدّفع، فلو كـان دفع السّيّئـة بالسّيّئـة لكان نـظير طلب الخـلاص من الـظّلمـة بالظّلمة، بل قال جلّ جلاله : ﴿ ويـدرءون بالحسنـة السّيّئة ﴾ ،وعليه كان على عمـران الصّابي ومتّبعيـه أن يطلبـوا الخلاص من الـظّلمة بـالنّـور لا بـالظّلمـة ، كما على مـريد إخـراج الشّوكـة إخراجهـا بغيرهـا لا بها فـإنّ ضلعها معها .

ويريد الإمام الرّضا عليه السّـلام من المثل بـطالب الخلاص من الظّلمة بالظّلمة أنّ توصيف الله عزّ وجل لا بد أن يكون بصفـاته تعـالى لا بصفـات مخلوقاتـه فلو وصفه بـأوصافهـا فقد وقـع في ظلمة الجهـل زيـادة على الجهـل الأوّل ،وقد جـاء في العلويّ : « اعـرفـوا الله بـــالله

---

(۱) النهج ۷ / ۲۹۱ ، كلام ۱۲۰ ، وحرف الكاف مع النون من الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، الرقم ۱۱۹ . ص ٣٦٢ .

(۲) سورة الرعد : الآية / ۲۲ .

والـرّسـول بـالـرّسـالـة وأولي الأمـر بـالأمـر بـالمعـروف والعـدل والإحسان »[1] .

ثم نـظير المثـل في عـدم الإمكـان قـولهم : (طلب الأَبْلَقَ العَقُوق)[2] .

---

(1) أصوّل الكافي ١ / ٨٥ .

(2) مجمع الأمثال ١ / ٤٣١ ، حرف الطاء . وهو من شعر :

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده اراد بيض الأنوق

وفي المصدر « العنوق » ، أمثال وحكم ٢ / ١٠٧٣ .

حرف العين

١٠٩ ـ على الخبير سقطت

روى الصّدوق بسنده إلى الحسن بن محمد النّوفلي ثمّ الهاشميّ مناظرة الإمام الرّضا عليه السّلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التّوحيد عند المأمون ـ إلى أن قال : ـ

« قال الجاثليق : أخبرني عن حواريّ عيسى بن مريم كم كان عدّتهم ؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا ؟ قال الرّضا عليه السّلام: على الخبير سقطت ، أمّا الحواريّون فكانوا أثني عشر رجلاً، وكان أعلمهم وأفضلهم ألوقا، وأمّا علماء النّصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنّا الأكبر بباخ ، ويوحنّا بقرقيسا ، ويوحنّا الدّيلمي برجاز، وعنده كان ذكر النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وذكر أهل بيته وأمّته وهو الّذي بشّر أمّة عيسى وبني إسرائيل به ، ثم قال له : يا نصرانيّ والله إنّا لنؤمن بعيسى الّذي آمن بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ . . . »[1] .

(١) عيون أخبار الرّضا (ع) ١ / ١٢٩ .

هـذه النبذة من منـاظرة الإمـام عليه السّـلام مشتملة على المثـل السّائر : « على الخبيـر سقطت » . قـال الميدانيّ بعـد ذكر المثـل أي « على الخبير سقطت » :

الخبيـر : العـالم ، والخُبْرُ : العلم ، وسقـطت : أي عثـرت ، عبّـر عن العثور بـالسّقـوط ؛ لأنّ عـادة العـاثـر أن يسقط على مـا يعثـر عليـه . يقال: إنّ المثـل لمالـك بن جبيـر العـامـري وكـان من حكمـاء العـرب وتمثّل بـه الفـرزدق للحسين بن علي ـ عليهمـا السّلام ـ حين أقبل يريـد العراق ، فلقيـه وهو يـريد الحجـاز فقال لـه الحسين ـ عليه السّـلام ـ : مـا وراءك ؟ قـال : على الخبيـر سقــطت ، قلوب النّـاس معك وسيوفهم مع بني أميّة ، والأمـر ينزل من السّمـاء ، فقال الحسين ـ عليه السّلام ـ : صدقتني[1] .

قال صاحب المستقصى : سأل حارثـة بن عبد العـزيز العـامري مـالك بن حُني العـامري وكـانت بينهمـا منافرة : عن أوّل من قـالـه ، وسـأل الحسين بن علي ـ عليهما السّـلام ـ الفـرزدق عن أهـل الكـوفة فقـال : علي الخبير سقـطت ، قلوب النّاس معـك وأسيـافهم مـع بني أميّـة ، والدّين لعق على ألسنتهم يحـوطونـه مـا درّت على معـاشهم ، وإن امتخضوا قلّ الـدّيّانـون منهم ، والأمر ينـزل من السّماء . يضـرب للعالم بالأمر قال ربيعة الأسدي :

(الوافر)

وسـائلة تسـائـل عن أبيهـا فقلت لهـا وقعت على الخبير
رأيت أبـاك قـد أطلى ومـالت عليه القشعمان من النّسـور[2]

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٢٤ ، رقم المثل ٢٤٦٦ ، حرف العين المهملة .
(٢) المستقصى ٢ / ١٦٤ . القشعمـان : المسنّ من الرجـال والنسور . اللسـان ١٢ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ، في (قشعم) .

قوله : « والـذّين لعق على ألسنتهم . . . » يمـاثله أو هـو نفسـه المرويّ عن الإمام الحسين عليه السّلام في مسيره الى كربلاء

قال الشّيخ المجلسي : « . . . فرحل من مـوضعه حتّى نـزل في يـوم الأربعاء أو يـوم الخميس بكربـلاء ، وذلك في الثّـاني من المحرّم سنـة إحدى وستّين . ثمّ أقبـل على أصحابـه ، فقال : « النّـاس عبيـد الدّنيا ، والـذّين لعق على ألسنتهم يحوطـونه مـا درّت معائشهم ، فـإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون . ثم قال . . . »[1] .

قال العسكري :

(قـولهم : على الخبير سقـطت) يقول : إنّـك سألت عن الأمر الخبيـر بـه . والخبيـر : العـالم ، والخبـر : العلم ، والـخبـرة : التّجـربـة ؛ لأنّ العلم يقــع معهـا ـ أي مــع التّجـربــة ـ وفي القـرآن الكــريم : ﴿ ولا ينبّئـك مثــل خبيـر ﴾[2] . وقــولــه : ﴿ فسئــل بــه خبيراً ﴾[3] . والسّقوط ههنا بمعنى المصادفـة ، ومثله قولهم : (سقط العشاء به على سرحان)[4] أي : صادف به السّرحان[5] .

وقـال ابن الأثيـر : فيـه ـ أي الحـديث ـ : « لله عـزّ وجـلّ أفـرح بتـوبة عبـده من أحدكم يسقط على بعيـره قـد أضلّه » أي : يعثـر على مـوضعه ويقـع عليـه ، كمـا يسقط الـطّائـر على وكـره . ومنـه حـديث الحارث بن حسّان : «قال له النّبيّ صلّىٰ الله عليـه ـ وآله ـ ، وسـأله عن

---

(١) البحار ٤٤ / ٣٨٣ .
(٢) سورة فاطر : الآية / ١٤ .
(٣) سورة الفرقان : الآية / ٥٩ .
(٤) مجمع الأمثال ١ / ٣٢٨ حرف السّين .
(٥) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ٢ / ٦٩ .

شيءٍ فقال : على الخبير سقطت » أي : على العارف به وقعت وهو مثلٌ سائرٌ للعرب[1] .

ويروى : سأل هارون الرّشيد الأصمعي عن شيءٍ فقال الأصمعي : على الخبير سقطت يا أمير . . . ! فقال له جعفر بن يحيى : أسقطك الله من جبل أروبدا ، هكذا يقال لأمير . . . ؟ هلّا قلت : الخبير سألت[2] .

ويماثل المثل : (على الجازي هبطت) ذكره الميداني مشيراً إلى المماثلة المذكورة[3] .

فلنعد إلى كلام الرّضا عليه السّلام في الجواب عمّا سأله الجاثليق رأس النّصارى عن عدد الحواريّين وعن علماء الإنجيل بما سمعت آنفاً فنقول :

الغرض من جمع المأمون أهل الأديان وأصحاب المقالات ومناظرتهم مع حجّة الله عزّ وجلّ الأختبار والرّجاء من وراء ذلك العثرة والسّقوط عن الأنظار حرصاً على الملك .

---

(١) النهاية ٢ / ٣٧٨ في (سقط) .
(٢) هامش المستقصى ٢ / ١٦٤ .
(٣) مجمع الأمثال ٢ / ٣٦ ، حرف العين المهملة

١١٠ ـ العلم أجمع لأهله من الآباء

قال الصّدوق: حدّثنا الحاكم أبو على الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدّثنا محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: حدّثنا إبراهيم بن العبّاس قال: سمعت علي بن موسى الرّضا عليه السّلام يقول: « مودّة عشرين سنة قرابة، والعلم أجمع لأهله من الآباء »(١).

تكلّمنا عن الـ «مودّة عشرين سنة قرابة »(٢).

قوله عليه السّلام: و « العلم أجمع لأهله من الآباء » من الحكم الرّفيعة الصّادقة، إذ عُلقة العلم بين العلماء أقوى من عُلقة الأبوّة بين الأبناء لأنّ الأولى لا تخصّ بجهة سوى الحقيقة الثّابتة إطلاقاً في الدّنيا والآخرة، بل العوالم كلّها بخلاف العلقة الأبويّة الّتي تخصّ البنوّة المحدّدة؛ ولأنّ علقة العلم معنويّة روحيّة والأبوّة ماديّة جسمية ولا يقاس أحدهما بالآخر؛ ولأنّ الله عزّ وجلّ قال في الثّانية: ﴿ **يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبته وبنيه *** ﴾(٣).

وفي الأولى قال أمير المؤمنين عليه السّلام: « والعلماء باقون

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٢٩.

(٢) حرف الميم مع الواو.

(٣) سورة عَبَسَ: الآية / ٣٤ ـ ٣٦.

ما بقي الدّهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة »[1] وإن قاله بالقياس إلى خزّان الأموال إلّا أنّ الكلام ثابت إطلاقاً ؛ لأن علقة العلم قلبيّة أيّنما كان قلب كانت فيه والأبوّة لا تدخل القلب إلّا بندرة تناسبها ؛ ولأنّ العلم لا تتخلّف أجمعيّته أبداً في البداية والنّهاية لأهله وأين هذا من الأبوّة والبّنوّة حيث أنّهما قد تتخلّفان بأن يكون إنسان من دون أب كآدم وحوّاء وعيسى بن مريم .

وكلام الرّضا عليه السّلام مقارنةٌ بين أجمعية العلم لأهله وبين الآباء للأبناء ، أو الآباء من أهل العلم ، إذ ربّما كان العالم أباً ولكنّ الظّاهر هو المقارنة الأولى أي العلم بالقياس إلى أهله وأنّه أجمع من الآباء إلى الأبناء فالعلم يجتمع عليه الكلّ مهما كان نوعه والأب لا يرتبط به الكلّ بل من يمتّ إليه بصلة الولادة دون الأجانب .

والعلم هو الجوهر المفرد الّذي يجمع الكلّ على مائدته الجامعة لألوان الأطعمة والأشربة وأنواع الفواكه .

ومجمل القول إنّه قوت الأرواح وقوّة الأجساد ، ويوصف الله عزّ وجلّ بالعالم ولا يوصف بالأب ومن ثم قد كفر القائل بالأب والأبن وروح القدس الأقانيم الثلاثة كما في الآية[2] .

---

(١) النهج ١٨ / ٣٤٣ ، الحكمة ١٤٣ .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ المائدة : ٧٣ . وهو قول النّصارى بالتثليث الأقانيم الثلاثة جمع الأقنوم :- لفظ سرياني يستعمله النصارى ومعناه بالعربية : الأصل قاله الطريحي في مجمع البحرين في (قنم) . وقال في (ثلث) : قالوا : الأقانيم ثلاثة ، فعبّروا عن الذات مع الوجود بأقنوم الأب ، وعن الذات مع العلم بأقنوم الابن ، وعن الذات مع الحياة بأقنوم روح القدس فردّ الله عليهم ذلك . . . مجمع البحرين في (ثلث) .

١١١ ـ عمّمنا النّاس بالدّين

روى الشّيخ الصّدوق استدلال الرّضا عليه السّلام بآي من القرآن الكريم على فضل الآل والفرق بينهم وبين الأمّة وهي اثنتا عشرة آية بحثنا عنها فراجع[١] . قال عليه السّلام :

« وأمّا الحادية عشرة فقول الله عزّ وجلّ في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون : ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّى الله وقد جاءكم بالبينات من ربّكم** ﴾ إلى تمام الآية[٢] . فكان ابن خال فرعون ، فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه وكذلك خُصّصنا نحن إذ كنّا من آل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بولاد تنامنه وعمّمنا النّاس بالدّين فهذا فرق بين الآل والأمّة . فهذه الحادية عشرة »[٣] .

---

(١) حرف الهمزة مع النون ، والهمزة مع الواو ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والخاء مع الصاد ، والذال مع الكاف ، والسين مع اللام ، والفاء مع الضاد ، والكاف مع اللام .

(٢) سورة غافر : الآية / ٢٨ .

(٣) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .

النّسبة بين المنسوب والمنتسب إليه لا تنسلخ بعد ثبوتها إلاّ بالتّقدير والفرض كالبنوّة والأبوّة المتضائفتين فلا تقبل الرّفع كما لا تقبل الوضع بعد الثّبوت في الأوّل وعدمه في الثّاني ،وعليه بنى الإمام عليه السّلام قوله : « فنسبه إلى فرعون بنسبه » ، وقوله عليه السّلام : « بولاد تنامنه »أي : النِّسبةُ النَّسَبِيَّةُ لا تقبل الرّفع لأجل التّخصيص الثّابت مهما كان نوعها من بيت النبوّة أو غيرها .

قال الرّضا عليه السّلام : « وعمّمنا النّاس بالدّين » ، لعلمهم بأنّ أهل البيت الأئمّة الّذين هو ثامنهم عليهم السّلام هم أوّل الدّين وآخره وأصله ومعدنه ومأواه ومنتهاه ، وبما أنّ مؤمنَ آل فرعون منفصل عن فرعون في الدين والإيمان قال تعالى : ﴿يكتم إيمانه﴾ تنصيصاً بأنّ الرّجل لا علاقة بينه وبين فرعون سوى أنّه من آله وابن خاله ومنفصل عنه في الدّين ، ففي المقام تخصيص نسبيّ من بيت رفيع لا أرفع منه وهو بيت النّبوّة ومعدن الوحي والرّسالة،ومن بيت وضيع سافل لا أسفل منه وهو فرعون الطّاغية المجهول ، والآية تنصّ على المقارنة بين النّسب والدّين والقياس المطّرد في الكلّ بلا تخصيص بإنسان دون إنسان شريف أو ضيع ، شأن آيات القرآن لا تقصر على قوم أو فرد خاصّ إلاّ ما أخرج بالدّليل . وقد روي عن الصّادق عليه السّلام : « ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمّ مات ذلك الرّجل ماتت الآية ، لمات الكتاب ، ولكنّه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى »(١) . نعم لهم عليهم السّلام تصاريف ووجوه ، لأنهّم أهل القرآن الكريم ، وفي باقري : « إنّما يعرف القرآن من خوطب به »(٢) .

* وفي أبياتهم نزل الكتاب *(٣)

(١) مقدمة تفسير البرهان : ٥ .
(٢) الوسائل ١٨ / ١٣٦ .
(٣) الغدير ٤ / ٢٥ . من قصيدة بائية عصماء للناشي الصغير المتوفى ٣٦٥ .

١١٢ ـ العين الغزيرة والغدير والرّوضة

في مرفوع الكليني عن الإمام الرّضا عليه السّلام في خصائص الإمام والإمامة ـ إلى أن قال ـ : « الإمام السّحاب الماطر والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة ، والسّماء الظّليلة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير ، والرّضة . . . »[١] .

تكلّمنا عن هذه التّمثيلات المذكورة فيه[٢] وأمّا : « العين الغزيرة والغدير والرّوضة » فنقول : « العين الغزيرة » النّابعة و الجارية ، قال الطّريحي :قوله تعالى : ﴿ عين جارية ﴾ [٨٨ / ١٢] العين : عين الماء سمّيت عيناً ؛ لأنّ الماء يعين عنها أي : يظهر جارياً[٣] . والغزيرة : الكثيرة وفي النّسخة الموجودة عندي « الغزيرة » : الطّبيعة والسّجيّة ومنها الشّعر :

إنّ الشّجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز[٤]

والنّسخة الأولى هي الأولى بالكلام الرّضويّ .

والغدير : القطعة من الماء يغادرها السّيل أي : يتركها .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) مجمع البحرين في (عين) .

(٤) لسان العرب ٥ / ٣٨٧ ، في (غرز) .

والجمع غُدُر وغدران . وقيل الغدير : مستنقع الماء ـ ماء المطر ـ صغيراً كان أو كبيراً غير أنّه لّا يبقى إلى القيظ إلا مّا يتخذه النّاس من عِدٍّ أو وَجْدٍ أو وَقطٍ أو صهريج أو حائرٍ . قال أبو منصور : العِدّ : الماء الدّائم الّذي لا انقطاع له ، ولا يسمّى الماء الّذي يجمع في غدير أو صهريج أو صنع ٍ عِدّاً ؛ لأنّ العِدّ ما يدوم مثل ماء العين والرّكيّة[1] .

والرّوضة : واحدة الرّياض والرّوضات : الأرض ذات الخُضرة . والرّوضة البستان الحسن ، عن ثعلب .

والروضة : الموضع يجتمع إليه الماء يكثر نَبْتُه ولا يقال في موضع الشّجر روضة . وقيل : الرّوضة عُشب وماء ولا تكون روضة إلّا بماء معها أو إلى جنبها[2] . . .

وفي نبويّ : « إذا رأيتم روضة من رياض الجنّة فارتعوا فيها ، قيل يا رسول الله وما روضة الجنّة ؟ قال : مجالس المؤمنين »[3] .

توصيف الإمام بالعين الغزيرة والغدير والرّوضة تمثيل لعلومه ومعارفه كالعيون الدّائمة النّبع ، ولمكان تشعّبها شبّهت بالغدران، ولانشراح الأرواح والنّفوس بالرّوضة أو لكونها توجبها كما في النّبويّ الآنف الذّكر ؛ فإنّ مجالس المؤمنين توجب دخول الجنّة بل هي هي ونظيرها المناجاة : « يا نعيمي وجنّتي »[4] .

---

(١) لسان العرب ٥ / ٩ ، في (غدر) .

(٢) لسان العرب ٧ / ١٦٢ ، في (روض) .

(٣) السفينة ٢ / ٦٧ ، في (صدق) . والأمثال النّبويّة ١ / ٦٧ ، رقم المثل ٣٨ ، حرف الهمزة مع الذال .

(٤) الصحيفة السجادية ٣٨٩ ، مناجاة المريدين . وقد جاء في زيارة المهدي عجّل الله فرجه يوم الجمعة : « السلام عليك يا عين الحياة » مفاتيح الجنان ٥٩ فصح إطلاقها عليهم جميعاً عليهم السلام .

حرف الفاء

١١٣ ـ فضل بعد طهارة تنتظر

روى الصّدوق حديث الرّضا عليه السّلام المشتمل على كثير من الآيات المستدلّة بها على أفضليّة العترة الطّاهرة ومنها الآيات الّتي ذكرها عليه السّلام جواباً عن سؤال العلماء .

« فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر النّاس ؟ فقال أبو الحسن : إنّ الله عزّ وجلّ أبان فضل العترة على سائر النّاس في محكم كتابه ، فقال له المأمون : وأين ذلك من كتاب الله ؟ فقال له الرّضا عليه السّلام : في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرّيّة بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾[1] . وقال عزّ وجلّ في موضع آخر : ﴿ **أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم**

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ٣٣ .

الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾[1] . ثمّ ردّ المخاطبة في إثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم ﴾[2] . يعني : الّذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليها فقوله عزّ وجلّ : ﴿ أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ يعني : الطّاعة للمصطفين الطّاهرين ، فالملك ههنا هو الطّاعة لهم ـ انتهى سؤال المأمون وجوابه ـ .

فقالت العلماء : فأخبرنا هل فسّر الله عزّ وجلّ الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرّضا عليه السّلام : فسّر الاصطفاء في الظّاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً . . .

فأوّل ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[3] ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبيّ بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود . وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عالٍ حين عنى الله عزّ وجلّ بذلك الإنذار فذكره لرسول الله صلّى الله عليه وآله فهذه واحدة .

والآية الثّانية في الاصطفاء قوله عزّ وجلّ : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾[4] . وهذا الفضل الّذي لا يجهله أحد إلاّ معاند ضالّ؛لأنّه فضل بعد طهارة

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٤ .
(٢) سورة النساء : الآية / ٥٩ .
(٣) سورة الشعراء : الآية / ٢١٤ .
(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٣٣ .

تنتظر . فهذه الثّانية »[1].

من رام النظر إلى بقيّة عدد الآيات راجعها[2] . قوله عليه السّلام : « هكذا في قراءة أبيّ بن كعب . . . » بعد التخريج لا بدّ من التّأويل، لأنّ القول بتحريف القرآن الكريم لا يساعده العقل ولا النّقل الصّحيح وكلّ ما جاء ظاهره الخلاف محمول على أنه تفسير وشرح للآية والبحث مشبع في محله . قوله عليه السّلام : « فضل بعد طهارة تنتظر » أي : تنتظر من قبل التّطهير[3] .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٨١ .

(٢) عيون الأخبار ١ / ١٨١ ـ ١٨٨ .

(٣) لأنّ الطهارة الكاملة لا تفقد الفضائل كلها والكمال كله فتدّبر ذلك، ويحتمل لفظه بالياء : « ينتظر » العائد الى الفضل يعني أنّ الفضل مرتقب بعد الطهارة. ونسختي « تنتظر بالتاء». وفي تحف العقول ٤٢٩ : « لأنه فضل بيّن » ، وفي هامشه : « لأنه فضل بعد الطهارة تنتظر » والضمير عائد إلى الطهارة .

١١٤ ـ فقد ولّى الشّباب إلى مداه

من أبيات نقلها الصّدوق طاب ثراه عن الرّضا عليه السّلام قال : حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه قال : حدّثني إبراهيم بن محمّد الحسني قال : بعث المأمون إلى أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ جارية فلمّا أدخلت إليه اشمأزت من الشّيب فلمّا رأى كراهيتها ردّها إلى المأمون وكتب إليه بهذه الأبيات :

نعى نفسي إلى نفسي المشيب وعند الشّيب يتّعظ اللّبيب
فقد ولّى الشّباب إلى مداه فلست أرى مواضعه تؤب
سأبكيه وأندبه طويلاً وأدعوه إليّ عسى يُجيب
وهيهات الّذي قد فات منّي تمنّيني به النّفس الكذوب
وراع الغانيات بياض رأسي ومَنْ مدّ البقاء له يشيب
أرى البيض الحسان يحدن عنّي وفي هجرانهنّ لنا نصيب
فإن يكن الشّباب مضى حبيباً فإن الشيب أيضاً لي حبيب
صأصحبه بتقوى الله حتّى يفرّق بيننا الأجل القريب[١]

في حديث علويّ : « شيئان لا يعرف فضلهما إلاّ مَنْ فقدهما :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦ ، البحار ٤٩ / ١٦٤ .

الشّباب ، والعافية »[1] .

ونبـويّ : « سبعة في ظـلّ عـرش الله عـزّ وجـلّ يـوم لا ظـلّ إلاّ ظله : إمامٌ عادلٌ . وشابٌ نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ . . . »[2] .

وبـاقريّ : « أصبـح إبراهيم عليـه السّلام فـرأى في لحيتـه شيبـاً شعرة بيضاء فقـال : الحمد لله رب العـالمينَ الّذي بلّغني هـذا المبلغ ولم أعصِ الله طرفة عين »[3] .

الشّبـاب هو الفتى والفتّـوة القوّة في طـاعـة الله ، وعلى عصيـان النّفس وإن عمّـر مـا عمّـر ، قـال تعـالى : ﴿ **إنّهم فتيـةٌ آمنـوا بـربّهم وزدنـاهم هـدى** ﴾[4] . وفي صـادقي : « إنّـه قال: لـرجـل مـا الفتى عندكم ؟ فقال له : الشّبابّ ، فقـال : لا ، الفتى المؤمن ، إنّ أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله فتية بـإيمانهم »[5] . وآخر : « من آمن بالله واتّقى فهو الفتى »[6] .

من الكلمات في الشباب : « هو بعذرة الشّباب وغرته ، كـأنّما قـدّ سيره الآن» ، «الشّباب بـاكورة الحيـاة ، وأطيب العيش أوائله ؛ كما أنّ أطيب الثّمـار بواكـرها »[7] هـذا من المدح منه .

ومن الذّمّ : « الشّباب مظنّة الجهل ، ومطيّة الذّنوب »[8] .

---

(١) غرر الحكم ١٩٩ ، حرف الشين .
(٢) البحار ٨٤ / ٢ .
(٣) البحار ١٢ / ٨ .
(٤) سورة الكهف : الآية / ١٣ .
(٥) تفسير الصافي ٢ / ٦ .
(٦) المصدر .
(٧) التمثيل والمحاضرة ٣٨١ .
(٨) المصدر ص ٣٨٢ .

١١٥ - في كلّ جناح هدهد مكتوب بالسّريانيّة آل محمّد خير البريّة

روى الكليني بإسناده إلى سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام : « في كلّ جناح هدهد مكتوب بالسّريانيّة آل محمّد خير البريّة »(١) .

السّريانيّة لغة النّصارى ، قال الطّريحي : وفي الصّحاح القَسّ كفلَسْ : رئيس من رؤساء النّصارى في الدّين والعلم . وكذلك القسّيس ، والسّريانيّة لغتهم ، وكذلك الجاثليق ، وقال أيضاً : اللّغة السّريانيّة لغة القسّ والجاثليق(٢) .

وهل هذه الكتابة في كلّ جناح هدهد بعد إخراج الحديث مقروءة لكلّ من يحسن اللّغة السّريانيّة وكتابتها ، أو العالم بها المعصوم

(١) الكافي ٦ / ٢٢٤ ، وهو روي عن النبي وعلي عليهما السلام ، البحار ٢٧ / ٢٦١ .

(٢) مجمع البحرين في (قسس) وفي (سرا) .

دون غيره ؟! ومن ثَمَّ أخبر بها ، الظّاهر هو الثاني .

ثمّ إنّ كلمة « خير البريّة » جاءت في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية** ﴾[1] .

والآية لها الشّمول المطّرد وإنّ الخيريّة الحقيقية الصّادقة مقصورة على أهل البيت المعصومين وأنّهم من أصدق مظاهرها كما في جميع الآيات الدّالّة على كرائم الخصال والفضائل الإنسانيّة من الإيمان والصّدق والوفاء والحياء وغيرها خاصّة وأنّ الخير قد أضيف إلى البّريّة الّتي هي الخلائق كلّها والآيات النّاطقة بما لغير المؤمنين من العذاب والعقاب فإنّ ذلك لمخالفيهم ومن حذا حذوهم، وليس معنى هذا قصر العموم القرآني على موارد خاصّة، بل المراد التّطبيق من الجانبين أهل الحق وأهل الباطل لهما مظاهر جليّة مطبّقة عليها آيات الفضائل والرّذائل تطبيقاً عقليّاً حقيقيّاً كيف لا وقد جاء النّص الصّادقي : « إنّ القرآن حيّ لم يمت وأنّه يجري كما يجري اللّيل والنّهار وكما تجري الشّمس والقمر ويجري على آخرنا ، كما يجري على أوّلنا »[2] .

وللقرآن تنزيل وتأويل فإذا جاء ذكر المؤمنين ففي مقدّمتهم أمير المؤمنين وأهل بيته المعصومون عليهم السّلام، لأنّ الإيمان كلّه قد تجسّد فيهم فلو صدق في غيرهم من المؤمنين من الأولين والآخرين

---

(١) سورة البينة : الآية / ٧ .

(٢) مقدمة تفسير البرهان ص ٥ وفيها : الصادقي الآخر .
ولا يخفى أن الآية مفسرة بأهل البيت عليهم السلام . تفسير البرهان ٤ / ٤٨٩ - ٤٩٢ . وفيه ثلاث وعشرون رواية .

فإنّ ذلك مرتبة من الايمان وورقة من شجرة الكمال ، « إن ذكر الخير كنتم أوّله وآخره وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه »[1] ومنكم يؤخذ وإليكم يعود وأنتم معلّمو النّاس الخير ولا خير إلاّ خيركم فعليكم خير الصّلاة والسّلام .

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٨١ .

حرف القاف

١١٦ - قُبْلة يده كالصّلاة له

روى الشّيخ الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني[١] عن الإمام الرّضا عليه السّلام قال : « لا يقبّل الرّجل يد الرّجل ، فإنّ قُبلة يده كالصّلاة له »[٢] .

قُبلة اليد يلازمها الإنحناء عادة وهو يشّبه الرّكوع الّذي هو من أركان الصّلاة العباديّة ولعلّ من أجل ذلك قال عليه السّلام كالصّلاة له لمكان الشّبه به، أو لأنّ القُبلة لا تنفك عن الخضوع ، ولا يجوز ذلك لغير الله عزّ وجلّ إمّا مطلقاً أو بهذه الهيئة الإنحنائيّة وقد أصبحت من الآداب المتداولة بين بعض النّاس خاصّة عند الفرس القدامى، بل إلى اليوم عند طائفة منهم من الانحناء الكثير عند التّقبيل أو المصافحة .

وأمّا الدروشة والصّوفيّة أو بعض العرفاء منهم فلهم آداب مخترعة من جرّ الأذن اليسرى باليد اليمنى واليمنى باليسرى زيادة

(١) المتوفّي ٣٨١ هـ الرّاوي عن أبي علي محمد بن همّام المتوفّي ٣٣٦ هـ انظر الكنى للقمّي كما في مقدّمة التّحف .

(٢) تحف العقول ٤٥٠ ، البحار ٧٨ / ٣٤٥ .

على قبلة اليد بل الأرض الّتي تشبه السّجود المنضمّ إلى الرّكوع فاطلاق الصّلاة عليهم أقرب من غيرهم . وكيف كان فالكلّ منهيّ إلاّ ما استثني من القبلة وهو كما يلي :

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بإسناده إلى يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : إنّ لكم لنوراً تعرفون به في الدّنيا ، حتّى أنّ أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النّور من جبهته. وبإسناده أيضاً إلى رفاعة بن موسى عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : لا يقبّل رأس أحدٍ ولا يده إلاّ [يد] رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ، أو من أُريد به رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله[1] .

ومن المعلوم أنّ المراد ممّن يراد به الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله هم الأئمة المعصومون عليهم السّلام لأنّهم كنفسه المقدّسة وذرّيته السّادة زادهم الله شرفاً إلى يوم القيامة ، ثم الأمثل فالأمثل ممّن حمل علومه وهم العلماء المرضيّون القائلون بمقالتهم والعارفون بحقّهم لا كلّ من حمل علماً أو تسمّى بالعالم أو الفقيه فضلاً عن غيرهم من عامّة النّاس .

أما قبلة غير قبلة الخضوع ففي الكاظميّ : « مَنْ قبّل للرّحم ذا قرابة فليس عليه شيءٌ وقبلة الأخ على الخدّ وقبلة الإمام بين عينيه »[2] . والصّادقي : « ليس القبلة على الفم إلاّ للزّوجة أو الولد الصّغير »[3] .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ١٨٥ ، باب التقبيل الحديث ١ ـ ٢ .
(٢) أصول الكافي ٢ / ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ١٨٦ ، باب التقبيل الحديث ٦ .

١١٧ ـ قد فهمتَ إن شاء الله

روى الصّـدوق بسنده إلى أبي هـاشم الجعفري عن أبي الحسن عليه السّلام قال: سألـه عن الصّلاة على المصلوب قـال : « أما علمت أنّ جـدّي صلوات الله عليـه صلّى على عمّـه ؟ قلت : أعلم ذلـك ولكنّني لم أفهمه مبيّناً ، قال : نبيّنه لك :

إن كـان وجـه المصلوب إلى القبلة فقم على منكبـه الأيمن ، وإن كان قفاه إلى القبلة فقم على منكبه الأيسر ، فـإنّ ما بين المشـرق والمغـرب قبلة ، وإن كـان منكبـه الأيسـر إلى القبلة فقم على منكبـه الأيمن ، وإن كـان منكبـه الأيمن إلى القبلة فقم على منكبـه الأيسـر ، وكيف كـان منحرفـاً فـلا تـزايلنّ منـاكبـه ، وليكن وجهـك إلى مـا بين المشرق والمغرب ولا تستقبله ، ولا تستـدبره البتّـة . قال أبـو هاشم : ثم قال الرّضا عليه السّلام : قد فهمت إن شاء الله »[١] .

قـال الصّـدوق : قـال مصنّف هـذا الكتـاب رحمـه الله : هـذا حديث غريب لم أجده في شيءٍ من الأصول والمصنّفـات ، ولا أعرفـه

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٠٠ .

إلاّ بهذا الإسناد(١) .

قوله عليه السلام : « قد فهمت إن شاء الله » جواب لقول أبي هاشم الجعفري : « ولكنّني لم أفهمه مبيّناً » . والمراد من جدّ الرّضا هو الصّادق عليهما السّلام ، ومن عمّه زيد بن علي بن الحسين عليهم السّلام حيث قتل بالكوفة فى الثّالث من صفر وكان خروجه في غرّته سنة ١٢٠ أو سنة ١٢١ وصلب بالكناسة . وقد ترجمناه عند الكلمة : « زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية »(٢) وأبو هاشم الجعفري قال النّجاشي : داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبو هاشم الجعفري رحمه الله كان عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السّلام شريف القدر ثقة روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السّلام . وقال الشّيخ داود بن القاسم الجعفري يكنّى أبا هاشم من أهل بغداد جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السّلام وقد شاهد جماعة منهم الرّضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السّلام(٣) .

قال المحدّث القمّي : وله شعر جيّد فيهم منه قوله في أبي الحسن الهادي عليه السّلام وقد اعتلّ :

مادت الأرض بي وأدت فؤادي ... واعترتني موارد العرواء
حين قيل الإمام نضوٌ عليلٌ ... قلت نفسي فدته كلّ الفداء
مرض الدّين لاعتلاك واعتـ ... ـلّ وغارت له خرم السّماء
عجباً أن منيت بالدّاء والسقم ... وأنت الإمام حسم الدّاء
أنت آسى الأدواء في الدّين والدّ ... نيا ومحيي الأموات والأحياء

---

(١) المصدر .
(٢) حرف الزّاي مع الياء .
(٣) معجم رجال الحديث ٧ / ١١٨ .

وكـان مقدّمـاً عند السّلطان ، وكـان ورعاً زاهـداً نـاسكـاً عـالمـاً عـامــلاً ولم يكن أحــد في آل أبي طــالب مثله في زمــانــه في علوّ النّسب ، ووردت عن أبي هـاشم روايات من دلائـل إمامـة أبي الحسن الهادي نذكر منها اثنتين :

١ ـ روى أنّ أبـا الحسن عليـه السّـلام مصّ حصـاةً ثمّ رمى بهـا إلى أبي هاشم فوضعها في فمه ، فما برح من عنـده حتّى تكلّم بثلاثـة وسبعين لساناً أوّلها الهنديّة .

٢ ـ روى عن خـرائج الـرّاوندي قـال : كان أبـو هاشم منقـطعـاً إلى الهـادي عليه السّـلام فشكى إليه مـا يلقى من الشّوق إليـه ، وكان ببغـداد وله بـرذون ضعيف ، فقال عليـه السّلام قـوّاك الله يا أبـا هاشم وقوّى برذونك ، قال الرّاوندي : وكـان أبو هـاشم يصلّي الفجر ببغـداد ويسير على ذلك البـرذون فيدرك الـزّوال من يومـه ذلك في عسـكر سرّ من رأى ، ويعود من يومـه إلى بغداد إذا شـاء على ذلك البـردون وكان هذا من أعجب الدّلائل الّتي شوهدت .

وذكـر السّيّـد ابن طـاووس : أنّـه من وكـلاء النّـاحيــة الّـذين لا تختلف للشّيعـة فيهم ، توفّي في ج ١ سنـة ٢٦١ ، قـال المسعـودي : وقبره مشهور : والظّاهر أنّ مـراده في بغداد ؛ لأنّـه كان متـوطّناً فيهـا ، وكـان أبوه القـاسم أميـر اليمن رجـلاً جليـلاً وكـانت أمّ القـاسم أمّ حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فهو أبن خالة سولانا الصّـادق عليه السّلام[1] . وفي البرذون كـلام لنا في كلمـة : « إنّ الذي بمـوّن الحمار يموّن البرذون »[2]

---

(١) الكنى والألقاب ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٢) حرف الهمزة مع النّون .

نعود إلى حديث الرّضا عليه السّلام وبيانه لكيفيّة الصّلاة على المسلم المصلوب .

والّذي ذكره السّيّد الطّباطبائي اليزدي في المقام ، هو كما يلي :

«**مسألة ١٥** : المصلوب بحكم الشّرع لا يصلّى عليه قبل الإنزال بل يصلّى عليه بعد ثلاثة أيّام بعدما ينزل ، وكذا إذا لم يكن بحكم الشّرع ، لكن يجب إنزاله فوراً والصّلاة عليه ، ولو لم يمكن إنزاله يصلّى عليه وهو مصلوب مع مراعاة الشّرائط بقدر الإمكان» (١) .

ومعلوم أنّ زيداً مصلوب بحكم حاكم غير شرعي . وغير ممكن الإنزال حتى يصلّى عليه بعد الإنزال بل من الحديث الرّضويّ يعلم أنّ الشّهيد زيد بن عليّ عليهما السّلام صلّى عليه وهو مصلوب والكيفيّة المذكورة أمر تعبّديّ

(١) العروة الوثقى ١١٩ . في شروط صلاة الميت ، ومستمسك السيد الحكيم ٤ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ . نفس العنوان . وتحقيق الحكم الفرعي يبحث في الفقه .

١١٨ ـ القُذّة بالقُذّة

روى الشّيخ الكليني بإسناده عن معمّر بن خلّاد قال : سمعت الرّضا عليه السّلام وذكر شيئاً فقال : « ما حاجتكم إلى ذلك هذا أبو جعفر قد أحلستُه مجلسي وصيّرتُه مكاني . وقال : إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القُذّة بالقُذّة »(١) .

وفي رواية الشّيخ المفيد « حذو القُذّة بالقُذّة »(٢) .

قال العسكري في « حذو النّعل بالنّعل ، والقذّة بالقذّة » أي : بمثل فعله وهو مثله حذو النّعل بالنّعل والقُذّة بالقُذّة . والقُذّة : الرّيشة الّتي تركب على السّهم . (وسهم أقذّ) أي : لا ريش عليه ، ومقذوذ مريش ، « وما أصبت منه أقذّ ولا مريشاً » أي : لم أصب منه شيئاً ونحو المثل قول الشاعر :

النّاس مثل زمانهم قدّ الحذاء على مثاله

---

(١) أصول الكافي ١ / ٣٢٠ ، كتاب الحجّة ، تفسير البرهان ٤ / ٤٤٣ .
(٢) الاختصاص ٢٧٩ .

فـالبس أخـاك على التّصـ ـنّع والتّفـاوت من فعـالـه
فـالـطّرف يـكـبـو مـرّة وهو الجواد على اعتلاله[1]

وذكـره الميداني وقـال : أي مثلاً بمثـل يضرب في التّسـوية بين الشّيئين ، ومثله حـذو النّعـل بـالنّعـل والقُـذّة لعلّهـا من القـذّ : وهـو القطع يعني به قطع الرّيشـة المقذوذة على قـدر صاحبتهـا في التسوية، وهي فُعلة بمعنى مفعولة كاللّقمة ، والغـرفة ، والتّقـدير حـذياً حَـذْوَ ، ومن رفـع أراد : هما حـذوُ القُذّة[2] . وقـال الزّمخشـري بعد المثـل : النّـابـل يحـذو كـلّ ريشـة على طـرح صـاحبتهـا ، يضـرب في المتماثلين[3] . ويماثل الكلّ قـولهم : « طابق النّعـل بالنعـل » ذكرنـاه عند التّكلّم عن المثل النّبـويّ : « حذو النّعـل بالنّعـل والقُذّة بـالقُذّة » وقلنا هناك لعلّ مصدره المثل السّائر المتقدّم[4] في الحـديث النّبويّ : « لتـركبنّ سنّة من كـان قبلكم حذو النّعـل بالنّعـل والقُذّة بـالقُذّة ، ولا تخطون طريقتهم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ وباعاً ببـاعٍ حتّى أن لو كـان من قبلكم دخل حجر ضبّ لدخلتموه . . . »[5]

والرّضا عليه السّلام يريد من المثـل السّائـر أنّ ابنه الجـواد يحلّ محلّه ويقوم مقامـه في الإمامـة وفي كلّ مـاله من شؤون ، وأنّـه محمّد كمـا أنّ أوّلهم محمّد وآخـره هم محمّد وكلّهم محمّـد رواه السّيّد عبـد الله شبّر طاب ثراه في كتابه[6] .

---

(١) الجمهرة على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ١٩٥ ، حرف الحاء .
(٣) المستقصى ٢ / ٦١ .
(٤) الأمثال النّبويّة ١ / ٣٦١ ، رقم المثل ٢٣١ ، حرف الحاء مع الذال .
(٥) تفسير القمي ٢ / ٤١٣ ، عند سورة الانشقاق : ١٩ .
(٦) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ ، مع شرح الحديث .

حرف الكاف

١١٩ - كالقمر بين الكواكب

في رواية السّيّد ابن طاووس من كتاب النّشر والطّيّ عن الإمام الرّضا عليه السّلام في فضل يوم الغدير : « إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيّام إلى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها ،قيل: ما هذه الأيّام ؟ قال : يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة ويوم الغدير ، وإنّ يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب . . . »[١] .

تكلّمنا عن المثل الأوّل : « زفّت أربعة أيّام . . . »[٢] والمثل الثّاني : « كالقمر بين الكواكب » بيان لرفعة يوم الغدير وأكبريّته من بقيّة الأعياد كما أنّ القمر أكبر من بقيّة الكواكب ووجه أرفعيّة العيد

(١) إقبال الأعمال ٤٦٤ .

(٢) حرف الزاي مع الفاء .

الأغرّ يوم الغدير على الأعياد هو: أنّ الولاية روحٌ والأعمال الّتي صارت من أجلها تلك الأيّام أعياداً جسدٌ، ولا خير في جسد لا روح فيه، والرّوح أرفع من الجسد قدراً وأفضل منزلةً، ولولا الولاية لما قبل عمل عامل مهما كان العمل من صلاة وصوم وحجّ وغيرها ممّا بني الإسلام عليه إذ هي الأصل وتلك فروع ولا يستقيم الفرع إلّا بالأصل .

ففي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال : « بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصّلاة ، والزّكاة ، والحجّ ، والصّوم ، والولاية. قال زرارة: فقلت: وأيّ شيءٍ من ذا لك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ؛ لأنّها مفتاحهنّ ، والوالي هو الدّليل عليهنّ . . . »(١) .

وصحيح محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول : « كلّ من دان الله عزّ وجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول وهو ضالّ متحيّر ، والله شانىء لأعماله . . . وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفرٍ ونفاقٍ ، واعلم يا محمّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم الّتي يعملونها كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضّلال البعيد »(٢) .

والباقري الآخر : « . . . أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله

---

(١) الوسائل ١ / ٧ ـ ٨ باب ١ من أبواب مقدمات العبادات ح ٢ .

(٢) الوسائل ١ / ٩٠ باب ٢٩ من أبواب مقدمات العبادات الحديث ١ ، والآية : ١٨ من سورة إبراهيم عليه السلام .

فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان »[1] .

تم التمثيل بالقمر شديد العلقة، لما جاء في تفسير﴿والقمر إذا تلاها﴾ بأمير المؤمنين والشّمس بالنّبيّ صلّى الله عليهما وآلهما وسلّم، كما عن الشّيخ الكليني طاب ثراه في صادقي: «... ﴿الشّمس﴾ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، به أوضح الله عزّ وجلّ للناس دينهم، قال: قلت: ﴿ والقمر إذا تلاها﴾؟ قال: ذاك أمير المؤمنين تلا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ . . . »[2] .

والقمر أقرب إلى الشّمس من بين الكواكب المستنيرة من نورها وضيائها، وكان له الحظّ الأوفر من الاستنارة دونها . كذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لقربه من النّبيّ له النّصيب الأكبر من بين النّاس جميعاً، بل لم يتفجّر نور العلم والحقيقة بعد الرّسول إلّا منه، وكيف لا وهو باب مدينة العلم والحكمة النّبويّة، ولا تؤتى المدينة إلّا من بابها ومن أعظم البيوت الّتي أمر الله عزّوجلّ الإتيان من أبوابها قال تعالى : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾[3] .

فالعلقة بين التمثيل ليوم الغدير بالقمر من بين الكواكب على بقيّة الأعياد شديدة؛ لأجل صاحبه الّذي تمّت النّعمة بنصبه فيه علماً للنّاس، وكمل الدّين به كما قال عزّ وجلّ : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[4] .

ثم التّمثيل بالقمر والنّجوم والشّمس قد تكرّر في الأحاديث

(١) الوسائل ١ / ٩٠ ـ ٩١ الباب ٢٩ الحديث ٢ .
(٢) تفسير البرهان ٤ / ٤٦٦ عند تفسير الآية ١ من سورة الشمس .
(٣) سورة البقرة : الآية / ١٨٩ .
(٤) سورة المائدة : الآية / ٣ .

والزّيارات والأدعية .

من الأولى : تأويل الآية المرويّ المتقدّم الذكّر، والمثل النّبويّ : « أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم »[1] .

والرّضويّ : « الإمام كالشّمس الطّالعة »[2] .

والمهدويّ : « إذا أفل نجم طلع نجم »[3] .

ومن الثانية : « السّلام على الكوكب الدّريّ ، السّلام على الإمام أبي الحسن عليّ »[4] .

ومن الثالثة : « أين الشّموس الطّالعة ، أين الأقمار المنيرة ، أين الأنجم الزّاهرة »[5] .

ويمكن أن يقال بالاستعمال الحقيقي بناءً على كون الشّمس اسماً للجسم المضيء المرئيّ للأبصار والبصائر والقول بالإشتراك المعنويّ في جميع أسماء الأجناس على ما هو المختار المحرر في محلّه . نعم على المبنى الأوّل تمثيل .

وكيف كان فقد بان الغرض من المثل ليوم الغدير الثّامن عشر من ذي الحجّة الحرام عام الوداع . ما أعظمه من يوم عيد للعالم كلّه عامّة ، ولشيعته خاصّة ، يا ليت النّاس علموه والأكثر لم يعلمه .

إنّ لله في معاليك سرّاً أكثر العالمين ما علموه[6]

(١) الأمثال النّبويّة ١ / ١٠٤ ، رقم المثل ٦٥ ، حرف الهمزة مع الصّاد .
(٢) تحف العقول ٤٣٨ ، الأمثال الرضويّة حرف الهمزة مع الميم .
(٣) الأمثال المهدويّة حرف الهمزة مع الذال .
(٤) زيارة الأمير عليه السلام يوم المولود ، المفاتيح ٣٧٧ .
(٥) المفاتيح ٥٣٥ ، الندبة .
(٦) لعبد الباقي ، ذكره في السفينة ٢ / ٢٣١ في (علا) ولم يحضرني ديوانه ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٢٥٩ ، رقم المثل ١٨٣ .

١٢٠ ـ كلام الله لا تتجاوزوه ، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا

روى الصّدوق عن جعفر بن محمد بن مسرور قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن إبراهيم بن هاشم عن الرّيّان بن الصّلت قال: قلت للرّضا ـ عليه السّلام ـ: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقال: « كلام الله لا تتجاوزوه ، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا »[1] .

الكثرة الكاثرة من روايات أهل البيت عليهم السّلام مرويّة في فضل القرآن الكريم، تقتضي تأليف كتاب ضخم في ذلك وقد كتبت كتب بهذا الشّأن ، إليك عدداً منها كما في الذّريعة :

١ ـ فضائل القرآن: لأبي بن كعب الأنصاري الصّحابي ، أوّل من صنّف « فضائل القرآن » كما صرّح به محمد بن إسحاق بن النّديم في « فوز العلوم » خلاف ما أظهر في « كشف الظّنون » بأنّ أوّل من صنّف : «فضائل القرآن » محمّد بن ادريس الشّافعي المتوفى سنة الرّابعة بعد المائتين .

٢ ـ فضائل القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد

(١) عيون الأخبار ٢ / ٥٧ .

البرقي ، أبوه من أصحاب الرّضا عليه السّلام ، وقد توفّي هو ٢٧٤ .

٣ ـ فضائل القرآن: لأحمد بن محمد بن سيّار أبي عبد الله الكاتب البصري المتوفّى ٣٦٨ .

٤ ـ فضائل القرآن: لأحمد بن محمد بن عمّار أبي علي الكوفي المتوفّى ٣٤٦ .

٥ ـ فضائل القرآن: للحسن بن علي البطائنيّ الواقفيّ .

٦ ـ فضائل القرآن: المنسوب إلى الصّدوق بخطّ يحيي بن علاء الدّين الجيلاني .

٧ ـ فضائل القرآن: لعليّ بن إبراهيم بن هاشم القميّ ذكره ابن النّديم ٥٥ .

٨ ـ فضائل القرآن: للشّيخ محمد علي الحزين، م ١١٨١ ، فارسي كما في فهرست كتبه .

٩ ـ فضائل القرآن: لعلي بن الحسن بن فضّال ذكره ابن النّديم ٥٥ .

١٠ ـ فضائل القرآن: لأبي الحسن محمد بن الحسين بن سفرجلة الخزّاز الكوفي .

١١ ـ فضائل القرآن: لمحمد بن مسعود السّلمي السّمرقندي ذكره ابن النّديم .

١٢ ـ رسالة في فضائل القرآن: لأصغر ولد المحقّق المحدّث الفيض الكاشاني[1] .

---

(١) الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة ١٦ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

وغيرها من كتب باسم فضل القرآن :

١ ـ فضل القرآن : لمحمد بن الحسن الصّفّار القميّ ، م ٢٩٠ .

٢ ـ فضل القرآن : لأبي محمد يونس بن عبد الرّحمن الثّقة .

٣ ـ فضل القرآن وحملته : لأبي على أحمد بن محمد بن عمّار الكوفي ، ذكره النّجاشي ، مرّ له « فضائل القرآن »[١] .

عدد من روايات فضائل القرآن الكريم :

١ ـ موثق سماعة بن مهران قال : قال أبو عبد الله عليه السّلام : « إنّ العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه ، وهو الصّادق البارّ ، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السّماء والأرض ، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم »[٢] .

٢ ـ والصّادقي الآخر : « إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى ، فليُجل جالٍ بصره ، ويفتح للضّياء نظره ؛ فإنّ التّفكر حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنّور ... »[٣] .

٣ ـ والنّبويّ : « القرآن هدى من الضّلالة ، وتبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، ونور من الظّلمة ، وضياء من الأحداث ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة . وفيه كمال دينكم ، وما عدل أحدٌ عن القرآن إلاّ إلى النّار »[٤] .

٤ ـ في خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام : « ... ثم أنزل

(١) الذّريعة ١٦ / ٢٧١ .
(٢) أصول الكافي ٢ / ٥٩٩ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ٦٠٠ .
(٤) أصول الكافي ٢ / ٦٠٠ ـ ٦٠١ .

عليه كتاباً لا تطفأ مصابيحُهُ ، وسراجاً لا يخبو توقُّدُه ، وبحراً لا يدرك قعرُه ، ومنهاجاً لا يضلّ نهجُهُ ، وشعاعاً لا يظلم ضوءُهُ ، وفرقاناً لا يخمد برهانُهُ ، وتبياناً لا تهدم أركانُهُ ، وشفاءً لا تخشى أسقامُهُ ، وعزّاً لا تهزم أنصارُهُ ، وحقّاً لا تخذل أعوانُهُ . فهو معدن الإيمان وبحبوحتُهُ ، وينابيع العلم وبحورُهُ ، ورياض العدل وغدرانُهُ ، وأثافيّ الإسلام وبنيانه ، وأودية الحقّ وغيطانُهُ . وبحرٌ لا ينزفُهُ المستنزفون ، وعيونٌ لا ينضبها الماتحون ، ومناهلُ لا يغيضها الواردون ، ومنازلُ لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلامٌ لا يعمى عنها السّائرون ، وإكامٌ لا يجوز عنها القاصدون »(١) .

٥ ـ وروى الكليني عن أبي علي الأشعري عن الحسن بن علي بن عبد الله عن عبيس بن هشام قال : حدّثنا صالح القماط ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : « النّاس أربعة ، فقلت : جعلت فداك وما هم ؟ فقال : رجل أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن ، ورجل أوتي القرآن ولم يؤت الإيمان ، ورجل أوتي القرآن وأوتي الإيمان ، ورجل لم يؤت القرآن ولم يؤت الإيمان . قال : قلت : جعلت فداك فسّر لي حالهم ، فقال :

أمّا الّذي أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله كمثل الثمرة (٢) طعمها حلوٌ ولا ريح لها .

وأمّا الّذي أوتي القرآن ولم يؤت الإيمان فمثله كمثل الآس(٣)

---

(١) النّهج ١٠ / ١٩٤ الخطبة ١٩١ ، وهي قطعة منها وقد شرحها ابن أبي الحديد ، فراجعه ثم تليها قطعة أخرى : « جعله الله ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمةً . . .

(٢) لعلّها « الثمرة » لمناسبة الحلو .

(٣) بالفارسي (مورد)

ريحها طيّب وطعمها مرّ .

وأمّا من أوتي القرآن والإيمان فمثله كمثل الأترجة [1] ريحها طيّب وطعمها طيّب .

وأمّا الّذي لم يؤت الإيمان ولا القرآن فمثله كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها »[2] .

ذكرناه في الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الصّادق عليه السّلام[3] وحديث الثّقلين الذي رواه الفريقان «الشّيعة والسّنّة»[4] هو أهمّ حديث في شأن القرآن الكريم حيث قال النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله كما في حديث الباقر عليه السّلام : « يا أيها النّاس إنّي تارك فيكم الثّقلين أما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ؛ فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : أيّها النّاس إنّي تارك فيكم حرمات الله : كتاب الله وعترتي ، والكعبة البيت الحرام . ثم قال أبو جعفر عليه السّلام : أمّا كتاب الله فحرّفوا ، وأمّا الكعبة فهدموا ، وأمّا العترة فقتلوا ، وكلّ ودائع لله فقد تبرّوا »[5] .

هذه نفحة من نفحات النّبوّة والخير الكثير المعرّض من كلماتهم عليهم السّلام بشأن القرآن الكريم، وإنّ في خطب أمير المؤمنين وكلمات باقي الأئمة المعصومين أرواحنا فداهم الاهتمام البالغ ، ذكرنا كثيراً منها في مدخل تفسير آيات الأمثال[6] .

(١) يقال له بالفارسية : (ترنج) .

(٢) أصول الكافي ٢ / ٦٠٤ ـ ٦٠٥ .

(٣) مخطوط .

(٤) أفرد له مجلّد من كتاب عبقات الأنوار .

(٥) بصائر الدرجات ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٦) مخطوط .

قول الرّضا عليه السّلام : « كلام الله لا تتجاوزوه ، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا » من تلك النّفحات الشّاملة .

إذا لم يأتمر الإنسان بأوامر القرآن الكريم، ولم ينته بنواهيه، ولم يقف على حدوده فقد تجاوزه .

وليس معنى عدم التجاوز التّلاوة ،بل هي مع التّأدب بآدابه والعمل به وإلاّ فكما في النّبويّ المرويّ : « ربّ تالٍ القرآن والقرآن يلعنه »[١] .

واللّفظ الآخر : « كم من قاريء القرآن والقرآن يلعنه »[٢] . وقوله عليه السّلام : « ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا » إن لم تكن الهداية في كتاب الله عزّ وجلّ، فأين تكون ؟! ﴿ **فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون** ﴾[٣] .

وهل بعد كلام الله تعالى كلام ؟! وبعد حديثه حديث ؟! وبعد آياته آيات ؟! ﴿ **فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون** ﴾[٤] .

ربّنا بك آمنّا ، وبكتابك المنزل على رسولك المبجّل وكتبك المنزلة من قبل،وآمنّا بخلفاء رسولك الأثني عشر المعصومين وبشفيعة المحشر فاطمة الزّهراء المعصومة بنت رسولك وقرّة عينه وروحه وفلذة كبده أمّ أبيها أمّ الأئمة الميامين عليهم سلام الله أجمعين .

---

(١) البحار ٩٢ / ١٨٤ .
(٢) البحار ٩٢ / ١٨٥ .
(٣) سورة يونس : الآية / ٣٢ .
(٤) سورة الجاثية : الآية / ٦

١٢١ - كل ما في الخلق لا يوجد في خالقه

كلمة من كلمات خطبة الرّضا عليه السّلام الّتي رواها الصّدوق وقد مرّ غير مرّة التّكلّم عن نبذةً منها : « جنّبتها « لولا » التّكملة »[١] . إلى أن قال عليه السّلام :

« افترقت فدلّت على مُفرّقها ، وتباينت فأعربت عن مُباينها لما تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرّؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره ، ومنها أنيط الدّليل ، وبها عرّفها الإقرار ، وبالعقول يعتقد التّصديق بالله ، وبالإقرار يكمل الإيمان به ، ولا ديانة إلّا بعد المعرفة ، ولا معرفة إلّا بالإخلاص ، ولا إخلاص مع التّشبيه ، ولا نفي مع إثبات الصّفات للتّشبيه. فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه . . . »[٢]

قوله عليه السّلام : « افترقت فدلّت على مفرّقها ، وتباينت فأعربت عن مباينها » ضمائر التّأنيث كلّها عائدة إلى الأشياء المذكورة قبلاً من الخطبة .

(١) حرف الجيم مع النون .

(٢) التوحيد ٣٩ ـ ٤٠ .

يريد عليه السّلام بافتراق الأشياء بعضها عن بعض: الدّلالة على أنّه عزّ وجلّ لا افتراق فيه، بل هو المفرّق بينها، كما أنّ تباينها مُعرب عن الّذي باينها وأنّه لا تباين فيه، على حدّ بقيّة الكلمات من الخطبة الّتي: منها« بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[1] ونظائر ذلك مما يعرف الشّيء بنفي ضدّه، على حدّ المثل السّائر « تعرف الأشياء بأضدادها »[2].

قوله عليه السّلام: « لما تجلّى صانعها للعقول » متعلّق بالافتراق والتّباين المذكورين قبله أي: حيث ظهر للعقول صنعه تعالى عرفت مفارقتها ومُباينتها له وأنّه تعالى عنها.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: « بها تجلّى صانعها للعقول »[3]. ما ينطبق على بعض نسخ الخطبة الرّضوية، وعليه فالجملة مستأنفة، فافهم إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السّلام: « وفيها أثبت غيره » وفي نسخةٍ « عزّه »[4]. أي: قدرته تعالى في خلق الأشياء المختلفة التّأثير أو محبوبيّته تعالى؛ لأنّ العارف إذا نظر إليها عرف أنّه الرّحيم بعباده. وأمّا لفظ « غيره » فهو التّغير أي: أثبته فيها وهو آية الحدوث، للدّلالة على قدمه وأزليّته، والأوْلى هي الأوْلى.

وضمير: « ومنها أنيط الدّليل » عائد إلى الأشياء المذكورة قبلها أي: من الأشياء ما يتأتّى الدّليل عليه تعالى، لأنّها صنعه

---

(١) حرف الباء مع التاء.

(٢) أمثال وحكم ١ / ٥٤٨.

(٣) النهج ١٣ / ٧٦، الخطبة ٢٣٢.

(٤) هامش التوحيد ٣٩.

المتقن الدال على صانعها العالم المقتدر جلّ جلاله وكلّ ذلك بموهبة العقل والتّفكر فيها، ولذا قال عليه السّلام : « وبالعقول يعتقد التّصديق بالله »، ولا بدّ من المعرفة الكافية ، ولولاها لما قام للدّين عمود ، ولما اخضرّ له عود .

وأمّا حصول المعرفة فلا يمكن إلّا بالإخلاص، ولا إخلاص إلّا بترك التّشبيه والقياس بصفات المخلوق ؛ لأنّه لا يقاس بالنّاس، ولا تجري عليه صفاتهم ولا غيرهم من الخلق الفاني .

وكما قال أمير المؤمنين عليه السّلام : « وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه »[1] . وقبله : « وكمال توحيده الإخلاص له » وهو الّذي يريده الإمام الرّضا عليه السّلام هنا، لأنّهما من ثدي واحد يرتضعان .

قال ابن أبي الحديد :

فالمراد بالإخلاص له ها هنا هو نفي الجسميّة والعرضيّة ولوازمهما عنه ؛ لأنّ الجسم مركّب ، وكلّ مركّب ممكن ، وواجب الوجود ليس بممكن . وأيضاً فكلّ عرض مفتقر ، وواجب الوجود غير مفتقر فواجب الوجود ليس بعرض ـ إلى أن قال : ـ فمن عرف وحدانيّة الباري ولم يعرف هذه الأمور كان توحيده ناقصاً ، ومن عرف هذه الأمور بعد العلم بوحدانيّته تعالى فهو المخلص في عرفانه جلّ اسمه ومعرفته تكون أتمّ وأكمل[2] .

من أراد المعرفة الكاملة فلا بدّ من اتّباع المعصومين عليهم

---

(١) النهج ١ / ٧٢ ، الخطبة ١ .
(٢) شرح النهج ١ / ٧٤ .

السّـلام و انتهاج نهجهم والـرّكوب في سفنهم النّـاجية حتى ينجـو من الغرق في الشّكوك والجهالات .

ومنهم: الإمام الرّضا عليه السّلام فيجعل كلمتـه القيّمة وهي قـوله عليـه السّلام : « فكـلّ ما في الخلق لا يـوجـد في خـالقـه ، وكـلّ مـا يمكن فيه يمتنع من صانعه » مقياساً لمعرفة التّوحيد الخالص .

وكلمـة الفاء دالّـة على التّفريـع لمـا تقدّم، لأنّ كـل مـا سبق من الكلمات هو عدم إمكان جريان صفات المخلوق عليه تعالى، لحـدوثها ومغايرتها وافتقارهـا ونقصها الّذاتيّ، ولا يتأتّى واحـدٌ من هذه المعـاني في الله لقـدمه وأزليّتـه ، ودوامه وغنـاه وكمالـه الذّاتيّ المـطلق والعقل قاضٍ بذلك كله .

ولعمـري أنّ حديث كميـل أنّ السّؤال عن الحقيقة وجـواب أمير المؤمـنين عليـه الـسّـلام في آخـره : « اطـف السّـراج فـقـد طلع الصّبح »(١) . جدير بالنّظر إليه والبناء عليه وقـد تكلّمنا عنـه تفصيلاً في الأمثـال والحكم العلويّة(٢) سنـداً ودلالـةً وجهـات أخرى، والحمـد لله تعالى .

---

(١) حرف الهمزة مع الطاء .
(٢) مخطوط .

١٢٢ ـ كلّما أحدث العباد من الذّنوب ما لم يكونوا يعملون

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بسنده إلى العبّاس بن هلال الشّامي مولى لأبي الحسن موسى عليه السّلام قال : سمعت الرّضا عليه السّلام يقول : « كلّما أحدث العباد من الذّنوب ما لم يكونوا يعملون ، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون »[١] .

قد صرّح في دعاء كميل بطائفة من الذّنوب الّتي تجلب أنواع البلاء وهي : «اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تهتك العصم، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تنزل النّقم ، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تغيّر النّعم ، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تحبس الدّعاء ، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب التي تنزل البلاء ، اللّهمّ اغفر لي كلّ ذنب أذنبته وكلّ خطيئة أخطأتها »[٢]

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٧٥ .

(٢) جمال الأسبوع ٥٤٢ ـ ٥٤٣

وفي دعاء الحسن بن عليّ عليهما السّلام : « اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تحلّ بها النّقم ، واغفر لي الذّنوب الّتي تغيّر النّعم ، واغفر لي الذّنوب الّتي تهتك العصم ، واغفر لي الذّنوب الّتي تنزل البلاء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تعجّل الفناء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تُديل الأعداء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تقطع الرّجاء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تردّ الدّعاء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تُمسك غيث السّماء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تُظلم الهواء ، واغفر لي الذّنوب الّتي تكشف الغطاء »(١)

فتجد أنواع البلاء المستجلبة بالذّنوب قد جاء التّنصيص على كثير منها ، لترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الموجب لتسلّط الأشرار على الأخيار وعدم إجابة الدّعاء ، وغيرها

روى الكليني بسنده إلى محمد بن عرفة قال . سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يقول : « لتأمرُنّ بالمعروف ، ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » ٢ .

والنّبويّ : « إذا أمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله تعالى » ٣

تواكلوا أي : تقاعدوا وتواكل القوم أي : اتّكل بعضهم على بعض . وأريد بالوقاع : النّازلة الشّديدة أو الحرب(٤) .

---

(١) المجتبى من الدعاء المجتبى ٨ ، الملحق بمهج الدعوات لابن طاووس .
(٢) الكافي ٥ / ٥٦ ، الوسائل ١١ / ٣٩٤ .
(٣) الكافي ٥ / ٥٩ ، الوسائل ١١ / ٣٩٤ .
(٤) هامش الكافي ٥ / ٥٩ .

والنّبويّ الآخر : « لا تزال أمّتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء »[1] .

هذا بعض ما لتارك الأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر. ولو رمنا ذكر ما لبقيّة الذّنوب من آثار لخرجنا إلى تأليف ضخم .

ثمّ قوله عليه السّلام : « ما لم يكونوا يعرفون » دالّ على أنّ لكلّ ذنب بلاءً لا ينفكّ عنه ولكنّهم لا يعرفونه ، وللعمل مهما كان نوعه حقيقة مستورة اليوم وغداً تنكشف ، وفي القرآن الكريم آيٌ تدلّ عليه لا مجال لذكرها هنا .

---

(١) الوسائل ١١ / ٣٩٨ .

١٢٣ ـ كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها

هـذه الكلمة منتـزعة من المنـاظـرة الـرّضـويّـة مـع علمـاء أهـل الـعـراق وخراسان حول العترة بمحضر المأمون وفيهـا الاستدلال بـآي من القـرآن الكريم على أفضليّتهم ، ذكـرنا الآيـة الأولى والثّـانيـة عنـد كلمة « فضلٌ بعد طهارة تنتـظر »[١] . والثّالثـة عند « جعـل نفس عليّ عليـه السّـلام كنفسـه صلّىٰ الله عليـه وآلـه »[٢] . والـرّابعـة عنـد « خصـوصيّـة خصّهم الله »[٣] . والخـامسـة عنـد « أُوجـدكم في ذلـك قـرآناً »[٤] . والسّـادسة وهي آيـة المودّة عنـد ثلاث كلمـات إحداهـا : « أيّ شـرف يتقدّم هـذا »[٥] . وثانيتهـا : « إنّ المودة إنّمـا تكون على قدر معرفة الفضل »[٦] . والثّالثة ما نحن بصدده .

قال عليه السّلام :

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف الجيم مع العين .

(٣) حرف الخاء مع الصاد .

(٤) حرف الهمزة مع الواو .

(٥) حرف الهمزة مع الياء .

(٦) حرف الهمزة مع النون .

« فلمّـا أوجب الله تعالى [ذلـك][1] ثقـل ذلـك لثقـل وجـوب الطّاعة فتمسّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الـوفاء ، وعـاند أهـل الشّقاق والنّفاق ، وألحدوا في ذلك فصـرفوه عن حـدّه الّذي حـدّه الله عزّ وجلّ فقالوا : القرابة هم العرب كلّهم ، وأهل دعوته .

فعلى أيّ الحـالتين كان، فقـد علمنـا أنّ المـودّة هي القـرابــة ، فـأقـربهم من النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ أولاهم بـالمـودّة ، وكلّمـا قربت القرابة كانت المـودّة على قدرهـا ـ إلى أن قال عليـه السّلام : ـ فهـذه المودّة لا يـأتي بها أحـد مؤمناً مخلصـاً إلاّ استوجب الجنّـة لقول الله عـزّ وجلّ في هـذه الآية : **﴿ والّـذين آمنوا وعملوا الصّـالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاءون عند ربّهم ذلك هـو الفضل الكبيـر * ذلـك الّـذي يبشـر الله عبـاده الّـذين آمنـوا وعملوا الصّـالحـات قـل لا أسـألكم عليه أجـراً إلاّ المودّة في القـربىٰ ﴾**[2] . مفسّـراً ومبيّنـاً . . . فهذه السّادسة »[3] .

يراد من القربى الأئمّة الأثنا عشر المعصومـون عليهم السّلام مـع فاطمة الزّهراء عـليها السّلام وذراريهم السّـادة زادهم الله شرفـاً الأمثل فـالأمثل إلى يـوم القيامـة مع الإيمـان والطّاعـة فأبـو لهب عمّ النّبيّ لا تشمله الآيـة ، ويمكن تعميمهـا للقـرابـة الإيمـانيّـة فتشمـل المؤمنين جميعاً، ومن ثمّ قرّب في الله الأقـاصى نسباً كسلمـان وبـلال ، وقـطع في الله الأداني كـأبي لهب وقد قـال الـرّضـا عليـه السّـلام لأخيـه زيـد « أنت أخي مـا أطعت الله عزّ وجـلّ »[4] . وكيف كان فـالآية بـالصّميم

---

(١) كما في هامش تحف العقول ٤٣٢ .

(٢) سورة الشورى : الآية / ٢٢ ـ ٢٣

(٣) عيون الأخبار ١ / ١٨٤ .

(٤) عيون الأخبار ٢ / ٢٣٦ ، فتأمّل .

أوّلا تخصّ ال الرّسول المعصومين عليهم السّلام .

ولأبن العربي :

رأيــت ولائــي آل طـه وسـيـلة
عـلى رغـم أهــل البُـعـد يـورثـنـي الـقــربى

فـمــا طـلب الـمـبـعـوث أجـراً عـلى الـهـدى
بـتـبـليـغـه إلا الــمــودة فــي الــقــربــى[1]

---

(١) هامش إحقاق الحقّ ٢ / ٢٢٣

حرف اللاّم

١٢٤ ـ لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجّة

كلمة مستخرجة من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي حول الإرادة هل هي أزليّة أو محدثة ؟ الّتي رواها الصّدوق :

« قال سليمان : يا سيّدي قد أخبرتُك أنّها كالسّمع والبصر والعلم .

قال المأمون : ويلك يا سليمان كم هذا الغلط والتّردّد ، اقطع هذا وخذ في غيره ، إذ لستَ تقوى على هذا الرّد ، قال الرّضا عليه السّلام : دعه يا أمير المؤمنين ، لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجّة »[١] .

عرّفت المناظرة بجعل كلّ صاحبه نظيراً له في المخاطبة ،

(١) التوحيد ٤٥٠ ـ ٤٥١ ، عيون الأخبار ١ / ١٥٠ .

يقال : ناظرت فلاناً أي : صرت له نظيراً في المخاطبة[1] .

وإنّ من آداب المناظرة أن لا يحيد الطّرفان عن سُبُل السّلام والأمانة فلا يخون أحدهما صاحبه في إقامة البراهين والحجج بالتّمسك بما لا يصلح حجّة في مقام الاحتجاج ؛ إذ ذلك نوع من الخيانة ، ولعلّ فيمن حضر المناظرة من يغرّ بتلك الحجّة فيصير سبباً في الإغراء بالجهل المنهيّ عنه شرعاً وعقلاً لأنّه تمويه ولَبْس الحق بالباطل . وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون** ﴾[2] . بالخلط وأنّ الحقّ خلا وما تقولون ، مع العلم بالخلط والخلاف .

وسليمان من جملة الجهّال وإن عدّه المأمون من علماء المتكلّمين وادّخره لأن يكسر به الرّضا عليه السّلام أو نجهله ولكن كما قال روحي فداه عندما جمع المأمون أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلّمين من النّصارى واليهود وأهل الشّرك رجاء الغلبة عليه السّلام :

« يا نوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت : نعم ، قال : إذا سمع احتجاجي على أهل التّوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وعلى أهل الزّبور بزبورهم ، وعلى الصّابئين بعبرانيّتهم ، وعلى الهرابذة بفارسيّتهم ، وعلى أهل الرّوم بروميّتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ، فإذا قطعتُ كلّ صنفٍ ودحضتُ حجّته وترك مقالته ورجع إلى قولي ، علم المأمون أنّ الموضع الّذي هو بسبيله ليس هو بمستحقٍ له فعند ذلك تكون النّدامة منه ، ولا

---

(١) نهاية ابن الأثير ٥ / ٧٨ . في (نظر) .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٤٢

حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم [1] .

ومن هنا تعلم أنّ قول المأمون : « ويلك يا سليمان كم هذا الغلط والتّردّد . . . » هو أولى بالويل والغلط وإن كان صاحبه جديراً بذلك أيضاً إذنيّة فرعون هذه الأمّة المأمون ومن لفّ لفّه سيّئة والعمل يتبع القصد رفعةً وضعةً وفي العقوبة والمثوبة وهو معنى الحديث النّبويّ : « إنّما الأعمال بالنّيّات » رواه الشّيخ الطّوسي [2] وأحمد بن حنبل [3] والسّيوطي [4] وغيرهم ، والأمر أبين من ذلك .

وقول الرّضا عليه السّلام : « لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجّة » هذا شأن الجاهل كسليمان المروزي .

---

(١) التوحيد ٤١٩ . عيون الأخبار ١ / ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٢) الأمالي ٢ / ٣٣١ .

(٣) في مسنده١ / ٢٥ ، طبع بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى .

(٤) حمع الجوامع ١ / ٢٨٨ ، الهيئة المصرية .

١٢٥ - لا شيء مع الله في بقائه

ق الصّدوق: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدّواق رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدّثنا علي بن محمد المعروف بعلان عن محمّد بن عيسى عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام أنّه قال:

« اعلم علّمك الله الخير أنّ الله تبارك وتعالى قديم ، والقدم صفته الّتي دلّت العاقل على أنّه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته فقد بان لنا بإقرار العامّة مع معجزة الصّفة أنّه لا شيء قبل الله ، ولا شيء مع الله في بقائه ، وبطل قول مَنْ زعم أنّه كان قبله أو كان معه شيءٌ ؛ وذلك أنّه لو كان معه شيءٌ في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له ؛ لأنّه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمَنْ لم يزل معه ؟ ولو كان قبله شيءٌ كان الأوّل ذلك الشّيء لا هذا ، وكان الأوّل أولى بأن يكون خالقاً للأوّل [للثّاني] . . .[1] .

قال الأستاذ الخوئي : الحسين بن خالد مردّد بين - الملقّب

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٢٠ .

بـ ـ الخفّـاف والصّيـرفي[1] ـ والأوّل مـوثق دون الثّـاني قال: ـ ولكنّ الحسين بن خالد الصّيـرفي لم يثبت وثاقته، بل إنّـه خالف قـول الإمام الـرّضا عليـه السّلام في أمـره بالتـزام العافيـة ـ واستـدلّ دام ظلّه عليـه بصحيح صفوان قال : ـ

فقـد روى الصّـدوق بسنـد صحيـح عن صفـوان بن يحيـى ، قـال : كنت عند الـرّضا عليـه السّلام فـدخل عليـه الحسين بن خالـد الصّيرفي فقال له : جعلتُ فداك إنّي أريـد الخروج إلى الأعـوض[2] ، فقـال عليه السّـلام ، حيثما ظفـرت بالعـافية فـألـزمه فلم يقنعـه ذلـك فخرج يريد الأعوض فقطع عليه الـطّريق وأخذ كـلّ شيءٍ كان معـه من المال[3] .

وفيه تأمّل ، والتّفصيل في علم الرّجال .

ثمّ إنّ محتـوى الحـديث عقليّ لا يفتقـر إلى إثبـات الحـديث فضـلاً عن رواته ، والتّـوحيد من أوضـح العقائـد الحقّـة ومـا ذكـر في الحديث الرّضويّ إرشادٌ إلى مـا يُدركـه العقل من كـون القدم صفـة له تعـالى دلّت العاقـل على نفي المعيّـة المـطلقـة من شيءٍ قبـل الله عـزّ وجـلّ وبعده ومعه، إذ على تقديـر ذلك لم يكن تعـالى أحداً بـل ثـاني الأثنين : هـو والشّيء الّـذي معـه قبـلاً أو بعـداً أو مقـارنـاً وكـلّ ذلـك محـالٌ لعدم تصـوّر الغني المطلق والكمـال المـطلق ولا كـونـه تعـالى خالقاً وحده ولا أيّ نعتٍ من النّعوت الرّبوبيّة مع الشركة وكيف يصـدق

---

(١) معجم رجال الحديث ٥ / ٢٢٧ .

(٢) الأعوض بالضاد المعجمة : شعب لهديل بتهامة، معجم البلدان ١ / ٣١٧ ، أوفست مكتبة الأسدي ، بطهران عن الطبعة الألمانية .

(٣) معجم رجال الحديث ٥ / ٢٢٩ .

التّوحيد مع احتمال وجود شيء فضلاً عن تحقّقه فهو الله الواحد الأحد الفرد الأوّل لا أوّل لأوّليّته ، والآخر لا آخر لآخريّته و﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[1]

(١) سورة الشوري : الآية / ١١

١٢٦ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

روى الشّيخ الحرّ عن عيون الأخبار بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرّضا عليه السّلام في كتابه إلى المأمون قال : « وبرّ الوالدين واجب وإن كانا مشركين ، ولا طاعة لهما في معصية الخالق ولا لغيرهما ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[1]

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون** ﴾[2] . وإن كان موضوع الآية الأبوين إلّا أنّ إطاعة المخلوق كائناً مَنْ كان في معصية الخالق ممنوعةٌ شرعاً وعقلاً ، ولكنّ الإحسان إليهما وإن كانا مشركين واجب كما قال الرّضا عليه السّلام عملاً بالآية الشّريفة .

ولا يخفى أنّ الحرّ قد عقد « باب تحريم إسخاط الخالق في مرضاة المخلوق حتّى الوالدين ، ووجوب العكس »[3] وفيه اثنا عشر

---

(١) الوسائل ١١ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، عيون الأخبار ٢ / ١٢٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية / ٨ .

(٣) الوسائل ١١ / ٤٢١ ـ ٤٢٣ ، باب ١١ من أبواب الأمر بالمعروف .

حديثاً مروياً عن أهل البيت عليهم السلام والحديث الجاري منها

ومنها الباقري : « لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله ، ولا دين لمن دان بفريةٍ باطل على الله ، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله »[1] .

والنّبويّ : « من طلب مرضاة النّاس بما يسخط الله عزّ وجلّ كان حامده من النّاس ذامّاً ، ومن آثر طاعة الله عزّ وجلّ بما يغضب النّاس كفاه الله عزّ وجلّ عداوة كلّ عدوّ ، وحسد كلّ حسد [حاسد] ، وبغي كلّ باغ ، وكان الله له ناصراً وظهيراً »[2] .

والصّادقي : « كتب رجل إلى الحسين عليه السّلام عظني بحرفين ، فكتب إليه : من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو ، وأسرع لمجيء ما يحذر »[3] .

والنّبويّ : « من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج عن دين الله »[4] .

ومن ألفاظ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[5] .

والصّادقي : « ليس العبادة هي السّجود والرّكوع إنّما هي طاعة الرّجال ، من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده »[6] .

---

(١) المصدر ص ٤٢١ .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر .

(٤) المصدر ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

(٥) المصدر ص ٤٢٢ .

(٦) المصدر ص ٤٢٣ .

والعلويّ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[1] .

فظهر من ذلك كلّه أنّ هذه الحكمة من المثل السّائر عند أهل البيت عليهم السّلام فهو مثل نبويّ ، وعلويّ ورضويّ ، وقد بحثنا فيه بحثاً ضافياً عند عرض كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام[2] .

(١) النهج ١٨ / ٣٨٩ ، الحكمة ١٦٧ .

(٢) حرف اللام مع الألف من « الأمثال والحكم العلوية » مخطوط .

١٢٧ - لا يأبى الكرامة إلاّ حمار

قال الصّدوق: أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن عليّ بن ميسرة عن أبي زيد المكيّ قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: « لا يأبى الكرامة إلاّ حمار » يعني بذلك الطّيب والوسادة[١].

قال الأردبيلي:

أبو زيد المكيّ لم يرو إلاّ من الرّضا عليه السّلام وهو من أصحابه[٢]. وعليه يصلح ذلك لصرف الكنية عن الكاظم إلى ابنه الرّضا عليهما السلام ولولاه لقلنا المراد بأبي الحسن هو الكاظم عليه السلام عند الإطلاق لإنصرافه إليه كما صرّح به أهل الدراية.

ثمّ إنّا تكلّمنا عن المثل المذكور مرّةً في الأمثال النّبويّة لكن

(١) معاني الأخبار ٢٦٨، عيون أخبار الرضا ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣، وفيه « عن أبي زيد المالكيّ » لا ذكر له في الدّراية، الوسائل ٨ / ٤٧٠، وفيه عدّة روايات.

(٢) جامع الرواة ٢ / ٣٨٦.

بلفظ « إنّما يردّ الكرامة الحمار »[1] . ومرّةً ثانيةً في الأمثال والحكم العلويّة : «لا يأبى الكرامة إلاّ حمار»[2] طبق المثل الرضوي المبحوث فيه هنا ولا ينافي كونه مثلاً نبويّاً وعلويّاً ورضويّاً ، والمعروف أنّه العلوي حتى أنّ الرّضا عليه السّلام رواه عن أمير المؤمنين عليه السّلام وقد جاء حديث مضربه عن الصّادق عليه السّلام قال :

« دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السّلام فألقى لكلّ واحد منهما وسادة فقعد عليها أحدهما وأبى الآخر ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : اقعد عليها ، فإنّه لا يأبى الكرامة إلاّ الحمار »[3] .

والأدباء قد صرّحوا بأنّه أوّل من قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام قاله المفضّل وذكر حديث دخول الرّجلين الآنف الذّكر فراجع[4] ، وقال الميداني: قال المفضّل. . . الخ[5] وساق قصّة الرّجلين واقتصر الزّمخشري على ذكر المثل[6] وهكذا غيرهم .

الكرامة :

والمراد بالكرامة ما يكرم به الرّجل الرّجل كما جاء هذا التّفسير المطّرد في كاظميّ برواية ابن الجهم : « قلت : أيّ شيءٍ الكرامة ؟ قال : مثل الطّيب وما يكرم به الرّجل الرّجل »[7] . ولئن جاء ذكر

(١) ج ١ / ٢٤٠ ، رقم المثل ١٥٨ ، حرف الهمزة مع النّون .
(٢) مخطوط .
(٣) الوسائل ٨ / ٤٦٩ .
(٤) الفاخر ٢٩٠ .
(٥) مجمع الأمثال ٢ / ٢٢٥ ، حرف اللام .
(٦) المستقصى ٢ / ٢٦٧ .
(٧) معاني الأخبار ٢٦٨ .

الـطّيب والوسـادة وتـوسّـع المجلس وغيـرهـا فـإنّما ذلـك شيء لبيـان مواضع المقياس الكليّ المذكـور من دون قصر عليـه كما هـو واضح ، ويختلف الإكـرام باختـلاف الأقوام والأمكنـة والأزمنة فـربّ إكرام عند قوم لا يعتبره قوم آخرون إكـراماً ، ومـا ذكر من الـطّيب والوسـادة فعند العرب أو غيرهم والأئمّة سادة العرب .

وأمّا الآبي الكرامة فهو والحمـار سواء؛ لأنّـه الّذي لا يعـرف غير التّبن والرّسن والحمولـة والطّولـة ومعتلقه ولا يـألف سواهـا فمن أباهـا فقد ضاهى الحمار في ذلك إذ عـرض عليه الكـرامة فـامتنع كمـا امتنع صاحبه لفقد الميز الإنسانيّ بإبائه إيّاها .

١٢٨ ـ لا ينال أحد ولاية الله إلاّ بالطّاعة

روى الشّيخ الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بسنده إلى إبراهيم بن محمد الهمداني قال : سمعت الرّضا عليه السّلام يقول :

« من أحبّ عاصياً فهو عاصٍ ، ومن أحبّ مطيعاً فهو مطيعٌ ، ومن أعان ظالماً فهو ظالمٌ ، ومن خذل عادلاً فهو ظالم؛ إنّه ليس بين الله وبين أحد قرابةٌ ، ولا ينال أحدٌ ولاية الله إلاّ بالطّاعة ، لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لبني عبد المطّلب : ايتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم قال الله تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصّور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فمَنْ ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفّت موازينه فأولئك الذّين خسروا انفسهم في جهنّم خالدون** ﴾ . . . »[1]

تكلّمنا عن بقيّة الكلمات المنتزعة من هذا الحديث[2] المذكور

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣٧ ، سورة المؤمنون : الآية / ١٠١ ـ ١٠٣

(٢) حرف الميم مع النون ، حرف اللام مع الياء .

بتمامه أيضاً عند الكلمة : « مَنْ أحبّ عاصياً فهو عاصٍ »[1] .

الولاية ومعانيها[2] :

الأول : المنصب المجعول الشّرعي كولاية الوالد والجدّ على الولد وولاية الفقيه على الغُيَّب والقُصَّر وولاية الإمام المعصوم على من لا وليّ له[3] . والولاة المنصوبين من قبله عليه السّلام كمحمد ابن أبي بكر ومالك الأشتر وعثمان بن حنيف نصبهم أمير المؤمنين عليه السّلام .

الثّاني : الأَوْلى بالتّصرف ومنه ﴿ **النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[4] و ﴿ **إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة ويؤتون الزّكوٰة وهم راكعون** ﴾[5] .

ومنه قول كميت في عليّ عليه السّلام :

ونعم وليّ الأمر بعد وليّه ومنتجع التّقوى ونعم المقرّب[6]

الثالث : الولاية التكوينيّة وهي القدرة المطلقة لله عزّ وجلّ والنّصرة المطلقة ومنها قوله تعالى : ﴿ **هنالك الولاية لله الحقّ** ﴾[7] .

---

(١) حرف الميم مع النون .

(٢) بعدما نقل ابن الأثير معاني المولى الخمسة عشر قال : فالولاية بالفتح ، في النسب والنصرة والمعتق . والولاية بالكسر في الإمارة . والولاء ، المعتق . النهاية ٥ / ٢٢٨ في « ولا » . وفيه بالفتح المحبّة .

(٣) الوسائل ١٧ / ٥٤٨ ، وفيه « الإمام وارث من لا وارث له » .

(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٦ .

(٥) سورة المائدة : الآية / ٥٥ .

(٦) الهاشميّات ص ١٣٦ كما في هامش مجمع البحرين ١ / ٤٥٦ ، في (ولا) .

(٧) سورة الكهف : الآية / ٤٤

النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره ، وقرء بالكسر أي السّلطان والملك[1] وله تعالى إعطاؤها لمن أحبّ أي إقداره على التّصرف في الكون كما هو ثابت لأهل البيت عليهم السّلام بما اختصّهم به .

الرّابع : الولاية المحبّة كما قيل إنّها بالفتح المحبّة وبالكسر الإمارة[2] .

إذا عرفت تفاسيرها فالحديث الرّضويّ يناسب رابعها أي المحبّة الرّبانيّة بأن يحبّه الله ويحبّ الله لا تتيسّر إلاّ بطاعته تعالى ، أو يراد بعض معانيها الأُخر بمعنى القابليّة، فإنّ أهل البيت عليهم السّلام لهم ذلك بطاعتهم لله عزّ وجلّ بما لا يطمع فيهم طامع .

---

(١) تفسير الصافي ٢ / ١٥ .

(٢) النهاية في (ولا)

ولا يخفى أنّ ولاية الله المذكورة في حديث الرضا عليه السلام المبحوث فيه يماثلها الباقري : « ليس بين الله وبين أحد قرابة . . . من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان عاصياً فهو لنا عدو ولا ينال ولايتنا إلا بالورع والعمل الصالح . . . » اعتقاد الصدوق ١٠٧ . فلعل ولاية الله يراد بها ولاية أهل البيت عليهم السلام .

١٢٩ ـ لبستُ بالعفّة ثوب الغنى

روى ابن شهر آشوب عن إبراهيم بن العبّاس ـ قال : ـ « كان الرّضا عليه السّلام إذا جلس على مائدته أجلس عليها مماليكه حتّى السّائس والبواب ، وله عليه السّلام :

لبستُ بالعفّة ثوب الغنى　　وصرت أمشي شامخ الرّأس
لستُ إلى النّسناس مستأنساً　　لكنّني آنس بالنّاس
إذا رأيت التّيه من ذي الغنى　　تهتُ على التّائه باليأس
ما إن تفاخرتُ على مُعدم　　ولا تضعضعتُ لإفلاس »[1]

وظاهر نسبة الأبيات إليه عليه السّلام أنّها له .

البيت الأوّل : يريد أنّ الافتقار سبب لهبوط الرأس والاستغناء يوجب الشّموخ كما جاء في النّبويّ : « من تفاقر افتقر »[2] وامتداح

---

(١) المناقب ٤ / ٣٦١ .
(٢) البحار ٧٧ / ١٤٥ ، التّحف ٤٢ ، الأمثال النّبويّة ٢ / ٢٧٤ ، رقم المثل ٥٦٩ ، حرف الميم مع النون .

الاستغناء بقوله تعالى : ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفّف** ﴾[1] .

والبيت الثاني : أنا لم أرافق المنحرفين من النّاس الصّورة صورة إنسان ، والقلب قلب حيوان[2] .

قال الشّيخ الطّريحي : في الحديث : « النّسناس هم السّواد الأعظم » وأشار بيده إلى جماعة النّاس ، ثم قال : ﴿ **إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ** ﴾[3] . والنّسناس (ويكسر) : جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة . وفي الحديث: « إنّ حيّاً من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناساً لكل إنساناً منهم يدٌ ورِجلٌ من شقٍّ واحدٍ ، ينقرون كما ينقر الطّائر ، ويرعون كما ترعى البهائم » . وقيل أولئك انقرضوا . وقيل النّسناس : هم يأجوجُ ومأجوجُ . وقيل : هم على صُوَر النّاس أشبهوهم في شيءٍ وخالفوهم في شيءٍ ، وليسوا من بني آدم[4] .

والبيت الثّالث : جانبت المرح والطّيش والتكّبّر الّذي جاء من قبل الغني الموجب للّطغيان كما قال تعالى : ﴿ **إنّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾[5] . وقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام : « ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتّكالاً على الله سبحانه »[6] .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٧٣ .

(٢) النهج ٦ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ، الخطبة : ٨٦ ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٢٣٦ ، الرقم ٧٧ .

(٣) سورة الفرقان : الآية / ٤٤ .

(٤) مجمع البحرين في « نسس » .

(٥) سورة العلق : الآية / ١ ـ ٧ .

(٦) النهج ٢٠ / ٣٩ ، الحكمة ٤٧ .

قنعت فـأعتـقت نـفسـي ولن   أمـلّك ذا ثـروة رِقّـهـا
ونـزّهتهـا عن سؤال الـرّجـال   ومـنّـة من لا يـرى حـقّـهـا
وإنّ القنـاعــة كـنــز اللّبـيب   إذا ارتـقت فـتقـت رتقـهـا[1]

---

(١) شرح النهج ٢٠ / ٣٩ .

١٣٠ ـ لم تبطل إمامة عليّ بتركه الجهاد خمساً وعشرين سنة

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني رضي الله عنه قال حدّثنا أبو سعيد الحسين بن علي العدوي قال: حدّثنا الهيثم بن عبد الله الرّمّاني قال: «سألت عليّ بن موسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني عن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ لم لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ثمّ جاهد في أيّام ولايته ؟!

فقال: لأنّه اقتدى برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في تركه جهاد المشركين بمكّة بعد النّبوّة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة تسعة عشر شهراً؛ وذلك لقلّة أعوانه عليهم، وكذلك عليّ ـ عليه السّلام ـ ترك مجاهدة أعدائه لقلة أعوانه عليهم فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مع تركه الجهاد ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهراً فكذلك لم تبطل إمامة عليّ مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة إذا كانت العلّة المانعة لهما واحدة»[١].

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٠.

شارك النّبيّ عليٌّ عليهما السّلام في كثير من حالات منها ترك مجاهدة الأعداء في المدّة المذكورة ، ومنها قصّة صلح الحديبيّة في سنة خمس في ذي القعدة حيث دعا بالمكتّب ودعا صلّىٰ الله عليه واله علياً فقال له : اكتب فكتب أمير المؤمنين : « بسم الله الرّحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو : لا نعرف الرّحمن اكتب كما كان يكتب آباؤك « باسمك اللّهمّ » فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : اكتب باسمك اللّهمّ فإنّه اسم من أسماء الله ، ثمّ كتب :

« هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله والملأ من قريش »

فقال سهيل بن عمرو : ولو علمنا أنّك رسول ما حاربناك أكتب هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبد الله . . . ثم قال : امح يا عليّ واكتب محمّد بن عبد الله فقال أمير المؤمنين : ما أمحو اسمك من النبوة أبداً فمحاه رسول الله بيده ثم كتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبد الله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو اصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكفّ بعضنا عن بعض وعلى أنّه لا إسلال ولا إغلالَ وأنّ بيننا وبينهم عيبةً مكفوفةً ، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عهد محمّد وعقده فعل ، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنّه من أنّ محمداً بغير إذن وليّه يردّه إليه ، وأنّه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردّوه إليه ، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة لا يكره أحد على دينه ولا يؤذىٰ ولا يعيّر ، وأنّ محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه ، ثمّ يدخل علينا في العام القابل مكّة فيقيم ثلاثةً أيّام ، ولا يدخل علينا بسلاح إلاّ سلاح المسافر السّيوف في القرب ، وكتب علي بن أبي طالب وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار ، ثمّ قال رسول الله

ـ صلّى الله عليه وآله ـ : « يا علي إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النّبوّة ، فوالّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتُجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيضٌ مضطهدٌ » فلمّا كان يوم صفّين ورضوا بالحَكَمين كتب :

« هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان » فقال عمرو بن العاص : لو علمنا أنّك أمير المؤمنين ما حاربناك ولكن اكتب هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : « صدق الله وصدق رسوله أخبرني رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بذلك ثمّ كتب الكتاب . . . »[1] .

تجد المشابهة التّامّة بين الصّلحين صلح الحديبيّة وصفّين من حادثة التّحكيم وفي بعض نسخ الصّلح الحديبي القول النّبويّ للإمام : « فإنّ لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد »[2] . وفي آخر : « ستُدعىٰ إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض »[3] .

والكلّ صريح في المماثلة بينهما وكيف لا تكون وهو نفس النّبيّ في آية الابتهال[4] استعرضناها عند كلمة « جعل نفس علي عليه السّلام كنفسه صلّىٰ الله عليه وآله »[5] . وحديث « لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلاً كنفسي »[6] ، وحديث المنزلة : « أنت

---

(١) البحار ٢٠ / ٣٥١ ـ ٣٥٣ .
(٢) البحار ٢٠ / ٣٣٥ .
(٣) البحار ٢٠ / ٣٥٩ .
(٤) سورة آل عمران : الآية / ٦١
(٥) حرف الجيم مع العين .
(٦) الأمثال النّبويّة ٢ / ١٢٦ ، رقم المثل ٤٤٠ ، حرف اللام مع التاء .

منّي بمنـزلة هـارون من موسى إلّا أنّـه لا نبيّ بعدي »[1] . الـدالّ على المماثلة التّامّة إلّا النّبوّة ، وحديث المؤاخاة بين المهـاجرين والأنصـار كـلاً منهم ما يضـاهيه وقـد اختـار النّبيّ عليّـاً لنفسـه أخـاً ووزيـراً[2] ، وأمور أخرى في حيـاته صلّىٰ الله عليـه وآله المشـاركة حتى في المـدة حيث خـرجا من الـدّنيا ولهمـا من العمر ثـلاث وستّون سنـة كـلّ ذلـك دليـل المشابهـة الكائنـة بن صاحب النّبـوّة والولايـة بـل هي لم تخـل حتّى الأئمّة المعصومين لحديث: « أوّلنا محمّـد وأوسطنـا محمّد وآخـرنا محمّـد »[3] . وليس المراد مجـرّد التّسمية بـل لا يصحّ إلّا بـالتّأويـل بـأن سمّـي عند الـولادة كلّهم بمحمّد ثم بـاسم آخر في سوى الأربعة: النّبيّ والباقر والجواد والمهدي عليهم السّـلام كما ذهب إليـه ذاهب[4] وإنّمـا المشابهـة في التخّلق والخصال المحمديّة؛ لأنّ كلّهم نـور واحد ومن شجرة واحدة وسائر النّاس من شجر شتى[5] .

وأهمّ من ذلـك كلّه العصمة الّتي وهبهـا الله عـزّ وجـلّ لفـاطمـة وأبيها وبعلها وأحـد عشر من بنيهـا الأنوار الأربعـة عشر الـطّاهرين قـد فضّلوا بهـا على سـائـر النّـاس وهي مجمـع جميـع الفضـائـل وكـرائم الخصال المرضيّة فالمشـابهة من هـذه الجهة لم تخصّ بـواحد منهم ، بـل تعمهم كمـا هي لـلأنبيـاء على مـذهب الحقّ للدّليـل العقلي والنّقليّ .

أمّـا العقليّ: فللزوم الوثـوق بأفعـالهم وأقوالهم ليحصـل الغـرض

---

(١) إحقاق الحق ١٦ / ١٨ ـ ٢١ .

(٢) تفسير البرهان ٤ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨

(٣) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .

(٤) مصابيح الأنوار ٢ / ٤٠٠ .

(٥) البحار ٢١ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

من بعثتهم وما جاءوا به النّاس ، ولوجوب متابعتهم فلو صدر منهم الخلاف لوجب الجمع بين الضّدّين وهو محال وما جاء ممّا ظاهره العصيان وجب تأويله بما يليق بمقامهم الشّامخ،ومنه دفع شبهة الرّبوبيّة كما توهّمته النّصارى في المسيح بن مريم واليهود في عزير وطائفة أخرى في الأمّة المرحومة .

وأمّا النقليّ : فلآية التّطهير(١) مع التّفسير الوارد عن أهل البيت عليهمِ السّلام لها بالعصمة(٢)

(١) سورة الأحزاب : الآية ، ٣٣
(٢) تفسير البرهان ٣ / ٣٠٩

١٣١ ـ لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن

روى المجلسي من كلمات الرّضا عليه السّلام الحكمية : « لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن »[١] .

الأمانة والخيانة تناولهما القرآن الكريم في مواضع منه. قد أمر بأداء الأولى ، وحذّر عن مغبّة الثّانية قال تعالى : ﴿ **إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها** »[٢] و ﴿ **يا أيها الّذين آمنوا لا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[٣] .

خيانة الله والرّسول معصيتهما فإذا خان الإنسان إنساناً فقد أتى بخيانة الله والرّسول حيث خالف ما أمر بأداء الأمانة وركب ما نهي عنه .

ثمّ الكلمة الرّضويّة من المثل السّائر ويشهد له ما نقله الشّيخ

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٣٥ ، تحف العقول ٤٤٢ .
(٢) سورة النساء : الآية / ٥٨ .
(٣) سورة الأنفال : الآية / ٢٧ .

المفيد طاب ثراه من مقتل مسلم بن عقيل وإدخاله على ابن زياد بعد الغدر به .

قال : «فقال له : ابن زياد : لعمري لنقتلنّ، قال : نعم، قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي، قال : افعل . فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، فقال : يا عمر إن بيني وبينك قرابةً ولي إليك حاجة وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهي سرٌ ، فامتنع عمر أن يسمع منه ، فقال له عبيد الله : لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك ؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد .

فقال له : إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنتُهُ منذ قدمتُ الكوفة سبعمائة درهم ، فبع سيفي ودرعي فاقتضها عنّي، فإذا قُتلتُ فاستوهِبْ جثّتي من ابن زياد فوارِها ، وابعث إلى الحسين ـ عليه السّلام ـ من يردّه ؛ فإنّي قد كتبتُ إليه : أعلمه أنّ النّاس معه ولا أراه إلاّ مُقبلاً .

فقال عمر لابن زياد : أتدري أيّها الأمير ما قال لي ؟ إنّه ذكر كذا ، فقال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن . . . »[1] .

مع اختلاف يسير في اللّفظ . ولولا أنّها من المثل السّائر لما قالها ابن زياد ولا يشترط فيه أن يكون مسلماً بل الملاك الجري على اللّسان من أي إنسان ، شأن المثل أينما حلّ ونزل .

والغرض من القول الرّضويّ : أنّ الأمين لم يَخُنْ ولكن قد يكون التّأمين عند الخائن الّذي يُرى للنّاس أنّه الأمين وليس به وقد جاء

---

(١) الإرشاد ٢١٥ ، وكذا ذكره من كتب عن قصّة مسلم بن عقيل عليه السّلام فراجع .

النّبويّ : « لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن ؛ فإنّه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص »[1] . والصّادقي : « قيل له : أيزني الزّاني وهو مؤمن ؟ فقال: لا ، إذا كان على بطنها سلب الإيمان منه ، فإذا قام ردّ عليه »[2] . وكذلك المثل لا يكون الأمين خائناً إلّا أن يكون خائناً فيؤتمن .

---

(١) الوسائل ١ / ٢٤ .

(٢) الوسائل ١٤ / ٢٣٥ .

ولا يخفى أنّ آية : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور** ﴾ غافر / ١٩ . قد فسّرها الإمام الصادق عليه السلام بقوله : « ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين » . معاني الأخبار ١٤٧ .

يُري للناس أنّه لا ينظر ، وأنّه أمين ، وليس به . وفي ﴿ **وما تُخفى الصدور** ﴾ دلالة على أنّ من يعلم ما في الصدر المستور عن الأنظار يعلم ما تصنعه العيون المكشوفة لها ، وأنّ الذي يعلم الأخفى فبالأولى يعلم غيره فآخر الآية كالدليل على صدرها .

١٣٢ ـ لو أنّ رجلاً أحب حجر لحشره الله عزّ وجل معه

في حديث مطوّل رواه الصّدوق طاب ثراه بإسناده إلى الرّيان ابن شبيب قال: دخلت على الرّضا ـ عليه السّلام ـ في أول يوم من المحرّم فقال: «يا ابن شبيب أصائم أنت؟ قلت: لا. فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي دعا فيه زكريّا ـ عليه السّلام ـ ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿ ربّ هب لى من لدنك ذرّيّة طيّبةً إنّك سميع الدعاء ﴾[١].

فاستجاب الله له . . . . يا ابن شبيب إن سَرَّكَ أن يكون لك من الثّواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي ـ عليهما السّلام ـ فقل متى ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً، يا ابن شبيب إن سَرَّكَ أن تكون معنا في الدّرجات العُلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أنّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله عزّ وجلّ معه يوم القيامة»[٢].

قد روى الشّيخ الصّدوق هذا المثل في ضمن حديث أمير

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

المؤمنين عليه السّلام قاله لنوف البكّالي : « . . . يا نوف إن سَرَّكَ أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظّالمين معيناً ، يا نوف مَنْ أحبّنا كان معنا يوم القيامة، ولو أنّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله معه . . . »[١] .

وعليه فهو مَثَلٌ علويّ قبل كونه مثلاً رضويّاً والكلّ مستقىً من ماء واحد .

ثمّ المناسب للمقام ذكر ما يماثل المثل وهو كثير. منه العلويّ : « إيّاك أن تحبّ أعداء الله أو تصفي ودّك لغير أوليائه؛ فإنّه من أحبّ قوماً حشر معهم »[٢] . ومنه المثل النّبويّ : « المرء مع من أحبّ »[٣] أو « أنت مع من أحببت »[٤] .

الحشر مع الحبيب ملازم للكون معه على صعيد الحياة والممات، لأنّ عامل الحبّ متبادل بين المحبّين وهو كجزء مستهلك من ذات المحبّ لا يَنْفكُّ عنه بل الحبّ من أقوى علل وجود العالم لولاه لما كان الكون لحديث :«كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف »[٥] . فالعلّة الأولى لخلق العالم وآدم هي الحبّ الذّاتي الأوّل حتّى لو لم يثبت هذا لحديث القدسيّ الّذي رواه السّيد شبّر[٦] ، على أنّ في آية : « يحبّهم ويحبّونه »[٧] دلالةً على

(١) الأمالي ١٨٥ ، المجلس ٣٧ .
(٢) غرر الحكم ٧٨ ، في (إياك) . وحرف اللام مع الواو من الأمثال والحكم العلوية مخطوط . أمثال وحكم ٤ / ١٧٣٧ .
(٣) البحار ١٧ / ١٣ .
(٤) الأمثال النبوية ١ / ١٩٢ - ١٩٣ ، حرف الهمزة مع النون .
(٥) مصابيح الأنوار ٢ / ٤٠٥ .
(٦) المصدر .
(٧) سورة المائدة : الآية / ٥٤ .

أنّ الحبّ الذّاتي الأوّل علّة حبّ المحبّين

وقد جاء النّصّ الصّادقي : « هل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض »[1] والآخر : « هل الّدين إلاّ الحبّ ؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله** ﴾ . . . »[2] .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٣١ ، البحار ٢٩ / ٢٣٧ ، حرف اللام مع الواو من الأمثال والحكم العلوية . مخطوط ، وحرف الميم مع النون من الرضوي المبحوث فيه .

١٣٣ ـ لو دعا على صخرة لانشقّت بنصفين

قد جاء عن الرّضا عليه السّلام في علامات الإمام ما رواه الصّدوق قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني رضي الله عنه قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة الكوفي قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرّضا عليهما السّلام قال:

« للإمام علامات منها أنّه يكون أعلم النّاس، وأحكم النّاس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، واسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً ويكون مطهّراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع إلى الأرض من بطن أمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشّهادتين، ولا يحتلم وينام[1] عينه ولا ينام قلبه، ويكون مُحدَّثاً، ويستوي عليه درع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولا يُرى له بول ولا غائطٌ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ويكون رائحته أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى بالنّاس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم وأمّهاتهم، ويكون أشدّ النّاس تواضعاً لله عزّ وجلّ، ويكون

---

(١) الأولى « تنام ».

آخذ النّاس بما يأمره ، وأكفّ النّاس عمّا يهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى أنّه لو دعا على صخرة لأنشقّت بنصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وسيفه ذو الفقار ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة ، ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر وإهاب ما عز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش ، وحتّى الجلدة ونصف الجلدة ، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السّلام »[١] .

اشتمل الحديث المذكور على ثلاث وثلاثين علامة ، وعشرات فضائل أخرى جاء ذكرها في رواية مطوّلة في فضل الإمام وصفاته رواها الكليني[٢] والصّدوق[٣] .

ومنذ يولد الإمام يوكّل به الرّوح يسدّده ، نصّت النّصوص بذلك تفسيراً لقوله تعالى . ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[٤] . فقال الباقر عليه السّلام : « خلق من خلق الله أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ـ صلّىٰ

---

(١) عيون اخبار الرضا ١ / ١٦٩ . و« إهاب » وجمعه أهب وأهب وآهبة : الجلد ، أو ما لم يدبغ منه .
(٢) أصول الكافي ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٣ .
(٣) عيون أخبار الرضا ١ / ١٦٩ ـ ١٧٠ ، ١٧١ ـ ١٧٥ ، والبحار ٢٥ / ١١٥ ـ ٣٨٦ .
(٤) سورة الشورى : الآية / ٥٢

الله عليه وآله ـ يخبره ويسدّده وهو مع الأئمّة من بعده »[1] والإمام أعظم من ذلك كلّه وأنّه خليفة الله وآيته العظمى [illegible] أعظم منه ومعرفته معرفة الله عزّ وجلّ[2] .

قوله عليه السّلام : « لو دعا على صخرة لأنشقّت بنصفين » لأنّ عند الإمام الإسم الأعظم إذا دعا به أجيب[3] .

---

(١) البحار ٢٥ / ٦١ ، وانظر ٦٠ ـ ٩٩ ، الكافي ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٢) البحار ٢٣ / ٨٣ .
(٣) تفسير الصافي ١ / ٥٧ .

١٣٤ ـ لو زادك رسول الله صلّى الله عليه وآله لزدناك

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن محمّد بن عيسى عن أبي حبيب البناجي، قال: رأيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في المنام وقد وافى البناج ونزل في المسجد الّذي ينزله الحجّاج في كلّ سنة وكأنّي مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمرٌ صيحانيٌّ وكأنّه قبض قبضةً من ذلك التّمر فناولني فعددته فكان ثماني عشرة تمرة فتأولت أنّي أعيش بعدد كلّ تمرة سنة فلمّا كان بعد عشرين يوماً كنتُ في أرض(تعمر) بين يدي للزّراعة إذ جاءني مَنْ أخبرني بقدوم أبي الحسن الرّضا عليه السّلام من المدينة ونزوله في ذلك المسجد ورأيت النّاس يسعون إليه فمضيتُ نحوه فإذا هو جالسٌ في الموضع الّذي كنتُ رأيتُ فيه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وتحته حصيرٌ مثل ما كان تحته وبين يديه طبقٌ من خوص فيه تمرٌ صيحانيٌّ فسلّمت عليه فردّ عليّ السّلام فاستدناني فناولني قبضةً من ذلك التّمر فعددتُه فإذاً هو بعدد ما ناولني رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: زدني يا ابن رسول الله فقال: لو زادك رسول الله صلّى الله عليه وآله لزدناك »[1]

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢١٠ ـ ٢١١، وقد نقل المفيد الرؤيا لحنان بن =

قوله عليه السّلام : « لو زادك رسول الله لزدناك » صالح لأن يضرب مثلاً للتابع وفق المتبوع ولئن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على الوفاق المطلق بين المعصومين في كلّ شيءٍ القذّة بالقذّة كما جاءت هذه الكلمة المثليّة عن الرّضا عليه السّلام : « إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة بالقذّة »[1] . وهي تقال في المتماثلين سواء أكانا حقّين أم باطلين .

وتكلّمنا عنها مرّة عند المثل النّبويّ، ومرّة أخرى عند المثل الرّضويّ كما تقدّم . والوفاق المذكور متحقّق في جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام بحيث لو اجتمعوا على حسب الفرض في مكان لم يوجد لهم خلاف وكيف يكون ذلك والكلّ جاءوا عن الله تعالى ،وأنّهم مصطفون مطهّرون عن كلّ الأرجاس والأدناس،ولعلّ قوله تعالى : ﴿ **والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذكر إلاّ أولو الألباب** ﴾[2] . لا يخصّ المعصومين فحسب بل يشمل المؤمنين أيضاً ؛ فإنّهم لا يخالفون ولا يختلفون في شي مما جاءت به الرّسُلُ من عند الله جلّ جلاله .

ثمّ المستفاد من الرّضويّ على تقدير التخريج الأخذ بما جاء الرّسول به على أنّه صلّىٰ الله عليه وآله الأسوة الحسنة التي أمرنا باتّباعها والأخذ بها قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[3] .

= سدير، والعابر هو الصادق عليه السلام، أمالي المفيد ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، كشف الغمّة ٢٧٣ ، فرغ من تصنيفه ٦٨٧ هـ كما في الكنى والألقاب ٢ / ١٨ .

(١) حرف القاف مع الذّال .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٧

(٣) سورة الأحزاب : الآية / ٢١ .

١٣٥ ـ لو كان في يدك اليمنى دُرّةٌ ثم قال النّاس بعرة

روى الكشّي بـإسناده عن محمّـد بن عيسى بن عبيـد عن أخيـه جعفـر بن عيسى قال : « كنّـا عنـد أبي الحسن الـرّضـا عليـه السّـلام وعنده يونس بن عبد الرّحمن إذا استـأذن عليه قـومٌ من أهل البصـرة ، فـأومى أبـو الحسن إلى يـونس : أدخل البيت ! فـإذا بيت مُسبَـلٌ عليـه سَتـرٌ ، وإيّاك أن تتحـرّك حتّى يؤذن [نؤذن] لك ! فـدخل البصـريّـون وأكثروا من الـوقيعة والقـول في يونس ، وأبـو الحسن مُطرقٌ حتّى لمّـا أكثـروا وقامـوا فودّعـوا وخرجوا، فأذن ليـونس بالخـروج ، فخرج بـاكياً فقال : جعلني الله فداك إنّي أحامي عن هذه المقالة وهـذه حالي عنـد أصحابي ! فقال له أبو الحسن عليـه السّلام : يـا يونس ومـا عليك ممّـا يقـولون إذا كـان إمامـك عنـك راضيـاً ! يـا يـونس حـدّث النّـاس بمـا يعرفون ، واتـركهم ممّا لا يعـرفون ، كـأنّك تـريد أن تكـذب على الله في عـرشه ، يـا يونس ومـا عليك أن لـو كـان في يـدك اليمنىٰ درّة ثم قال النّاس بعرة ،أوبعرة فقال النّاس درّة هـل ينفعك ذلـك شيئاً ؟فقلت: لا ، فقال : هكذا أنت يـا يونس إذا كنت على الصّـواب وكان إمـامك

عنك راضياً لم يضرّك ما قال النّاس »[1] .

من أقرب التّمثيلات للقدح والمدح ضرب المثل بالدرّة والبعرة في هذا المقام يكون أحدهما في يد الإنسان والنّاس يزعمون خلاف ذلك، فإن الاعتقاد بشيء لا تكون له حققة واقعية أو كانت له وكان الإعتقاد على خلاف ذلك لا يصيّره كذلك؛ لأنّ الواقع لا يُغيَّرُ عمّا هو عليه بالاعتقاد، فمن كان في يده درّةٌ أو بعرة وقال غيره قولاً يخالف ما في يده لما انقلب عمّا كان فيها، كذلك الإنسان الصالح أو الطالح: لا يصير صالحاً إذا كان في الواقع طالحاً وهكذا العكس، ويونس بن عبد الرحمن الّذي هو كسلمان في زمانه كما قاله الرّضا عليه السّلام[2] وترحّم عليه[3] وأرجع إليه في أخذ معالم الدّين[4] إنسانٌ صالحٌ لا يصير طالحاً بزعم الزّاعمين نظير الدّرّة لا تصير بعرة بمجرّد الكلام ولا يتبدّل به إلى الزّندقة وهو مؤمن كما قال : يقولون لي زنديق ، قال ـ عليه السّلام ـ لي : «وما يضرّك أن يكون في يدك لؤلؤة يقول النّاس هي حصاة وما كان ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول النّاس لؤلؤة »[5] .

والتمثيل باللؤلؤة والحصاة كالتمثيل بالدّرّة والبعرة المضروبة لعدم تبدّل أحدهما بالآخر بالزعم والكلام .

---

(١) اختيار معرفة الرّجال ٤٨٧ .
(٢) اختيار معرفة الرجال ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .
(٣) المصدر ٤٨٦ .
(٤) المصدر ٤٨٣ .
(٥) المصدر ٤٨٨ .

١٣٦ ـ لو لم يخوّف الله النّاس بجنّةٍ ونارٍ لكان الواجب أن يطيعوه

روى الصّدوق من كلامه عليه السّلام المشهور قوله : « الصّغائر من الذّنوب طرق إلى الكبائر[١] ومَنْ لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير[٢]، ولو لم يخوّف الله النّاسَ بجنّةٍ ونارٍ لكان الواجب أن يطيعوه ولا يعصوه ؛ بتفضّله عليهم وإحسانه إليهم ، وما بدءهم به من إنعامه الّذي ما استحقّوه »[٣] .

العقل السّليم قاضٍ بوجوب شكر المنعم ، ودفع الضّرر المحتمل. وهذان الدّليلان العقليّان دليل وجوب النّظر في دعوى النّبوّة العامّة والخاصّة كما حرّر في محلّه[٤] .

---

(١) حرف الصاد مع الغين من الحكم .
(٢) حرف الميم مع النون من الحكم .
(٣) عيون الأخبار ٢ / ١٧٨ .
(٤) كأكثر الكتب الكلامية .

ودليلٌ على طاعة الله عزّ وجلّ واجتناب معصيته وإنّ العقل هو الرّسول الباطني ولم يعرف الرّسول الظّاهري إلاّ به ، ولولاه لما عرف الله ، ولما عبد كما جاء في كاظميّ : « يا هشام إنّ لله على النّاس حجّتين : حجّة ظاهرة ، وحجّة باطنة ، فأمّا الظّاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمّة ـ عليهم السّلام ـ وأمّا الباطنة فالعقول» وصادقيّ : « قلت له : ما العقل ؟ فقال : ما عبد به الرّحمن واكتسب به الجنان ، قال : قلت : فالذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء ! تلك الشيطنة وهي شبيهة باالعقل وليست بالعقل »[2] .

قوله عليه السّلام : « لكان الواجب أن يطيعوه » إرشاد إلى الوجوب العقلى بدليل وجوب شكر المنعم ، وشكره الإطاعة ، وترك التّمردّ عليه حيث قال عليه السّلام : « لتفضّله عليهم وإحسانه إليهم . . . » ، وما بنا من نعمة فهو منه جلّ جلاله قال تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾[3] .

ثم العبادة المحقّقة للطّاعة انواع : عبادة شكرٍ وحبٍّ وهي الغاية الّتي عليها أهل البيت عليهم السّلام والأحرار الكرام وعبادة خوفٍ ، وعبادة طلبٍ . وإليك نبذة من ذلك :

ففي صادقيّ : « العبادة [إنّ العُبّاد كا] ثلاثة : قومٌ عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد ، وقومٌ عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثّواب فتلك عبادة الأجراء ، وقومٌ عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار »[4] .

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٦ .

(٢) أصول الكافي ١ / ١١ .

(٣) سورة النحل : الآية / ٥٣ .

(٤) الوسائل ١ / ٤٥ ، باب ٩ من أبواب مقدّمة العبادات الحديث ١ .

وآخر : « . . . فطبقةٌ يعبدونه رغبةً في ثـوابه فتلك عبـادة الحرصـاء وهو الطّمع ، وآخرون يعبدونه خوفاً من النّار فتلك عبـادة العبيد وهي رهبـةٌ ، ولكنّي أعبـده حبّاً لـه عزّ وجلّ ، فتلك عبـادة الكرام وهـو الأمن لقولـه عـزّ وجـلّ : ﴿ **وهم من فزع يـومئذ آمنـون** ﴾ . لقولـه عزّ وجـلّ : ﴿ **قل إن كنتم تحبّـون الله فـاتّبعـونى يحببكم الله ويغفـر لكم ذنـــوبكم** ﴾ . . . »[1] .

وعـلويّ : « . . . وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار »[2] .

---

(١) الوسائل ١ / ٤٥ ـ ٤٦ ، سورة النمل : الآية ٨٩ ، سورة آل عمران : الآية / ٣١ .

(٢) المصدر الحديثي .

وهنـا أدفع غـاية ألا وهي الله عـز وجـل كمـا عـزي الى أميـر المؤمنين عليـه السلام : « ما عبدتك خوفاً من نـارك ، ولا طمعاً في جنتـك ، لكن وجدتـك أهلاً للعبادة فعبدتك » البحـار ٧٠ / ١٨٦ ، مستمسك العـروة الوثقى للسيـد الحكيم ٢ / ٤٦٢ ، هامشه في غايات الـوضوء نقـل المعلّق نبذة من مصـادر الحديث : كما أشير إلى بعض بحوثه .

١٣٧ ـ لها صورة كصورة الإنسان

قال الصّدوق: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدّثنا أبو همام إسماعيل بن همام عن الرّضا عليه السّلام إنّه قال لرجل:

« أيّ شيء السّكينة عندكم؟ فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟ قال: ريحٌ تخرج من الجنّة طيّبةٌ لها صورة كصورة الانسان تكون مع الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ وهي الّتي أنزلت على إبراهيم حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا وتبنى الأساس عليها »[١].

ضمير « لها » عائد إلى « ريح » وفي القرآن الكريم جاءت السّكينة في ستّة مواضع هي: قوله تعالى: **﴿ إنّ آية ملكه أنْ يأتيكم التّابوتُ فيه سَكينةٌ مِنْ رَبّكم ﴾**[٢]، و **﴿ ثمّ أنزَل الله سكينتَهُ على**

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٤٣. [لرجل] كذا والصحيح « لقوم »، معاني الأخبار ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة: ٢ الآية / ٢٤٨.

رسوله وعلى المُؤمنين ﴾[١] و ﴿ فأَنْزلَ الله سَكينَتَهُ عليه وأيَّدَهُ بجنُودٍ لم تَرَوْهـا ﴾[٢]. و ﴿ هُـو الّـذي أنْـزَلَ السّكينَـةَ في قلوب المُؤمنينَ لِيَـزْدَادُوا إيمـانـاً ﴾[٣]. و ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنْزَلَ السّكينَةَ عَلَيْهم وأثابَهمُ فَتْحاً قَـريباً ﴾[٤]. و ﴿ فـأنْزَلَ الله سَكينتـهُ عَلى رَسُولِـهِ وعَلى المُؤمِنينَ ﴾[٥].

وهـل الكلّ لـه تفسير واحـد أو تفاسيـر ؟ وهـل السّكينـة روح أو شيء فيـه روح ؟ أو لا هـذا ولا ذاك وإليك. نبـذة مـن الأخبـار ، والكلمات .

أمّا الأخبار فنذكر شيئاً منها :

ففي رضوي : « السّكينة ريح من الجنّة لها وجه كـوجه الإنسـان فكـان إذا وضع التّـابوت رجـلٌ بين يدي المسلمين والكفّـار فإن تقـدّم التّابوت رجل لا يرجع حتّى يقتل أو يغلب ومَنْ رجـع عن التّابـوت كفَرَ وقتله الإمام . . . »[٦] .

وكاظمي : «قال: سألته فقلتُ: جُعلتُ فداك ما كان تابـوت موسى وكم كان سعته ؟ قال: ثلاثة أذرع في ذراعين ، قلت: ما كـان فيه ؟ قال: عصا موسى والسّكينـة ، قلت : وما السّكينـة ؟ قال: روح الله يتكلم كـانوا إذا إختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم »[٧] .

(١) سورة التوبة : الآية / ٢٦

(٢) سورة التوبة : الآية / ٤٠

(٣) سورة الفتح : الآية / ٤

(٤) سورة الفتح : الآية / ١٨

(٥) سورة الفتح : الآية / ٢٦

(٦) تفسير البرهان ١ / ٢٣٦ ، تفسير الصّافي ١ / ٢٠٨ .

(٧) المصـدران ، ومعـاني الأخبـار ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، وفي آخـره « ببيـان مـا يريدون » . وقد جاء في باقري « والسكينة الإيمان » معاني الأخبار ٢٨٤ .

وسئل الكاظم عليه السلام [عن]من السكينة؟فقال: ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيّبة وهي الّتي نزلت على إبراهيم فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يصنع الأساطين فقيل له: هي الّتي قال الله تعالى: ﴿ **فيه سكينة من ربّكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون** ﴾[1] قال: وتلك السّكينة في التّابوت وكان فيه طست يغسل فيه قلوب الأنبياء وكان التّابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء ثم أقبل علينا فقال: ما تابوتكم؟ قلنا: السّلاح، قال: صدقتم هو تابوتكم »[2] .

وفي المجمع عن الصّادق عليه السّلام: « كان التّابوت في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لمّا برح، أمر بني إسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من أيديهم ورده على بني إسرائيل ﴿ **تحمله الملائكة** ﴾ قال: وقيل وفي رواية: « أنّ السّكينة لها جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزّبرجد والزّمرد » وروي ذلك في أخبارنا[3] .

كلمات حول السّكينة :

حكى الفيض: أنّ السّكينة أَمَنَةٌ وطمأنينةٌ جعلها الله سبحانه فيه

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٤٨ .

(٢) تفسير الصافي ١ / ٢٠٩ ، وتفسير برهان ١ / ٢٣٦ عن الرضا عليه السلام .

(٣) تفسير الصافي ١ / ٢٠٩ اقول: وفي المصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام « أن السكينة التي كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الإنسان » انظر ص ٢٠٨ منه .

ليكن إليه بنو إسرائيل والبقيّة جائز أن يكون بقيّة من العلم أو شيئاً من علامات الأنبياء ، وجائز أن يتضمّنها جميعاً[1] .

قال السّيّد الطّباطبائي :أقول : وروي هذا المعنى أيضاً الصّدوق في المعاني والعيّاشي في تفسيره عن الرّضا عليه السّلام وهذه الأخبار الواردة في معنى السّكينة وإن كانت آحاداً إلاّ أنّها قابلة التوجيه والتّقريب إلى معنى الآية ، فإنّ المراد بها على تقدير صحّتها : أنّ السّكينة مرتبة من مراتب النّفس في الكمال توجب سكون النّفس وطمأنيّتها إلى أمر الله وأمثال هذه التّعبيرات المشتملة على التّمثيل كثيرة في كلام الأئمّة فينطبق حينئذٍ على روح الإيمان . . . وسيجيء شطرٌ من الكلام على روح الإيمان في قوله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾[2] . وقال طاب ثراه أيضاً قبل ذلك : (كلام في معنى السّكينة) والسّكينة من السّكون خلاف الحركة وتستعمل في سكون القلب وهو استقرار الإنسان وعدم اضطراب باطنه في تصميم إرادته على ما هو حال الإنسان الحكيم (من الحكمة باصطلاح فنّ الأخلاق) صاحب العزيمة في أفعاله والله سبحانه جعلها من خواصّ الإيمان في مرتبة كماله وعدّها من مواهبه السّامية[3] إلى آخر ما حقّقه حول السّكينة فراجع[4] .

وهل السّكينة ـ وإن كان مبدأ اشتقاقها من السّكون ضدّ الحركة ـ هي حالة عاديّة تعود إلى إيمان الإنسان فحسب ؟ أم أنّها فوق العادة وشبه المعجز، كانت تخصّ الأنبياء من بني إسرائيل ؟ .

---

(١) المصدر ص ٢٠٩ .

(٢) سورة الحجر : الآية / ٢٩ ، تفسير الميزان ٢ / ٣٠٠

(٣) تفسير الميزان ٢ / ٢٨٩

(٤) تفسير الميزان ٢ / ٢٨١ ـ ٢٩٦

الـظّاهر ذلـك ولا ينافي أن تكـون مـرتبـة من سكـون النّفس من خواصّ الإيمان . وأمّـا التّمثيل بوجه الإنسان وهو روح أو ريـح هفّافـة كمـا في العلويّ[1] . فظاهـره مـا قـدّمنـا من شبـه المعجـز يـدلّ عليـه تكلّمه كما في الكاظمي الآنف الذكر .

وأمّـا حديث الـرأس كـرأس الهـرّة فلم نفهمـه ولا ريب أنّ الآي السّتّ السّـابقة الـذكر تنصّ على نـزولها على قلوب الأنبيـاء والمؤمنين فلا محالة يعقبهنّ الثّبات وسكون القلب ما لا يجده غيرهم .

---

(١) تفسير الصافي ١ / ٢٠٨ .

١٣٨ ـ ليبلّغ الشّاهد الغائب

روى الكليني رحمه الله بإسناده عن مروك بن عبيد عن محمد بن زيد الطّبري قال :

« كنت قائماً على رأس الرّضا عليه السّلام بخراسان ، وعنده عدّة من بني هاشم ، وفيهم إسحاق بن عيسى العباسي . . . فقال ـ أي الرّضا عليه السّلام ـ : يا إسحاق بلغني أنّ النّاس يقولون : إنّا نزعم أنّ النّاس عبيد لنا !؟ لا ، وقرابتي من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ما قلته قطّ ولا سمعته من آبائي قاله ، ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله ، ولكنّي أقول : النّاس عبيد لنا في الطاعة موالٍ لنا في الّدين فليبلّغ الشّاهد الغائب »(١) .

توهّم المتوهّم من النّاس أنّهم عبيد لآل محمّد صلّىٰ الله عليهم وسلم في الخلق والصّنع كما ربما يفهم من الكلمة العلويّة : « فإنّا

(١) أصول الكافي ١ / ١٨٧ ، أمالي الطّوسي ١ / ٢١ ، وأمالي الشيخ المفيد ٢٥٣ مع اختلاف في اللفظ .

صنائع ربّنا والنّاس بعدُ صنائع لنا »[١] . في كتابه عليه السّلام إلى معاوية . ولابن أبي الحديد شرح لها نقلناه عند المَثَل : « الإمام كالشمس الطالعة »[٢] . ونظيرها المرويّ عن النّاحية المقدّسة : « ونحن صنائع ربّنا والخلق بعدُ صنائعنا »[٣] . ولعلّ هذا أدلّ على العبوديّة في الخلق والصّنع والأصل قول جدّهم أمير المؤمنين عليه السّلام ، فإنّ فقرة « صنائع ربّنا » صريحةٌ في كونهم مخلوقين له تعالى . وفقرة « والنّاس بعد صنائع لنا » ليست كذلك بل كلمة « لنا » دالّة على النّفع المراد به الخدمة وأنّ النّاس لهم خَدَم فيطيعون ولاحتمال المعنى الآخر غير المقصود صرّح الرّضا عليه السّلام بقوله : « النّاس عبيدٌ لنا في الطّاعة موالٍ لنا في الدّين » .

« ليبلّغ الشّاهد الغائب » :

أي ليوصل الخبر وجوباً الشّاهدُ له مَنْ غاب عنه ، وهي كلمةٌ سائرةٌ على الألسن تضرب في الاهتمام بالقصّة ، ومنه وجوب أداء الشّهادة ولها أحكام كثيرة في الفقه وقد جاءت آي من القرآن الكريم منها : ﴿ **ولا تكتموا الشّهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه** ﴾[٤] . والوجه فيه : المَثَلَ السّائر : « الشّاهد يَرىٰ ما لا يرى الغائب » ذكرناه في الأمثال النّبويّة[٥] والنّبويّ : « خير الشّهداء : الّذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها » قيل هو مَثَلٌ في سرعة إجابة الشّاهد[٦] .

---

(١) النهج ١٥ / ١٨٢ ، كتاب ٢٨ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم ، شرح النهج ١٥ / ١٩٤ .
(٣) الاحتجاج ٢ / ٢٧٨ ، البحار ٥٣ / ١٧٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية / ٢٨٣ .
(٥) ج ١ / ٤٧٤ ، رقم المثل ٣٠٢ حرف الشين مع الألف .
(٦) لسان العرب ٣ / ٢٤٠ ، في (شهد) .

وأصل الشهادة الإخبار بما شاهده ، والشّاهد والشّهيد : الحاضر فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الأمور الظّاهرة فهو الشّهيد ، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير[1] .

ولا ريب في اعتبار الإبصار في الشهادة. ومنه المثل النّبويّ : « هل ترى الشّمس؟على مثلها فاشهد أو دع »[2] . فلا يكفي الحَدْس والتّرّأي فيها .

ثمّ الرّضا عليه السّلام يريد بالحديث المذكور تقديس المعصوم عمّا يدنّسه وأنّه ليس هو كأحد النّاس .

---

(١) المصدر ص ٢٣٩ .

(٢) الأمثال النّبويّة ٢ / ٣٤٣ ، رقم المثل ٦٣١ ، حرف الهاء مع اللام ، الوسائل ١٨ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

١٣٩ ـ ليس بين الله وبين أحد قرابة

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه بسنده إلى إبراهيم بن محمد الهمداني قال : سمعت الرّضا عليه السّلام يقول :

«ومن أحب عاصياً فهو عاص [١] ، ومَنْ أحبّ مطيعاً فهو مطيعٌ [٢] ، ومَنْ أعان ظالماً فهو ظالمٌ [٣] ومَنْ خَذَلَ عادلاً فهو ظالمٌ ؛ إنّه ليس بين الله وبين أحدٍ قرابةٌ ، ولا ينال أحدٌ ولاية الله إلاّ بالطّاعة . . . » [٤] .

للحديث الشّريف بقيّة ذكرناها عند الكلمة الحكميّة : « لا ينال أحد ولاية الله إلاّ بالطّاعة » [٥] .

في آي من القرآن الكريم تنزيه الذّات المقدّسة عمّا يولّد القرابة وعن اتّخاذ الصّاحبة والولد . منها : قوله عزّ من قائل : ﴿ **قل هو**

---

(١) حرف الميم مع النون .

(٢) المصدر .

(٣) المصدر .

(٤) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣٧ .

(٥) حرف اللام مع الألف .

الله أحــد * الله الصّمــد * لم يلد ولم يــولــد * ولم يكن لــه كـفؤاً أحـد ﴾[1] . و ﴿ **أنّى يكون لـه ولد ولـم تكن لـه صـاحبـة وخلق كـلّ شيءٍ** ﴾[2] .

والعقل السّليم قاضٍ بمحـاليّة اتّخـاذ الصّاحبـة والولـد أو تكون له قرابة وتعالى الله عن ذلك :

قـال الطّبـاطبائي : « أمّـا كونـه لـم يلد ؛ فإن الـولادة الّتي هي نوع من التّجــزّي والتّبعّض بـأيّ معنى فسّــرت لا تخلو من تـركيب فيمَنْ يلد ، وحاجة المركّب إلى أجزائـه ضروريّـة والله سبحانـه صمدٌ ينتهي إليه كلّ محتـاج في حاجتـه ولا حاجـة له ، وأمّـا كونـه لـم يولـد ؛ فإنّ تـولّد شيءٍ من شيءٍ لا يتمّ إلاّ مـع حاجـة من المتولّـد إلى ما ولـد منه في وجوده وهو سبحـانه صمـدٌ لا حاجـة له ، وأمّـا أنّه لا كفؤ لـه فلأنّ الكفؤ سـواء فرض كفـواً لـه في ذاتـه أو في فعله لا تتحقّق كفـاءتـه إلاّ مـع استقلالـه واستغنائـه فيمـا فيـه الكفـاءة والله سبحـانـه صمـد على الإطلاق يحتاج إليه كلّ من سواه من كلّ جهة مفروضةً . . . »[3] .

قـولـه عليــه السّــلام : « ليس بين الله وبين أحــد قـرابــة » من الأمثال السّائرة المعبّر عنـه في لسان الفـرس : « خدا بـاكسي خويشي نـدارد » يضـرب لبيـان العـدل المـطبق . وشمـول حكمــه تعالى في الخلق .

يـريد عليـه السّلام : ردّ أمثـال زيد أخي الإمام القائل : « أنـا أخـوك وابن أبيـك » وأجـابـه صلوات الله عليه: « أنت أخي مـا أطعت

---

(١) سورة الإخلاص : الآية / ١ ـ ٤ .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ١٠١ .

(٣) تفسير الميزان ٢٠ / ٣٨٩ .

الله »[1] . وهـذا نهـج كـلّ مؤمن بالله عـزّ وجـلّ أن لا يتّخـذ من دونـه تعالى وليجةً أو يمنعه مانـع من العدل في القضـايا كمـا أنّ الله عزّ وجـلّ كذلك، ولابدّ من التخلّق بأخلاق الله تعالى[2] .

---

(١) حرف الهمزة مع النون .

(٢) تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين ٤ / ٢٩٨

١٤٠ ـ ليس قبل الله مذهبٌ

هذه الكلمة من رواية ابن شعبة الحرّانيّ المشتملة على المناظرة مع عمران الصّابي في التّوحيد . نذكر منها موضع الأرتباط بها .

قال الرّضا عليه السّلام : « اعلم أنّ التّوهّم والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة ، وكان أوّل توهّمه وإرادته ومشيئته الحروف الّتي جعلها أصلاً لكلّ شيءٍ وفاصلاً لكلّ مشكل ولم يجعل في توهّمه معنى غير أنفسها متناهي[ءٍ] ولا وجود ؛ لأنّها متوهّمة بالتّوهّم والله سابق التّوهّم ؛ لأنّه ليس قبله شيء ولا معه شيءٌ والتّوهّم سابق للحروف فكانت الحروف محدثة بالتّوهّم وكان التّوهّم وليس قبل الله مذهبٌ والتّوهّم من الله غير الله ؛ ولذلك صار فعل كلّ شيءٍ غيره وحدّ كلّ شيءٍ غيره وصفة كلّ شيءٍ غير الموصوف وحدّ كلّ شيءٍ غير المحدود وذلك ؛ لأنّ الحروف إنّما هي مقطّعة قائمة برؤوسها لا تدلّ غير نفوسها فإذا ألّفتها وجمعت منها أحرفاً كانت تدلّ على غيرها من أسماء وصفات . . . »[١] .

---

(١) التّحف ٤٢٤ .

تختلف عبارة كتاب التّوحيد معها فراجع[1] . فمثلاً بدل « التّوهم » جاء فيه « الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد » ، وقوله عليه السلام : و « ليس قبل الله مذهب » موجود في التحف .

وكيف كان فالمراد نفي المذهب قَبْلَ الله أو قِبَلَ الله ، أي : كان جلّ جلاله متفرّداً لا شيء قبله أو معه ، والتّوهم أو الإبداع على اختلاف النّسختين منه تعالى وهو غيره والفرق بالخالقيّة والمخلوقيّة وتفصيل البحث موكول إلى موضعه .

ونظير كلمة « ليس قبل الله مذهب » الكلمة النّبويّة : « ليس وراء الله مرمى » أي : ليس بعد الله لطالب مطلبٌ فإليه انتهت العقول ووقفت ، فليس وراء معرفته والإيمان به غاية تقصد . والمرمى : الغرض الّذي ينتهي إليه سهم الرّامي قال النّابغة :

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب[2]

والكلمة الرّضويّة ناصّة كالنّبويّة على التّفرّد إلّا أنّ الأولى تنفي تعدد الذّات والثّانية تنفي الغايات لأنّه تعالى هو الغاية ليس وراءها غاية .

ونظير الكلمتين المثل السّائر ولا مشاحة في التّمثيل : (ليس وراء عبّادان قرية)[3] يضرب لبيان نهاية الأمر وآخر الشّيء ولا حالة منتظرة له . والوجه في انتهاء الأشياء إليه تعالى كونها مخلوقة له فهي

---

(١) التوحيد ٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

(٢) النهاية ٥ / ١٧٧ ـ ١٧٨ ، في (ورا) ، الأمثال النبوية ٢ / ١٤٣ ، رقم المثل ٤٥٦ ، حرف اللام مع الياء .

(٣) أمثال وحكم ٣ / ١٣٧٥ .

منه وإليه بدؤها منه وعودها إليه .

وهـذا معنى قولـه تعالى : ﴿ **إنّـا لله وإنّا إليـه راجعون** ﴾[1] وفي العلويّ : « إنّ قولنا : إنّا لله إقرار على أنفسنا بِالمُلْك ، وقـولنا : وإنّـا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهُلك »[2] .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٥٦

(٢) النهج ١٨ / ٢٥٥ ، الحكمة ٩٥ .

حرف الميم

١٤١ ـ ما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة

من حـديث الرّضـا عليه السّـلام وفيه استـدلاله باثنتي عشرة آيـة على فضل العترة على سائر النّاس جواباً لعلماء أهل العراق وخـراسان بمحضر المأمون رواه الصّدوق ، قال عليه السّلام في آخره :

« وأمّـا الثّانيـة عشرة فقـوله عـزّ وجلّ : ﴿ **وأمـر أهلك بـالصلوة واصطبر عليها** ﴾[1] . فخصّصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصيّـة، إذْ أمرنا مع الأمّة بإقامة الصّلاة، ثمّ خصّصنا من دون الأمّة فكان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يجيء إلى باب عليّ وفاطمة عليهما السّلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كـلّ يوم عنـد حضور كـلّ صلاة خمس مرّات ، فيقول : «الصّلاة رحمكم الله»، وما أكـرم الله أحداً من ذراري الأنبيـاء بمثل هـذه الكرامـة الّتي أكرمنـا بها وخصّصنـا من دون جميـع أهل بيتهم .

---

(١) سورة طه : الآية / ١٣٢ .

فقال المأمون والعلماء : « جزاكم الله أهل بيت نبيّكم عن هذه الأمّة خيراً فما نجد الشّرح والبيان فيما اشتبه علينا إلاّ عندكم »(١) .

إلى هنا انتهى استدلال الرّضا عليه السّلام بالآي الدّالّة على أفضليّة أهل البيت العترة الطّاهرة عليهم السّلام وقد تكلّمنا عن جميعها بتفصيل عند عدد كلمات انتزعناها من الحديث المذكور(٢) .

إنّ ذكر الخاصّ بعد العامّ لا بدّ أن يكون لسبب أوجب تخصيصه وقد قال عليه السّلام : إنّما هو الكرامة الّتي أكرم الله بها الآل فقال تعالى : ﴿ **وأمرأ هلك بالصلوة واصطبر عليها** ﴾ فكان يأمر بها ويصبّر عليها نفسه(٣).

وربّما يقال : إنّ التّفضيل قد ثبت لكلّ بني آدم قال تعالى : ﴿ **ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيبات وفضلّناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً** ﴾(٤) .

الجواب: أنَ في كلمة: ﴿ **ممّن خلقنا** ﴾ دلالة على أن ليس التّفضيل كلّيّاً حتّى الذّوات العالية أو الملائكة المقربين ، وتفضيل العترة الطّاهرة بعد النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ كلّيّ مطّرد لا استثناء فيه ، بالبرهان العقليّ والنقليّ .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٨ ، وتحف العقول ٤٣٦ ، تخالفه في : نبذة من كلمات .
(٢) حرف الهمزة مع النّون ، والهمزة مع الواو ، والعين مع الميم ، وفيه مصادر البقيّة .
(٣) نفسير الصّافي ٢ / ٨٣ ، الحديث العلويّ .
(٤) سورة الإسراء : الآية / ٧٠ .

أمّا العقل فلأنّ تقديم المساوي أو المفضول على الأفضل قبيح من الكلّ ومن الله جلّ جلاله أقبح لغناه الذّاتي وقدرته المطلقة، ومن ثمّ قبّحنا من قال في أوّل كتابه : « الحمد لله الواحد العدل . . . وقدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التّكليف . . . »[1] . وهل المصلحة الّتي لم يرد منها ألاّ السّلطة في الخارج تمسّ مقام الجعل الإلهي قبل كلّ شيء ، ومقام الامتثال متأخّر عن مقام الجعل ؟

وأمّا النقل فمنه حديث الرّضا عليه السّلام الجاري فتدبّر .

---

(1) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١ / ٣ . وقد أجبنا عنه في كتابنا : (الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة) عند التّكلّم عن المثل : (محلّي منها محلّ القطب من الرّحى) الرقم ١٥٦ ، وص ٤٥٦ .

١٤٢ ـ ما الدّليل على أنّ إرادته علمه ؟

هذه كلمة من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في الإرادة الّتي رواها الشّيخ الصّدوق طاب ثراه ولربطها بها نذكر شيئاً منها :

« قال سليمان : فإنّها ـ أي : الارادة ـ اسم من أسمائه، قال الرّضا عليه السّلام : هل سمّى نفسه بذلك ؟ قال سليمان : لا ، لم يسمّ نفسه بذلك ، قال الرّضا عليه السّلام : فليس لك أن تسمّيه بما لم يسمّ به نفسه ، قال : قد وصف نفسه بأنّه مريد ، قال الرّضا عليه السّلام : ليس صفته نفسه أنّه مريدٌ إخباراً عن أنّه إرادة ولا إخباراً عن أنّ الإرادة إسم من أسمائه ، قال سليمان : لأن إرادته علمه ، قال الرضا عليه السلام : يا جاهل فإذا علم الشيء فقد أراده ؟ قال سليمان : أجل ، قال عليه السّلام : فإذا لم يرده لم يعلمه ؟ قال سليمان : أجل ، قال عليه السّلام : من أين قلت ذاك ، وما الدليل على أنّ إرادته علمه ؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً وذلك قوله عز وجلّ : ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالّذى أوحينا إليك ﴾[1] . فهو يعلم كيف يذهب

(١) سورة الإسراء : ٨٦ .

به وهو لا يذهب به أبداً »[1] .

قد سبق من سليمان جعل الإرادة اسماً في أوّل المناظرة ، وثنّى ذلك هنا فقال : « فإنّها اسم من أسمائه » ولكن أبطل عليه السّلام كونها اسماً سمّى الله عزّ وجلّ نفسه بها باعترافه ، ومن ثمّ ردّه الإمام عليه السّلام ومنعه عن تسمية ما لم يسمّ به . ثمّ عدل المروزي عنه إلى أنّه تعالى وصف نفسه بأنّه مريدٌ .

والعدول من ادّعاء شيءٍ إلى ادّعاء ما يناقضه من مثل المروزي غير عزيز ، وقد تقدّمت تناقضاته في المناظرة وليس هو أوّل قارورة كسرت[2] .

وردّه عليه السّلام أيضاً بأنّ توصيف نفسه بأنّه مريدٌ لا دلالة فيه على أنّه هي الإرادة ولا أنّها اسم له بل أنّ الفعل بعد تحقّقه منه يصحّ الوصف بأنّه الفاعل، والإرادة كما ذكرناها سابقاً فعل من أفعاله .

ثمّ عدل المروزي من الصّفة والاسم إلى أنّها علم فإذا أراد شيئاً علمه وإذا علمه أراده فالعلم والإرادة شيء واحد ، وأبطله الإمام عليه السّلام أيضاً كسابقَيْه من ادّعاء الاسميّة والوصفيّة وهذه دعوى ثالثة باطلة مثلهما .

وبيان البطلان: بأنه لا ملازمة بين العلم والإرادة قد يكون العلم

---

(١) التوحيد ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) أمثال وحكم ٣ / ١٣٧٥ ، وفيه « في الإسلام » .

ثم لا دليل للمروزيّ على دعوى الوحدة بين الإرادة والعلم ،وذكرنا وجه بطلانها في المتن طبق تصريح الإمام عليه السّلام ، ولعمري أنّ الآية المذكورة تنصّ على ما أراده عليه السّلام وتنطبق عليه تماماً .

ثـابتاً ولا إرادة أبـداً كما في آية: ﴿ **ولئن شئنا لنـذهبنّ بـالّـذى أوحينـا إليـك** ﴾ فهو تعـالى قادر على الإذهـاب وعالـم بكيفيّـة ذلـك ولكنـه لـم يردُه أبداً ولا يذهب به أصلاً .

١٤٣ ـ ما كانت نفقتك إلاّ في كُمّك

روى الشّيخ الصّدوق قال: حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي ، قال : حدّثني محمد بن يحيى الصّولي، قال : حدّثني عون بن محمد الكندي قال : حدّثنا أبو الحسين محمد بن أبي عبّاد قال :

« لمّا كان من أمر الفضل بن سهل ما كان وُقتل ، دخل المأمون إلى الرّضا عليه السّلام يبكي وقال له : هذا وقت حاجتي إليك يا أبا الحسن فتنظر في الأمر وتعينني ، فقال له : عليك التّدبير يا أمير المؤمنين وعلينا الدّعاء ، قال : فلمّا خرج المأمون قلت للرّضا عليه السّلام : لم أخرّت أعزّك الله ما قاله لك أمير المؤمنين وأَبْيَتَه ؟ فقال : ويحك يا أبا حسن لستَ من هذا الأمر في شيءٍ قال : فرآني قد اغتممتُ فقال لي : وما لك في هذا؟ لو آل الأمر إلى ما تقول وأنت منّي كما أنت عليه الآن ، ما كانت نفقتك إلاّ في كمّك وكنت كواحدٍ من النّاس »(١) .

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٦٢ ، باب ٤٠ ، البحار ٤٩ / ١٧١ .

قال الشيخ المجلسي : بيان :

قوله عليه السّلام : « ما كانت نفقتك إلاّ في كُمّك » كناية عن قلّتها بحيث يقدر أن يحملها معه في كمّه ، أو عن كونها حاضرة له لا يتعب في تحصيلها ، والأوّل أظهر(١) .

من يوم قبول ولاية العهد والشّروط الّتي ذكرت في ضمنه: بأن لا يتصرّف في شؤون الدّولة من وضع أو رفع أو غيره أنّه عليه السّلام لم يملك الحُرّية الكاملة الكافية في الحكم على ما يرى عليه السّلام طبقاً لأحكام الإسلام بل لا بدّ من صدور الحكم وفق النّفع العائد إلى المأمون ،وفي غير هذا الفرض كان الإمام مهدّداً كما هو كذلك في الأحكام الدوليّة من اختصاص الحقوق وعوائدها بالدّولة وبغيرها من أفراد الرّعيّة ما لم يكن أدنى تزاحم لها وأين هذا من حكم الله عزّ وجلّ الّذي لم يراع وراء الحكم السّماوي الخالص شيءٌ ولا يراد بذلك إلاّ الله تعالى؛ ومن ثمّ لم يقبل عليه السّلام ولاية العهد بطوع رغبته، ولولا كان مهدّداً بالقتل بالرّفض لرفضها ، ولكنّه تجلبب بالصّبر كما صبر آباؤه عليهم السّلام .

قوله عليه السّلام : « ويحك يا أبا حسن لَسْتَ من هذا الأمر في شيءٍ » هو الرّجل الّذي كان مع الإمام عليه السّلام(٢) لا يعلم ما بقصد من وراء كلام المأمون من طلب نظر الإمام في الأمر وأنّه يريد خداعه بالتّدخّل في شؤون الملك ليصرف وجوه النّاس عنه، ولو كان المأمون صادقاً لتاب إلى الله عزّ وجلّ وخلع نفسه من الخلافة خلعاً

---

(١) البحار ٤٩ / ١٧١ .

(٢) لعلّ الصّحيح « ويحك يا أبا حسين » لأنّ المذكور في سند الحديث الرّاوي الأخير هو أبو الحسين بن أبي عبّاد ولم يكن ذكر فيه لرجل يكنّى بأبي الحسن فتدبّر .

صادقاً وأعَلَم النّاس بذلك وصار كأحدهم ولكن هيهات لم يخطر بباله بل ولن يرضى التّحدّث بذلك فضلاً عن الإقدام .

وكلمة : « ما كانت نفقتك إلاّ في كمّك » صالحة للتّمثل للقلّة إن لم يكن هو من المَثَل السّائر . والله العالم .

١٤٤ - متى آته يوماً لأطلب حاجةً

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بإسناده إلى اليسع بن حمزة قال : « كنت في مجلس أبي الحسن الرّضا عليه السّلام أحدّثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام إذ دخل عليه رجل طوال آدم(١) فقال : السّلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبّيك ومحبّي آبائك وأجدادك عليهم السّلام مصدري من الحجّ وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ مرحلة فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله عليّ نعمة فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالّذي تولّيني عنك، فلستُ موضع صدقة فقال له : اجلس رحمك الله وأقبل على النّاس يحدّثهم حتّى تفرّقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا فقال : أتأذنون لي في الدّخول ؟ فقال له سليمان : قدّم الله أمرك ، فقام فدخل الحجرة وبقي ساعة ثمّ خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال : أين الخراساني ؟ فقال : ها أنا ذا فقال : خذ هذه المائتي دينار واستعن بها في مؤنتك ونفقتك وتبرّك بها ولا تصدّق بها عنّي وأخرج فلا أراك ولا تراني ، ثمّ خرج ، فقال له سليمان : جعلتُ فداك لقد

---

(١) من الأدمة : السّمرة وجمع آدم أُدم وأدمان .

أجـزلت ورحمت فلماذا ستـرت وجهك عنـه ؟ فقال : مخـافـة أن أرى ذلّ السّؤال في وجهـه لقضائي حاجته، أمـا سمعت حـديث رسـول الله صلّى الله عليـه وآله : «المستتر بالحسنـة يعدل سبعين حجّـة والمُذيـع بالسيّئة مخذول والمستتر بها مغفور له » أما سمعت قول الأوّل :

متى آتـه يوماً لأطلب حـاجـةً رجعتُ إلى أهلي ووجهي بمائه»[1]

ولا غرو وقد اقتـدى بالحسين جـدّه عليهما السّـلام عندمـا سألـه الأعرابيّ بعدمـا سأل من أكـرم أهل المـدينة ؟ ودُلّ عليـه وأخذ بحـلقة الباب وأنشأ يقول :

لن يخـب الآن مَنْ رجـاكَ وَمَـنْ حَـرَّكَ مِنْ دون بـابـكَ الحَلَقَـةْ

الأبيـات فقال عليـه السّلام: يـا قنبـر هـل بقي من مـال الحجـاز شيء ؟قال: نعم أربعة آلاف دينـار فقال : هـاتها قـد جاء مَنْ هـو أحقّ بها منّا ثم نـزع بُردَيْـه ولفُ الدنـانير فيهمـا وأخرج يـده من بشقّ الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ :

خـذهـا فـإنّي إليـك مـعتـذرٌ واعلم بـأنّي عليـكَ ذُو شَفَقَـةْ[2]

الأبيـات فأخـذها الأعـرابي وبكى فقال لـه : لعلّك استقللتِ مـا أعطيناك ، قال : لا ، لكن كيف يأكل التّراب جودك ؟

---

(١) الكافي / ٢٣ ٢٤، البحار ٤٩ / ١٠١

(٢) البحار ٤٤ / ١٩٠ .

١٤٥ ـ مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة

روى الكليني عن علي بن إبراهيم [عن أبيه] عن ياسر عن الرّضا عليه السّلام قال : « مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر ، والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزىء بربّه »[١] .

الاستغفار طلب الغفران ممّن تجدر طاعته . وأثره في محو الذّنب هو أثر الأرياح الّتي تضرب ورق الشّجر فتحتّه .

ومن هنا يعلم أنّ التّمثيل بالورق في التّناثر بعلقة سببه وهو ضرب أوراق الشّجر بعرضها ببعض لتصافق الأرياح . وكذا شأن الاستغفار فإنّه يحتّ الذّنوب والوجه فيه أنّ حقيقته أي : حقيقة الاستغفار التّوبة الماحية لها وفي النّبويّ : « التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له »[٢] . ويماثل الاستغفار في تناثر الذّنوب كما يتناثر ورق الشّجر النّبويّ الآخر : « ما من مسلم يقول : لا إله إلّا الله يرفع به

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٥٠٤ .

(٢) الأمثال النّبويّة ١ / ٣٠٤ ، رقم المثل ٢٠٠ ، حرف التاء مع الألف .

صوته فيفرغ حتى تناثرت ذنوبه كما يتناثر ورق الشّجرة تحتها »[١] وقد قلنا عند التّمثل به إنّ التّنظير لتناثر ذنوب قائلها بتناثر ورق الشّجر لجامع التّأثير بما يوجبهما من توحيد مؤثّر في القلوب بالتّهليل كما تؤثّر الأرياح في حتّ ورق الأشجار[٢] .

إذا دريت التّنظير وما للإستغفار من حتّ الذّنوب فالجدير ذكر ما جاء في ذلك :

ففي نبويّ : « خير الدّعاء الاستغفار »[٣] أي : خير الطّلب لأنّ الدّعاء : الطّلب والمعنى خير الطّلب طلبُ المغفرة .

وفي آخر : « كان لا يقوم من مجلس وإن خف حتى يستغفر الله عزّ وجلّ خمساً وعشرين مرّة »[٤] .

وصادقيّ : « كان رسول الله يستغفر الله عزّ وجلّ في كلّ يوم سبعين مرّة ويتوب إلى الله عزّ وجلّ سبعين مرّة ، قال: قلت : كان يقول: أستغفر الله وأتوب إليه ؟ قال : كان يقول: استغفر الله أستغفر الله سبعين مرّة ويقول: وأتوب إلى الله وأتوب إلى الله سبعين مرة »[٥] .

وآخر : « إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي

---

(١) المصدر : ص ٣٣٠ ، رقم المثل ٢١٣ .
(٢) المصدر ص ٣٣١ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ٥٠٤ .
(٤) المصدر .
(٥) المصدر ص ٥٠٥ .

يتلألأ »[١] .

ولا يخفى أنّ حقيقة الاستغفار ، بيّنها أمير المؤمنين عليه السّلام عندما قاله قائل بحضرته فراجع[٢] .

(١) المصدر ص ٥٠٤ : وفي الأصل « يتلألأ » والصحيح « تتلألأ » .
(٢) النهج ٢٠ / ٥٦ الحكمة / ٤٢٥ . وفيها : « إنّ الاستغفار درجة العلّيين . . . » ويا لها من درجة .

١٤٦ ـ مثل العمود في وسط الفسطاط من أراده أخذه

قال الصّدوق: حدّثنا حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بقم في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إليّ سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة قال: حدّثني ياسر الخادم قال:

« كان الرّضا عليه السّلام إذا كان خلا جمع حشمه كلّهم عنده الصّغير والكبير فيحدّثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان عليه السّلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتّى السّائس والحّجام إلّا أقعده معه على مائدته، قال ياسر الخادم: فبينا نحن عنده يوماً إذ سمعنا وَقْع القفل الّذي كان على باب المأمون إلى دار أبي الحسن عليه السّلام فقال لنا الرّضا عليه السّلام: قوموا تفرّقوا فقمنا عنه فجاء المأمون ومعه كتاب طويل فأراد الرّضا عليه السّلام أن يقوم فأقسم عليه المأمون بحقّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أن لا

يقوم إليه ثمّ جاء حتّى انكبّ على أبي الحسن عليه السّلام وقبّل وجهه وقعد بين يديه على وسادة فقرأ ذلك الكتاب عليه فإذا هو فتح لبعض قرى كابل فيه إنا فتحنا قرية كذا وكذا فلمّا فرغ، قال له الرّضا عليه السّلام : وسرّك فتح قرية من قرى الشّرك ؟ فقال له المأمون : أوليس في ذلك سرور ؟ فقال : يا أمير المؤمنين اتّق الله في أمّة محمّد - صلّى الله عليه وآله - وما ولّاك الله من هذا الأمر وخصّك به فإنّك قد ضيّعت أمور المسلمين وفوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي وإنّ المهاجرين والأنصار يظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمّة ويأتي على المظلوم دهرٌ يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك فاتّق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين وارجع إلى بيت النّبوّة ومعدن المهاجرين والأنصار، أما علمت يا أمير المؤمنين إنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من أراده أخذه ، قال المأمون : يا سيّدي فما ترى ؟ قال: أرى أن تخرج من هذه البلاد وتتحوّل إلى موضع آبائك وأجدادك . . . »[1] .

قوله عليه السّلام : « إنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من أراده أخذه » يريد بضرب المثل بعمود الخيمة في قيامها وقوامها به أنّ المسلمين كذلك قوامهم بالوالي ، لأنّه بمنزلة العمود للفسطاط وكلّ من أراد العمود أخذه، أو من أراد الفسطاط أخذ العمود والوجهان في كلام الإمام عليه السّلام محتمل فقوله : « من أراده

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٥٧ - ١٦٣ ، والبحار ٤٩ / ١٦٤ - ١٦٥ وفيه « إذا خلا » .

أخذه »أي : من أرادِ الوالي أخذه أو من أراد شيئاً أو حاجة أخذ الوالي لأنّه المسؤول بذلك وهذا الوجه أقرب فالمسلمون قوامهم بالوالي كما أن قوام الفسطاط بالعمود .

وقد جاء المثل المذكور للصّلاة في صادقي عنه صلّىٰ الله عليه وآله : « مثل الصّلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والاوتاد ، والغشاء ، وإذا تكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء »[1] .

وباقريّ : « الصّلاة عمود الدّين مثلها كمثل عمود الفسطاط »[2] .

---

(١) فروع الكافي ٣ / ٢٦٦ ، البحار ٨٢ / ٢١٨ .
(٢) المصدر .

١٤٧ ـ مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة

روى علي بن إبراهيم القمي بسنده إلى عبد الله بن جندب قال: كتبت إلى أبي الحسن الرّضا عليه السّلام عن تفسير: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾[١] . فكتب إليّ الجواب: « أما بعد فإنّ محمّداً كان أمين الله في خلقه ـ إلى أن قال عليه السّلام: ـ ومثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة والمشكاة في قنديل فنحن المشكاة فيها المصباح محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ **﴿المصباح في زجاجة الزّجاجة كأنّها كوكبٌ درّيّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة﴾** لا دعيّة ولا منكرة **﴿يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسه نار﴾** القران **﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للنّاس والله بكلّ شيءٍ عليم﴾**[٢] فالنّور عليٌّ يهدى الله لولايتنا من أحبّ . . . »[٣] .

لآية النّور تفسير بالمؤمن وقلبه في أحاديث أهل البيت عليهم

(١) سورة النّور : الآية / ٣٦ .

(٢) سورة النور : الآية / ٣٥ .

(٣) تفسير القمّي ٢ / ١٠٤ ـ ١٠٥ ، البحار ٢٦ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

السّلام. منها: الباقريّ: «قال: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن قال: فالمؤمن يتقلّب في خمسة من النّور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنّة نور ... »[1]. وفيه أنّ مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح المشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه...[2] فللآية تنزيل وتأويل وقد فسّرها جمع سمّوها بتفسير آية النّور، منهم السّيد حسين بن مرتضى اليزدي، والحاج ميرزا حسين العلويّ السّبزواري. ومحمد صادق المدرّسي، وصدر المتألهين صدر الدين، وغيرهم ذكرهم الطّهراني فراجع[3].

وفي قوله تعالى: **﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾**[4]. و **﴿وله المثل الأعلى فى السّموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾**[5].

وفي عدّة روايات أنّ المثل الأعلى أهل البيت عليهم السّلام ففي علويّ: « نحن كلمة التّقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى »[6]. وكيف لا وهم المظهر الأكمل للنّعوت والصّفات الكماليّة الّتي تمثّل الحقّ والحقيقة وأنّهم الأسماء الحسنى والأمثال العليا كما جاء ذلك في الصّادقيّ: « نحن والله الأسماء الحسنى »[7]. وفي تفسير قوله

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ١٧١ .
(٢) تفسير الصافي ٢ / ١٧١ .
(٣) الذريعة ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .
(٤) سورة النحل : الآية / ٦٠ .
(٥) سورة الروم : الآية / ٢٧ .
(٦) تفسير الصافي ٢ / ٢٩٩ .
(٧) أصول الكافي ١ / ١٤٤ .

تعالى : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾[1] . ولا ينافي تفسير المثل الأعلى بهم عليهم السّلام الأخذ بظاهره أيضاً وقد نصّ في الصّادقيّ بقوله عليه السّلام : « الّذي لا يشبهه بشيءٌ ولا يوصف ولا يتوهّم فذلك المثل الأعلى »[2] .

(١) سورة الأعراف : الآية / ١٨٠ .

(٢) تفسير البرهان ٢ / ٣٧٣ . وتفسير الميزان ١٢ / ٢٨٦ .

١٤٨ ـ مثلي مثل يوسف الصّديق ومثلهم مثل إخوته

روى الصّدوق رواية فيها علّة قتل هارون الرّشيد الإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام بالسُّم بالرّطب، ومكالمة الإمام الكاظم عليه السّلام مع المسيّب بن زهير ، وأنّه لا يجهزّ الإمام إلاّ الإمام وإن كان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب . وإليك شطراً منها :

قال ـ أي المسيّب ـ : ثمّ رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه ، وكان عهدي بسيّدي الرّضا عليه السّلام وهو غلامٌ ، فأردتُ سؤاله فصاح بي سيّدي موسى ـ عليه السّلام ـ فقال : أليس قد نهينك يا مسيّب ؟ فلم أزل صابراً حتّى مضى وغاب الشّخص ثمّ أنهيت الخبر إلى الرّشيد فوافى السّنديّ بن شاهك فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنّون أنّهم يغسّلونه فلا تصل أيديهم إليه ، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشّخص يتولّى غُسله وتحنيطه وتكفينه وهو يُظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه ، فلمّا فرغ من أمره قال لي ذلك الشّخص ـ أي الرّضا عليه السّلام ـ : يا مسيّب مهما شككت فيه فلا تَشكنَّ فيّ ؛ فإنّي إمامك ومولاك وحجّة الله عليك بعد أبي عليه السّلام .

يا مُسيّب : مثلي مثل يوسف الصّديق ـ عليه السّلام ـ ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون .

ثمّ حُمل عليه السّلام حتّى دفن في مقابر قريش ولم يرفع قبره أكثر ممّا أمر به ، ثمّ رفعوا قبره بعد ذلك وبنوا عليه(١) .

يريد عليه السّلام من تنظير نفسه المقدّسة بيوسف الصّديق عليه السّلام ، وتنظير بني العبّاس ومنهم المأمون وأبوه بإخوة يوسف في أمور .

منها : ما أشار إليه عليه السّلام من معرفته بما هم فيه وجهلهم بالإمام عليه السلام وعدم رؤيتهم له كما كان أخوة يوسف حين دخلوا عليه في مصر بعدما أنجاه الله عزّ وجلّ من البئر وولايته على خزائن الأرض عرفهم وهم له منكرون كما قال تعالى : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾(٢) .

ومنها : أنّ إخوة يوسف لا يعلمون أنّ يوسف نبيّ معصوم من الزّلل سوى أنّه أخوهم المسمّى بيوسف كذلك بنو العبّاس لا يعرفون أن الرّضا إمام معصوم وحجّة الله على خلقه سوى أنّه ابن عمّهم ومن ذرية الرّسول صلّى الله عليه وآله .

ومنها : أنّ إخوة يوسف حسدوه كذلك بنو العبّاس ومن قبلهم بنو أميّة ومروان وغيرهم حسدوه وأهل بيته فقتلوهم وسمّوهم، فهم بين حبسٍ وذبحٍ وسبيٍ ، وكذا أكثر النّاس لا يعرفونهم عليهم السّلام ولا يُدركون مقام الإمام المعصوم الرّفيع وأنّ معرفة الله عزّ وجلّ هي معرفة أهل كلّ زمانٍ إمام زمانهم .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٨٤ ـ ٨٥ .
(٢) سورة يوسف : الآية / ٥٨ .

١٤٩ ـ المسكنة مفتاح البؤس

روى المجلسي من كلمات الرّضا عليه السلام الحكميّة «المسكنة مفتاح البؤس»[١].

ما هي المسكنة ؟

قال تعالى : ﴿ إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين . . . ﴾[٢] هل الفقير والمسكين مترادفان ، أو متغايران ؟

قال صاحب الجواهر طاب ثراه : الأصحّ أنّهما متغايران لنص أهل اللّغة وصحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام : «الفقير : الذي لا يسأل النّاس ، والمسكين أجهد منه » [٣] . ولا ثمرة مهمّة في تحقيق ذلك ؛للأتفاق على استحقاقهما من الزّكاة حيث ذكرا ، أو دخول أحدهما تحت الآخر حيث يذكر أحدهما ، وإنّما تظهر الفائدة نادراً فيما لو نذر أو وقف ، أو أوصى لأسوءهما حالاً ؛ فإنّ الآخر لا

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ٦٠ .

(٣) الوسائل ٦ / ١٤٤ ، وآخرها : « والبائس أجهدهم » .

يدخل فيه بخلاف العكس[١] .

وعلى القول بالتّغاير، قال غيره : وهو المحكيّ عن ابن سكّيت وابن دريد وابن قتيبة وأبي زيد وأبي عبيدة ويونس والفرّاء ، وتغلب وأبي إسحاق ويعقوب ، والأصمعي في أحد النقلين ، قال يونس : « قلت لأعرابيّ : أفقير أنت ؟ قال : لا والله ولكن مسكين »[٢]

ولصاحب الجواهر ما يخالف قوله الأوّل ، قال :

والتّحقيق بعد إعطاء التأمل حقّه أنّه لا ريب في صدق الفقير على المسكين ولو الفرد الأدنى منه عرفاً والأصل عدم النّقل والتّغير ، وأمّا المسكين فهو مأخوذ من المسكنَة بمعنى الذّلّة فحيث يستعمل في غير الغنيّ يراد منه تمام مصداق الفقير . . .[٣] .

ومِنْ عطف المسكنة على الذّلّة في قوله تعالى : ﴿ **وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة** ﴾[٤] . يفهم التغاير وعدم أخذ المسكنة من الذّلّة نعم الذّلّة أعمّ من المسكنة ويجمعهما الخضوع لغةً وتفترق عن الذّلّة بالفقر والعُدم .

قوله عليه السّلام : « المسكنة مفتاح البُؤس » البؤس : الفقر والحال السّيّئة والمناسبة به المعنى الثّاني، وربّما المسكنة تفضي بصاحبها إلى الكفر وأيّ حال أسوء من الكفر وهو معنى الحديث النّبويّ : « كاد الفقر أن يكون كفراً »[٥] . والآخر : « اللّهمّ إنّي أعوذ

(١) الجواهر ١٥ / ٢٩٧ .

(٢) المصدر ص ٢٩٨ .

(٣) المصدر ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٤) سورة البقرة : الآية / ٦١

(٥) البحار ٧٢ / ٢٩ ، والأمثال النّبويّة ٢ / ٣٦ ، رقم ٣٦٣ ، حرف الكاف مع الألف

بك من الكفر والفقر ، فقال رجل : أيعدلان ؟ قال : نعم »[1] .

قال المجلسي : توضيح : هذه الرّواية من المشهورات بين الخاصّة والعامّة ، وفيها ذمّ عظيم للفقر ، ويعارضها الأخبار السّابقة وما روي عن النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله : « الفقر فخري وبه أفتخر » وقوله صلّىٰ الله عليه وآله : « اللّهمّ أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين » ويؤيّد هذه الرّواية ما رواه العامّة عنه صلّىٰ الله عليه وآله : « الفقر سواد الوجه في الدّارين » وقد قيل في الجمع بينها وجوه :

قال الرّاغب في المفردات : الفقر يستعمل على أربعة أوجه :

الأول : وجود الحاجة الضّروريّة ، وذلك عامّ للإنسان ما دام في دار الدّنيا بل عامّ للموجودات كلّها ، وعلى هذا قوله عزّ وجلّ : **﴿ يا أيّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد ﴾**[2] وإلى هذا الفقر أشار بقوله في وصف الإنسان : **﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطّعام ﴾**[3] .

والثاني : عدم المقتنيات وهو المذكور في قوله : **﴿ للفقراء الّذين أحصروا في سبيل الله ﴾ إلى قوله ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفّف ﴾**[4] . و **﴿ إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين ﴾**[5] .

---

(١) كنز العمّال ٦ / ٤٩٢ ، رقم الحديث ١٦٦٨٧
(٢) سورة فاطر : الآية / ١٥ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية / ٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية / ٢٧٣ .
(٥) سورة البراءة : الآية / ٦٠ .

الثّالث : فقر النّفس وهو الشّره المعنيّ بقوله : صلّىٰ الله عليه وآله : « كاد الفقر أن يكون كفراً » وهو المقابل بقوله : « الغنى غنى النّفس » ، والمعنيّ بقولهم : « من عُدم القناعة لم يفده المال غنىً » .

الرّابع : الفقر إلى الله المشار إليه بقوله : « اللّهمّ أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك » ، وإيّاه عنى تعالى بقوله : ﴿ **ربّ إنّي لما أنزلت إلّي من خير فقير** ﴾[1] . وبهذا ألمّ الشاعر فقال :

ويعجبني فقري إليك ولم يكن ليعجبني لولا محبّتك الفقر

. . . . . . انتهى وهذا أحسن ما قيل في المقام ، ومنهم من حمل سواد الوجه على المدح أي : إنّه كالخال الّذي على وجه المحبوب فإنه يزينه ولا يشينه . . .[2] .

وإليك بعض ما قيل في ذمّ الفقر ومدحه ،وذمّ الغنى ومدحه من مثل وحكمة

(ذم الفقر)

« الفقر مجمع العيوب » ، « الفقر كنز البلاء » ، « القلة ذلّة » ، « الفاقة الموت الأحمر » ، « كاد الفقر يكون كفرا » ، « لا فاقة كالفقر » ، « الفقر مذلّ مبتذل » ، « لا أدري أيّهما أمرّ : موت الغنيّ أم حياة الفقير ؟! » .

اذا قلّ مال المرء قل حياؤهُ وضاقت عليه أرضه وسماؤهُ
ولم أرَ بعد الدّين خيراً من الغنى ولم أرَ بعد الكفر شرّاً من الفقر

(١) سورة القصص : الآية / ٢٤
(٢) البحار ٧٢ / ٣٠ ـ ٣١

« يرتضع من الدّهر ثدي عقيم ، ويركب من الفقر ظهر بهيم » ، « لو بلغ الرّزق فاه لولّاه قفاه » ، « جاء بوجه قد غيّر فيه الفقر ، وانتزف ماءه الدّهر » ، « لا يملك غير الجلدة بردةً ، ولا يلتقي لحياه رعدةً » ، « قد أحلّت له الضّرورة ما حرّم الله عليه » ، « حيّ كميّت ، وفي بيت بلا بيت » ، « ليس معه عقد على نقدٍ » - أي : بيعه وشراؤه بغير ثمن حاضر - ، « غداؤه الخوى [الجوى] ، وعشاؤه الطّوى » ، « فلان سرواله في زيقه »أي : أنّ الحاجة والجهد أحوجاه إلى أن رقّع قميصه بسرواله[1] .

(مدح الفقر)

« الفقر شعار الصّالحين » ، « الفقير مخفّ ، والغنيّ مُثقل » ، « الفقير أقلّ عدوّاً من الغنى » ، « إنّ مِن العصمة أن لا تجد» - أي : لا يجد ما يعصي الله به - ، « الصّبر على الفقر يعدل الجهاد في سبيل الله » .

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنىٰ وأنّ الغنى يخشى عليه من الفقر
مِن شرف الفقر ومن فضله على الغنى لو صحّ منك النّظر
أنّك تعصي الله تبغى الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر[2]

(مدح الغنى والمال) ·

لو لم يكن في الغنى إلّا أنّه من صفات الله تعالى لكفى به فضلاً .

* إنّ الغنى طويل الذّيل ميّاس *

استغن أو مت . قد شُرف الوضيع بالمال .

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٩٥ - ٣٩٦ .
(٢) التّمثيل والمحاضرة ٣٩٤ .

* إنّ الحبيب إلى الإخوان ذو مال *

المال في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة .

كلّ النّداء إذا ناديت يخذلني إلاّ ندائي إذا ناديت يا مالي (١)

(ذمّ الغنى والمال)

قال تعالى : ﴿ إنّ الإنسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ ﴾ (٢) .
« الغنى يُورث البَطَر » ، « رُبَّ نَعْلٍ شرّ من الحفا » ، « غنى النّفس أفضل من غنى المال » .

غنى النّفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النّاس في الأنفس ليس الفضل في الحال

« الغنى غنى القلب لا غنى المال » ، « قد يكون مال المرء سبب حتفه ، كما أنّ الطّاووس قد يذبح لحُسن ريشه » . . . (٣) .

فليختر العبد ما اختاره الله عزّ وجلّ له من فقر وغنى ، وصحّة ومرض وفي كلّ شيء وليعلم أنّ ذلك كان خيراً ففي صادقي : « يا فضيل إنّ المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيراً له ، ولو أصبح مقطّعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له ؛ إنّ الله لا يفعل بالمؤمن إلاّ ما هو خير له . . . » (٤) .

---

(١) التّمثيل والمحاضرة ٣٩٢ .
(٢) سورة العلق : الآية / ٦ ـ ٧ .
(٣) التّمثيل ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .
(٤) أصول الكافي ٢ / ٢٤٦ .
ولا يخفى أنّ كل ما ذكرناه على غرار الحديث الرّضوي : « المسكنة مفتاح البؤس » على نسخة البحار الموجودة ٧٨ / ٣٥٣ ، وفي ص ٣٥٦ وفي الدّرة الباهرة : « المسألة مفتاح البؤس » الدّرة ٣٧ . والسّائل وإن كان الأغلب هو المسكين إلاّ أنّ للمسألة شرحاً آخر .

١٥٠ ـ من أحبّ عاصيا فهو عاصٍ

قـال الشّيخ الصّدوق: حدّثنـا أبو جعفـر بن نعيم الشّاذاني رضي الله عنـه قال : أخبـرنـا أحمـد بن إدريس قـال : حـدّثنا إبـراهيم بن هـاشم عن إبراهيم بن محمـد الهمداني قـال : سمعت الـرّضـا عليـه السّلام يقول :

« مَنْ أحبّ عـاصيـاً فهـو عـاصٍ ، ومَنْ أحبّ مـطيعـاً فهـو مطيعٌ(١) ، ومَنْ أعان ظالماً فهو ظالمٌ(٢)، ومَنْ خذل عـادلاً فهو ظـالمٌ ، إنّه ليس بين الله وبين أحدٍ قرابةٌ(٣)، ولا ينال أحد ولايـة الله إلاّ بالـطّاعة ولقـد قال رسـول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ لبني عبد المطّلب: ائتوني بـأعمالكم لا بـأحسابكم وأنسـابكم قـال الله تعـالى : ﴿ **فـإذا نفـخ في الصّـور فلا أنسـاب بينهم يومئـذٍ ولا يتساءلـون * فمَنْ ثقلَتْ موازينُـهُ فـأولئك هم المُفلحـون * ومَنْ خَفَّتْ موازينُـهُ فأولئـك الّذين خسـروا**

---

(١) حرف الميم مع النّون .

(٢) حرف الميم مع النّون .

(٣) حرف اللام مع الياء .

أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ . .

لماذا صار محبّ العاصي عاصياً ، ومعين الظّالم ظالماً،وخاذل العادل ظالماً ، ومحبّ المطيع مطيعاً ؟

الجواب عن ذلك كلّه: أنّ عصيان الله عزّ وجلّ وطاعته منشعبان عن الإيمان والكفر الأصيلين ،ونظير الأمرين ما جاء في جنود العقل والجهل الّذينَ لا ينفكّ عنهما الإيمان والكفر وقد ذكر في حديث سماعة قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال أبو عبد الله عليه السّلام : اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجُنْدَه تهتدوا . . . »[٢] ،وفيه: « ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً ، فلمّا رأى الجهل ما أكرم به العقل وما أعطاه ، أضمر له العداوة فقال الجهل :يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقويته وأنا ضدّه ولا قوّة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيتَه فقال : نعم . . . » .

وليس نطقهما إلاّ بيان اقتضاء ما لكلّ منها من آثار الفضائل للرّذائل المنشعبة عنها، ومنه أيضاً ما جاء في الحديث الصّادقي : « النّاس يغدون على ثلاثةٍ : عالمٍ ومتعلمٍ وغثاءٍ ، فنحن العلماء ، وشيعتنا المتعلّمون ، وسائر النّاس غثاء »[٣] والنّبويّ : « اغد عالماً أو متعلّماً أو أحبَّ العلماء ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم »[٤] .

(١) سورة المؤمنون : الآية / ١٠١ ـ ١٠٣ ، عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٧ .
(٢) البحار ١ / ١٠٩ ـ ١١١ ، وص ١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٣) البحار ١ / ١٨٧ .
(٤) المصدر .

فالمحبّ لأهل العلم كالمحبّ للمطيعين والمبغض لأولئك كالمبغض لهؤلاء ، على أنّ الحبّ والمعاداة إذا كان أحدهما لأجل كون العبد مطيعاً لمولاه أو عاصياً دليلٌ على أنّ السّبب الوحيد هو الحبّ للمولى تعالى أو معاداته ، ومن هنا جاء الحديث النّبويّ : « إنّما الأعمال بالنّيّات »[1] . مثوبة وعقوبة ، ومن حيث الشّر والخير .

---

(١) أمالي الشّيخ ٢ / ٢٣١ ، وحرف اللام مع الألف .

١٥١ ـ من أحبّ مطيعاً فهو مطيع

روى الشّيخ الصّدوق بـإسناده إلى إبـراهيم بن محمد الهمـداني قـال : سمعت الرّضـا عليـه السّـلام يقـول : « منّ أحبّ عـاصيـاً فهـو عاصٍ ، ومَنْ أحبّ مطيعاً فهو مطيعٌ . . . »(١) .

للحـديث الشّريف تتّمـة ذكرنـاها عنـد التّكلّم عن الكلمة : « مَنْ أحبّ عاصياً فهو عاص »(٢) ، وقلنا : إنّ العامل الأصيل هو الكفر والإيمان بالله عزّ وجلّ وإنّما الفضائل والرّذائل مِنْ شعبهما وجنودهما كما نصّ في الصّادقيّ على جنود العقل والجهل إلى خمسة وسبعين جنداً مكنّىً به عمّا يتشعّب منهما من فضيلة أو رذيلة وقد جاء ذلك في أحاديث أهل البيت عليهم السلام .

منها : الباقري : « أتى رجل إلى رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال : إني أحب الصّوامين ولا أصوم ، وأحب المصلّين ولا أُصلّي ، وأحب المتصدّقين ولا أصدق . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ :

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣٧ .

(٢) حرف الميم مع النّون وحرف اللام مع الياء .

« أنت مع من أحببت ، ولك ما كسبت » ، أما ترضَوْن أن لو كان فزعة من السماء فزع كل قوم إلىٰ مأمنهم وفزعنا إلى رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وفزعتم إلينا »[١] .

ومنها: ما رواه الشّيخ الصّدوق طاب ثراه عن أنس قال: «جاء رجل من أهل البادية وكان يُعْجبنا أن يأتي الرّجل من أهل البادية يسأل النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال: يا رسول الله متى قيام السّاعة فحضرت الصّلاة فلمّا قضى صلاته قال : أين السّائل عن السّاعة ؟ فقال: أنا يا رسول الله ،قال: فما أعددت لها ، قال: والله ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم إلاّ إنّي أحبّ الله ورسوله ، فقال له النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : المرء مع مَنْ أحبّ ، قال أنس : فما رأيتُ المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيءٍ أشدّ من فرحهم بهذا! »[٢] .

إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يكرّر قوله : « أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت » ثلاثاً لعظم تأثير عامل الحبّ في دين الإنسان ودنياه ، ولا أقوى منه تأثيراً في العالم كلّه ، والإنسان لا يصدر منه شيء إلاّ بدافع الحبّ .

وقد قيل : « مَنْ أحبّ قوماً فهو منهم »[٣] وهل الإيمان إلاّ

---

(١) السفينة ١ / ٥٨١ ، في ـ زيد ـ ، وفي تفسير البرهان ٤ / ٢٠٦ ، في آية ٧ من الحجرات دلالة عليه .
(٢) علل الشّرائع ١ / ١٣٩ ـ ١٤٠ . باب ١١٧ الحديث ٢ .
(٣) أمثال وحكم ٤ / ١٧٣٨ .

الحبّ في الله والبغض في الله كما روى ذلك عنهم عليهم السّلام[1] فمحبّ المطيع لله عزّوجلّ كيف لا يكون مطيعاً مع أنّه راضٍ بما أطاع، وإذا انعكس انعكس يعني: محبّ العاصي عاصٍ كما جاء في نفس الحديث المبحوث فيه ؛ هذه سنّة الله عزّ وجلّ في خلقه أبداً .

(١) تفسير البرهان ٤ / ٢٠٦ ، في آية ٧ من الحجرات ، الوسائل ١١ / ٤٣٥ .

١٥٢ ـ مَنْ أعان ظالماً فهو ظالمٌ

روى الصّدوق بإسناده إلى الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه قال : « مَنْ أحبّ عاصياً فهو عاصٍ[(١)] ، ومَنْ أحَبْ مطيعاً فهو مطيعٌ[(٢)] ، ومَنْ أعان ظالماً فهو ظالمٌ ، ومَنْ خذل عادلاً فهو ظالمٌ . . . »[(٣)] .

إعانة الظّالم إعانة على الإثم والعدوان ؛ وذلك منهيّ بنصّ القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البّر والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[(٤)] .

وإنّما ذكرت صدر الآية لإظهار الرّبط وبيان الفضيلة في قبال هذه الرّذيلة الّتي هي ضدّها تماماً والأشياء تعرف بأضدادها[(٥)] .

ثم إعانة الظّالم وهي : تهيئة بعض المقدمات قاصداً بها المعين

(١) حرف الميم مع النون .

(٢) حرف الميم مع النّون .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية / ٢

(٥) أمثال وحكم ١ / ٥٤٨ : (تعرف الأشياء بأضدادها) .

وصول المعان إلى هدفه. وقيل: الإعانة قد تتحقّق بدون قصد المعين أيضاً قال الشّيخ الأنصاري:قال المحقّق الأردبيلي طاب ثراهما في آيات أحكامه في الكلام على الآية[١]: إنّ المراد الإعانة على المعاصي مع القصد، أو على الوجه الّذي يصدق أنّها إعانة مثل أن يطلب الظّالم العصا من شخص لضرب مظلوم فيعطيه إيّاها ، أو يطلب القلم لكتابة ظلم فيعطيه إيّاه ،ونحو ذلك مما يعدّ معونة عرفاً فلا تصدق على التّاجر الّذي يتّجر لتحصيل غرضه أنّه معاون للّظالم العاشر[٢] في أخذ العشور ، ولا على الحاجّ الّذي يؤخذ منه المال ظلماً. . .[٣] .

وقال الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى : حُكي أنّه سئل بعض الأكابر وقيل له: إنّي رجل خيّاط للسّلطان ثيابه فهل تراني داخلاً بذلك في أعوان الظّلمة ؟ فقال له : المعين لهم مَنْ يبيعك الإبَر[٤]، والخيوط ، وأمّا أنت فمن الظّلمة أنفسهم[٥] .

ولعلّ المقام المبحوث أدقّ مِن علم الفقه ومسائله ، وقد تعرّض الفقهاء في مسائل ولاية الجور والظّلمة لما يمسّ بذلك وقد

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٢ .

(٢) أي: العشّار وهو الماكس من أهل الكمارك الذي لا يستجاب دعاؤه كما في الحكمة العلويّة « . . . استجيب له إلا ان يكون عشّاراً . . . » النهج ١٨ / ٢٦٩ ، الحكمة ١٠١ .

(٣) المكاسب المحرّمة القسم الثاني من النّوع الثاني مما يحرم التكسّب . . . ص ١٦ من القطع الرّحلي .

(٤) يقال للمخيط ابرة وجمعها (إبر) والّذي يسوّي الإبر يقال له: الأبّار. لسان العرب ٤ / ٤ ، في (أبر) .

(٥) المكاسب المحرمة ١٦ ، القسم الثاني من النوع الثاني مما يحرم التكسب . . .

عقد الشّيخ الحرّ أبوابا في كتاب الحديث منها: (باب تحريم معونة الظّالمين ولو بمدّة قلم . . .) :

ففي سجادي : « إيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظّالمين » .

وموثّق أبي بصير : « سألت أبا جعفر عليه السّلام عن أعمالهم فقال لي : يا أبا محمد لا، ولا مدّة قلم؛ إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله » .

وفي صادقيّ : « ما أحبّ أنّي عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء ، وإنّ لي ما بين لا بيتها ، لا ولا مدّة بقلم ؛ إنّ أعوان الظّلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتّى يحكم الله بين العباد » .

وفي نبويّ : « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين أعوان الظّلمة ومن لاق لهم دواةً أو ربط كيساً ، أو مدّ لهم مدّة قلم ، فاحشروهم معهم »[1] .

قوله عليه السّلام : « ما بين لا بتيها» يريد جبلي مكّة المعظّمة ومنه : دعاء الثّالث من شعبان في ميلاد الحسين عليه السّلام : « ولمّا يطأ لابتيها» اللآبة: الحرّة وهي : الأرض ذات الحجارة . والضّمير عائد إلى المدينة أو غيرها[2] .

---

(١) الوسائل ١٢ / ١٢٧ ـ ١٣٢ .

(٢) هامش الإقبال ٦٨٩ .

١٥٣ ـ مَنْ حَسُنَ ظنّه بالله كان الله عند ظنّه

روى الشّيـخ المجلسي طـاب ثـراه عـن أحمـد بـن عمـر ، والحسين بن يـزيـد ـ أنّهمـا **قالا** : ـ دخلنـا على الـرّضـا عليـه السّـلام فقلنا : إنّا كنّـا في سعة من الـرّزق وغضارة من العيش فتغيّـرت الحال بعض التّغيّر فادع الله أن يردّ ذلك إلينا ، فقال عليه السّلام :

« أيّ شيءٍ تـريدون تكـونون ملوكـاً ؟ أيسـرّكم أن تكـونـوا مثـل طـاهر وهـرثمة وإنّكم على خـلاف ما أنتم عليـه ؟ فقلت : لا والله مـا سـرّني أنّ لي الدّنيـا بمـا فيهـا ذهبـاً وفضّـة وإنّي على خـلاف مـا أنـا عليـه . فقال عليـه السّلام : إنّ الله يقـول : ﴿ **اعملوا آل داود شكـراً وقليـل من عبادي الشّكـور** ﴾[1] . أحسن الظّنّ بـالله ؛ فـإنّ مَنْ حَسُنَ ظنّـه بالله كـان الله عند ظنّـه ، ومن رضي بالقليـل من الرّزق قبـل منـه اليسيـر من العمـل ، ومَنْ رضي بـاليسيـر من الحـلال خفّت مؤونتـه ، ونعّم أهله ، وبصّره الله داء الدّنيا ودواءها ، وأخـرجه منهـا سالمـاً إلى دار السلام »[2] .

في الحديث المذكور جهتان من الكلام : الأولى : ترجمة الرّجال

---

(١) سورة سبأ : الآية / ١٣ .

(٢) البحار ٧٨ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، تحف العقول ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

وهم : أحمد بن عمر والحسين بن يزيد وطاهر وهرثمة ، والثانية : فقه الحديث .

الجهة الأولى :

أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي: ثقة من أصحاب الإمامين السّابع والثّامن عليهما السّلام[1] ويأتي ذكره أيضاً عند التّكلّم عن المثل : « بيدك صناعة لا تبيعها بملء الدّنيا ذهباً »[2] .

والحسين بن يزيد: هو ابن عبد الملك النّوفلي المتطبّب من أصحاب الإمام الثّامن ، كان أديباً شاعراً سكن الرّي ومات فيها ـ رحمه الله ـ[3] .

وطاهر : هو أبو الطّيّب أو أبو طلحة طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان الملقب بذو اليمينين والى خراسان كان من أكبر قواد المأمون والمجاهدين في تثبيت دولته كان جده زريق بن ماهان أو باذان مجوسيّاً فأسلم على يد طلحة الطّلحات الخزاعي المشهور بالكرم والي سجستان وكان مولاه ، ولذلك أشتهر الطّاهر بالخزاعي، وكان هو الّذي سيّره المأمون من خراسان إلى محاربة أخيه الأمين محمد بن زبيدة ببغداد لمّا خلع المأمون بيعته، وسيّر الأمين علي بن عيسى بن ماهان لدفعه فالتقيا بالرّيّ وقتل علي بن عيسى وكسر جيش الأمين وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر بغداد، وقتل الأمين سنة

(١) معجم رجال الحديث ٢ / ١٧٧ . وهامش البحار ٧٨ / ٣٤٢ .
(٢) حرف الباء مع الياء .
(٣) معجم رجال الحديث ٦ / ١١٣ ، وتعليق البحار ٧٨ / ٣٤٢ ، ويرمى بالغلوّ .

١٩٨ وحمل برأسه إلى خراسان، وعقد للمأمون على الخلافة ، فلمّا استقلّ المأمون بالملك كتب إليه وهو مقيم ببغداد وكان والياً عليها: بأن يسلّم إلى الحسن بن سهل تبع ما افتتحه من البلاد وهي العراق وبلاد الجبل وفارس وأهواز والحجاز واليمن، وأن يتوجّه هو إلى الرّقة ، وولّاه الموصل وبلاد الجزيرة والشّام والمغرب ، فكان فيها إلى أن قدم المأمون بغداد فجاء إليه وكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته ولقبه ذو اليمينين وذلك ؛ لأنّه ضرب شخصاً بيساره فقدّه نصفين في وقعته مع علي بن عيسى بن ماهان حتى قال بعض الشّعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فبعثه إلى خراسان فكان والياً عليها إلى أن توفّي سنة ٢٠٧ بمرو وهو الّذي أسّس دولة آل طاهر في خراسان وما والاها من ٢٠٥ إلى ٢٥٩ ، وكان طاهر من أصحاب الرّضا عليه السّلام كان متشيّعاً وينسب التّشيّع أيضاً إلى بني طاهر كما في مُروج الذهب وغيره . وِلِدَ طاهرٌ سنة ١٥٩ في توشنج من بلاد خراسان وله عهد إلى ابنه وهو من أحسن الرّسائل(١) .

وهرثمة: هو هرثمة بن أعين كان أيضاً من قوّاد المأمون وفي خدمته وكان مشهوراً معروفاً بالتّشيّع محبّاً لأهل البيت من أصحاب الرّضا عليه السّلام بل من خواصّه وأصحاب سرّه ويأخذ نفسه أنّه من شيعته وكان قائماً بمصالحه وكانت له محبّة تامّة وإخلاص كامل له . . .(٢)

---

(١) تعليق البحار ٧٨ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .
(٢) المصدر ص ٣٤٣ .

وهو المكنّى بأبي حبيب جاء خبره عن موت الإمام الـرّضا عليـه السّلام وأنّه سمّ بالعنب والرّمان جميعاً[1] .

الجهة الثانية في فقه الحديث :

فنقـول إنّ عرض الحـاجـة على المعصـوم عليـه السّـلام عـرض على الله عزّ وجلّ فخرجٍ بالتّخصيص عن الذّم المطلق بـل قد جـاء في حقّ الأخ المؤمن فضـلاً عن المعصوم ولكنّـه مشـروط ببعض الشّـروط المفقودة على الأغلب فالأولى الكفّ عن مثله. ثم مقـايسة الـرّضا عليـه السّلام الولايـة التي كان أحمـد يمتلكها مـع الدّنيـا بملئها ذهبـاً وفضّة إنّما هي لإثارة المعرفة بالنّعمة المـوهوبـة العظمى المغفـول عنهـا وإلاّ فلا تقاس بشيءٍ مهما كان نوعه . أمّـا إحسان الـظّنّ بالله عـزّ وجلّ فقد نصّت عليه أحاديث أهل البيت عليهم السّلام .

منهـا النّبويّ : « . . . والّـذي لا إلـه إلاّ هـو لا يحسن ظن عبـد مؤمن بـالله إلاّ كـان الله عنـد ظنّ عبـده المؤمن ؛ لأن الله كـريم بيـده الخيـرات يستحيـي أن يكـون عبـده المؤمن قـد أحسن بـه الـظّنّ ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه ، فأحسنوا بالله الظّنّ وارغبوا إليه »[2] .

والصّـادقيّ : « حسن الظّنّ بـالله ان لا تـرجـو إلاّ الله ولا تخـاف إلاّ ذنبك »[3] . ولا ينافي حُسن الظّنّ بالله تعالى لزوم الخـوف منه عـزّ وجلّ بل الإحساس بقصور العمل لا ينفكّ عن الخوف أبداً .

---

(١) عيـون الأخبـار ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٥٣ بـاب ٦٤ ، ومعجم رجـال الحـديث ١٩ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
(٢) أصول الكافي ٢ / ٧٢ .
(٣) المصدر .

١٥٤ - مَنْ رضي شيئاً كان كمَنْ أتاه

روى الصّدوق بإسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهرويّ قـال : قلت لأبي الحسن علي بن مـوسى الرّضـا عليه السّـلام : **يا** ابن رسـول الله ما تقول في حديث روي عن الصّادق عليـه السّلام أنـه قال : « إذا خرج القائم قتـل ذراري قتلة الحسين عليه السّـلام بفعال **آبائها**» ؟ **فقال** عليه السّلام : **هو** كذلـك **فقلت**: فقول الله عـزّ وجلّ : ﴿ **ولا تـزر وازرة وزر أخـرى** ﴾[١] . ما معنـاه ؟ فقال صـدق الله في جميع أقـوالـه لكن ذراري قتلة الحسين يـرضون أفعـال آبـائهم ويفتخـرون **بها**، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أنّ رجلاً قتل في المشـرق فرضي بقتله رجـل في المغرب لكان الرّاضي عند الله شـريك القـاتل وإنّمـا يقتلهم القائم إذا خـرج لـرضـاهم بفعـل آبـائهم . قـال : فقلت **له**: بـأيّ شيءٍ يبـدأ القـائم فيهم إذا قـام ؟ قال: يبـدأ ببني شيبـة ، ويقـطع أيديهم ؛ **لأنّهم** سرّاق بيت الله عزّ وجلّ »[٢] .

تكلّمنـا عن المثل النّبـويّ : « ومن شهد أمـراً فكرهـه كـان كمَنْ

---

(١) سورة فاطر : الآية / ١٨ .

(٢) عيون الأخبار ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ ، العلل ١ / ٢٢٩ ، الـوسائـل ١١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

غـاب عنه ، ومَنْ غـاب عن أمر فـرضيـه كـان كمن شهـده » وقلنا: في الحـديث قياسـان : الشّاهـد لشيءٍ المكاره لـه هـو والغـائب عنـه سـواء، كالغائب الراضي والشاهد له كذلك في المثوبة والعقوبة، إذا كـان الأمر طاعة للخـالق جلّ جـلاله أو معصيتـه له لعـدم الفرق في ذلـك الشّهود والغيبة، إذ السّبب الّـذي يؤخـذ الإنسـان لـه أو عليـه تعمّـد القلب في الرّضا والكـراهة ولا دخـل للرّؤية وعـدمها فيه، ففي صادقي : « لـو أنّ أهـل السّمـوات والأرض لم يحبّـوا أن يكـونـوا شهـدوا مـع رسـول الله صلّىٰ الله عليه وآله لكانوا من أهل النّار »(١).

نعم من شهـد ولم يستطع تغيير ما رأى من المنكـر فأنكـر ذلـك بقلبـه كفاه كمـا جاء بـه الحديث الصّـادقيّ : « حسب المؤمن غيراً إن رأى منكـراً أن يعلم الله عـزّ وجـلّ من قلبـه إنكـاره »(٢) . والآخـر : « حسب المؤمن عـزّاً إذا رأى منكـراً أن يعلم الله من نـيّتـه أنّـه لـه كاره »(٣) .

هـذا قطر من بحـر والحرّ تكفيـه الإشارة وكـلّ ذلك لمن كـان له قلب سليم لا يـرضى بالشّـرّ والعصيان بـل يتعمّد الخيـر والطّاعـة أبـداً أين ما كان .

هذا عمل القلب وأمّا الجوارح فقد تكون وقد لا تكون .

---

(١) الأمثال النّبويّة ٢ / ٢٧٨ ، رقم المثل ٥٧٣ ، حرف الميم مع النّون . الوسائل ١١ / ٤١١ .

(٢) الوسائل ١١ / ٤٠٩ .

(٣) الوسائل ١١ / ٤٠٩ .

وبحثنا في الحديث الجاري عند المثـل : « صدق الله في جميـع أقوالـه » . حرف الصّاد مع الدّال .

١٥٥ ـ مَنْ صدق النّاس كرهوه

روى المجلسي رحمه الله من كلمات الرّضا عليه السّلام الحكميّة : « مَنْ صدق النّاس كرهوه »[1] .

إنّ الصّدق حقّ ، والحقّ ثقيل مرّ ، وإنّ الكذب باطل، والباطل خفيف حلو ،كما جاء النّصّ النّبويّ : « يا أبا ذرّ الحقّ ثقيل مرّ ، والباطل خفيف حلو ، وربّ شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً »[2] . وقد قال تعالى : ﴿ **لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحق كارهون** ﴾[3]، وقال عزّ اسمه : ﴿ **وأكثرهم للحق كارهون** ﴾[4] .

وإنّ أصدق دليل على قوله عليه السّلام : « مَنْ صدق النّاس كرهوه » الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام حيث جاءوا بالصّدق بما

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ .

(٢) البحار ٧٧ / ٨٤ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٣٧٢ رقم ٢٣٧ ، حرف الحاء مع القاف .

(٣) سورة الزخرف : الآية / ٧٨ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية / ٧٠

لهـذه اللّفظة من معنى إلى النّـاس فلم يتّبعهم إلاّ القليل منهم في كـلّ دَوْر، وكور؛ لأنّ النّاس لهم الرّضا والسّـخط والميـولات لا يخـضعـون لخلافها ، والـوحي السّماويّ إنّمـا هو محض الحقّ لا يـأمر إلاّ بـه ولا ينهي إلاّ عن البـاطل ولا يتّبـع أهواء النّـاس وقد قـال تعـالى : ﴿ **ولـو اتّبـع الحقّ أهـواءهم لفســدت السّمـوات والأرض ومن فيهنّ** ﴾[1] . و ﴿ **ولئن اتّبعت أهـواءهم بعـد الّـذى جـاءك من العلم إنّـك إذا لمن الظّالمين** ﴾[2] .

دلّت الآيتـان الكـريمتــان على أنّ الحقّ ضـدّ الأهــواء الّتي لـو اتّبعت أفسدت كلّ شيءٍ وأنّ الرّسول مـلازم للحقّ لا ينفكّ عنـه لعلمه بصـلاح المتّبـع لـه وخـلاف المخـالف لـه وهي **الأهواء**، وأنّ آلـه هم الصّادقون الّذين أمر العبـاد أن يكونـوا معهم لقولـه تعالى : ﴿ **وكـونوا مع الصّادقين** ﴾[3] . والكتب المنـزلة عليهم عليهم السّـلام من السّماء صدق وحقّ ضدّ الكـذب والباطـل ولكنّ الأمم من البدايـة إلى النّهايـة لم تتّبع إلاّ أهواءهـا إلاّ الأقلّ ﴿ **وقليـلٌ ما هم** ﴾[4] ، ولم تمنحهم إلاّ إظهار الكراهة بل الجحود بما جاءوا به والصّـدّ عن السّبيل وإغـواء من أراد الحقّ بل ومقاتلته كما حكى الله كلّ ذلك في الكتاب العزيز .

هـذا علي بن أبي طالب عليـه السّـلام طـوال خمسـة وعشـرين عـاماً جليس داره لم يتّبـع أمـره ولم يتـرك لـه الحقّ من صـديق ؛ لأنّ أكثر النّاس كما عرفت للحق كارهون ،ولم يشـكّ أحدٌ من الأمّـة أنّه مـع الحقّ ، والحق معـه يـدور حيثمـا دار كمـا روى **الـفـريقـان** الحـديث

(١) سورة المؤمنون : الآية / ٧١ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ١٤٥ .
(٣) سورة التوبة : الآية / ١١٩ .
(٤) سورة صٓ : الآية / ٢٤ .

النبـويّ : « عليّ مع الحق ، والحقّ يـدور معـه حيث دار ، ولن يفتـرقـا حتّى يردا عليّ الحوض »[1] .

انظر كتاب الغدير للمرحوم العلّامة الأميني طاب ثراه[2] .

---

(١) الغدير ٣ / ١٧٦ .

(٢) ج ٣ / ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ج ٧ / ١٧٧ ، ج ٨ / ١٨٩ ، ج ١٠ / ٤٨ ، ٢٨٧ . وانظر إحقاق الحق ١٦ / ٣٨٤ ـ ٣٩٧ .

ولا يخفى أن الـرضا عليـه السلام كمـا قال المفيـد كان يكثـر وعظ المأمـون إذا خلا به ويخوّفه بـالله ويقبح مـا يرتكبـه من خلافـه فكان يـظهر قبـول ذلك منه ويبطن كراهته . . . الإرشـاد ٣١٥ . وهذا دليـل قولـه عليه السلام : « مَنْ صدق النّاس كرهوه » .

١٥٦ ـ من غاب عن أمر فرضي به كمن شهده وأتاه

قال الصّدوق: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمه الله، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن عبد السّلام بن صالح الهروي عن الرّضا عليه السّلام قال: «قلت له: لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدّنيا كلّها في زمن نوح عليه السّلام وفيهم الأطفال ومَنْ لا ذنب له؟! فقال: ما كان فيهم الأطفال؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السّلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السّلام وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين؛ ومَنْ غاب عن أمر فرضي به كمَنْ شهده وأتاه»[1].

أيّ فرق بين عامل الشّيء والرّاضي به، والمعين له والدّالّ عليه، والمفتخر به؟ ومِنْ ثَمَّ إذا قام القائم عجّل الله فرجه قتل ذراري

(١) كتاب التوحيد ٣٩٢، الوسائل ١١ / ٤١٠، باب ٥ وجوب إنكار المنكر بالقلب على كلّ حال، وتحريم الرضا به . . . من أبواب الأمر والنهي.

بني أميّة ؛ لأنّهم رضوا بما فعل آباؤهم من قتل سيّد الشّهداء أبي عبد الله الحسين عليه السّلام وأصحابه وأسر أهل بيته، وافتخروا به كما قاله الرّضا عليه السّلام في حديث آخر(١) كما قال فيه : « ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الرّاضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم ـ عليه السّلام ـ إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم قال : فقلت له : بأيّ شيءٍ يبدأ القائم ـ عليه السّلام ـ منكم إذا قام ؟ قال : يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ؛ لأنّهم سرّاق بيت الله عزّ وجلّ »(٢) .

قوله عليه السّلام : « من غاب عن أمر فرضي به كمَنْ شهده وأتاه » يماثله المثل الرّضوي الآخر : « مَنْ رضي شيئاً كان كمن أتاه »(٣) .

ويشهد له العلويّ : « العامل بالظّلم والرّاضي به والمعين عليه شركاء ثلاثة »(٤) .

والآخر : « الرّاضي بفعل قوم كالدّاخل معهم فيه ، وعلى كلّ داخل في باطل إثمان : أثم العمل به وإثم الرّضا به »(٥) .

والآخر : « أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهّرة »(٦) .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ ، العلل ١٠ / ٢٢٩ ، الوسائل ١١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٢) المصدر .
(٣) المصدر . وانظر حرف الميم مع النون
(٤) الوسائل ١١ / ٤١٠ .
(٥) الوسائل ١١ / ٤١١ .
(٦) الوسائل ١١ / ٤١٣ .

وقد ذكرنا النّبويّ : « مَنْ شهد أمراً فكرهه كان كمَنْ غاب عنه ، وَمَنْ غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده »[1] ، وقلنا : في الحديث قياسان : الشّاهد لشيء الكاره له هو والغائب عنه الرّاضي به سواء في المثوبة والعقوبة[2] .

والصّادقي : « لو أنّ أهل السّموات والأرض لم يحبّوا أن يكونوا شهدوا مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لكانوا من أهل النّار »[3] .

(١) الوسائل ١١ / ٤٠٩ ، الأمثال النبوية ٢ / ٢٧٨ رقم المثل ٥٧٣ ، حرف الميم مع النّون .
(٢) الأمثال النّبوية ٢/٢٧٨ ، رقم المثل ٥٧٣ ، حرف الميم مع النون .
(٣) الوسائل ١١ / ٤١١ ـ وفيه ما يمس الموضوع .

١٥٧ ـ من غيّاه فقد غاياه

من خطبة الرّضا عليه السّلام المطوّلة في التّوحيد الّتي رواها الصّدوق ذكرناها مع السّند من أولها إلى فقرة : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له ؛ لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره». وإليك من موضع القطع .

«وأدْوُهُ إيّاهم دليلٌ على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدّين ، وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغبوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه ، وقد تعدّاه من اشتمله ، وقد أخطأه من اكتنهه ، ومَنْ قال : كيف فقد شبّهه ، ومَنْ قال : لِمَ فقد علّله ، ومَنْ قال : متى فقد وقّته ، ومَنْ قال : فيم فقد ضمّنه ، ومَنْ قال : إلى م فقد نهّاه ، ومَنْ قال : حتّى م فقد غيّاه ، ومَنْ غيّاه فقد غاياه . . . » [1] .

قال السيّد المعلّق : «أدوه» على وزان فلس مصدر جعليّ من الأداة مضاف إليه تعالى أي : جعله إيّاهم ذوي أدوات والآت في إدراكاتهم

(١) التوحيد ٣٦ .

وأفعـالهم . . . والمتأدّين من هـذه المادّة جمـع لأسم الفاعـل من باب التفعّـل أي : من يستعمـل الأدوات في أمـوره[1] . وإنّمـا يشهـد الأدو على فاقة المتأدّي ؛ إذ لولا الأداة لمـا استطاع الحصـول على ما قصـده والفاقة منفيّة عنه تعالى .

قوله عليه السّلام : « وأسماؤه تعبير . . . » والوجه ظـاهر ؛ إذ الألف والواحد أسماء له تعالى وإنّما المسمّى في ذلك واحد فقط .

عبارتنا شتّى وحسنك واحد   وكلّ إلى ذاك الجمال يشير[2] .

والحقيقة هي المسؤولة عنها في حديث كميل العلويّ فراجـع[3] وعدم معرفة الكنه هـو الفارق بين الله تعـالى وخلقه إذ يمكن الـوصول إلـى الثّـانـي دون الأوّل وقــد قــال تعــالـى : ﴿ ولا يحيــطون بــه علماً ﴾[4] . والخلق محاط وكيّف يكون المحاط محيطاً .

والغبور (بالباء الموحّدة) :البقاء الملازم لعـدم المحـدوديّـة المحدّد

---

(١) هامش التوحيد ٣٦ .
(٢) أمثال وحكم دهخدا ٢ / ١٠٨٩
(٣) « اطف السـراج فقـد طلع الصّبـح » حـرف الهمــزة مـع الــطاء من الأمثـال والحكم العلوية من حديث : كميل مخطوط .
(٤) سورة طه : الآية / ١١٠ .
(٥) هامش التوحيد ٣٦ . وقال :
وبـاليـاء المثنـاة ـ أي :غيوره ـ بمعنى المغـايـرة لا جمـع الغيـر وفي نسخــة « وغيوره تجديد » بالجيم أي قدمه يوجب حدوث مـا سواه . كمـا وذكر قبـل ذلك شرحاً لكلمة « ومن قال : حتّى م فقد غيّـاه » أي : من توهّم أنّـه تعالى ذو نهايات،وسأل عن حدوده ونهـاياتـه فقد جعـل له غـايات ينتهي إليهـا ومن جعل له غايات فقد جعل المغاياة بينه وبين غيره . . .

لغيره[٥]والاستيصاف جهلٌ إذ هو طلب وصف ما لا يمكن وصفه كما أنّ المضمّن له تعالى ومكتنهه خاطىء متعدٍّ، وأمّا السّائل عن الكيفيّة فهو مشبّه لله عزّ وجلّ بالخلق ذي الكيفيّة وكذا السّؤال عن علّة الوجود ولوازمه ، وعن الزّمان والمكان والغاية والنّهاية .

قوله عليه السّلام : « ومَنْ غيّاه فقد غاياه » أي: القول بأنّ وجوده تعالى ما الهدف منه ؟ فقد جعله كوجود غيره المغيّا بغاية من الغايات مثلاً يقال : ما غاية وجود الشّمس ؟ فيجاب : لإضاءة الكون وتربيته وغيرها .

١٥٨ ـ من كثرت محاسنه مُدح بها

روى المجلسي رحمه الله تعالى من كتاب النّزهة من كلمات الرّضا عليه السّلام الحكميّة : « مَن كثرت محاسنه مُدح بها واستغنى عن التّمدح بذكرها »[١] .

والوجه في الاستغناء أنّ المحاسن كاللّؤلؤ المحبوب بالإصالة لا تفتقر إلى الامتداح ، ولئن مدحه المادح أراد انتباه السّامع إذا سلمت مشاعره ولم يفقد الإحساس لإدراك الجمال المجبول على حبّه الطّبع البشريّ . ولعل تسمية البشر للبشارة بنعمة الإدراك الموهوبة له للجمال الذّاتيّ وحبّه له ، الّذي هو أثر من حبّ الله عزّ وجلّ له ، كما في الحديث النّبوي : « إنّ الله جميل يحبّ الجمال »[٢] . ويعجبني قول القائل :

خلقت الجمال لنا فتنة   وقلت لنا يا عباد اتّقون

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ .
(٢) الوسائل ٣ / ٣٣١ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٢٢٦ ، رقم المثل ١٤٥ ، حرف الهمزة مع النّون .

وأنت جميل تحبّ الجمال فكيف عبادك لا يعشقون[1]

والمحاسن : المواضع الحسنة من البدن قال الأزهري لا تكاد العرب توحّد المحاسن ، وقال بعضهم : واحدها مَحْسن ، وعند جمهور اللّغويّين هي جمع لا واحد له[2] .

وقد جاءت جملة من مشتقّات الحُسن في القرآن الكريم نذكر منها بالمناسبة قوله تعالى : ﴿ **للّذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾[3] . قالوا : الحُسنىٰ هي الجنّة ، والزّيادة النّظر إلى وجه الله تعالى[4] .

أقول : الجنّة هي : النّظر إلى وجه الله تعالى ، والزّيادة : الحسنى ، ويشهد لذلك مناجاة المريدين المرويّة عن السّجّاد عليه السّلام : « ولا تبعدني منك يا نعيمي وجنّتي ويا دنياي وآخرتي »[5] .

قولهِ عليه السّلام : « استغنى عن التّمدّح بذكرها » سواء أكان صاحب المحاسن هو المتمدّح بأن تصنّع المدح كالمتزهّد يتصنّع الزّهد وليس منه في شيء و كان غيره وقد عرفت وجه الاستغناء عنه ، وله وجه آخر وهو: أنّ المحاسن لا تكون محاسن إلّا المرضيّة منها عند الله جلّ جلاله فيكون الله تعالى هو الّذي يظهرها للّناس فيحبّون صاحبها إن أخلص المؤمن العمل وكان صالحاً قال عزّ وجلّ : ﴿ **إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً** ﴾[6] .

---

(١) الأمثال النبويّة١/٢٢٦ ، رقم المثل ١٤٥ ، حرف الهمزة مع النون

(٢) اللسان ١٣ / ١١٧ في (حسن) .

(٣) سورة يونس : الآية /٢٦ .

(٤) اللسان ١٣ / ١١٥ في (حسن) ، تفسير الكشّاف ٢ / ٣٤٢ .

(٥) البحار ٩٤ / ١٤٨ .

(٦) سورة مريم : الآية / ٩٦ .

قال الفيض : سيحدث لهم في القلوب مودّة   قبل : إنّ الآية خاصّة في عليّ عليه السّلام فما من مؤمن إلّا وفي قلبه محبّة لعلي عليه السّلام[٢] وقد جاء في الحديث أنّه السّبب الأوّل لنزولها[٣] .

ولا يمنع نزولها فيه عليه السّلام وأنّه سببه من الأخذ بعمومها كسائر الآيات إلّا مع المنع وليس المقام منه .

(١) تفسير الصافي ٢ / ٥٨ .

(٢) تفسير نور الثقلين ٣ / ٣٦٣ .

(٣) المصدر ص ٣٦٤ .

١٥٩ ـ مَن لَزِمَنا لَزِمْناهُ ، ومَن فَارَقَنا فارَقْناهُ

روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده حديث إبراهيم بن أبي محمود عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ ولربط هذه الكلمة الحكميّة نذكر منه ما يلي ـ قال عليه السلام :

« يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا ؛ فإنّه مَن لَزِمَنا لَزِمْناه ، ومَن فارَقَنا فارقناه ، إنّ أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة : هذه نواة ، ثم يدين بذلك ، ويبرء ممّن خالفه ، يا ابن أبي محمود احفظ ما حدّثتك به فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة »[١] .

أقول :

تقدّم الحديث بعضه الآخر عند كلمة : « أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يقول للحصاة : هذه نواة »[٢] ، وقلنا : إنّ صدره اشتمل على فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وأخبار المخالفين لأهل البيت عليهم السلام وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام .

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، باب ٢٨ ، الحديث ٦٣ .

(٢) حرف الهمزة مع الدال .

قوله عليه السلام : « مَن لَزِمَنا لَزِمْناه . . . » من لزوم الشيء والتزامه : الاعتناق به والدوام والثبات عليه . قال الشيخ الطريحي : في الحديث : « خرج إلى دَبْر الكعبة إلى الملتزم فالتزم البيت » . الملتزم (بفتح الزاي) دَبْر الكعبة ، سمّي به ، لأنّ الناس يعتنقونه أي : أي يضمّونه إلى صدورهم[1] .

والمعنى : من اعتنق أهل البيت عليهم السلام وضمّهم إلى صدره ودام وثبت على ذلك ، عاملوا معه كذلك ، وإن كانت الأخرى كانت المعاملة على عكس ذلك ؛ لأنّ المفارقة ضدّ اللزوم والالتزام واللحوق بهم . وقد جاء في دعاء شعبان : « المتقدّم لهم مارق ، والمتأخّر عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق »[2] .

والذي يكشف عن هذا اللزوم قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه :

« انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم ، واتّبعوا أَثَرَهم ، فلن يخرجوكم من هدىً ، ولن يُعيدوكم في ردى ، فإن لَبَدوا فالبُدُوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضِلّوا ، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا لقد رأيت أصحاب محمّد صلّىٰ الله عليه ـ وآله ـ فما أرى أحداً يُشبِهُهُم منكم ، لقد كانوا يُصبحون شُعْثاً غُبْراً ، وقد باتوا سُجّداً وقياماً ، يُراوحون بين جباههم وخُدُودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأنّ بين أعينهم رُكَبَ المِعْزىٰ من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتّى تَبُلّ جيوبهم ، ومادوا كما تميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ، ورجاءً للثواب »[3] .

(١) مجمع البحرين ، في (لَزِمَ) .
(٢) الإقبال ٦٨٧ .
(٣) نهج البلاغة ٧ / ٧٦ ـ ٧٧ ، الخطبة ٩٦ .

ولا يتحقّق اللزوم الكامل بدون الانقطاع والاندفاع إلى أبوابهم أبواب السلامة ، أو بدون الأخـذ منهم وعنهم ، والانتعاش بعلومهم ومعارفهم ، وقد روى مَن رأى الإمام المهدي عجّل الله فرجه عنه : الكلمة التالية :

« طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوقٌ لإنكارنا »[1] ، وفي علوي : « يا كميل لا تأخذ إلاّ عنّا تكن منّا »[2] . دلّ عليه منطوقاً ومفهوماً .

---

(١) أبواب الهدى ٤٦ . وقد ذكرناها في كتاب (المختار من كلمات الإمام المهدي عليه السلام) مخطوط .

(٢) تحف العقول : ١٧١ ، من وصيّته عليه السلام كميل بن زياد النخعي .

١٦٠ ـ مَنْ لم يخف الله في القليل لم يخف الله في الكثير

روى الصّدوق من كلامه عليه السّلام المشهور : « الصّغائر من الذّنوب طرقٌ ، إلى الكبائر[١] وَمَنْ لم يخف الله في القليل لم يخف الله في الكثير . . . »[٢] .

إذا فقد الإنسان ملكة التّقوى تمرّد على سيّده وخالقه في كلّ شيءٍ سواء أكان قليلاً أو كثيراً وسهل عنده الذّنب ولم يتعاظمه تعاطيه ، وكأنّه ذباب مرّ على خيشومه، وأمّا المؤمن فالذّنب عنده عظيم كأنّه صخرة تقع عليه، كما جاء في المثل النّبويّ : « كأنّه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه »[٣] ، فيما رواه الشّيخ الطّوسي بسنده عنه صلّىٰ الله عليه وآله : « يا أبا ذرّ إنّ المؤمن ليرى ذنبه كأنّه تحت صخرةً يخاف أن تقع عليه ، والكافر يرى ذنبه كأنّه ذباب مرّ على

(١) حرف الصّاد مع الغين من الحكم .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ١٧٨ .

(٣) الأمثال النبوية ٢ / ٣٣ ، رقم المثل ٣٦ حرف الكاف مع الهمزة .

أنفه »[1] .

والنّبـويّ وإن كـان نـاظـراً إلى المؤمن والكـافـر إلاّ أنّ الآثـار والأوصـاف تتبع المـلاكـات والعلل ؛ فـالّـذي لم يخف الله عـزّ وجـلّ سواء أكان كافراً أو مؤمناً يشتركـان في هذه الـظّاهرة الـوجدانيّـة ، وفي المـلازمة بين عـدم الخوف من الله تعـالى في القلّة والكثرة، إذ المـلاك لعدم الخوف في قليـل الذّنب هـو التّمرد على الله عـزّ وجلّ ففي كثيـره بـالطّريق الأولى كـالبخيل بمـا لا يملك كان بخيـلاً بما يملكـه كذلـك أي : بالطريق الأولى كما في المثل السائر :

« قبل النّفاس كنت مصفرّة » يضرب للبخيل يعتلّ بـالإعدام وهـو مع الإثراء كان بخيلاً[2] .

يريد قبـل أن تكون المـرأة نفساء مصفـرّة الوجـه لقلّة دمها فعنـد النّفاس أولى بإصفرار وجهها لقذف الدّم عادة .

ويماثله المثل الآخر : « قبل البكاء كان وجهـك عابسـاً » يضرب لمن يكون العُبُوس له خِلْقةً، ويضرب للبخيل يعتـلّ بالإعسـار وقد كـان في اليسار مانعاً[3] .

ولعـلّ قولـه تعالى : **﴿ ومن كـان فى هذه أعمى فهـو فى الآخرة أعمى وأضـلّ سبيلاً ﴾**[4] . إذ المنـاسبة الأولـويّة بين العمى الـدّنيـويّ والأخـرويّ ظاهـرة ولا ينـافي ذلـك أنّ الثّاني مسبّب عن الأوّل وإنّمـا ذكرنا الآية لاحتمال انطباقها على المقام .

(١) الأمالي ٢ / ١٤٠ ، مجموعة ورّام ٢ / ٥٠ .
(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٩٢ ، حرف القاف .
(٣) المصدر .
(٤) سورة الإسراء : الآية / ٧٢ .

وكيف كان إنّ الخوف من الله معناه إدراك العظمة المطلقة المانع لترك التأدّب ، وقد فسّرت آية : ﴿ **وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هى المأوى** ﴾[1] . بالعبد إذا وقف على معصية الله وقدر عليها، ثمّ تركها مخافة الله وانتهى عنها فمكافأته الجنّة . والصّادقيّ : « مَنْ علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقوله ويفعل ، ويعلم ما يعمله من خيرٍ أو شرٍّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الّذي خاف مقام ربّه »[2] .

ولا يكون ذلك إلّا عند إدراك العبد العظمة المطلقة فيحمله على ترك القبيح ويقابله الجاهل غير الخائف لا في قليل الذّنب ولا في كثيره .

(١) سورة النازعات : الآية / ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) تفسير الصافي ٢ / ٧٨٦ .

ولا يخفى أن الخشية والخوف ثمرة العلم بالله عز وجل التي يفقدها الجاهل غير الخائف قال عز من قائل : ﴿ **إنّما يخشى الله من عباده العُلمؤا** ﴾ سورة فاطر : الآية / ٢٨ . ومفهومه أنّ غير العالم لا يخشى .

١٦١ - مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ

روى الصّدوق طاب ثراه بإسناده إلى محمود بن أبي البلاد قال : « سمعت الرّضا - عليه السّلام - يقول : مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ »[١] .

هذه الكلمة من الأمثال السّائرة مع اختلاف غير مضرٍّ لمضربه من بيان الملازمة بين الشّكرين للخالق والمخلوق، وقد تكلّمنا عمّا يماثله وهو المثل النّبويّ : « لا يشكر الله مَنْ لا يشكر النّاس »[٢]. والمثل السّائر : « مَنْ لم يشكر النّاس لم يشكر الله »[٣] . وهنا مثل آخر وهو: «مَنْ لم يشكر الخالق لم يشكر المخلوق»[٤] على عكس المشهور.

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٣ .
(٢) الأمثال النبوية ٢ / ١١٩ ، رقم المثل ٤٣٤ ، حرف اللام مع الألف .
(٣) امثال وحكم ٤ / ١٨٤٩ .
(٤) الأمثال النبوية ٢ / ١١٩ ، رقم المثل ٤٣٤ ، حرف اللام مع الألف .

ولا ريب أنّ المثل المذكور دالّ على الملازمة بين الشّكرين .

وهنا سؤال :

أيّهما الأصيل ؟ وأيّهما البديل ؟ وأنّ الإنسان إذا شكر على ما أسدى إليه الإنسان الآخر المخلوق مثله ، فقد شكر الله على نعمه الّتي لا تحصى ، وإذا لم يشكر هذا المخلوق ، لم يشكر الله تعالى عليها أي : أنّ شكر الخالق عزّ وجلّ مسبّب عن شكر المخلوق ، وهل هذا صحيح ؟ أو الأمر على عكس ذلك : إذا لم يشكر الخالق لم يشكر المخلوق كما تقدّم المثل الأخير : « مَنْ لم يشكر الخالق لم يشكر المخلوق »[1] . فأيّ التّفسيرين أجدر بالقبول ؟

فنقول في الجواب :

إنّ الحديث النّبويّ والرّضويّ الّذي يرمي مرماه يُعطي الملازمة بين شكر المخلوق وشكر الخالق ، والأعلى وإن كان مسبّباً عن الأدنى بحسب الظاهر إلّا أنّه تعالى حيث أمرنا بشكر المتفضّل المُحسن إلينا ففي الواقع قد شكرنا الله عزّ وجلّ على فضله وإحسانه ؛ إذ لولا أمره تعالى وتوفيقه لما شكرناه على النعمة المسداة إلينا ، وبما أنّ جميع النّعم من الله كما قال تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمةٍ فمن الله** ﴾[2] . كان شكرنا للمخلوق شكراً للخالق لا محالة ؛ لأنّ المخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً علم بذلك أم لم يعلم ؛ إنّ النّعم كلّها لله تعالى .

ومن ثمّ إذا لا سمح الله شكر إنسانٌ على إسداء فضل من

---

(١) الأمثال النبويّة ٢ / ١١٩ ، رقم المثل ٤٣٤ ، حرف اللام مع الألف

(٢) سوره النحل · لاية / ٥٣ .

إنســان آخر بمــا أنّه لـه ، لا لله فقـد كفـر بـالله عـزّ وجـلَ حيث جعـل المخلوق منعماً أصيلاً ، وإن أشـركه مـع الله في النّعمة بـأن تكون من الخـالق والمخلوق معـاً فهـو مشرك. فـلا بـدّ لكـلّ شّـاكـر لنعمـةٍ أوّلاً المعـرفـة بـالمُنعم الحقيقي وهـو الله ثمّ الإقـدام والقيـام بـالشّكـر ، والغـالب يعلمون أنّ المخلوق ليس لـه شيء وإنّما الله قـد وسّـع عليـه من فضله ووفّقه للإحسان إلى مخلوق مثله .

وموجز الكلام : أنّ العاقـل لا يشكر المخلوق على نعمـة جاءت منه بما هـو مخلوق ؛ لأنّ الملك والنّعمة لله تعـالى لا شريـك له فيهـا ولا في غيرها .

١٦٢ ـ مودّة عشرين سنة قرابة

قال الصّدوق: حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدّثنا محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: حدّثنا إبراهيم بن العبّاس قال سمعت علي بن موسى الرّضا عليه السّلام يقول: «مودّة عشرين سنة قرابة، والعلم أجمع لأهله من الآباء»[١].

قوله عليه السّلام: و«العلم أجمع لأهله من الآباء»[٢]، تكلّمنا عنه. وأمّا «مودّة عشرين سنة قرابة» فمبالغة في المودّة المتواصلة وأنّها تدخل في القرابة القريبة اعتباراً في إجراء أحكامها، خاصّة المودّة الإيمانيّة، ولعلّ الحديث الصّادقي: «إذا خرج القائم ـ عجّل الله فرجه ـ جاء بأمر جديد»[٣]، أنّ من الأمر الجديد توريث الأخوّة الإيمانيّة علاوة على النّسبيّة والسّببيّة الّتي هي الفرائض القرآنيّة، ولا

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٢٩.
(٢) حرف العين مع اللام.
(٣) إثبات الهداة ٣ / ٥٥٥.

ينافيه النّبويّ : « حلالي حلال إلى يوم القيامة »[1] . كما لا يخفى على المتدبّر ؛ إذ ذلك حلاله الّذي لم يعمل به .

في المودّة أحاديث ، وكلمات .

أما الأولى ، فمنها ما يلي :

في الحسني : « القريب مَنْ قرّبته المودّة وإن بعد نسبه ، والبعيد مَنْ بعّدته المودّة وإن قرب نسبه ؛ لا شيء أقرب إلى شيءٍ من يد إلى جسد ، وإنّ اليد تغلّ فتقطع [وتقطع] فتحسم »[2] .

قول الإمام الحسن بن علي عليهما السّلام : « لا شيء أقرب إلى شيء من يد إلى جسد . . . » : مثل سائر يريد به أنّ يد الإنسان أقرب إليه من أقربائه وأنّها تقطع إذا خانته بسرقة أو غيرها، فالقرب بما هو قرب لا ينفع إن لم يكن القريب ذا رعايةٍ وتودّدٍ كما أنّ البعيد نسباً المتودّد المراعي للحقوق قريبٌ نافع .

وهذا الحديث الشّريف بمفرده جامع لبيان آثار المودّة وحقيقتها . ويزيدها وضوحاً النّبويّ : « التّودّد إلى النّاس نصف العقل »[3]

والصّادقي : « إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك ؛ فإنّه أثبت للمودّة بينكما »[4].

والصّادقيّ الآخر : « إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه

---

(١) الأمثال النبوية ١ / ٣٧٨ ، رقم المثل ٢٤٠ ، حرف الحاء مع اللام .

(٢) الوسائل ٨ / ٤٣٣ .

(٣) الوسائل ٨ / ٤٣٤ .

(٤) الوسائل ٨ / ٤٣٥ .

ذلك؛ فإنّ إبراهيم عليه السّلام قال: **﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾**...»[1] من أصدق مظاهر المودّة وأرفعها أن تكون في الله عزّ وجلّ بل لا مساغ لسواه فلو كانت، لما كانت حقيقتها إلّا عداوة على ما نطق التنزيل: **﴿ الأخلّاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين ﴾** [2].

والحديث الأخير يعتبر تفسيراً لبعض معاني سؤال إبراهيم عليه السّلام.

والنّبويّ: «رأس العقل بعد الإيمان التّودّد إلى النّاس، واصطناع الخير إلى كلّ برٍّ وفاجرٍ»[3].

والعلوي: «القرابة الى المودّة أحوج من المودّة إلى القرابة»[4].

والآخر: «البشاشة مخّ المودّة» و «المودّة قرابة مستفادة»[5].

ولا بدّ أن تكون كما تقدّم خالصة لله تعالى ولا يوادّ سواه خاصّة المحادد قال تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان...﴾**[6]. ولتفصيل الأحاديث مقام آخر.

---

(١) الوسائل ٨ / ٤٣٥، والآية ٢٦٠ من سورة البقرة، جعل فيه أي: في الحديث سؤال إبراهيم عليه السلام منه تعالى إظهار المودة.

(٢) سورة الزخرف: الآية / ٦٧.

(٣) الوسائل ١١ / ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٤) البحار ٧٤ / ١٦٤.

(٥) البحار ٧٤ / ١٦٥.

(٦) سورة المجادلة: الاية / ٢٢.

فالكلمات من نظم ونثر فكما يلي :

وأمّا الثانية من الأشعار قول الطّائي :

ذو الودّ منّي وذو القربى بمنزلة ... وإخوتي أسوة عندي وإخواني
عصابة جاوَرَتْ آدابهم أدبي ... فهم وإن فُرّقوا في الأرض جيراني
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغَدَتْ ... أبدانُنا بشآمٍ أو خراسان(١)

وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فلستُ براءٍ عين ذي الودّ كلّه ... ولا بعض ما فيه إذا كنتُ راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكنّ عين السّخط تُبدي المساويا

وقال شريح :

خذي العفو منّي تستديمي مودّتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإنّي رأيت الحبّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبّ يذهب(٢)

ومن النثر :

عن ابن عبّاس : القرابة تقطع ، والمعروف يكفر ، ولم يُر كتقارب القلوب(٣) وفي كتاب للهند : رأس المودّة الاسترسال(٤) . قال ابن قتيبة : كتب أبو الدّرداء إلى سلمان : إن تكن الدار من الدّار بعيدة فإنّ الروح من الرّوح قريب ، وطير السّماء على إلفه من الأرض يقع(٥) . وقال : قال مجاهد : ثلاث يُصفين لك ودّ أخيك : أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحبّ أسمائه إليه(٦) .

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ / ٧ .
(٢) المصدر ص ١١ .
(٣) المصدر ص ٧ .
(٤) المصدر ص ٥ وفي علويّ : « عثرة الاسترسال لا تستقال » غرر الحكم ٢٢٠ .
(٥) عيون الأخبار ٣ / ٨ .
(٦) المصدر ص ٩ .

حرف النّون

١٦٣ ـ النّجم الهادي في غياهب الدّجى

في حـديث الشّيخ الكليني طـاب ثـراه عن الإمـام الـرّضـا عليـه السّلام في خصائص الإمام والإمامة قوله عليه السّـلام : « الإمام البـدر المُنيـر ، والسّـراج الـزّاهـر ، والنّـور السّـاطـع ، والنّجم الهـادي في غياهب الدّجى ، وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار . . . »[١] .

تكلّمناعن : « الإمام البـدر المنير »[٢] ولم نشرح كلمة : « والسّـراج الزّاهر ، والنّور السّاطع » هناك .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

قال الكاشاني في قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا سراجاً وهّاجاً** ﴾[1] : متلألئاً وقّاداً : يعني الشّمس[2] . وجاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع أخرى منه في موضع : ﴿ **وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً** ﴾[3] . أي : في السّماء يعني به الشّمس ، وآخر : ﴿ **وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[4] . يعني به الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله ، وآخر : ﴿ **وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشّمس سراجاً** ﴾[5] .

وهو شاهد صدق على تفسير الكاشاني وقد جاء في الصّادقي في تفسير ﴿ **والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها** ﴾«أنّ الشّمس رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والقمر أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ »[6] .

وعليه السّراج الزّاهر في الرّضويّ يعني الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله ولا ينافي تعريف الإمام به لكونه الأعمّ منه ومن الإمام على أنّه نفس الرّسول سوى الرّسالة . ويدلّ على ذلك صدر الرّضويّ المبحوث فراجع[7] . وكلمة « النّور السّاطع » تشملهما جميعاً .

أمّا قوله عليه السّلام : « والنّجم الهادي . . . » فيدلّ عليه

---

(١) سورة النبأ : الآية / ١٣

(٢) تفسير الصافي ٢ / ٧٨٠ .

(٣) سورة الفرقان : الآية / ٦١ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٤٦ .

(٥) سورة نوح عليه السلام : الآية ١٦ .

(٦) تفسير البرهان ٤ / ٦٧ ، للآيتين ١ ، ٢ من الشمس .

(٧) أصول الكافي ١ / ١٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ **وبالنّجم هم يهتدون** ﴾[1] ، وقد فسّر النّجم بالرّسول في عدة أحاديث[2] وبالأئمّة عليهم السّلام ويشهد لهم جميعاً النّبويّ : « . . . إنّ الله خلقنا بمنزلة النّجوم كلّما غاب نجمٌ طلَعَ نجمٌ فأنا الشّمس . . . »[3] .

وقد بيّن في نفس النّبويّ المذكور وجه التّمثيل به من حيث الأفول والطّلوع وكذلك الإمام إذا مضى إمام إلى ربّه قام إمام مقامه لئلّا تخلو الأرض من حجّة وإلّا لساخت بأهلها كما في النّصوص المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام[4] .

قوله عليه السّلام : « في غياهب الدّجى » الغياهب واحدها الغَيْهَب : الظّلمة . يقال للأدهم من الخيل الشّديد الدُّهمة : غَيْهَب[5] . والدّجى يقال : ليل دجى كغنى أي : مظلم ومنه « لا يوارى منك ليل داجٍ » وغياهب الدّجى ظلماته جمع الغيهب[6] . ومنه الشّعر :

بَلَغَ العُلىٰ بكماله كشف الدّجىٰ بجماله

---

(١) سورة النحل : الآية / ١٦ ، وأصرح منه : ﴿ **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر** ﴾ سورة الأنعام : الآية / ٩٧ .

(٢) تفسير البرهان ٢ / ٣٦٢ في عشرة أحاديث ، وفي حديثين بأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

(٣) أمالي ابن الشيخ الطوسي ٢ / ١٣٠ ـ ١٣١ . الأمثال النبوية ٢ / ٢٨١ ، رقم المثل ٥٧٦ ، حرف الميم مع النون .

(٤) أصول الكافي ١ / ١٧٩ . وانظر : « الإمامة أس الإسلام . . . » حرف الهمزة مع الميم .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٩٩ في (غهب) .

(٦) مجمع البحرين في (دجا) . قوله : غياهب الدجى يريد ما نحن في صدده .

حسنت جميـع خصـالـه صـلّوا عـليـه وآلـه[١]

و « وأجواز » جمع الجوز : وهو من كلّ شيءٍ وسطه[٢] .

يـريد عليـه السّلام أنّ الإمـام هو كـالنّجم يهتدي بـه الضّـال في اللّيلة الـظّلمـاء في البـراري والقفـار وفي البحـار حيث يتيـه راكبهـا يستدلّ على المقصد بوضع النّجوم وضوئها من آفاق السّمـاء للتّائـه في فجـج القفار ولجـج البحار، كـذلـك الإمـام يستـدلّ على الله بـه وعلى أحكامه والحصول عليها والوصول إلى المعـرفة الصّحيحة، لأنّه هـادي التّـائهين في درب السّعادة والجنّـة أينمـا كانوا، إمّـا بلقـائـه في عصـر الحضور أو بتوجيهاته في غيبته والتّمسك بـأقوالـه وإرشاداته؛ فإنّـه عدل الكتـاب العزيـز الّذي أمـرنـا بـالتمسّـك بهمـا لكيـلا نضلّ، وأنّهمـا لا يفتـرقـان حتّى يـردا على النّبيّ عنـد حـوض الكـوثـر كمـا في حـديث الثّقلين المتّفق على نقله وصحّته بين الشّيعة والسّنّة[٣] .

وهـداية الإمـام عليه السّـلام بما لهـا من المعنى العام والخـاصّ والأخصّ بحسب طبقـات العبـاد المهتدين، ولعـلّ في قـولـه تعـالى : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾[٤] . الإشـارة إلى الهـدايـة بـالمعنى الأخص؛ لأنّ الخـطاب للرّسـول الّـذي هـو نبيّ الهـداة المعصـومين . والهاء للوقف أي : اقتـد يا محمّـد بهُدى الأنبيـاء عليهم السّلام، ومعلوم أنّـه المعنى الدّقيق .

ولتوضيحه يقال: إنّ هدى الأنبياء هي عين هداه فـالعمل بـه عمل

---

(١) كلستان سعدى ص ٢ والسفينة ١ / ٤١١ ، في (خلق) .

(٢) هامش أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٣) العبقات / مجلد حديث الثقلين .

(٤) سورة الأنعام : الآية / ٩٠ .

بما عنده في الحقيقة لا شيء غيره وقد عبّر عن ذلك بالهدى .

قال الفيض الكاشاني بعد الآية الكريمة : فاقتصّ طريقتهم بالاقتداء ، في مصباح الشّريعة عن الصّادق عليه السّلام لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الأقتداء ؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ قال الله لأعزّ خلقه محمد صلّىٰ الله عليه وآله. ﴿ **أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه وأولياءه إليه[1] .

والهدى الخاصّ.موطنه الخواصّ من حواريّ كلّ إمام . والهدى العامّ لعامّة النّاس وللهداية عرض عريض تعرّض له جمعٌ من العلماء ليس هنا موضع ذكره .

---

(١) تفسير الصافي ١ / ٥٣٠ .

١٦٤ ـ نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارَهْ

روى الصّدوق رواية مطوّلة فيها عدّة أسئلة للمأمون وأجوبتها منها :

« فقال المأمون : لله درّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾(١) ؟ قال الرّضا عليه السّلام : هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جاره ، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه وأراد به أمّته وكذلك قوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين ﴾(٢) . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ ولولا أن ثبّتناك لقد كدتَ تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾(٣) . قال : صدقت يا ابن رسول الله »(٤) .

نظير الرّضويّ موثّق ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السّلام

(١) سورة التوبة : الآية / ٤٣ .
(٢) سورة الزمر : الآية / ٦٥ .
(٣) سورة الإسراء : الآية / ٧٤
(٤) عيون الأخبار ١ / ١٦١ .

قال : « نزل القرآن بـإيّاك أعني واسمعي يا جاره »[1] وهو من الأمثال السّائرة، قال الميداني : (إيّاك أعني واسمعي يا جارَهْ) ، أوّل من قال ذلك سَهْل بن مالك الفزاري ، وذلك أنّه خرج يريد النّعمان فمرّ ببعض أحياء طيء فسأل عن سيّد الحيّ ، فقيل له: حارثة بن لأم ، فأمّ رحله فلم يصبه شاهداً ، فقالت له أخته : انزل في الرّحب والسّعة ، فنزل فأكرمته ولا طفته ، ثم خرجت من خبائها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم ، وكانت عقيلة قومها وسيّدة نسائها ، فوقع في نفسه منها شيء فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك ، فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أخت خير البدو والحضاره   كيف تَرَيْنَ في فتى فزارَهْ ؟
أصبح يهوى حرّة مِعْطارَهْ   إيّاك أعْني واسمعي يا جارَهْ

فلمّا سمعت قوله عرفت أنّه إيّاها يعني ، فقالت : ماذا بقول ذي عقل أديب ، ولا رأي مصيب ، ولا أنف نجيب ، فأقم ما أقمت مكرّماً ثمّ ارتحل متى شئت مسلماً .

ويقال : أجابته نظماً فقالت :

إنّي أقول يا فتى فزارَهْ   لا ابتغي الزّوج ولا الدّعارَهْ
ولا فراق أهل هذي الجارَهْ   فارْحل إلى أهلك باستخارَهْ

فاستحيا الفتى ، وقال : ما أردت منكراً واسوأتاه ، قالت : صدقت ، فكأنّها استحيت من تسرّعها إلى تهمته ، فارْتَحَلَ ، فأتى النّعمان فحباه وأكرمه ، فلمّا رجع نزل على أخيها ، فبينا هو مقيم عندهم تطلّعت إليه نفسها ، وكان جميلاً ، فأرسلت إليه أن اخطبني

(١) أصول الكافي ٢ / ٦٣١ .

إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدّهر ؛ فإنّي سريعة إلى ما تريد ، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه . يضرب لمن يتكلّم بكلام ويريد به شيئاً غيره(١) .

وقال العسكري : المثل لسيّار بن مالك الفزاري، قاله لأخت حارثة بن لأم الطّائي، وسرد القصّة مع أبيات أخر، وقال في آخرها : والحازم العاقل قادر أن يكتم كلّ شيءٍ . يريد كتمانه إلّا الهوى؛ فإنّ كتمانه ممتنع(٢) .

يا حبّذا لو كان الهوى في أئمّة الهدى عليهم السّلام، هذا عابس بن أبي شبيب الشاكري له في وقعة كربلاء موقف مشكور قال عابس بن أبي شبيب : يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك ، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت ، السّلام عليك يا أبا عبد الله : أشهد أنّي على هداك وهدى أبيك ثم مضى بالسّيف نحوهم . قال ربيع بن تميم : فلمّا رأيته مقبلاً عرفته وقد كنت شاهدته في المغازي وكان أشجع النّاس فقلت : أيّها النّاس هذا أسد الأسود هذا أبن أبي شبيب لا يخرجنّ إليه أحد منكم فأخذ ينادي : ألا رجل؟ ألا رجل؟ فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة من كلّ جانب فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومِغفره ثم شدّ على النّاس فوالله لقد رأيت يطرد أكثر من مائتين من النّاس ، ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقتل . . .(٣) .

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ٤٩ ، رقم المثل ١٨٧ ، حرف الهمزة .
(٢) الجمهرة في هامش مجمع الأمثال ١ / ١٦ .
(٣) البحار ٤٥ / ٢٩ .

رحمه الله تعالى وقد سمعت من بعض حين ألقى الدّرع والمغفر قيل له : جننت؟ قال : أجنّني حبّ الحسين عليه السّلام . وهل الهوى إلاّ الحبّ المفرط المعبّر عنه بالعشق؟ وأصحاب الحسين عليه السّلام هم العاشقون يشهد لهم أمير المؤمنين روحي له الفداء : ما عن أبي جعفر عن أبيه عليهم السّلام : « قال : مرّ عليّ عليه السّلام بكربلاء فقال : لمّا مرَ به أصحابه وقد اغرورقت عيناه يبكي ويقول : هذا مناخ ركابهم ـ إلى أن قال : ـ حتى طاف بمكان يقال له : (المقدفان) فقال : قتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء ، ومناخ ركاب ومصارع عشّاق شهداء ، لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم »(١) .

ويريد عليه السّلام بالشّهداء العشّاق: الحسين وأولاده وإخوته وأصحابه الّذين قتلوا معه في يوم عاشوراء في كربلاء ، سنة ٦١ هـ الوقعة الّتي لا أمضّ ولا أفجع منها على الإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة .

---

(١) السفينة ٢ / ١٩٧ ، في (عشق) . ولسان حال الحسين عليه السلام عندما وقع على الأرض صريعاً البيتان هما :

تركتُ الخلق طرّاً في هواكا … وأيتمت العيال لكي أراكا
ولو قطّعتني في الحبّ إرباً … لما مال الفؤاد إلى سواكا

١٦٥ - نعيب زماننا والعيب فينا

من أبيات رواها الشّيخ الصّدوق طاب ثراه قال : حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الرّيّان بن الصّلت قال : أنشدني الرّضا عليه السّلام لعبد المطّلب :

يعيب النّاس كلّهم زماناً ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزّمان بنا هجانا
وإنّ الذّئب يترك لحم ذئبٍ ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا
لبسنا للخداع مسوك طيب ... وويل للغريب إذا أتانا(١)

وتروى الأبيات عن غير الإمام عليه السّلام بشكل آخر وهو كما يلي :

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
وقد نهجو الزّمان بغير جرم ... ولو نطق الزّمان بنا هجانا
فدُنْيانا التّصنّع والتّرائي ... ونحن به نخادع مَنْ يرانا

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ٢ / ١٧٥ .

وليس الذّئب يأكـل لحم ذئبٍ ويـأكل بعضنـا بعضا عيـانا[1]

قال أمير المؤمنين عليـه السّلام في كـلام يُوصي بـه الحسن عليه السّـلام : « ومَنْ كابـر الزّمـان عطب[2]، ومَنْ ينتقم عليـه غضب »[3] ، و « واعلم يا بنيّ أنّ الدّهر ذو صروف ، فـلا تكن ممّن يشتدّ لائمتـه ، ويقلّ عند النّاس عذره »[4] .

وكم لـه عليه السّـلام من كلمات تمسّ المـوضـوع منهـا : « مَنْ عَتَبَ عـلى الـزّمـان طـالت مـعتبتـه »[5] و « مَـنْ وَثَقَ بـالـزّمـان صُرع »[6] .

يقـولـون الـزّمـان بـه فسـاد وهم فسدوا وما فسد الزّمان[7]

إنّ الـزّمان سـواء أكان دوران الأفـلاك والأنظمـة السّمـاويّـة ، أو مـطلق حركـة الأكوان الّتي تـديرهـا القدرة المطلقة مـطيعٌ لـربّـه منقـادٌ لأمره : **﴿فقال لها وللأرض ائتنـا طوعـاً أو كرهـاً قالتـا أتينا طـائعين﴾**[8] **﴿ تسبّـح لـه السّمـوات والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلاّ يسبّـح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنّه كان حليماً غفوراً ﴾**[9] .

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٢٦٠ .
(٢) أي : هلك .
(٣) البحار ٧٧ / ٢١٤ .
(٤) البحار ٧٧ / ٢١٢ .
(٥) البحار ٧٧ / ٣٨٦ .
(٦) المصدر .
(٧) التمثيل والمحاضرة ٢٤٧ .
(٨) سورة فصلت : الآية / ١١ .
(٩) سـورة الإسـراء : الآيـة / ٤٤ : وهـل الحلم إلا عن سفــه ،والغفـران إلاّ عن ذنب ؟ نعم نحن السفهاء المذنبون نرجو حلمك وغفرك يا ربّ . ففيها إشارة إلى أنّ ترك فقه تسبيح الكائنات سفهٌ وذنبٌ ؛ إذ لا حلم إلاّ عن سفهٍ ، ولا غفران إلاّ عن ذنبٍ .

حرف الواو

١٦٦ ـ وإنّ الضِّغن بعد الضّغن يفشو

روى ابن شهرآشوب عن الحسين بن بشّار[قال:]قال الرّضا عليه السّلام: « إنّ عبد الله يقتل محمّداً ، قلت:عبد الله بن هارون يقتل محمّد بن هارون ؟! قال : نعم عبد الله الّذي بخراسان يقتل محمّد بن زبيدة الّذي هو ببغداد .فقتله، وكان عليه السّلام يتمثّل :

وإنّ الضِّغن بعد الضِّغن يفشو عليك ويخرج الدّاء الدّفينا »[1]

وقد رواه المجلسي عن الصّدوق بسنده عنه عليه السّلام خالياً عن التّمثّل[2] . وعن المناقب: الرّواية مع التّمثّل[3] .وفي نسخة البحار

(١) المناقب ٤ / ٣٣٥ .

(٢) البحار ٤٩ / ٣٤ .

(٣) المصدر « يفشو » هو الصحيح ؛إذ لم يأت « يغشو » .

المطبوعة عندي :

*** وإنّ الضِّغن بعد الضِّغن يغشو ***

بالغين المعجمة. الضِّغن والضَّغن واحد الأضغان ، والضّغينة جمعها الضّغائن : الحقد والعداوة والبغضاء[1] ، ومن الجمع الأوّل قوله تعالى : **﴿ أم حسب الّذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾**[2] . و **﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ﴾**[3] . ولا ثالث من هذه الكلمة في القرآن الكريم .

من الأحاديث في العداوة :

في علويّ : « يا بني إيّاكم ومعاداة الرّجال ؛ فإنّهم لا يخلون من ضربين : من عاقل يمكر بكم ، أو جاهل يعجل عليكم . . . »[4] . وصادقيّ : « إيّاك وعداوة الرّجال ؛ فإنّها تورث المعرّة وتبدي العورة »[5] .

ومن الكلمات المثليّة :

كمون العداوة في الفؤاد ككمون الجمر في الرّماد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودّته .

---

(١) النّهاية ٣ / ٩١ ، في (ضغن) ، اللّسان ١٣ / ٢٥٥ ، (ضغن) ، الفائق ٢ / ٣٤٢ ، في (ضغن) .

(٢) سورة محمّد : الآية / ٢٩ .

(٣) سورة محمّد : الآية / ٣٧ .

(٤) البحار ٧٥ / ٢٠٩ .

(٥) البحار ٧٥ / ٢١١ .

كم صاحبٍ عاديته في صاحبٍ   فتصالحا وبقيت في الأعداء

والآخر :

إنّ العدوّ وإن أبدى مسالمةً   إذا رأى فيك يوماً فرصة وثبا

الأخطل :

إنّ العداوة تلقاها وإن قدمت   كالعُرِّ يكمن حيناً ثم يَنْتَشِر

« لا تتعرضنّ لعدوّك في دولته ؛ فإنّها إذا زالت كفيت مؤونته . لا تأنسنّ بعدوّك وان تبسّم إليك ، ولا تيأسنّ من صديقك وان تجهّم عليك ، نصح الصّديق تأديب ، ونصح العدوّ تأنيب »[1] .

يريد الرّضا عليه السّلام من التّمثّل بالبيت: أنّ حقد المأمون الدّفين تبرز ظاهرته مرّة بأخيه ، وأخرى بإمام زمانه بإساءته، وقتله أخيراً .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ ـ ٤٦٦ . قال ابن قتيبة في المتعاديات :
بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة. وبين الغراب وابن عرس عداوة . وبين الحدأة والغداف عداوة . وبين ابن آوى والدجاج عداوة . . . عيون الأخبار ٢ / ٧١ .

١٦٧ - وإنّي لأنسى السّرّ كي لا أُذيعه

روى الصّدوق طاب ثراه بإسناده إلى موسى بن محمد المحاربي عن رجل ذكر اسمه عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام أنّ المأمون قال له : هل رويت من الشّعر شيئاً؟ فقال : قد رويت منه الكثير ، فقال: أنشدني أحسن ما رويت في الحلم، فقال عليه السّلام :

وذكر الأبيات في الحلم ، والأبيات في السكوت عن الجاهل ، وترك الصّديق ، والأبيات في استجلاب العدوّ حتّى يكون صديقاً . . .

فقال المأمون: . . . فأنشدني أحسن ما رويته في كتمان السّر، فقال عليه السّلام :

وإنّي لأنسى السّر كي لا أُذيعه فيا من رأى سرّاً يصان بأن ينسى
مخافة أن يجري ببالي ذكره فينبذه قلبي إلى ملتوى الحشا
فيوشك من لم يفش سرّاً وجال في خواطره أن لا يُطيق له حبسا[1]

من الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السّلام : « سرّك

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٢ - ١٧٣ .

دمك فلا تجرينّه إلاّ في أوداجك »[1] . والمثل السّائر : (سرّك من دمك)[2] و (السّرّ أمانة) قال الميداني : قاله بعض الحكماء ، وفي الحديث المرفوع :

« إذ حدّث الرّجل بحديث ، ثم التفت ، فهو أمانة وإن لم يستكتمه » .

قال أبو محجن الثقفي في ذلك :

واطعن الطّعنة النّجلاء عن عرض   واكتم السّرّ فيه ضربة العنق[3]

ويناسب التّمثل الرّضويّ قول القائل :

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت   منّي الضّلوع من الأسرار والخبر
لكنتُ أوّل من ينسىٰ سرائره   إذ كنتُ من نشرها يوماً على خطر[4]

وقول الآخر :

سأكتمه سرّي وأحفظ سرّه   وما غرّني أنّي عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يُشيعه   وما النّاس إلاّ جاهل وحليم[5]

والمثل الكاظميّ : « إن كان في يدك هذه شيءٌ فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل ، وقال : وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة فقال : احفظ لسانك تُعزّ ولا تمكنّ النّاس من قياد رقيبك فتُذلّ »[6] .

---

(١) الأمثال العلويّة حرف السين مع الراء مخطوط .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ٣٤٣ ، حرف السين .
(٣) مجمع الأمثال ١ / ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، حرف السين .
(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٣٩ .
(٥) المصدر ص ٤٢ .
(٦) الوسائل ١١ / ٤٩٣ .

١٦٨ ـ وددت أنّ فيكم مثله

قال الأستاذ الخوئي : روى النّجاشي في ترجمة محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبيه عن محمد بن علي بن الحسين قال : حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن علي بن سعيد عن الحسين بن خالد الصّيرفي قال : كنّا عند الرّضا عليه السّلام ونحن جماعة فذكر محمد بن إسماعيل بن بزيع، فقال : « وددت أنّ فيكم مثله »[١] .

نظير الكلمة الرّضويّة الكلمة العلويّة المقولة في مالك الأشتر . « وليت فيكم مثله اثنين ، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّه مثل رأيه ، إذن لخفّت عليّ مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم »[٢] .

ويضاهي الكلمتين العلويّة والرّضويّة المثل السّائر : (ليت لنا

(١) معجم رجال الحديث ٥ / ٢٢٩ .
(٢) وقعة صفّين ٥٢١ .

من فارسين فارساً) يضرب عند الرّضا بالقليل[1] . وقولهم : (ليت لنا في كلّ عرفجة خوصة) ـ قال الزّمخشري بعد ذكر المثل الثّاني : أي : ليت لنا قليلاً من كثير[2] . عرفج كجعفر : شجر الحسى . وخوصة النّخل كناية عنه أي : ليت لنا من كلّ الأشجار النّابتة في الأرض ذات الحصى نخلة ، ومن المعلوم أنّ النّخل خير الأشجار وقد قال تعالى : ﴿ **والنّخل باسقات، لها طلع نضيد * رزقاً للعباد** ﴾ [3] .

وكذلك من كان مثل مالك الأشتر من عظماء أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام ، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع الّذي قال النّجاشي في ترجمته : كان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم كثير العمل ...[4] وكفى فيه قول الرّضا عليه السّلام : « وددت أنّ فيكم مثله » كما في الحديث المبحوث فيه، وكيف لا وهو من صلحاء رواة الإمام الكاظم والرّضا والجواد عليهم السّلام .

ويعجبني الحديث الرّضويّ الّذي رواه المترجم محمد بن إسماعيل، وفيه، قال أبو الحسن الرّضا عليه السّلام : « إنّ لله تعالى بأبواب الظّالمين من نوّر الله له البرهان ومكّن له في البلاد، ليدفع بهم عن أوليائه ، ويصلح الله به أمور المسلمين وإليهم ملجأ المؤمن من الضّرّ وإليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظّلمة، أولئك المؤمنون حقّاً أمناء الله في أرضه أولئك نور في رغبتهم يوم القيامة ويزهر نورهم لأهل السّموات كما تزهر الدّريّة

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ١٩٨ ، حرف اللام .
(٢) المستقصى ٢ / ٣٠٣ .
(٣) سورة ق : الآية / ١٠ ـ ١١
٤ معجم رجال الحديث ١٥ / ٩٥ .

لأهـل الأرض أولئـك ـ إلى أنّ قـال محمّد: ـ قلت: بمـاذا جعلني الله فـداك؟ قال يكـون معهم فيسـرّنـا بـإدخـال السّـرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمّد»[1].

وهو حثّ على الاتصاف بما اتّصف بـه ابن بزيع.

(١) معجم رجال الحديث ١٥ / ٩٦. عند ترجمة ابن بزيع المبحوث فيه

١٦٩ ـ ولو بشقّ تمرة

روى الصّدوق بإسناده إلى الرّضا عليه السّلام أنّه قال في حديث: « . . . ومن تصدّق في شعبان بصدقة، ولو بشِقّ تمرة حرّم الله جسده على النّار . . . »[١]

قال ابن الأثير في «الشِّق» بالكسر: ومنه قوله تعالى: **﴿لم تكونوا بالغيه إلاّ بشِقّ الأنفس﴾**[٢] وأصله من الشِّقّ: نصف الشّيء، كأنّه قد ذهب نصف أنفسكم حتّى بلغتموه. وأمّا الفتح فهو من الشّقّ: الفصل في الشيء. . . ومن الأوّل الحديث: « اتّقوا النّار ولو بِشقّ تمرة » ، أي: نصف تمرة يريد أن لا تستقلّوا من الصّدقة شيئاً[٣] .

وقال الزّمخشري في شرح الغريب من الحديث النّبويّ : « اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة ، ثمّ أعرض وأشاح » : وروى : « اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة ، فإنّها تدفع ميتة السّوء ، وتقع من الجائع موقعها

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٩٩

(٢) سورة النحل : الآية / ٧

(٣) النهاية ٢ / ٤٩١ ، في (شقق) .

من الشّبعـان » : شِقّ الشّيء : نصفـه ، يريد: أنّ نصف التّمـرة يسـدّ رمق الجائع ، كما يورث الشّبعـان كظّة[١] على وتـاحَتِهِ[٢] فـلا تستقلّوا من الصّدقة شيئاً[٣] .

تعتبـر الكلمـة من المثـل تضـرب في الاهتمـام بـالتّصـدّق وعـدم التّرك حتى من مثـل شقّ تمرة من أيّ شيءٍ كان، فلئن كان الاتّقـاء من النّار ولو بقدر نصف تمرة فـبالأكثـر كان الأجدر .

ونظير الكلمـة في التّرغيب مـا جاء في تفـطير الصّـائم بما تيسّـر ومنـه الباقـريّ : « إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليـه وآله قـال : ومن فـطّر فيه ـ يعني في شهر رمضان ـ مؤمناً صائماً كـان له بـذلك عنـد الله عتق رقبة ، ومغفرة لذنوبه فيما مضى ، قيل : يا رسـول الله ليس كلّنا يقـدر على أن يفـطّر صائمـاً ، فقال : إنّ الله كريم يعطي هذا الثّـواب لمن لم يقـدر إلّا على مـذقـة من لبن يفـطّر بهـا صـائمـاً ، أو شـربـة من مـاء عذب ، أو تمرات لا يقدر على أكثر من ذلك »[٤] .

---

(١) الكظّة : البطنة .
(٢) وتاحته : قلّته .
(٣) الفائق ٢ / ٢٥٦ ، وهامشه في (شقق) .
(٤) الـوسـائـل ٧ / ٩٩ . في المقـام أحـاديث تنصّ على محبـوبيّـة الإفـطار والتصدق وأعمال البرّ في شهر رمضان، بل وسـائر الشهـور وأنّ ذلك وقـاء عن عذاب المحشر .
ثم إنّ إعـطاء العطاء ولـو تمرة قـد جاء فيـه علاوة على مـا سمعت مـا أوحى الى داود، ففي صـادقي رواه الصـدوق قـال : « أوحى الله عـز وجـل الى داود عليـه السّلام : إنّ العبـد ليأتيني بـالحسنة فـأدخله الجنة، قـال : يـا رب ومـا تلك الحسنة ؟ قال : يفـرّج عن المؤمن كربتـه ، ولو بتمـرة ،قال: فقـال داود عليه السلام : حق لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منـك ». عيون أخبار الرضـا ١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

ومنـه يعلم أنّ القـادر على الأكثــر من مـذقــة لبن أو تمـرات لا يجدر له ذلك .

وكيف كان ، فالكلام مصوغ للتّرغيب بالبذل مهما كان قدره أو نوعه ، فلا يزهدنّ عن الثّواب المعرّض له ، والخير الكثير ولو باليسير : كشقّ تمرة .

ومنـه يعلم أيضاً الاهتمـام البالـغ بالعطاء، وأنّـه محبـوب كثيـرة وقليله ، فلو كان هنا أقلّ من شقّ تمرة لذكره عليه السّلام .

١٧٠ ـ ولو كانت مثل عدد النّجوم

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال: حدّثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: أخبرنا علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه قال: سمعت علي بن موسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ يقول: من استغفر الله تبارك وتعالى في شعبان سبعين مرّة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل عدد النّجوم »[١] .

ضرب المثل بعدد النّجوم يكون للكثرة كما يضرب المثل بزبد البحار وورق الأشجار، ففي قصّة الشّابّ النّبّاش للقبور لقي النّبيّ وهو يبكي: « ثم قال: ما يبكيك يا شباب قال كيف لا أبكي وقد ركبتُ ذنوباً . . . فقال صلّىٰ الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرّواسي، قال الشّباب: فإنّها أعظم من الجبال الرّواسي فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السّبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٢٧

الخلق . . . »[1] .

وقد سبق المثل في « شفّع في مثل ربيعة ومضر »[2] . وذكرنا التّهليل المأثور عن أمير المؤمنين عليه السّلام في العشرة الأولى من ذي الحجّة الحرام أوّله : « لا إلّه إلّا الله عدد اللّيالي والدّهور . . . »[3] . فراجع المثل[4] .

عدد السّبعين

هل يراد بعدد السّبعين الرّقم الخاصّ هنا، أو في نظائره ؟ أو هو كناية عن الاستغفار الكثير زاد عنه أو نقص مع الحفاظ على صدق الكثرة عليه ؟ وقد قالوا ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إنّ تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم** ﴾[5] .

قال الفيض : قيل: السّبعون جاء في كلامهم مجرى المثل للتكثير وروت العامّة أنّه صلّى الله عليه وآله قال: والله لأزيدنّ على السّبعين فنزلت ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم** ﴾[6]. وفي لفظ آخر : « لو علمتُ أنّه لو زدتُ على السّبعين مرّة غفر لهم لفعلتُ » [7].

---

(١) تفسير الصافي ١ / ٢٩٨ ـ ٣٠١ ، تفسير نور الثقلين ١ / ٣٢٤ ـ ٣٢٦ ، تفسير البرهان ١ / ٣١٦ ـ ٣١٧ ، أمالي الصدوق ٣٨ ـ ٤١ ، الأمثال النبوية ١ / ٣١٠ ـ ٣١٢ ، رقم ٢٠٤ ، حرف التاء مع الدال .

(٢) حرف الشين مع الفاء .

(٣) إقبال السيد ابن طاووس ٣٢٤ .

(٤) حرف الشين مع الفاء .

(٥) سورة التوبة : الآية / ٨٠ .

(٦) سورة المنافقون : الآية / ٦

(٧) تفسير الصافي ١ / ٧١٨ .

والأصل المعوّل عايه أنّه الرّقم الخاصّ في جميع ذوي الأرقام المرويّة إلّا ما علم منه التّكنّي عن الكثرة كما في الآية الآنفة الذّكر؛ فإنّ الآية النّافية للغفر نفيا تأبيديّاً قرينة على عدم إرادة الرّقم الخاص .

وأمّا الحديث الرّضوي فالظّاهر هو التّخصيص بالعدد المذكور لا كيف ما كان نعم المثل بعدد النّجوم هو التّكثير .

ثم على تقدير عدم بلوغ الذنوب عدد النّجوم واضح المراد ، وأمّا على فرض البلوغ فقد قيل: إنّ عدد النجوم المستكشفة ثلاثة مائة ألف مليون نجم[1] .

---

(١) كما قيل ، وغير المستكشفة فلا يعلمها إلا الله الملك العلّام ، وهذا شاهد آخر على إرادة الكثرة .
ولا يخفى أن نظير الكلمة المبحوثة لفظة الرضا عليه السلام الأخرى : « ولو كانت بعدد النجوم » في غفر ذنوب ذاكر الحسين عليه السلام ، ولاعن يزيد . عيون الأخبار ٢ / ٢٢ .

حرف الهاء

١٧١ ـ هذا ظاهر الحديث فأمّا باطنه

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصّفار عن محمد بن عيسى عن الحسن بن النّضر قال: قلت للرّضا ـ عليه السّلام ـ: «ما العلة في التكبير على الميّت خمس تكبيرات؟! قال: رووا أنّها اشتقّت من خمس صلوات، فقال: هذا ظاهر الحديث فأمّا باطنه، فإنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على العباد خمس فرائض: الصّلاة، والزّكاة، والصّيام، والحجّ، والولاية. فجعل للميّت من كلّ فريضة تكبيرة واحدة، فمن قبل الولاية كبّر خمساً، ومن لم يقبل الولاية كبّر أربعاً؛ فمن أجل ذلك تكبّرون خمساً ومَنْ خالفكم أربعاً»[١].

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨١.

أقول : قد صرّحت الخمسة في الرويات المرويّة عن سائر الأئمّة عليهم السّلام أيضاً منها :

١ ـ صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام : « قال : بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصّلاة ، والزّكاة ، والحجّ ، والصّوم ، والولاية . قال زرارة : فقلت: وأيّ شيءٍ من ذلك أفضل ؟ فقال الولاية ؛ لأنّها مفتاحهنّ ، والوالي هو الدّليل عليهنّ . . . »[١] .

٢ ـ صحيح الثّمالي عن الباقر عليه السّلام « ـ إلى أن قال : ـ فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة ، فمن لم يكن له مال لم تكن عليه الزّكاة ، ومن لم يكن له مال فليس عليه حجّ ، ومن كان مريضاً صلّى قاعداً ، وأفطر شهر رمضان ، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مالٍ أو لا مال له فهي لازمة »[٢] .

٣ ـ والآخر العلويّ : « . . . ثم الولاية وهي خاتمتها ، والحافظة لجميع الفرائض والسّنن الحديث »[٣] .

قوله عليه السّلام : « هذا ظاهر الحديث فأمّا باطنه » لا يخصّ الظّاهر والباطن صلاة الميّت وتكبيراتها الخمسة بل يعمّ سواها من فروع الدّين الصّوم مثلاً باطنه: مشابهة الملائكة في التّجرد عن الطّبيعة والعروج إلى سرادق القدس، وذكر جوع يوم القيامة وعطشه، وأنّه له تعالى وهو جزاؤه كما جاء : « الصّوم لي وأنا أجزىٰ به »[٤] على قراءة

(١) الوسائل ١ / ٧ ـ ٨ ، باب ١ من أبواب مقدمة العبادات الحديث ٢ .
(٢) الوسائل ١ / ١٤ .
(٣) الوسائل ١ / ١٨ .
(٤) الوسائل ٧ / ٢٩٢ ، وفيه « وللصائم فرحتان : حين يفطر ، وحين يلقى ربه ، والذي نفس محمّد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » وفي ص ٢٩٤ من المصدر النبوي القدسي : « كلّ عمل ابن آدم =

ـ الفتح ـ ومناسك الحجّ من الإحرام المشابه للكفن ، وطواف البيت لطواف الملائكة حول العرش، واستلام الحجر بمنزلة يمين الله في أرضه ، والسّعي تردّد العبد بباب الملك ، والوقوف بعرفات وقوف الخلائق على صعيد المحشر . والصّلاة المثول بين يدي الرّبّ ، ومخاطبته ، لأنّ الإنسان إذا أراد أن يكلّم الله عزّ وجلّ صلّى ، وإذا أراد أن يكلّمه قرأ القرآن ، وهكذا تقية العبادات الّتي لها الأسرار الباطنيّة الكثيرة .

= هو له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به ، والصيام جنّة العبد المؤمن يوم القيامة كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا ولخلوف فم الصائم أطيب . . . » .

١٧٢ ـ هذه صفة من لا يدري ما فعل

كلمة منترعة من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في الإرادة الّتي رواها الصّدوق طاب ثراه، ولا بدّ ذكر شيءٍ منها لإيضاح المراد :

« قال ـ الرّضا عليه السّلام ـ : لا بأس أتْمم مسألتك ، قال سليمان : قلت : إنّ الإرادة صفة من صفاته ، قال ـ الرّضا عليه السّلام ـ : كم تردّد عليّ أنّها صفة من صفاته ، وصفته محدثة أولم تزل ؟! قال سليمان محدثة ، قال ـ الرّضا عليه السّلام ـ : الله أكبر فالإرادة محدثة ، وإن كانت صفة من صفاته لم تزل فلم يُرد شيئاً قال ـ الرّضا عليه السّلام ـ : إنّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً ، قال سليمان : ليس الأشياء إرادة ،ولم يرد شيئاً . قال ـ الرّضا عليه السّلام ـ : وسوست يا سليمان فقد فعل وخلق ما لم يرد خلقه ولا فعله ؟ وهذه صفة من لا يدري ما فعل ، تعالى الله عن ذلك »[١] .

---

(١) التوحيد ٤٥٠ ، عيون أخبار الرضا ١/ ١٥٠ . تعالى الله عن الجهل ؛ إنه جلّ جلاله علمٌ كُلّه .

قد مرّ من المروزي غير مرّة ادّعاء صفتيّة الإرادة :

الأولى : **في أوّل المناظرة** : « ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفةً مثل حيّ وسميع وبصير وقدير » .

والثّانية : **في أثنائها** : « إنّها كالسّمع والبصر والعلم » ؛ ومن ثمّ قال عليه السّلام له : « قد رجعت إلى هذا ثانية » .

والثالثة : **أيضاً** : قال سليمان : « إنّها صفة من صفاته لم تزل » . فردّه عليه السّلام بقوله : « فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل، لأن صفته لم تزل » .

وهنا الرّابعة : قال : « إنّ الإرادة صفة من صفاته »

كما وتكرّر منه أنها فعل : « يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل ؟! قال : بل هي فعل » ، وقوله : « إنّها مصنوعة » ، وقوله : « عنى فعل الشّيء » ، كما جعلها إنشاءً « قال سليمان : الإرادة هي الإنشاء » !!!

فتجد التّناقض فاشيا في أقواله يقدم عليه من دون مانع فيوبّخه الإمام مرّة : « يا خراساني ما أكثر غلَطك » ، ومرّة : « ارفقوا بمتكلّم خراسان » ، ومرّة : « كم تردّد عليّ » كلمة تقال لمن لم تسلم دعواه من تكرير ، وهو في جميع ذلك لم يحر جواباً ، وقد جاءت هذه الكلمة مراراً ولا غرو إن تناقضت أقوال المروزي غير المستقي من العين الصّافية من علوم أهل البيت عليهم السّلام .

قال السّيّد المعلّق على قوله : « فلم يرد شيئاً » : لأنّ العالَم حادث ، والإرادة أزليّة والتخلّف ممتنع ، وقوله : « إن لم يزل ـ الخ » ، تعليل له باللّازم[1] .

---

(١) هامش التوحيد ٤٥٠ .

قوله عليه السّلام : « وسوست يا سليمان . . . وهذه صفة من لا يدري ما فعل تعالى الله عن ذلك » . دليل على مناقضاته وجهله ، ولا عجب إن جهل ولم يعقل عن الله تعالى ؛ والوسواس من الخنّاس وسليمان موضع ذلك ؛ لأنّه لم يستتر بنور العلم ، ولم يلجأ إلى ركن وثيق ، فليس له إلاّ الوسوسة الخنّاسيّة .

١٧٣ ـ هارون وأنا كهاتين

قال الشّيخ الصّدوق: حدّثنا محمّد بن موسى المتوكّل قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي الوشّا عن مسافر قال:

« كنت مع أبي الحسن الرّضا عليه السّلام بمنى فمرّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك، فقال عليه السّلام: مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السّنة ؟! ثم قال: هاه واعجباه من هذا! هارون وأنا كهاتين وضمّ بأصبعيه، قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه »[1]

وفي معناه أحاديث أخر عنه عليه السّلام منها:

ما رواه الشّيخ الصّدوق عن موسى بن مهران قال: « رأيت علي بن موسى الرّضا عليه السّلام في مسجد المدينة وهارون يخطب، فقال: أترونني وإيّاه ندفن في بيت واحد »[2].

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨، باب ٤٩ .

(٢)عيون الأخبار٢ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩، باب ٥١ .

وما رواه عن محمد بن الفضيل قال : « أخبرني من سمع الرّضا عليه السّلام وهو ينظر إلى هارون بمنى أو عرفات فقال : أنا وهارون هكذا : وضمّ بين إصبعيه ، فكنّا لا ندري ما يعني بذلك ؟! حتى كان من أمره بطوس ما كان، فأمر المأمون بدفن الرّضا عليه السّلام إلى جنب هارون »[1] .

هنا سؤال :

هل ينفع هارون قاتل موسى بن جعفر عليهما السّلام بدفن الرّضا عليه السّلام معه؟! أو هل إخباره بذلك وأنّهما كالإصبعين المنضمّين قرباً مجدٍ لهارون ؟ ويحطّ عن جريمته النّكراء من قتله والد الإمام ،وابنه ابنه ؟!

كلّا ،ألف كلّا ، قال دعبل :

اربع بطوسٍ على قبر الزّكيّ بها ... إن كنت تربع من دَيْنٍ على وطرِ
قبران في طوس خير النّاس كلّهمِ ... وقبر شرّهم هذا من العبرِ
ما ينفع الرّجس من قرب الزّكيّ ولا ... على الزّكيّ بقرب الرّجس من ضررِ
هيهات كلّ امرءٍ رهنٌ بما كسبت ... له يداه ،فخذ ما شئت أو فذرِ[2]

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **كلّ امرىء بما كسب رهين** ﴾ [3] و ﴿ **كلّ نفس بما كسبت رهينة** ﴾ [4] .

وقال محمّد بن حبيب الضّبيّ :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٩ ، باب ٥١ .
(٢) المناقب ٤ / ٣٥٩ .
(٣) سورة الطور الآية / ٢١ .
(٤) سورة المدثر الآية / ٣٨ .

قبران في طوس الهدى في واحد والغيّ في لحدٍ ثراه ضرامُ
قرب الغويّ من الزّكيّ مضاعف لعذابه ولأنفه الإرغامُ(١)

قوله عليه السّلام : « هارون كهاتين » إشارة إلى إصبعيه السّبّابة والوسطى ؛ للدّلالة على شدّة القرب المباشر وقد جاء نظير العمل المزبور في الحديث النّبويّ : « أنا وكافل اليتيم كهاتين » رواه القضاعيّ(٢) . وذكرناه في الأمثال النّبويّة(٣) وقال ابن الأثير : بعد الحديث : قوله : « كهاتين أشارة إلى أصبعيه السّبّابة والوسطى »(٤)

الحديثان النّبويّ والرّضويّ كهاتين في الدّلالة على المقصود من التّنظير يرميان مرمىً مشتركاً وهو من التّمثيل السّائر اللّفظيّ والعمليّ ولكن يفترقان ؛ لأنّ الرّضويّ في موضع الدّفن يريد قربه فيه من هارون ، والنّبويّ دليل على القرب في درجات الجنّة لكافل اليتيم وأين هذا من ذاك ؟أحدهما أقرب قريب والآخر أبعد بعيد ، ﴿ **هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج** ﴾(٥) كافل اليتيم هو العذب الفرات ، وهارون الملح الأجاج ، وليس كلّ قريب في المكان قريب ،كما ليس كلّ بعيد فيه بعيد ، هذا هو أويس القرني من أصحاب امير المؤمنين عليه السّلام لم يرَ النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وقد رُوي عنه : « إنّي لأجد نفس الرّحمن من قبل اليمن »(٦) . وكان من التّابعين ومن الزّهّاد الثّمانية أحسنهم حالاً ومآلاً ،وقال فيه صلّىٰ الله عليه وآله ذات

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ٣٥٩ .
(٢) شرح الشهاب ١٨٢ .
(٣) الأمثال النبوية ١ / ١٨٧ ، رقم المثل ١١٨ ، حرف الهمزة مع الألف .
(٤) النهاية ٤ / ١٩٢ ، في (كفل) .
(٥) سورة الفرقان الآية / ٥٣ .
(٦) عوالي اللئاليء ١ / ٥١ ، رقم الحديث النبوي ٧٤ .

يـوم لأصحابـه : «ابشروا بـرجل من أمّتي ، يقـال لـه أويس القـرني ، فإنّه يشفع لمثل ربيعة ومضر »[1] وقد بايع علياً بصفّين .

عن الأصبـغ بن نبـاتـة قـال : « كنّـا مـع علي عليـه السّـلام بصفّين ، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً ، ثم قال : أين تمام المئة ؟ لقـد عهـد اليّ رسول الله صلّىٰ الله عليـه وآله أن يبـايعني في هذا اليـوم مئة رجـل . قال : إذ جـاء رجـل عليـه قبـاء صـوف متقلّداً بسيفين ، قال: ابسط يدك أبايعك ، قال علي عليه السّلام : على مـا تبايعني ؟ قـال : على بـذل مهجـة نفسي دونـك ، قـال : من أنت ؟ قــال : أنـا أويس القـرني ، قال : فبـايعه فلم يـزل يقاتـل بين يديـه حتّى قتل فـوجد في الرّجّالة »[2] .

---

(١) معجم رجال الحديث ٣ / ٢٤ .

(٢) المصدر .

١٧٤ - هل رأيت بصيراً قطّ رأى بصره ؟

هذه الكلمة من مناظرة الـرّضا عليـه السّلام مـع عمران الصّـابي في التّوحيد الّتي رواها الصّدوق :

« قـال عمـران : يـا سيّـدي . . فـأيّ شيء هـو ؟ قـال عليه السّـلام : هو نورٌ: بمعنى هـادٍ لخلقـه من أهـل السّمـاء وأهـل الأرض وليس لك عليّ أكثر من توحيدي إيّـاه . قال عمـران : يا سيّـدي أليس قـد كـان سـاكتـاً قبـل الخلق لا ينطق، ثمّ نـطق ؟ قـال الـرّضـا عليـه السّـلام : لا يكون السّكـوت إلاّ عن نطق قبله، والمثل في ذلك: أنّه لا يقَـال للّسراج . هـو سـاكت لا ينـطق ، ولا يقـال : إنّ السّراج ليضيء فيمـا يـريـد أن يفعـل بنا؛ لأنّ الضّـوء من السّـراج ليس بفعـل منـه ولا كـون ، وإنّما هـو ليس شيء غيره ، فلمّـا استضاء لنـا قلنا : قـد أضاء لنا حتّى استضأنا به، فبهذا تستبصر أمرك . قال عمـران : يا سيّـدي فإنّ الّـذي كـان عنـدي أنّ الكـائن قـد تغيّـر في فعله عن حـالـه بخلقـه الخلق ، قـال الرّضـا عليه السّـلام : أحلت يا عمـران في قولـك : إنّ الكـائن يتغيّر في وجـهٍ من الـوجـوه حتى يصيب الـذّات منه يغيـره ، يـا عمـران هل تجـد النار يغيـرها تغِيّـر نفسها ؟ أو هـل تجد الحـرارة تحرق نفسهـا ؟ أو هـل رأيت بصيـراً قطّ رأى بصـره ؟ قـال عمـران : لم أر

هذا . . . »[1] .

قوله عليه السّلام : « عن نطق قبله » : لأنه عدم الملكة ولا يصحّ إلّا فيما تصحّ ملكتهّ، فليس الله ساكتاً ولا ناطقاً بالمعنى الذي فينا حتّى يلزم فيه التّغيّر والتّركيب، كما لا يقال للّسراج : إنّه ساكت حين طفئه ولا أنه ناطق حين إضاءته . وقوله : « ولا يقال إنّ السّراج ليضيىء فيما يريد الخ »، كأنّه تمثيل وبيان لقوله : « هو نور » حتّى لا يتوهم السّامع من تفسيره : أنّ النّور كونٌ وإحداثٌ وراء ذاته تعالى ، بل هو هو وليس شيءٌ غيره ، على ما صرّح به في أحاديث ـ الباب العاشر ـ وما بعده ، كما أنّ الضّوء عين السّراج لا أنّه كونٌ وإحداثٌ وراء ذاته ؛ وللمجلسي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذا الكلام غير ذلك[2] .

قال السّيّد المعلّق :

المراد بهذه الأمثلة بيان أنّ الشّيء لا يتغيّر من قبل نفسه ولا من قبل فعله ، بل إنّما يتغيّر بتأثير غيره فإذا امتنع تأثير الغير فيه امتنع تغيّره[3] .

أقول : إنّما استخرجنا هذه الكلمة وعددناها من حِكَمه عليه السّلام، لأنّها أقرب إلى الشّهود لأنّ الإنسان لا يرى بصره بل يرى المبصرات الأُخر ، نعم إذا نظر إلى المرآة رأى والكلام في غيرها .

---

(١) التوحيد ٤٣٤ . عيون أخبار الرضا ١ / ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) هامش التوحيد ٤٣٤ .والمرادمن الباب العاشر « باب العلم » منم هذا الكتاب .

(٣) المصدر . تعليق موجز. والكلام يتطلب التفصيل الأكثر لا مجال له في هذه الوريقات ولا بد من معرفة وجهة الكلام الرضوي حتى لا يقال : إن الله عز وجل عالم بنفسه المتعالية وعالم بغيره فكيف يمثل بعدم رؤية البصير بصره ، ولكنه كما قاله المعلق فتدبر .

١٧٥ ـ هو بحيث النجم من يد المتناولين

في رواية الكليني المطوّلة عن الرّضا عليه السّلام المشتملة على خصائص الإمامة والإمام : « فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ، ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الألبّاء وكلّت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف بكلّه ، أو ينعت بكنهه، أو يفهم بشيءٍ من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه، لا ، كيف وأنّى ؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين ، ووصف الواصفين ، فأين الاختبار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ . . . »[١] .

لا تتوفّر هذه الخصال في غير الإمام المعصوم: لأنّه الّذي تتصاغر العظماء عن وصفه ، وتتحيّر الحكماء في بيان فضيلة من

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠١ .

فضـائله . ولا يحيط بالمعصـوم إلّا المعصوم بعـد الخالق جـلّ جلالـه وقد يروى الحـديث النّبويّ : « يـا علي ما عـرف الله إلّا أنا وأنت ومـا عرفني إلّا الله وأنت وما عرفك إلّا الله وأنا »[1] .

قـولـه : « هـو بحيث النّجم من يـد المتنـاولين » يمـاثله المثـل السّـائـر : (دونـه النّجم) قـال الميـداني بعـده : فيجـوز أن يـراد بـه الجنس ، ويجوز أن يراد بـه الثُّرَيّـا . وقد يقـال : (دونه العيّـوق) هو الكوكب المعروف[2] .

وقـول أمير المؤمنين عليـه السّـلام في جـواب كتـاب معـاويـة : « . . . وترقّيت إلى مرقبـة بعيدة المـرام ، نازحـة الأعلام تقصـر دونها الأنوق ، ويحاذى العيّوق »[3] .

أي : لا تنال يدك الخلافة كمـا لم تنل الأيـدي بيض الرّخمـة حيث تحرره في موضع لا يظفر به أحـد. والعيوق كـوكب فوق زحـل في العلو وهو فوق الكواكب كلها.

يريد الإمام الرضـا عليه السـلام بالمثـل عدم الـوصول إلـى مقام الإمامة في الشّموخ هو مثـل النّجم الّذي لا تنـاله الأيـدي وهي خاصّـة بـآل محمّد صلّىٰ الله عليـه وآله دون غيـرهم وتجد النعـوت الرّضـويّـة للإمام تعجز العقول عن إحاطتها فتدبّرها .

---

(١) المناقب ٣ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ٢٦٤ ، حرف الدال .
(٣) النهج ١٨ / ٢٢ ، كتاب ٦٥ .

١٧٦ ـ هو حبل الله المتين

روى الصّدوق بسنده إلى محمّد بن موسى الـرّازي قال :حدّثني أبي قـال : « ذكر الـرّضا عليـه السّلام يـوماً القرآن فعظّم الحّجـة فيه ، والآيـة والمعجـزة في نـظمـه قـال : هـو حبـل الله المتين ، وعـروتـه الـوثقى ، وطريقتـه المثلى المؤدّي إلى الجنّة ، والمنجي من النّار ، لا يخلق على الأزمنـة ، ولا يغث[1] على الألسنة : لأنـه لم يجعـل لزمان دون زمان بل جعـل دليل البـرهان ، والحجّـة على كلّ إنسـان : ﴿ **لا يـأتيـه البـاطـل من بين يـديـه ولا من خلفـه تنـزيـل من حكيم حميد** ﴾ . . . »[2] .

أشـار الحديث الـرّضوي إلى فضـائل القـرآن وهي عشر نـذكر اثنتين منهـا : أنّه المعجـزة ، وأنّـه حبـل الله المتين، وأمّـا البـاقيـة من الفضـائل فقـد جـاءت في أحـاديثهم عليهم السّـلام منهـا الكـاظمّي : « إنّ رجـلاً سأل أبـا عبد الله عليـه السّلام :ما بال القـرآن لا يزداد عنـد

(١) من غثّ أي هزل

(٢) سورة فصلت الآية / ٤٢ ، عيون الأخبار ٢ / ١٢٨ والباب ٣٥ ، الحديث ٩ .

النّشر والدّرس إلّا غضاضة ؟ فقال : لأنّ الله لم ينزله لزمانٍ دون زمانٍ ، ولا لناسٍ ،دون ناسٍ فهو في كلّ زمان جديد ، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة »[١] . والرّضوي الّذي تكلّمنا عنه عند « كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا »[٢] .

قوله عليه السلام : «هو حبل الله المتين» أما وصفه بحبل الله فقد دلّت عليه آية : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾**[٣] . ففي سجّاديّ : « . . . وحبل الله هو القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عزّوجلّ : **﴿إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم﴾** . . . »[٤] . وكاظميّ : «علي بن أبي طالب حبل الله»[٥] ، وصادقيّ : «نحن حبل الله الذي قال الله : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** . . . »[٦] .

وفسّرت بدين الإسلام والنّبيّ والأئمّة جميعاً ،ولا منافاة بين كلّ ذلك ؛ لأنّ الكلّ عاصم لمن اعتصم بهم .

قال الفيض : استعار له الحبل والموثوق به الاعتصام من حيث أنّ التمسّك به سبب النّجاة عن الرّدى ، كما أنّ التّمسك بالحبل الموثوق به سبب السّلامة عن التّردي[٧]

والمعجزة في نظمه :

قال السّيّد الطّباطبائي : إنّ دعوى القرآن أنّها آية معجزة بهذا

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٥ ، الباب ٣٢ ، الحديث ٣٢ .
(٢) حرف الكاف مع اللام .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ١٠٣ .
(٤) تفسير الصافي ١ / ٢٨٥ .
(٥) تفسير البرهان ١ / ٣٠٦ ، تفسير العياشي ١ / ١٩٤ .
(٦) تفسير البرهان ١ / ٣٠٧ .
(٧) تفسير الصافي ١ / ٢٨٥ .

التّحـدّي الّذي أبـدتها هـذه الآيـة[1] تنحـلّ بحسب الحقيقـة إلى دعـويين ،وهما: دعـوى ثبوت أصـل الإعجاز وخـرق العادة الجـارية ، ودعوى أنّ القرآن مصداق من مصاديق الإعجـاز ، ومعلوم أنّ الدّعـوى الثّانية تثبت بثبوتها الدّعوى الأولى ، والقـرآن أيضاً يكتفي بهـذا النّمط من البيـان ويتحـدّى بنفسه، فيستنتـج بـه كلتـا النّتيجتين ،غير أنّـه يبقى الكـلام على كيفيّـة تحقّق الإعجـاز مـع اشتمـالـه على مـا لا تصـدقـه العادة الجاريـة في الطبعـة من استناد المسبّبـات إلى أسبابهـا المعهودة المشخّصـة من غيـر استثنـاء في حكم السّببيّـة أو تخلّف واختـلاف في قـانون العلّيّـة ، والقرآن يبيّن حقيقـة الأمر ويُـزيل الشّبهـة فيه فـالقرآن يشدق في بيان الأمر من جهتين :

الأولى : إنّ الإعجـاز ثابت ومن مصـاديقه القـرآن المثبت لأصل الإعجاز ولكونه منه بالتّحدّي .

الثانية : أنّـه ما هـو حقيقة الإعجـاز وكيف يقع في الـطّبيعة أمـر يخرق عادتها وينقض كلّيّتها .

إعجاز القرآن :

لا ريب في أنّ القرآن يتحدّى بـالإعجاز في آيـات كثيرة مختلفـة مكيّـة ومدنيّـة تدلّ جميعهـا على أنّ القرآن آيـة معجزة خـارقة حتّى أنّ الآية السّابقة أعني قولـه تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب ممّـا نزّلنـا على عبدنا فأتوا بسـورة من مثله** ﴾ الآية أي: من مثل النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ استدلال على كون القرآن معجزة بالتّحدّي على إتيان نظيرة سورة من مثل النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،لا أنّه استدلال على النّبوّة مستقيماً وبلا

---

(١) يريد قوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما انزلنا على عبـدنا فـأتوا بسـورة من مثله** ﴾ . سـورة البقرة: الآيـة / ٢٣ .

واسطة ؛ والدّليل عليه قوله تعالى في أوّلها : ﴿ **وإن كنتم فى ريب ممّا نزّلنا على عبدنا** ﴾ ولم يقل . وإن كنتم في ريب من رسالة عبدنا ، فجميع التّحدّيات الواقعة في القرآن نحو استدلال على كون القرآن معجزة خارقة من عند الله ، والآيات المشتملة على التّحدّي مختلفة في العموم والخصوص، ومن أعمّها تحدّياً قوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ . **الإسراء ٨٨** . والآية مكيّة وفيها من عموم التّحدّي ما لا يرتاب فيه ذو مسكة . . . [١] .

وللّسيّد رحمه الله كلام مطوّل حول الإعجاز القرآني ووجوهه[٢] وأمّا هذه الوجوه فقد ذكرها جمع منهم : صاحب المنار وعدّها إلى سبعة ، وصاحب البشرى أنهاها إلى ثلاثة عشر وجهاً[٣] وحيث لا يسع المجال لذكرها هنا إلاّ وجه أعجاز القرآن في نظمه لكونه مذكوراً في كلام الرّضا عليه السّلام فنذكر نصّ تفسير المنار .

إعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه

(**الوجه الأول**) : اشتماله على النّظم الغريب ، والوزن العجيب ، والأسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه ، هذه عبارتهم، وأوردوا عليها شبهتين وأجابوا عنهما وحصروا نظم الكلام منثوره : مرسلاً وسجعاً ، ومنظومه :

---

(١) تفسير الميزان ١ / ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) تفسير الميزان ١ / ٥٩ ـ ٨٩ .

(٣) كتاب البشرى ببعثة البشير ٢ / ٣٤٠ ـ ٣٦٧ لمؤلّفه الشيخ عبد الواحد المظفر المتوفي ١٣٩٤ هـ وقد أتى بمهامّ بحوث إعجاز القرآن وجعل إعجاز نظمه الوجه الثاني المكنّى عنه بالوصف في ص ٣٤٤ ـ ٣٥٥ من بُشراه المذكور .

قصيدا ورجزاً في أربعة أنواع لا يمكن عدّ نظم القرآن وأسلوبه واحداً منها، كما يدلّ عليه كلام الوليد بن المغيرة من أكبر بلغاء قريش الّذين عاندوا النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وعادوه استكباراً، وجاحدوه استعلاء واستنكاراً. أخرج الحاكم وصحّحه البيهقي في دلائل النّبوّة عن ابن عبّاس قال: « إنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقرأ عليه القرآن فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنّك أتيت[1] محمّداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أنّي من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنّك منكر له، قال:

وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشّعر منّي لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه هذا الّذي يقول شيئاً من هذا ووالله إنّ لقوله الّذي يقول لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمُثمر أعلاه مُغدق أسفله[2] وإنّه ليعلو وما يُعلىٰ، وإنّه ليحطم ما تحته قال: والله ما يرضى قومك حتّى تقول فيه، قال: فدعني أفكّر، فلمّا فكّر قال: هذا سحر يؤثر عن غيره، وكان هذا سبب نزول قوله: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ الآيات[3].

ولعمري إنّ مسألة النّظم والأسلوب لإحدى الكبر، وأعجب العجائب لمن فكرّ وأبصر، ولم يوفها أحدٌ حقّها، على كثرة ما بدؤوا وأعادوا فيها، وما هو بنظم واحد ولا بأسلوب واحد، وإنّما هو

(١) كذا في النسخة الموجودة لديّ.

(٢) في هامش تفسير المنار ١ / ١٩٩: وفي رواية: وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق الخ.

(٣) سورة المدثر: الآية / ١١ ـ ٣٠.

مـائة أو أكثـر : القرآن مـائـة وأربـع عشـرة سـورة متفـاوتـة في الـطّول والقصر : من السّبع الـطّوال الّتي تزيـد السّورة فيـه على المائـة وعلى المـائتين من الآيات - إلى السّـورِ المئين - إلى الـوسـطى من المفصـل إلى ما دونها من العشرات ، فالآحاد كالثّـلاث الآيات فمـا فوقهـا ، وكلّ سورة منها تقـرأ بالتّـرتيل المشبـه للتلحين ، المعين على الفهم المُفيد للتّـأثيـر ، على اختـلافهـا في الفـواصـل وتفـاوت آيـاتهـا في الـطّول والقصـر ، فمنها : المؤلّف من كلمـة واحـدة ومن كلمتين ومن ثـلاث ، ومنها : المؤلّف من سطر أو سـطرين أو بضعة أسـطر ، ومنها : المتّفق في أكثـر الفواصـل أو كلّها ، ومنها : المختلف في السّورة الـواحدة منهـا ، وهي على مـا فيها متشـابه وغيـر متشابه في النظم ، متشابهـة كلّهـا في مـزج المعاني العـالية بعضهـا ببعض من صفـات الله تعـالى وأسمـائـه الحسنى ، وآياته في الأنفس والآفـاق ، والحكم والمواعظ والأمثـال ، وبيـان البعث والمآل . ودار الأبــرار ودار الفجّـار . والأعتبـار بقصص الرّسل والأقوام وأحكام العبادات والمعاملات [والحلال] والحرام .

يقول قائل : إنّ أساليب جميع الفصحاء والبلغاء متفاوتـة كذلـك لا يشبـه أسلوب منهـا أسلوبـاً ، ولا يتسـاويـان منـظومــاً ولا منثـوراً . فمجـرّد اختلاف الأسلوب والنّـظم لا يصحّ أن يعـدّ معجـزاً (ونقول :) من قال : هذا فقـد أبعـد النّجعـة ، وأوغـل في مهـامـه الغفلة ، فمهمـا تختلف منـظومـات الشّعراء ، فلن تعـدو بحــور الشّعـور المنقــولـة عن المتقدّمين ، والتّوشيحات والازجال المعـروفة عنـد المولّـدين ، ومهما تختلف خـطب الخطبـاء والمترسلين من الكتّـاب والمؤلّفين في العلوم والشّـرائع والآداب ، فلن تعدو أنواع الكـلام الأربعة الّتي بـدأنـا القـول بها ، ولا يشبه شيء من هـذه ولا تلك نظم سـورة من سور القـرآن ولا أكثرها ولكلّ منهم نظم وأسلوب خاصّ .

فـإن شئت أن يشعـر سمعـك وذوقـك بـالفـرق بين نـظم الكـلام

البشريّ ونظم الكلامي الإلهيّ فائت بقاريء حسن الصّوت ، يسمعك بعض أشعار المفلقين ، وخطب المصاقع المفوّهين المتقدّمين والمتأخّرين بكلّ ما يستطيع من نغم وتحسين ، ثمّ ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النّظم والأسلوب ، كسورة النّجم وسورة القمر وسورة الرّحمن وسورة الواقعة وسورة الحديد ـ مثلاً ـ ثمّ حكّم ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في أنفسها ، ثمّ في الفرق بين كلّ منها وبين كلام البشر في كلّ أسلوب من أساليب بلغائهم وتأثير كلّ من الكلامين في نفسك ، بعد اختلاف وقعه في سمعك .

بل تأمّل المعنى الواحد من المعاني المكرّرة في القرآن ، لأجل تقريرها في الأنفس ونقشها في الأذهان كالاعتبار بأحوال أشهر الرّسل مع أقوامهم من مختصر ومطوّل وافطن لاختلاف النّظم والأساليب فيها . فمن المختصر ما في سور الذّاريات والنّجم والقمر والفجر ، ومن المطوّل ما في سور الأعراف والشّعراء وطه . لعلّك إن تدبّرت هذا تشعر بالبون الشّاسع بين كلام المخلوقين وكلام الخالق ، وتحكم بهذا الضّرب من الإعجاز حكماً ضروريّاً وجدانيّاً لا تستطيع أن تدفعه عن نفسك ، وإن عجزت عن بيانه بقولك .

ومن اللّطائف البديعة الّتي يخالف بها نظم القرآن نظم كلام العرب من شعر ونثر ، أنّك ترى السّورة ذات النّظم الخاصّ والفواصل المقفّاة تأتي في بعضها فواصل غير مقفّاة ، فتزيدها حسناً وجمالاً وتأثيراً في القلب ، وتأتي في بعض آخر آيات مخالفة لسائر آيها في فواصلها وزناً وقافيةً ، فترفع قدرها وتكسوها جلالةً وتكسبها روعةً وعظمةً ، وتجدّد من نشاط القاريء وترهف من سمع المستمع ، وكان ينبغي للخطباء والمترسلين أن يحاكوا هذا النّوع من محاسنه ، وإن كانوا يعجزون عن معارضة السّورة في جملتها ، أو الصعود إلى

أفق بلاغتها ، ومن أعجب هذه السّور أوائل سور المفصّل، بل المفصّل كلّه. . .[1] .

أقول : هذا أحد وجوه أعجاز القرآن السّبعة ، وأمّا البقية فراجعها[2] .

(١) تفسير المنار ١ / ١٩٨ - ٢٠١ .

(٢) في المصدر :

١ - إعجاز القرآن ببلاغته .

٢ - إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب .

٣ - إعجاز القرآن بسلامته من الاختلاف .

٤ - إعجاز القرآن بالعلوم الدّينية والتشريع .

٥ - إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شيء منه .

٦ - إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر .

انظر المصدر ٢٠١ - ٢١٠ ، وكتاب البشرى ٢ / ٣٤٠ - ٣٦٧ كما تقدم الرقم في التعليق ، وهكذا تفسير الميزان ١ / ٥٩ - ٨٩ ، وباقي التفاسير وما جاء فيها بهذا الصدد .

حرف الياء

١٧٧ ـ يا جاهل إذا قلت : ليست هو فقد جعلتها غيره

كلمة قالها الإمام الرّضا عليه السّلام في مناظرته مع سليمان المروزي حول الإرادة الّتي رواها الشّيخ الصّدوق منها :

« قال سليمان : فإنّما قولي : إنّ الإرادة ليست هو ولا غيره ، قال الرّضا عليه السّلام : يا جاهل إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره ، وإذا قلت : ليست هي غيره فقد جعلتها هو ، قال سليمان : فهو يعلم كيف يصنع الشّيء ؟ قال عليه السّلام : نعم قال سليمان : فإنّ ذلك إثبات للشّيء ، قال الرّضا عليه السّلام : أحلت؛ لأنّ الرّجل قد يُحسن البناء وإن لم يَبْنِ ،ويُحسن الخياطة وإن لم يخط، ويحُسن صنعة الشّيء وإن لم يصنعه أبداً،ثمّ قال له : يا سليمان هل يعلم أنّه واحد لا شيء معه ؟! قال : نعم قال : أفيكون ذلك إثباتاً للشّيء ؟!

قال سليمان : ليس يعلم أنّه واحد لا شيء معه . قال الرّضا عليه السّلام : أفتعلم أنت ذاك ؟! قال : نعم قال : فأنت يا سليمان أعلم منه إذاً، قال سليمان : المسألة محال ، قال : محال عندك أنّه واحد لا شيء معه ، وأنّه سميع بصير حكيم عليم قادر ؟! قال : نعم . . . »[1] .

كلمات المروري في هذه المناظرة المطوّلة تُضحك الثّكلى يعرفه كلّ من نظر إليها، فانظر إلى هذه الأسئلة وأجوبتها وليس بين عدم الشّيء ووجوده فاصل ، يعلمه كلّ من له أدنى التفات إلاّ المروزي الفاقد له الجدير بخطاب: « يا جاهل » ولقد افتضح وفضح المأمون الرّاجي غلبته في المناظرة مع الرّضا عليه السّلام عليه، ولكن كما قال عليه السّلام وأخبر بندامة المأمون على فعلته الّتي فعلها : « فعند ذلك تكون النّدامة منه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم »[2]

ثمّ المناظرة وزّعنا أكثرها على كلمات انتزعناها منها وعددناها من حكمه عليه السّلام وكلّ كلامه حكمة كباقي المعصومين عليهم السّلام؛ لأنّهم لا يقولون إلاّ النافع لدين الإنسان ودنياه وهومعنى الحكمة واحدة الحكم على أحد تفاسيرها، تعرّضنا لها عند المثل النّبويّ : « الحكمة ضالّة المؤمن » [3] ، وهي مثل علويّ أيضاً[4] ،

---

(١) التّوحيد ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) نقلنا الكلام الرضوي في حرف اللام مع الألف فراجع .

(٣) الأمثال النبوية ١ / ٣٧٦ ، الرقم ٢٣٩ ، حرف الحاء مع الكاف، وفي، تقديم الكتاب فراجع .

(٤) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ص ١٢٢ ورقم المثل ٣٨ .

وكلامه نور في الدّرب إلى الله عزّ وجلّ كما جاء في الزّيارة الجامعة: « كلامكم نور وأمركم رشد ووصيّتكم التّقوى وفعلكم الخير »[1].

وكيف كان فقد اكتفينا من المناظرة المطوّلة بانتزاع كلمات آخرها ما صدّرنا البحث هنا به، والحمد لله.

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٨١.

١٧٨ ـ يا خراساني ما أكثر غَلَطَكَ

كلمة ستزعه من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي لمتكلّم خراسان في الإرادة المطوّلة، ولبيان ربطها والمراد منها نذكر شيئاً من المناظرة قال الرّضا عليه السّلام :

« . . . ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ؛ لأنّ الشّيء إذا لم يُرَد لم تكن إرادة، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم ، بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المُبْصَر ؛ ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم ، قال سليمان : إنّها مصنوعة ، قال عليه السّلام : فهي محدثة ليست كالسّمع والبصر لأنّ السّمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة ، قال سليمان : إنّها صفة من صفاته لم تزل ، قال ـ عليه السّلام ـ : فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل ؛ لأنّ صفته لم تزل ، قال سليمان : لا ؛ لأنه لم يفعلها ، قال الرّضا عليه السّلام : يا خراساني ما أكثر غَلَطَكَ أفليس بإرادته وقوله[١] تكون الأشياء ؟! قال سليمان : لا ، قال : فإذا لم يكن بإرادته ولا مشيئته ولا

(١) يحتمل أن يريد عليه السلام الآية ٨٠ من سورة يس .

لأمـره ولا بالمباشرة، فكيف يكـون ذلك ؟! تعـالى الله عن ذلـك ، فلم يحر جواباً »[1] .

يتّضـح الـدّليـل على كثـرة أغــلاط المـروزي متكلّم خــراسـان وتناقضاته بالنّظر إلى المناظرة؛ حيث يجده مـرّة يرى الإرادة أزليّـة وأنّها صفة الذّات المتعالية كالقدرة والعلم والسّمع والبصر ، ومـرّة أنّها فعـل ومن المعلوم أنّ الفعل كلّه محدث، كمـا قـال عليـه السّلام: ذلك[2]. ويصرّح المروزي هنا: بأنّها مصنوعة فيلزمه عليه السّلام بقـوله : « فهي محـدثـة ». وبعدمـا نقض عليه عليـه السّلام: بأنّ السّمع والبصـر ليسـا بمصـوعين ادّعى أنّها صفـة من صفاتـه لم تزل أي : قـديمة كمـا سبق منـه القول بهـا[3] فردّ عليـه عليه السّـلام بلزوم ذلك في إرادة الإنسـان أيضاً، لأنّها صفـة من صفاتـه أيضاً، أجاب سليمان بـأنّه أي: الإنسان لـم يفعـل الإرادة لأنّه مخلوق. أظهر بهذه المقـالة جهله المستحكم وغلطه الفاحش .

ومن ثمّ خـاطبـه عليـه السّـلام بقـولـه : « يـا خراساني ما أكثر غَلَطَكَ » .

وراح يتعثّر في أغلاطه مرّة أخـرى بعد غيـر مرّة حين سـأله عليـه السّـلام : « أفليس بإرادته، وقولـه تكوّن الأشياء؟ » فأجـاب : لا، وأنكـر حـدوث العالم برمّته، ولم يعـرف الجواب عنـد السّؤال عن سبب تكوّن الأشيـاء إذا لـم تكن عن إرادة الله جلّ جلاله، ولا عن قولـه. وأشـار بـه

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٤٩ ، التوحيد ٤٤٩ .
(٢) إشارة الى يّس : ٨٢ .
(٣) أوّل المناظرة .

إلى آيــة : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[1] .

ولا بدع لو كثرت أغلاط مثل سليمان الّذي لم يأخذ علمه عن عين صافية من أهل بيت النّبوّة .

(١) سورة يّس: الآية / ٨٢، ويحتمل بيان الواقع محكيّ الآية.
ثم للسيد المعلق دام عمره وهو زميلنا طوال الحياة بيان للبحث الجاري قال : إيضاح الكلام: إنه عليه السلام ألزمه على كون الارادة أزليّة كون الإنسان مثلاً أزليّاً لأن صفته أي : أرادته التي بها خلق الإنسان أزلية ، فأجاب سليمان: بأنه لا يلزم ذلك ؛لأنه فعل الإنسان فهو حادث ولم يفعل الإرادة . فرده عليه السلام: بأن هذا غلط كسائر أغلاطك لأن تكوّن الأشياء إنما هو بإرادته، ولا تتخلف عن المراد بشهادة الآية، فكابر سليمان فقال : لا يكون بإرادته ، فأفحمه بما قال عليه السلام : فلم يحر جواباً . هامش التوحيد ٤٤٩ . كلمة: « فلم يحر جواباً » مقولة راوي المناظرة كيفية كلمات قال وقال إلى آخرها . والله العالم .

١٧٩ - يزهر نورهم لأهل السّموات كما تزهر الدّريّة لأهل الأرض

روى الأستاذ الخوئي رواية محمد بن إسماعيل بن بزيع وفيها قال أبو الحسن الرّضا عليه السّلام :

« إنّ لله تعالى بأبواب الظّالمين من نوّر الله له البرهان ومكّن له في البلاد ليدفع بهم عن أوليائه ويصلح الله به أمور المسلمين، وإليهم ملجأ المؤمن من الضّرّ، وإليهم يفرغ ذو الحاجة من شيعتنا ، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظّلمة أولئك المؤمنون حقّاً ، أولئك أمناء الله في أرضه، أولئك نور في رغبتهم يوم القيامة، ويزهر نورهم لأهل السّموات كما تزهر الدّريّة لأهل الأرض ، أولئك من نورهم يوم القيامة تضيء منهم القيامة خلقوا والله للجّنة ، وخلقت الجنّة لهم فهنيئاً لهم ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كلّه ، قلت : بماذا جعلني الله فداك ؟ قال : يكون معهم فيسرّنا بإدخال السّرور على المؤمنين من شيعتنا ، فكن منهم يا محمّد »[1] .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٥ / ٩٦ .

الـدّخـول في دواوين الـظّلمـة والاختــلاف إلى أبـوابهم بحيث يسبّب تقوية الظّلم والجور الفاشي فيهم ممنوع شـرعاً وعقلاً: أمّا عقـلاً فلأنّ الظلّم قبيح ، وأمّا شرعاً فلقوله تعـالى : ﴿ **ولا تركنـوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار** ﴾[1] .

قال الفيض: ولا تميلوا إليهم أدنى ميل ؛ فـإنّ الرّكـون وهو الميـل اليسيـر[2]. وفي الكافي عن الصـادق عليه السـلام: « هو الـرجـل يـأتي السلطان فيحبّ بقـاءه إلى أن يـدخـل يـده [في] كيسـه فيعـطيـه»[3]. ولعمري إنّ الأمر دقيق جدّاً فتدبّر.

ولا ريب أنّ الاختــلاف إلى أبــوابهم والــدّخــول عليهم ، من مواطن الرّكون الممنوع . نعم استثني منه الرّجل الدّاخـل معهم لإنقاذ المؤمن المبتلى ،والنفوس المحترمة من الهلاك، وقد أشـار الرّضـا عليه السّلام في الحديث الجاري إلى ذلك وأمـر محمداً بـالكون مـع الّذين يزهر نورهم في السّمٰوات كما تزهر الدّريّـة لأهل الأرض أي : الكواكب المنـوّرة تزهـر للنّاظـرين كالـدُّرَر الزّاهرة ، ومن ذلك مـا جاء في آيـة النّـور : ﴿ **مثـل نـوره كمشكـاة فيهـا مصبـاح المصبــاح فى زجـاجــة الزجاجة كأنّها كوكب دّريّ** ﴾[4] .

قـال الفيض : مضيء متـلألأ منســوب إلى الـدّرّ[5] أو يــراد من

(١) سورة هود: الآية / ١١٣ .
(٢) تفسير الصافي ١ / ٨١٥ .
(٣) المصدر .
(٤) سورة النور: الآية / ٣٥.
(٥) تفسير الصافي ٢ / ١٦٩ .

ثم أنّ الحـديث الـرضـوي المبحـوث ذكـرنـاه عند: « وددت أنّ فيكم مثله » حرف الواو مع الدال . ويمس به تمام المساس ما قاله الكـاظم عليه السـلام =

« الدّريّة » من الكواكب أكبرها وأزهرها ككوكب المشرق أو المغرب أي الطّالع في جهة الشّرق أو الغرب وهي الزّهرة الّتي تزهر من بين الكواكب .

ولعلّ التّمثيل علاوة على الإنارة ناظر إلى الجمال أيضاً؛ لأنّ الكوكب الدّريّ مضافاً إلى تلألأه جميل المنظر وكذلك العمل المسبّب لإنقاذ الشّيعة من الهلكة نورٌ وجمالٌ وسرورٌ يزهر في يوم القيامة ، بل قبله أيضاً لذوي البصائر؛ لأنّ لكلّ عمل صالح نوراً كما لأيّ عمل طالح ظلمة يراهما أهل المعرفة دون سائر النّاس في الدّنيا قبل الآخرة .

عند التكلم عن كلمة : « اصحب السلطان بالحذر » لعلي بن يقطين مخطوط حرف الهمزة مع الصاد .

١٨٠ ـ يسمّون عبيدهم فرج ومبارك وميمون

روى الشّيخ الحرّ من (عيون الأخبار) و (معاني الأخبار) للصّدوق عن أبيه عن سعد عن أحمد بن محمد عن ابن فضّال عن أحمد بن أشيم عن الرّضا عليه السّلام قال : «قلت له : لم يسمّي العرب أولادهم بكاب، وفهد، ونمر، وأشباه ذلك ؟ قال : كانت العرب أصحاب حرب ، فكانت تهوّل على العدوّ بأسماء أولادهم ، ويسمّون عبيدهم فرج ومبارك وميمون وأشباه هذا يتيّمنون بها »[١] .

في الشّرع الإسلامي الاهتمام البالغ في شأن التّسمية، وكفى دليلاً عليه ما جاء في النّبويّ : « سمّوا أسقاطكم ، فإنّ النّاس إذا دُعوا يوم القيامة بأسمائهم تعلّق الأسقاط بآبائهم فيقولون : لم لم تسمّونا ؟ فقالوا : يا رسول الله هذا من عرفناه أنّه ذكر سمّيناه باسم الذّكور ، ومن عرفنا أنّها أنثى سمّيناها باسم الأناث ، أرأيت من لم

(١) الوسائل ١٥ / ١٢٣ ـ ١٢٤ ، عيون أخبار الرضا ١ / ٢٤٥ ، معاني الأخبار ٣٩١ ، وفيه « لم سمّوا العرب » وآخره « فرجاً ومبارك وميموناً وأشباه ذلك » ، ولعلّ « يسمّي » كما في المتن هو الأولى .

يستبن خلقه كيف نسمّيه ؟ قال : بالأسماء المشتركة مثل. زائدة وطلحة وعنبسة وحمزة »[1] . والعلويّ : « سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا ، فإن لم تدروا أذكر أم أنثى ؟ فسمّوهم بالأسماء الّتي يكون للذّكر والأنثى ؛ فإنّ أسقاطكم إذا لقوكم في القيامة ولم تسمّوهم يقول السّقط لأبيه ألا سمّيتني وقد سمّى رسول الله صلّى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد »[2] . والصادقي : « هنّأ رجل رجلاً أصاب ابناً فقال له : يهنيك الفارس ، فقال له الحسن عليه السلام : ما علمك أن يكون فارساً أو راجلا ؟ قال : فما أقول ؟ قال : تقول : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشدّه ، ورزقك برّه »[3] ؛ لأنّ العرب كما قال الرّضا عليه السّلام أصحاب حرب ولأجلها إذا أصاب رجل منهم ذكراً ذكر له ما يدلّ على الحرب .

ومن ثمّ كانوا خاصّة قبيلة كندة تئد البنات وتدفنها حيّةً قائلين: بأنّهنّ لسن أصحاب حربْ. وفي الخبر المرويّ : « أنّه نهى عن وأد البنات »أي: قتلهن بدفنهن في التّراب[4] وقبل الخبر قوله تعالى : **﴿ وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشرّ به أيُمسكه على هون أم يدسّه في التراب**

---

(١) الوسائل ١٥ / ١٢٠ ، باب ٢١ من أحكام الأولاد . الحديث ٣ .
(٢) الوسائل ١٥ / ١١٩ . أي: قبل أن يولد سقطاً بالجاء أمّه فاطمة عليها السلام إلى عضادة بيتها ودفعها وكسر ضلعها وإلقاء جنينها من بطنها. البحار ٤٣ / ١٩٨ .
(٣) الوسائل ١٥ / ١٢١ .
(٤) النهاية ٥ / ١٤٣ ، في « وأد » ما معناه .

الا ساء ما يحكمون ﴾[1]

وتسئل العرب أو غيرها ممّن يصنع صنعتهم النكراء يوم الحشر الأكبر. كما قال جلّ جلاله : **﴿ وإذا الموءودة سُئلت * بأيّ ذنبٍ قُتلت ﴾**[2] . وقد جاء في تأويله بعد تنزيله، ولا ينافي ذلك ما في الباقريّ : « هو من قتل في مودّتنا وولايتنا »[3] .

(١) سورة النحل: الآية / ٥٨ ـ ٥٩.
(٢) سورة التكوير: الآية / ٨ ـ ٩.
(٣) تفسير البرهان ٤ / ٤٣٢ ، تفسير نور الثقلين ٥ / ٥١٤ ، تفسير الصافي ٢ / ٧٩١ .

١٨١ ـ يطلبون المرعى فلا يجدونه

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده عن ابن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرّضا عليهما السّلام أنّه قال :

« كأنّي بالشّيعة عند فقدهم الثّالث من ولدي يطلبون المرعى ولا يجدونه ، قلت له: ولم ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : لأنّ إمامهم يغيب عنهم ، قلت : ولم ؟ قال : لئلاّ يكون في عنقه لأحدٍ بيعة إذا قام بالسّيف »[١] .

نظير المثل ما جاء في الحديث المرويّ عن أمير المؤمنين مع اختلاف يسير قال عليه السّلام : « كأنّي بكم تجولون جولان النّعم تطلبون المرعىٰ فلا تجدونه »[٢] .

وهذا مثل يمثّل حال الشّيعة في غيبة إمامهم المهديّ يفقدونه ويطلبونه فلا يجدونه كما تفقد النّعم الرّاعي ليرعاها فتطلب المرعى فلا تجده، ولا ماء فترده ؛ لأنّ الفراغ الّذي في البشر لا تسدّه المقاييس الماديّة، ولاغيرها من الطّرق غير السّماويّة التّخمينيّة، لعدم

(١) عيون الأخبار ١ / ٢١٣ ، العلل ١ / ٢٤٥ .

(٢) إثبات الهداة ٣ / ٤٦٣ ، وحرف التاء مع الجيم من الأمثال والحكم العلويّة ، مخطوط .

ضمانها السّالم من النّقص والعيب والخلل . فالمسلمون عامّة والشّيعة خاصّة في أزمان الفترات عند فقد المعصوم من آل محمّد الّذي هو الفقد الكامل للكمالات كلّها حتّى الكمالات الإنسانيّة مصابون بمصيبة فقد الكمال والمعرفة الكافية بكلّ شيء ، وأهمّها المعرفة بالله جلّ جلاله وسُبُل الوصول إليه، ولا يضمن ذلك كلّه إلاّ الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السّلام المبعوثون من أجل هذه المهمّة، وفي هذه العصور القائم بها هو المهديّ المنتظر روحي فداه، فطالبو الحقّ يجولون، مرّة عند زمرة يسمّون بأهل العرفان النّاهجين مناهج شتّى لم تسلم من الأنحرافات في الأصول ولا الفروع وعن نهج أهل البيت عليهم السّلام ،وربّما وقع البعض في مصائدهم كما شاهدناه، ومرّة عند من لا يصلح الرّجوع إليه وإن تحلّى بحليّ مطلوب ، وثالثة البقاء على ما يتراءى الرّائي. ففي الحقيقة هو الجولان في الأوهام وبما لا يشفي الغليل . ومثال الكلّ هو كجولان النّعم للحصول على المرعى فلا تجده ولا ماء فتروى .

وعلى الشيعة الثّبات على عقائدهم الحقّة والتّمسّك بالولاية والعمل بما استيقن من الكتاب والسّنّة القطعيّة المرويّة عنهم عليهم السّلام ، والتّوسل بالمهديّ عجلّ الله فرجه والدّعاء له بالفرج ، وليذكروا حديث الثّقلين : كتاب الله والعترة الطاهرة[1] الضّامن لمن تمسّك بهما عدم الضّلال والمحذّر للمتخلّف عنهما بالهلاك ، وفيه بشارة ودلالة على بقائهما إلى آخر الدّهر وعدم افتراقهما حتّى يردا على النّبيّ الحوض في القيامة . فليطمئنّ المؤمنون بذلك ، ولينتظروا خروج صاحب الكتاب وقيامه المبارك إن شاء الله اللّهم أرنا أيامه الزّاهرة في الدّنيا والآخرة .

(١) المجلّد الخاص به من كتاب عبقات الأنوار ، وجامع أحاديث الشيعة ١ / ٢٠ ـ ٨٥ ، المقدّمة جاء فيها بتفصيل .

يـا سـائـراً زائـراً إلى طـوس مـشهـد طُهـرٍ وأرض تقـديس
أبلغ سلامي الرّضـا وحطّ على أكـرم رمسٍ لـخـيـر مرموس
والله والله حـلفـةً صَـدَرَتْ من مخلصٍ في الـولاء مغمـوس
إنّي لـو كـنـت مـالكـاً أرنـي كـان بـطوس الغنّـاء تعـريسي
وكنت أمضي العـزيم مـرتحـلاً منتسـفـاً فـيـه قـوّة الـعـيس
لـمشهـد بـالـزّكـاء ملتحف وبـالسّنى والسّنـاء مـأنـوس
يـا سيّدي وابن سادتي ضحكت وجـوه دهـري بـعقـب تعـبيس
لمّـا رأيت النّـواصب انتكست رايـاتـهـا فـي زمـان تـنـكـيس
صـدعـت بـالحـقّ في ولائـكم والحقّ مـذ كـان غيـر مبخـوس
يـا ابـن النّبيّ الّـذي بـه قـمـ ـع الله ظهـور الجبابـر الشّـوس
وابن الوحيّ الّذي تقـدّم في الفـ ـضـل على البُـزل القنـا عيس
وحـائـز الفخـر غيـر منتقص ولابس الـمـجـد غـيـر تـلبـيس
إنّ بني النّصب كـاليهـود وقـد يـخلط تـهـويـدهم بتمـجـيس
كم دفنـوا في القبـور من نجسٍ أولى بـه الـطّرح في النّـواويس
عـالـمهـم عنـدمـا أبـا حشـةُ في جلد ثـور ومسك جـامـوس
إذا تـأمـلت شـوم جـبـهـتـه عـرفـت فيـهـا إشـراك إبـليس
لـم يعلمـوا والأذان يـرفعكـم صـوت أذان أم قـرع نـاقـوس ؟
أنتم حبـال اليقيـن أعـلقـهـا مـا وصـل العمـر حبـل تنفيس
كم فـرقـة فيكم تـكـفّـرني ذلّـلت هـامـاتـهـا بـتـفـطيس
قمعتها بـالحجـاج فـانخـذلت تجفـل عنّي بـطيـر منحـوس
إنّ ابـن عبّـاد استجـار بكـم فمـا يخـاف اللّيـوث في الخِيس

كونوا يا سادتي وسائله يفسح له الله في الفراديس
كم مدحةٍ فيكم يحبّرها كأنّها حلّة الطّواويس
وهذه كم يقول قارئها قد نثر الدّرّ في القراطيس
يملك رقّ القريض قائلها ملك سليمان عرش بلقيس
بلّغه الله ما يؤمله حتّى يزور الإمام في طوس

روى الشّيخ الصّدوق هذه القصيدة السّينيّة للصّاحب إسماعيل بن عَبّاد الموالي لأهل البيت عليهم السّلام[1] ومن أشعاره :

أنا وجميع من فوق التّراب فداء تراب نعل أبي تراب[2]

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ولا سيّما الإمام المهديّ المنتظر الّذي فدّاه جدّه الإمام الرّضا عليهما السّلام بقوله : « . . . بأبي وأمّي سمّي جدّي ، وشبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السلام ، عليه جيوب النّور تتوقّدُ بشعاع ضياء القُدس . . . »[3]
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) عيون الأخبار ١ / ٢ ـ ٣ ، ولد ابن عبّاد ٣٢٦. ، وتوفّي ٣٨٥ هـ . الكنى والألقاب ٢ / ٤٠٤ و٤٠٨ .
(٢) في ٤٠٥؛ نفس المصدر الأخير .
(٣) عيون الأخبار ٢ / ٦ ، وذكرناه عند كلمة : « صمّاء صيلم » رقم ١٠٦ ، حرف الصّاد مع الميم . ولعلّ في الشّبه الموسويّ دلالةً على خفاء الولادة ، والغيبة ، ولجيوب النور معان منها : سطوع النّور من بدنه الطاهر إلى فوق قميصه وأثوابه تتقد منها الأشعة القدسية إلى العالم فيهتدي بها العباد .

الفهارِس العامّة:

فهرس الأيات الكريمة

	الآية	الكلمة	الصفحة
البقرة ٢			
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	١٧٦	٦٧٩
ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون	٤٢	١٧٦	٥٠٨
وضربت عليهم الذلة والمسكنة	٦١	١٤٩	٥٨٦
كونوا قردة خاسئين	٦٥	٢	٣٣
الئن جئت بالحق	٧١	٢٣	٩٨
الئن جئت بالحق	٧١	٢٣	٩٩
وقولوا للناس حسناً	٨٣	٧٣	٢٩٢
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض	٨٥	٦٧	٢٦٩
قالوا سمعنا وعصينا	٩٣	٩	٥٧
بديع السَّموات والأرض	١١٧	١٠٧	٤٣٧
اني جاعلك للناس اماماً	١٢٤	٩	٥٣
لا ينال عهدي الظالمين	١٢٤	٩	٥٤
ولئن آتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم	١٤٥	١٥٥	٦٠٧
ولكن وجهة هو موليها	١٤٨	٦	٤٤
إنا لله وإنا إليه راجعون	١٥٦	١٤٠	٥٥٩

	الآية	الكلمة	الصفحة
والذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله	١٦٥	٦٢	٢٣٤
فالئن باشروهن	١٨٧	٢٣	٩٨
واتوا البيوت من أبوابها	١٨٩	١١٩	٤٨٧
وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة	١٩٥	٣٩	١٥٦
ولا تواعدوهن سراً . . . حتى يبلغ الكتاب أجله	٢٣٥	٧٨	٣١٧
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة	٢٤٧	٩	٥٨
ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة	٢٤٨	١٣٧	٥٤٦
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى	٢٤٨	١٣٧	٥٤٨
رب ارني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى	٢٦٠	١٦٢	٦٢٩
فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌّ	٢٦٥	٢٦	١١٢
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً	٢٦٩	تقديم	١٣
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً	٢٦٩	٩	٥٨
يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة . . .	٢٦٩	تقديم	١٣
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف	٢٧٣	١٢٩	٥٢٣
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله	٢٧٣	١٤٩	٥٨٧
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه	٢٨٣	١٣٨	٥٥٢
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	٢٨٥	تقديم	١٤

آل عمران ٣

وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم	٧	٦١	٢٢٦
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات	٧	٤٩	١٨٥
والراسخون في العلم يقولون آمنا به	٧	١٣٤	٥٤٠
قل اللهم مالك الملك	٢٦	٦	٤٤

	الآية	الكلمة	الصفحة
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله	٣١	٥١	٢٠١
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله	٣١	١٣٢	٥٣٥
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله	٣١	١٣٦	٥٤٥
إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم	٣٣	٦١	٢٢٦
ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم	٣٣	١١٣	٤٦٥
رب هب لى من لدنك ذريَّةً طيبةً	٣٨	١٣٢	٥٣٣
رب هب لى من لدنك ذرية طيبةً	٣٨	٨٤	٣٤٣
وهو قائم يصلي في المحراب . . .	٣٩	٨٤	٣٤٣
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم	٦١	٧٤	٢٩٦
فقل تعالواندع بناءنا وأبناءكم ونسأءنا ونساءكم	٦١	٨١	٣٢٨
فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم . . .	٦١	١٣٠	٥٢٧
إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه	٦٨	٩	٥٤
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	٨٥	٨٦	٣٥٠
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً	٩١	٧١	٢٨٣
واعتصموا بحبل الله جميعاً	١٠٣	١٧٦	٦٧٨
وسيجزى الله الشاكرين	١٤٤	٦٩	٢٧٤
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه	١٧٩	٦٩	٢٧٦

النساء ٤

كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها	٥٦	٧	٤٦
قال إنى تبت الئن	١٨	٢٣	٩٨
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم	٢٣	٣٦	١٤٣
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم	٢٣	٨١	٣٢٩
أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله	٥٤ـ ٥٥	٩	٥٨

المائدة ٥

الأنعام ٦

الأعراف ٧

	الآية	الكلمة	الصفحة
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	١١١	٩٢	٣٧٨
وكونوا مع الصادقين	١١٩	١٥٥	٦٠٧
لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه . . .	١٢٨	٥٨	٢١٧

يونس ١٠

هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً	٥	٢٧	١١٦
هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً	٥	٧٢	٢٨٩
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	٢٦	١٥٨	٦١٦
فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق . . .	٣٢	١٢٠	٤٩٤
أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع . . .	٣٥	٩	٥٨
الئن وقد كنتم به تستعجلون	٥١	٢٢	٩٨
وأوحينا الى موسى وأخيه	٨٧	٥٩	٢١٩
الئن وقد عصيت قبل	٩١	٢٣	٩٨

هود ١١

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت	١	٤٩	١٨٦
ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله	٢٩	٦٣	٢٣٥
واصنع الفلك بأعيننا	٣٧	٦٩	٢٧٨
فقال رب ان ابنى من أهلى	٤٥ـ٤٦	١٤	٧٢
قال يا نوح انه ليس من أهلك	٤٥ـ٤٦	٣٦	١٤٥
قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك	٤٨	٩٥	٣٩١
قل لا اسئلكم عليه أجراً ان أجرى الا على الذي فطرنى	٥١	٦٣	٢٣٥
عطاءً غير مجذوذ	١٠٨	٧	٤٦

	الآية	الكلمة	الصفحة
عطاءً غير مجذوذ	١٠٨	٤٨	١٨٠
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار	١١٣	١٧٩	٦٩٤
يوسف ١٢			
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء	٢٤	٦١	٢٢٥
ولقد همَّت به وهمَّ بها	٢٤	٦١	٢٢٧
الئن حصحص الحق	٥١	٢٣	٩٨
وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى	٥٤	١٥	٧٥
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم لـه منكرون	٥٨	١٤٨	٥٨٤
لا يضيع أجر المحسنين	٩٠	٦٩	٢٧٤
الرعد ١٣			
ويدرءون بالحسنة السيئة	٢٢	١٠٨	٤٤٨
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	٢٨	٥١	٢٠١
يمحو الله ما يشاء ويثبت	٣٩	٢٢	٩٥
يمحو الله ما يشاء ويثبت	٣٩	١٠٧	٤٤١
ابراهيم ١٤			
وسخر لكم الفلك تجرى في البحر	٣٢	٥	٤٢
الحجر ١٥			
ونفخت فيه من روحى	١٩	٥٢	٢٠٣
ونفخت فيه من روحى	٢٩	١٣٧	٥٤٩
وما هم منها بمخرجين	٤٨	٤٨	١٨٠

	الآية	الكلمة	الصفحة
طـه ٢٠			
الرحمن على العرش استوى	٥	٤٩	١٨٧
ولا يحيطون به علماً	١١٠	١٥٧	٦١٣
وعصى آدم ربه فغوى	١٢١	٦١	٢٢٥
وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها	١٣٢	١٤١	٥٦٣
الأنبياء ٢١			
فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون	٧	٨٦	٣٤٩
فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	٧	٨٦	٣٥١
وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام	٨	١٤٩	٥٨٧
عباد مكرمون	٢٦	٥	٤٢
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون	٢٧	٢٩	١٢٦
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون	٢٧	٥٣	٢٠٥
ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى	٢٨	٥٨	٢١٧
وجعلنا من الماءكلّ شيءٍ حيّ	٣٠	٢٦	١١٣
وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ	٣٠	٥٠	١٩٦
قلنا يا نار كوني بردا وسلاماً على إبراهيم	٦٩	٧٧	٣١٠
ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة	٧٢_٧٣	٩	٥٤
وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا	٧٣	٢٩	١٢٦
وذا النون إذ ذهب مغاضباً	٨٧	٦١	٢٢٥
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	١٠٧	٥٨	٢١٧

الآية الكلمة الصفحة

العنكبوت ٢٩

وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما	٨	٣٦	١٤٧
ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك	٨	١٢٦	٥١٣
وزين لهم الشيطان أعمالهم	٣٨	٩	٥٦
يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة	٥٦	٩٦	٣٩٥

الروم ٣٠

يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون	٧	١٠	٦١
ثم كان عاقبة الذين أسئوا السوأى	١٠	٦٥	٢٤٤
وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده	٢٧	١٠٧	٤٣٧
وله المثل الأعلى في السموات والأرض	٢٧	١٤٧	٥٨١
وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم	٥٦	٩	٥٤

لقمان ٣١

وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم	١٠	٢٦	١١٣
وصاحبهما في الدنيا معروفاً	١٥	٣٦	١٤٧

السجدة ٣٢

وبدأ خلق الإنسان من طين	٧	١٠٧	٤٣٨

	الآية	الكلمة	الصفحة
ولا تزر وازرة وزر أخرى	١٨	١٠٢	٤١٩
ولا تزر وازرة وزر أخرى	١٨	١٥٤	٦٠٤
إنما يخشى الله من عباده العلمٰؤُا	٢٨	٦٠	٦٢٢

يٓسٓ ٣٦

	الآية	الكلمة	الصفحة
يٓسٓ والقرآن الحكيم	١ - ٤	٩٥	٣٩٠
وكل شيء أحصيناه في إمام مبين	١٢	١٠٤	٤٢٥
إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	٨٢	٤٧	١٧٨
إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	٨٢	١٧٨	١٨٣
إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	٨٢	٤٨	١٨٣

الصافات ٣٧

	الآية	الكلمة	الصفحة
سلام على نوح في العالمين	٧٩	٩٥	٦٩٢
سلام على ابراهيم	١٠٩	٩٥	٣٩٠
سلام على موسى وهارون	١٢٠	٩٥	٣٩٠
سلام على آل ياسين	١٣٠	٩٥	٣٩٠

صٓ ٣٨

	الآية	الكلمة	الصفحة
فليرتقوا في الاسباب	١٠	٩	٥١
وظن داود أنما فتناه	٢٤	٦١	٢٢٦
وقليل ما هم	٢٤	١٥٥	٦٠٧

الزمر ٣٩

	الآية	الكلمة	الصفحة
أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً	٩	٢٣	٩٩
أرض الله واسعة	١٠	٩٦	٣٩٥

كتاب متشابه مثانى تقشعر	٢٣	٤٩	١٨٦
انك ميت وانهم ميتون	٣٠	٩٣	٣٨٢
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون	٤٧	١٠٧	٤٤٢
لئن اشركت ليحبطن عملك	٦٥	١٦٤	٦٣٨

غافر ٤٠

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه	٢٨	١١١	٤٥٩
كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا	٣٥	٩	٥٩
ادعونى استجب لكم	٦٠	٢٢	٧٥

فصلت ٤١

فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً	١١	١٦٥	٦٤٣
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه	٤٢	٧٥	٣٠١
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه	٤٢	١٧٦	٦٧٧

الشورى ٤٢

ليس كمثله شىء	١١	١٢٥	٥١٢
والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات	٢٢	١٢٣	٥٠٣
قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى	٢٣	٥٣	٢٠٤
قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى	٢٣	٦٣	٢٣٥
قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى	٢٣	١٢٣	٥٠٣
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا	٥٢	١٣٣	٥٣٧

الزخرف ٤٣

أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ان كنتم قوم مسرفين	٥	١٤	٧٢

الحجرات ٤٩

قٓ ٥٠

الذاريات ٥١

الطور ٥٢

النجم ٥٣

القمر ٥٤

الآية	الكلمة	الصفحة	

الرحمٰن ٥٥

الواقعة ٥٦

الحديد ٥٧

المجادلة ٥٨

الحشر ٥٩

	الآية	الكلمة	الصفحة
الصف ٦١			
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم	٨	١٦	٨١
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم	٨	٥٠	١٩٣
المنافقون ٦٣			
سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم	٦	١٧٠	٦٥٩
ليخرجن الاعز منها الأذل	٨	٣٦	١٤٧
الطلاق ٦٥			
قد أنزل الله اليكم ذكراً * رسولاً	١٠ ـ ١١	٨٦	٣٥٠
الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن	١٢	٢٧	١١٦
الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن	١٢	٣٢	١٣٦
الملك ٦٧			
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت	٣	٥٦	٢١٢
ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير	٤	٢	٣٣
قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غور	٣٠	٢٨	١٢٠
القلم ٦٨			
ما لكم كيف تحكمون	٣٦ ـ ٤١	٩	٥٧
نوح ٧١			
وجعل القمر فيهن نوراً . . .	١٦	٧٢	٢٨٩
وجعل القمر فيهن نوراً . . .	١٦	١٦٣	٦٣٤

* * *

٢
فهرس الأحاديث الشريفة

	الكلمة	الصفحة

الفقرة	الكلمة	الصفحة
ان قلوب الجهال تستفزها الأطماع	١٠٣	٤٢٣
ان قولنا انا لله : إقرار على انفسنا بالملك	١٤٠	٥٥٩
ان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة . . .	١٣٦	٥٤٥
إنك لن تقوى على ذلك	٦٦	٢٥٢
ان لربكم في ايام دهركم نفحات	٧٧	٣١٤
ان لربكم لنوراً تعرفون به في الدنيا	١١٦	٤٧٦
ان الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبيائه	١٠٧	٤٣٨
ان الله لما فتح على نبيه فدك وما والاها	٨٣	٣٣٥
إن للقلوب شهوة وإقبالاً	٥١	١٩٩
ان لله عز وجل علمين	١٠٧	٤٣٨
إن لله في أيام دهركم نفحات	٧٧	٣١٤
إن لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل	٥٠	١٩٠
إنما الأعمال بالنيات	١٢٤	٥٠٩
إنما الأعمال بالنيات	١٥٠	٥٩٣
إنما البخيل حق البخيل : الذي يمنع الزكاة المفروضة	٦٥	٢٤٥
إنما شيعتنا الخرس	٤٦	١٧٣
إنما فرق بينهم مبادىء طينتهم	٨٩	٣٦٢
إنما يعرف القرآن من خوطب به	١١١	٤٦٠
ان المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور	١١	٦٥
إن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي (ص) فقرأ عليه القرآن	١٧٦	٦٨١
إن هذا القرآن فيه منار الهدى	١٢٠	٤٩١
إنه اعطي بلعم بن باعورا الأسم الأعظم	٨٧	٣٥٣
انه نهى عن وأد البنات	١٨٠	٦٩٧
انه في الحمد والتوحيد وآية الكرسي	٦٦	٢٥٣

	الكلمة	الصفحة
اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن	١٧٣	٦٧١
اني لأمان لأهل الأرض كما ان النجوم أمان . . .	٩٦	٣٩٤
اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي	١٤	٧١
اوحى الله تبارك وتعالى الى آدم اني أجمع لك الخير كله	٦	٤٤
اوحى الله عز وجل الى داود (ع) ان العبد	١٦٩	٦٥٦
اول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره	٦٨	٢٧٣
أول ما خلق الله نوري	١٠٦	٤٣٣
أولنا محمد وأوسطنا محمد وآحرنا محمد	١٦	٨١ - ٨٢
أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد	١٠٦	٤٣٣
أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد	١١٨	٤٨٢
أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد	١٣٠	٥٢٨
أهل الدنيا كوكب يسار بهم وهم نيام	٥٧	٢١٥
الأيدي ثلاثة	٣٩	١٥٦
أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟	٢٠	٩١
الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان	٤	٣٨
الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان	٦٢	٢٣٢
الايمان يشارك الاسلام	٤	٣٧
إياكم والبخل فإنها عاهة لا تكون في حرّ	٦٥	٢٤٦
إياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين	١٥٢	٥٩٩

ب

بأبي وأمي سمي جدّي وشبيهي		٧٠٢
البخيل حقّاً من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ	٦٥	٢٤٥
البخيل من بخل بالسّلام	٦٥	٢٤٥

الكلمة الصفحة

ج

ح

خ

ش

ص

ط

ع

الكلمة	الصفحة	
الكبائر ما وعد الله عليه النار	١٠٤	٤٢٦
كتاب الله تبصرون به وتنطقون به	١٠٤	٤٢٤
كتب رجل الى الحسين (ع) عظني بحرفين ، فكتب إليه : من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو ، وأسرع لمجيء ما يحذر	١٢٦	٥١٤
كشعرفة بيضاء في الثور الأسود	٦٠	٢٢٣
كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره	١٧٦	٦٧٨
كل شيء نظيف حتى تعلم انه قذر	٨٥	٣٤٨-٣٤٧
كل عمل ابن آدم هو له الا الصيام فهو لي	١٧١	٦٦٥-٦٦٤
كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد بها نفسه	١١٩	٤٨٦
كمال الأخلاص له ففي الصفات عنه	١٢١	٤٩٧
كناقش الشوكة بالشوكة	١٠٨	٤٤٨
كنا مع علي (ع) بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً	١٧٣	٦٧٢
كونوا دعاة الى أنفسكم بغير السنتكم	٢٩	١٢٣
ل		
لا أدب لمن لا عقل له	٧٣	٢٩٠
لا أوتي برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا	٦١	٢٣٠
لا تزال أمّتي بخير ما أمروا بالمعروف	١٢٢	٥٠١
لا تستصغروا قليل الآثام فإن الصغير يحصى	١٠٤	٤٢٥
لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب	١٠٤	٤٢٥
لا تفعل فإن أهل قم يدفع عنهم بك	تقديم	١٧
لا تفعل فإن أهل قم يدفع عنهم بك	١٢	٦٧
لا جعلوا بيني وبينهم نصفاً	٢٣	٩٩
لا خير في الصمت عن الحكم	٤	٣٩

	الكلمة	الصفحة
لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله	١٢٦	٥١٤
لا شيء أقرب إلى شيء من يد الى جسد	١٦٢	٦٢٨
لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار	١٠٤	٤٢٦
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	١٢٦	٥١٥
لا عقل كالتدبير	١٠٣	٤٢٣
لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الاصرار . . .	١٠٤	٤٢٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	١٣١	٥٣٢
لا يعتذر إليك احد الا قبلت عذره	١٧	٨٤
لأن أدخل يدي في فم التنين	١	٢٥
لتجيبن أبناءهم الى مثلها وأنت مضيض	١٣٠	٥٢٧
لتركبنّ سنة من كان قبلكم حَذو النعل بالنعل	١١٨	٤٨٢
لتنتهن يا بني وليعة . . .	٧٤	٢٩٦
لتنتهن يا بني وليعة . . .	١٣٠	٥٢٧
للصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه	١٧١	٦٦٤
لله عز وجل أفرح بتوبة عبده من أحدكم	١٠٩	٤٥٥
لما خافت بنو اسرائيل جبابرتها أوحى الله	٥٩	٢١٩
لما يطأ لا بيتها	١٥٢	٥٩٩
لم يبق من أمثال الأنبياء الا قول الناس	٧٩	٣١٨
لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن	١	٢٢
لم يقرب من الأشياء بالتصاق	١	٢٣
لو أن أهل السموات والأرض لم يحبوا أن يكونوا شهداء	١٥٦	٦١١
لو أن رجلا قتل بالمشرق فرضي لقتله	١٥٦	٦١٠
لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت	٣١	١٣٢
لو حلفت لبررت ان اسم الله الأعظم قد دخل	٦٦	٢٦٠

م

الكلمة	الصفحة	
ما علمك أن يكون فارساً أو راجلاً	١٨٠	٦٩٧
ما لا يدرك كله لا يترك كله	٨٥	٣٤٨
ما من آدمي إلا وفي رأسه حَكَمةٌ	تقديم	١٢
ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان	٤	٣٩
ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان	٤٦	١٧٤
ما من مسلم يقول لا إله إلا الله يرفع به صوته	١٤٥	٥٧٤-٥٧٥
ما يقولون لكم في الحسن والحسين (ع)	٨١	٣٢٨
المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة	١١	٦٤
مثل الصلاة مثل الفسطاط اذا ثبت العمود نفعت الأطناب	١٤٦	٥٧٩
مثل العقل في القلب كمغل السراج وسط البيت	١٠٣	٤٢٢ - ٤٢٣
المثيب هو الذي كاتب رسول الله سلمان . . .	٨٣	٣٣٨
المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله	٤٩	١٨٧
المرء مع من أحب	١٣٢	٥٣٤
مر أمير المؤمنين (ع) بجماعة بالكوفة	٨٢	٣٣٣
المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجة	١٤٤	٥٧٣
المسلم : الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده	٤	٣٨ - ٣٩
الميسور لا يسقط بالمعسور	٨٥	٣٤٨
المشيّة محدثة	٧	٤٧
مصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم	١٦٤	٦٤١
معشر المسلمين استشعروا الخشية	٧٢	٢٨٨
مع كل شيءٍ لا بمقارنة	١	٢٢
من آمن بالله واتقى فهو الفتى	١١٤	٤٦٩
من أحب في الله وأبغض في الله	٦٢	٢٣٣
من أحب قوماً فهو منهم	١٥١	٥٩٥

الكلمة	الصفحة	

٣
فهرس الأمثال والحكم

العنوان	الرقم	الصفحة
أفضل المال ما وقي به العرض	٢٠	٩٠
الأفول من صفات المحدث	٢١	٩٢
أفيعد ما لا يفي به؟	٢٢	٩٥
الآن جئت بالنصفة	٢٣	٩٧
إلى حيث وجهتني	٢٤	١٠٢
الإمام البدر المنير	٢٥	١٠٥
الإمام السحاب الماطر	٢٦	١٠٩
الإمام كالشمس الطالعة	٢٧	١١٥
الإمام الماء العذب على الظمأ	٢٨	١٢٠
الإمام النارِعلى اليفاع	٢٩	١٢٣
الإمام واحد دهره	٣٠	١٢٧
الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي	٣١	١٢٩
الأم البرة بالولد الصغير	٣٢	١٣٤
الأمور بيد الله عز وجل	٣٣	١٣٨
انا تمريٌّ، وشيعتنا يحبون التمر	٣٤	١٤٠
أنا من آله ولستم من آله	٣٥	١٤٣
أنت أخي ما أطعت الله عز وجل	٣٦	١٤٥
إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ	٣٧	١٤٩
انظروا كم فرق بين المنزلتين؟	٣٨	١٥٢
أنفق ولا تـخش من ذي العرش إقتاراً	٣٩	١٥٥
إن كان شراً فشراً، وإن كان خيراً فخيراً	٤٠	١٥٧
إن أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن (ع)	٤١	١٦١

الرقم الصفحة

خ

ذ

ر

ز

س

الرقم الصفحة

ع

ف

ق

ك

ل



٤
فهرس الأشعار

		الكلمة	الصفحة
وكنت	يسر أن جمع الأوطان والمطرا	٢٦	١١٢
ويعجبني	ليعجبني لولا محبتك الفقر	١٤٩	٥٨٨
ولم أر	ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر	١٤٩	٥٥٨
ألم تر	وأن الغنى يخشى عليه من الفقر	١٤٩	٥٨٩
من شرف	على الغنى لو صح منك النظر	١٤٩	٥٨٩
مطهرون	تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا	٣٥	١٤٤
اربع	إن كنتَ تربع من دين على وطر	١٧٣	٦٧٠
ولو	مني الضلوع من الأسرار والخبر	١٦٧	٦٥١
إن	كالعر يكمن حيناً ثم ينتشر	١٦٦	٦٤٩
للعضو	قامت قياما عنه كالذي استقر	١	٢٦
إن	لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر	٢٦	١١١
وسائلة	فقلت لها وقعت على الخبير	١٠٩	٤٥٤
عباراتنا	وكل إلى ذاك الجمال يشير	١٥٧	٦١٣
	ز		
إن	والجود من كرائم الغرائز	١١٢	٤٦١
	س		
تضيء	ـيط لم يجعل الله فيه نحاسا	٧٢	٢٨٧
لبست	وصرت أمشي شامخ الرأس	١٢٩	٥٢٢
يا سائراً	مشهد طهر وأرض تقديس	١٨٠	٧٠١
	ص		
إنّ	ـت لعيش معجل التنغيص	٥٧	٢١٤
	ض		
وإنما	أكبادنا تمشي على الأرض	١٦	٨١

* * *

٥
فهرس الموضوعات

ع

الكلمة		الصفحة

ق

	الكلمة	الصفحة
قيل : للبغل من أبوك ؟ قال : الفرس خالي	٤٢	١٦٥

ك

الصفحة	الكلمة	
٥٨٧	١٤٩	كلام الراغب حول الفقر بتفصيل
٣٩٩	٩٧	كلام الرضا (ع) حول التوحيد
٤٤٣	١٠٧	كلام السيد المعلق حول البداء
٣٦٤	٩٠	كلام السيد المعلق حول رقة القلب
٥٤٦	١٣٧	كلام صاحب تفسير الميزان في السكينة
٥٨٥	١٤٩	كلام صاحب الجواهر في الفقر والمسكنة
٢٦٠	٦٦	كلام السيد الطباطبائي حول الاسم الأعظم
٣٥٨	٨٨	كلام الشريف حول الرؤيا
٦٣٧	١٦٣	كلام الفيض في آية الاقتداء (الانعام / ٩٠)
٦٥٩	١٧٠	كلام الفيض في عدد السبعين
٥٤٨	١٣٧	كلام الفيض في السكينة
٤٨٩	١٢٠	كلام الله المنزل
٤٣١	١٠٦	كلام المجلسي حول « صماء صيلم »
٢٦٢	٦٦	كلام المحقق الاصبهاني في الاسم الأعظم
١٩٨	٥١	كلام المعتزلي حول القلب الأعمى
٩٨	٢٣	كلمة « الآن » ومعناها
٣١٧	٧٨	الكلمة الموضوعة لمعنى الغاية
٢٤٥	٦٥	كلمات الأدباء في البخل والبخيل
٥٤٨	١٣٧	كلمات حول السكينة
٤٠٧	٩٩	كلمات الكثرة
٦٨٨	١٧٧	كلمات المروزي تضحك الثكلى
١٦٥	٤٢	كنية البزدون أبو حنظل

ل

	الكلمة	الصفحة

ن

٦
فهرس الأعلام

الكلمة	الصفحة	

الكلمة	الكلمة	الصفحة
سليمان الجعفري	١٤٤	٥٧٢
سليمان المروزي	٧	٤٥
سليمان المروزي	٨	٤٨
سهل بن مالك الفزاري	١٦٤	٦٣٩
سهيل بن عمرو	١٣٠	٥٢٦
سيار بن مالك الفزاري	١٦٤	٦٤٠
ش		
الشيخ محمد حسين الاصبهاني صاحب التفسير	٦٦	٢٥٧
ص		
صبيح الديلمي	٥٠	١٩٣
صدر الدين	١٤٧	٥٨١
الصدوق	٢٤	١٠٢
صعصعة بن صوحان	١٩	٥١١
صفوان بن يحيى	١٢٥	١٥٩
صفوان بن يحي بياع السابري	٤٠	٦٠١
ط		
طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق	١٥٣	٧٨
الطبري	١٥	٦٤٠
ع		
عابس بن أبي شبيب الشاكري	١٦٤	٦٤٠

ي



٧
فهرس القبائل والفرق

٨
فهرس المصادر

القرآن الكريم

*

أبواب الهدى للميرزا مهدي الإصبهاتني المتوفى ١٣٦٥ هـ ، طبع في مشهد الرضا عليه السلام ، بمطبعة سعيد ، سنة ١٤٠٥ هـ .

إثبات الهداة للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ ، المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران ، ثلاثة أجزاء

الاحتجاج للشيخ أبي منصور أحمد الطبرسي من أعلام القرن السادس ، تعليق السيد محمد باقر الخرسان ، مطبعة النعمان ، النجف ١٣٨٦ هـ .

إحقاق الحق للقاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند ١٠١٩ هـ ، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، من منشورات آية الله المرعشي النجفي عشرون جزءاً ـ قم ـ إيران .

الاختصاص للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي / ت ٤١٣ هـ ، تعليق علي أكبر الغفاري من منشورات مكتبة الصدوق ـ طهران ـ جايخانه حيدري ١٣٧٩ هـ .

اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي محمد بن الحسن / ت ٤٦٠ هـ ، تعليق حسن المصطفوي جزءان في مجلد ، مطبعة

دانشكاه مشهد الرضا عليه السلام ، ١٣٤٨ ش .

الإرشاد — للشيخ المفيد ، الطبع القديم ـ والحديث ، طبع قم ، من منشورات بصيرتي .

أسرار البلاغة — لعبد القاهر الجرجاني / ت ٤٧١ هـ من منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٨ هـ .

الأسم الأعظم — للمؤلف ، طبع بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠٢ هـ .

أصول الكافي — للشيخ محمد بن يعقوب الكليني / ت ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ ، طبع طهران ، إسلامية ١٣٨١ هـ ، مجلدان .

إعلام الورى — للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ، تعليق علي أكبر الغفّاري ، مطبعة الحيدري ١٣٣٨ هـ ، طهران .

إقبال الأعمال — تأليف علي بن موسى بن طاووس الموسوي / ت ٦٦٨ هـ ، الطبعة الثانية من منشورات دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ .

إكمال الدين — للشيخ الصدوق محمد بن علي القمي / ت ٣٨١ هـ ، تقديم السيد محمد مهدي الخرسان ، المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٩٨ هـ .

الأمالي — للشيخ الصدوق ، تقديم السيد محمد مهدي الخرسان ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٨ هـ .

الأمالي — للشيخ الطوسي محمد بن الحسن / ت ٤٦٠ هـ ، النجف مطبعة النعمان ، ١٣٨٤ هـ ـ تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم .

أمثال الحديث	تأليف الدكتور عبد المجيد محمود ، الطبعة الأولى - مكتبة دار الترات ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٥ م القاهرة .
الأمثال النبوية	للمؤلف ، طبع بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠١ هـ مجلدان .
الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة	له أيضاً طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعةالمدرسين - قم - إيران ١٤٠٧ هـ .
أمثال وحكم	لدهخدا علي اكبر المتوفى ١٣٣٤ ش طهران - ، طبعة سيهر ، ١٣١١ ش ، الطبعة الرابعة ، أربعة مجلدات .

*

بحار الأنوار	للشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١١ هـ ، طبع ايران ، المطبعة الإسلامية ، ١٣٨٥ هـ ، مائة وعشر مجلدات .
البشرى ببعثة البشير	للشيخ عبد الواحد الشيخ أحمد المظفر ، مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٩٦٢ م ، مجلدان .
بصائر الدرجات	لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / ت ٢٩٠ هـ ، من منشورات الأعلمي طهران مطبعة الأحمدي ١٤٠٤ هـ
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة	للشيخ محمد تقي التستري . في اربعة عشر مجلداً مختلفة الطبع فقد طبع منها في مطبعة الخيام - قم ١٤٠٠ هـ - ومطبعة الصدر في طهران

*

تحف العقول	للشيخ حسن بن شعبة الحراني من أعلام القرن

	الرابع ـ المطبعة الحيدرية ـ طهران ١٣٧٦ هـ تعليق علي اكبر الغفاري .
تفسير البرهان	للسيد. هاشم البحراني / ت ١١٠٧ هـ ـ طهران ـ جايخانه آفتاب ١٣٧٥ هـ . أربعة مجلدات مع مقدمة في مجلد .
تفسير الصافي	للشيخ محمد محسن الفيض الكاشاني / ت ١٠٩١ هـ ـ طهران ، المطبعة الإسلامية ١٣٨٤ هـ ، مجلدان
تفسير العياشي	لمحمد بن مسعود العياشي من اواخر القرن الثالث ، من منشورات المكتبة العلمية الإسلامية طهران ـ مجلدان .
تفسير القرآن	للشيخ محمد حسين الأصبهاني المتولد ١٢٦٦ هـ والمتوفى ١٣٠٨ هـ ، ولم يكمل ، صفحاته ٣٣٢ وفي آخر ترجمته ، طبع في ١٣١٣ هـ .
تفسير القمي	لعلي بن إبراهيم القمي من أعلام القرنين ٣ ـ ٤ ، تقديم السيد الطيب الموسوي الجزائري ، مطبعة النجف ، ١٣٨٦ هـ ، مجلدان .
تفسير الكساف	لمحمود الزمخشري ٥٣٨ هـ ، طبع بيروت ، دار الكتب العربية ، أربعة مجلدات .
تفسير المنار	لرشيد رضا المتوفى ١٣٥٤ هـ . طبع مصر ، دار المنار ، ١٣٧٣ هـ اثنا عشر مجلداً
تفسير الميزان	للعلامة الحاج السيد محمد حسين الطباطبائي ١٤٠٢ هـ بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٤ هـ عشرون مجلداً .
تفسير نور الثقلين	للشيخ عبد علي الحويزي ، تعليق السيد هاشم

الرسولي ، مطبعة الحكمة ـ قم ، ايران ـ ١٣٨٣ هـ ، خمسة مجلدات .

التمثيل والمحاضرة — لأبي منصور الثعالبي ٤٢٩ هـ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ـ طبع القاهرة ، عيسى البابي ـ ١٣٨١ هـ .

التوحيد — للشيخ الصدوق ـ طهران ـ حيدري ١٣٨٧ هـ ، تعليق الحاج السيد هاشم الحسيني الطهراني .

*

جامع أحاديث الشيعة — للسيد الحاج الآغا حسين البروجردي ١٣٨٠ هـ ، طهران ـ مطبعة المساحة ، والعلمية ، قم ـ ١٣٩٩ هـ .

جامع الشواهد — للمولى محمد باقر الشريف ، معاصر صاحب الجواهر المتوفى ١٢٦٦ هـ ، المطبعة المحمدية اصفهان ، ثلاثة أجزاء في مجلد .

الجامع الصغير — لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ت ٩١١ هـ ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، وبهامشه كنوز الحقائق للمناوي .

جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع — تأليف رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحلي المتوفى ٦٦٤ هـ ، من منشورات الرضي قم ـ ايران ـ .

جمهرة الأمثال — لأبي هلال العسكري من القرن الرابع ـ المطبعة الخيرية ، مصر ١٣١٠ هـ ، وهذا الكتاب في هامش مجمع الأمثال للميداني ، جزءان في مجلد .

الجواهر السنية في — للشيخ الحر العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ ، مطبعة

الأحاديث القدسية | النعمان ، النجف ١٣٨٣ هـ .
جواهر الكلام | للشيخ محمد حسن الجواهري المتوفى ١٢٦٦ هـ ، مطبعة النجف في النجف .

*

ختام الغرر | تأليف السيد محمد علي الابطحي المتوفى ١٣٧٠ هـ ، في مشهد الرضا ـ بالأوفست عن المخطوط .
الخصائص الحسينية | للشيخ جعفر التستري المتوفى ١٣٠٣ هـ ـ مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ـ قم إيران ـ .
الخصال | للشيخ الصدوق ، مطبعة الحيدري ، تعليق علي أكبر الغفاري طبع عام ١٣٨٩ هـ .

*

درر الفوائد | تـأليف الشيخ محمـد تقي الآملي ، تعليق على منـظومة إلسبـزواري ـ من منشورات مـركـز نشـر الكتاب ، جانخانة مصطفوي ، طهران ، جزءان في مجلد .
الـدر المـنثـور في التفسير المأثور | لجـلال الدين السيـوطي من منشـورات المكتبـة الشعبية ، بيروت .
الـدر النضيـد في مراثي السبط الشهيد | للسيد محسن الأمين العاملي / ت ١٣٧١ هـ وهو مجموعة من قصائد الشعراء ، من منشورات مكتبة الداوري قم ـ ايران .
الديوان | المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام ـ جمع عبد العزيز الكرم ـ المكتبة الشعبية .

*

روضة المتقين | تأليف المولى محمد تقي المجلسي المتوفى ١٠٧٠

هـ ، وهو شرح على كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق ، تعليق السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الاشتهاردي من منشورات بنياد فرهنك إسلامي ـ طهران ـ في أربعة عشر مجلداً .

*

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب — للشيخ أبي الفوز محمد أمين السويدي ، طبع بيروت ـ دار الشعب .

سفينة البحار — للحاج الشيخ عباس القمي المتوفى ١٣٥٩ هـ ، مطبعة سنائي ـ طهران ـ بالأوفست مجلدان .

*

شرح نهج البلاغة — لابن أبي الحديد عبد الحميد المعتزلي / ت ٦٥٥ هـ ، الطبعة الثانية مصر ، دار إحياء الكتب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع عام ١٣٨٥ هـ في عشرين مجلداً وفي آخرها الحكم المنسوبة الى أمير المؤمنين عليه السلام وهي ألف حكمة .

شرح نهج البلاغة — لابن ميثم كمال الدين ميثم بن علي البحراني / ت ٦٧٩ هـ ، مطبعة دفتر تبليغات اسلامي ـ قم ـ ١٣٦٢ ش ، خمسة أجزاء .

الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء — لابن قتيبة الدينوري / ت ٢٧٦ هـ ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، الطبع الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان .

*

العروة الوثقى — للسيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي ، المتوفى ١٣٣٧ هـ ، الطبعة المرتضوية ، النجف الأشرف ، الطبعة الثانية ١٣٤٨ هـ .

علل الشرائع للشيخ الصدوق ، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية في النجف ، ١٣٨٥ هـ .

عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية للشيخ محمد بن علي بن ابراهيم الإحسائي / ت ٩٤٠ هـ ، طبع في مطبعة سيد الشهداء (ع) قم ـ ايران ـ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، في أربعة أجزاء .

عيون الأخبار لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ، المصور عن الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، أربعة أجزاء في مجلدين .

عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق طاب ثراه ، تقديم السيد محمد مهدي الخرسان ـ المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٩٠ هـ ، جزءان في مجلد .

*

الغدير في الكتاب والسنة والأدب للشيخ عبد الحسين الأميني النجفي ١٣٩٠ هـ ، الطبعة الثالثة من منشورات دار الكتاب العربي بيروت ، ١٣٨٧ هـ .

غرر الحكم ودرر الحكم لعبد الواحد الآمدي التميمي ناصح الدين ، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف .

غريب الحديث لابن قتيبة ـ مطبعة العاني ، بغداد ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى ، ثلاثة مجلدات .

*

الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، أربعة مجلدات .

الفاخر	للفضل بن سلمة بن عاصم ، في أمثال العرب . تحقيق عبد العليم الطحاوي من منشورات دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٠ هـ .
فدك	للسيد محمد حسن الموسوي القزويني الحائري / ت ١٣٨٠ هـ تقديم عبد الفتاح عبد المقصود وتحقيق باقر المقدسي ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ، دار العلم للطباعة ـ دمشق .
فروع الكافي وروضته	للشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، الطبعة الثانية من منشورات دار الكتب الإسلامية ـ جايخانه حيدري ـ طهران ، إيران ـ ، الفروع خمسة ومع الأصول والروضة ثمانية مجلدات .
فلاح السائل	لعلي بن موسى بن طاووس من منشورات مكتبة فرهومند الطهراني ـ طهران ـ ١٣٨٢ هـ .

*

كامل الزيارات	لجعفر بن محمد بن قولويه ، المطبعة المرتضوية في النجف ١٣٥٦ هـ ، تعليق المرحوم العلامة الأميني طاب ثراه .
كليات الأشعار	للشيخ سعدي الشيرازي المتوفى ٦٩١ هـ ، مطبعة ميرجاني ـ إيران ١٣٨١ هـ .
الكنى والألقاب	للمحدث الشيخ عباس القمي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ ، ثلاثة مجلدات .
كنز العمال	لعلاء الدين علي المتقي الهندي / ت ٩٧٥ هـ ، ضبط وتفسير غريبه للشيخ بكري حياني ، وتصحيح الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الر الة ـ بيروت ١٣٩٩

هـ . ستة عشر مجلداً .

كنز الفوائد	تأليف أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي / ت ٤٤٩ هـ ، من منشورات مكتبة المصطفوي ، قم إيران .

*

لسان العرب في اللغة والأدب	لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم المصري / ت ٧١١ هـ ، طبع إيران ، نشر أدب الحوزة ١٤٠٥ هـ ، في خمسة عشر مجلداً ، والملحقات

*

المجازات النبوية	للسيد الشريف محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المتوفى ٤٠٦ هـ ، مطبعة مصطفى البابي ، بمصر ١٣٥٦ هـ .
المجالس السنية	للسيد محسن الأمين العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٧ هـ ، خمسة أجزاء .
مجمع الأمثال	لأحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى ٥١٨ هـ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩ هـ ، مجلدان .
مجمع البحرين	للشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى ١٠٨٥ هـ ، مطبعة الآداب في النجف تحقيق السيد حمد الحسيني ستة أجزاء .
مجمع البيان في تفسير القرآن	للشيخ أبي علي الفاضل الطبرسي ، المطبعة الرشيدية بالأوفست ١٣٧٩ هـ ، بيروت .
مجمع النورين	لأحد المعاصرين لصاحب الجواهر المتوفى ١٢٦٦

هـ ، طبع آذربيجان ـ إيران ، ١٣٢٨ هـ .

مجموعة ورّام — لأبي الحسين ورّام بن فراس الأشتري ٦٠٥ هـ ، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ، ١٣٨٩ هـ ، ـ جزءان .

محاضرات الأدباء — لحسين بن محمد الراغب الأصبهاني مؤلف (المفردات) في غريب القرآن وغيره المتوفى ٥٠٢ هـ .

المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء — للشيخ محمد محسن بن المرتضى الفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١ هـ ، تعليق علي أكبر الغفاري ـ الطبعة الثالثة من انتشارات الإسلامي ، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات .

مرآة الأنوار — لأبي الحسن الفتوني ، مقدمة تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، يعتبر الجزء الخامس في تفسير البرهان توفي في الأربعين بعد المائة والألف هجرية ، مطبعة آفتاب ـ طهران ، ١٣٧٤ هـ .

المراجعات — للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٩٥ هـ .

مروج الذهب — لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ ، تحقيق يوسف أسعد داغر ـ دار الأندلس ، بيروت ١٣٨٥ هـ أربعة مجلدات .

مستدرك الوسائل — للميرزا حسين النوري / ت ١٣٢٠ هـ ، الأوفست في المطبعة الإسلامية ـ طهران ١٣٨٢ هـ ، ثلاثة مجلدات .

المستقصى في أمثال — لمحمود الزمخشري ، بيروت ـ دار الكتب العربية ،

العرب	الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ ، مجلدان .
مستمسك العروة الوثقى	للسيد محسن الحكيم طاب ثراه ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٧ هـ .
مصابيح الأنوار في حل مشكلات الاخبار	للسيد عبد الله شبر / ت ١٢٤٢ هـ ، تحقيق نجله السيد علي ، مطبعة الزهراء ـ بغداد ، من انتشارات مكتبة البصيرتي قم ـ ايران ، مجلدان .
معاني الأخبار	للشيخ الصدوق ، تعليق علي اكبر الغفاري ، من منشورات مكتبة الصدوق طهران ـ إيران ، مطبعة الحيدري ، ١٣٧٩ هـ .
معجم رجال الحديث	للاستاذ السيد أبو القاسم الخوئي ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، بيروت عام ١٤٠٣ هـ ، ثلاثة وعشرون مجلداً .
معجم مقاييس اللغة	لأحمد بن فارس / ت ٣٩٥ هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار الكتب العلمية ، قم ـ إيران من منشورات إسماعيليان ـ ستة مجلدات .
المقالات والفرق	تصنيف سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي / ت ٣٠١ هـ أو ٢٩٩ هـ ، تعليق محمد جواد مشكور ، الطبعة الثانية من انتشارات علمي وفرهنكي ـ طهران .
مكارم الأخلاق	تأليف الحسن بن الفضل الطبرسي من أعلام القرن السادس ، تعليق السيد علاء الدين العلوي الطالقاني ، من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ كربلاء ، مطبعة النعمان في النجف الأشرف .
المناقب	تأليف محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني

	المتوفى ٥٨٨ هـ ، من انتشارات العـلامة قم - إيران ، المطبعة العلمية قم ، أربعة مجلدات .
منهاج الصالحين	للسيد الأستاذ الخوئي في العبادات والمعـاملات رسالة عملية ـ المطبعة العلمية قم - إيران الطبعة الخامسة ، جزءان .

*

النهـاية في غـريب الحديث والأثر	لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ٦٠٦ هـ ، تحقيق طاهر أحمد الرازي ، محمود الطناحي ، مطبعة عيسى البابي - بمصر ، ١٣٨٣ هـ ، خمسة مجلدات .
نهج الـسعــادة في مستدرك نهج البلاغة	للشيـخ محمد بـاقـر المحمـودي، بيروت ـ دار التعـارف للمـطبـوعـات ، ١٣٩٧ هـ ثمـانيـة مجلدات .

*

وسـائل الشيعـة في أحكام الشريعة	للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ١١٠٤ ، تحقيق عبد الرحيم الرباني والرازي ، والشعراني المـطبعة الإسـلامية ، طهـران ـ إيران ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ ، عشرون مجلداً .
وقعة صفين	لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى ٢١٢ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ .

طبع على مطابع

دار الزهراء

بيروت - لبنان: ص.ب: ٩٣٧٠ - تلفون المنزل: ٨١٥٦٨٦ - ٨٦٠٤٩٨
الحسن سنتر: كورنيش المزرعة الطابق الخامس تلفون: ٣٠١٦٠٩
بئر العبد: خلف حسينية الحسين بن علي تلفون: ٨٣٣٥٦٢